غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢٠٠) ـ صفر ١٤١٤هـ (يوليو/ أغسطس) ١٩٩٣م

AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (200) JUL/AUG 1993

إسرائيل تتذكر الموت!



لماذا أخطأ كولومبس؟



السريالية

قراءة نقدية

(١)

الجزء الرابع من كتاب اخبار

... من اهل البيت عليهم السلم وتبعهم بالبر ...

اجمعه والفه الشيخ الفاضل ابو العمر ...

محمد بن جعفر ... احسن الله ثوابه

نفعه الله

... بالعلو وزينه بالحلم

لمعصم

ما احسن الراحة لو انها الطالب ...

وانما ... النيل والمنصل ...

صار هذا الكتاب الملك ...

للشريف السيد الفاضل الكامل

... الحاج ...

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية
MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢٠٠) - صفر ١٤١٤هـ - السنة (١٧) - تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٩٣م

إطلالة

وقفة تأمل

بين أيديكم عدد جديد من مجلة «الفيصل» يحمل الرقم ٢٠٠، وهو رقم يسترعي الانتباه ويستوقف الناظر للتأمل فيما كان من المجلة ومضى، مؤذنا بقرب إكمالها سبعة عشر عاما من مسيرتها الدؤوب، والتي وضعت نصب عينيها من بداية صدورها أن تكون أداة ثقافية فاعلة، همّها الأول والأخير خدمة الثقافة العربية الإسلامية التي تنتمي إليها، من خلال تجديد التأصيل وتأصيل التجديد. وهذا ما يُعنى به وينادي به صاحب الفكر الأصيل، الذي غرس هذه المجلة ورعى نبتها من فكره وماله ووقته، صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز، الذي يرى «أن التحديث لا يكون بالتقليد، ولا يتحقق بتبني المذاهب الأدبية الغريبة عن مثلنا القيّمة، وشخصيتنا الأصيلة، ووجودنا الحضاري المشرق، وإنما ينبع التجديد المأمول من عبقرية الأمة صافيا رقراقا، ومن إبداع أبنائها عطاءً. أما النقل عن الآخرين فسيظل مرتبطا بأصله الغريب، ومنشئه الغريب، وبيئته الغريبة، ومهما كتبنا الأفكار الغربية بأحرف عربية فإنها ستبقى أفكارا غربية، وستظل هجنتها مسيطرة على القلوب، مرتسمة على الأفواه»[1].

وعليه فإنه يدعو إلى «أن يكون تجديدنا نابعا من هويتنا الخاصة، من وجودنا الفعال، من حضور أمتنا المجيدة، وألا ندخّر وسعا في الاطلاع والإضافة والإبداع، على أن نصهر ذلك كله في بوتقتنا الخاصة ونخرجه بشخصيتنا الأصيلة»[2].

وإن كان لا بد لهذه المجلة - وهي مقبلة على نقلة نوعية - أن تقف وقفة تأمل ومحاسبة للنفس بمناسبة صدور العدد ٢٠٠، فإننا نستلهم معا لم تأملاتنا من الحفاوة التي تحظى بها المجلة من خلال تجاوب كتّابها الكرام وإسهاماتهم، وإقبال القراء الأعزاء ومرئياتهم، ممثلةً في نتاجات أصحاب الأقلام ورسائل القراء المتزايدة باستمرار، إلى جانب ازدياد الكمية المطبوعة والموزعة، وانتشارها في البلاد العربية الشقيقة التي لم تكن تصل إليها من قبل، ناهيك عن الدول التي لم تصل إليها أصلا، والتي يلح القراء وبعض شركات التوزيع فيها على مضاعفة النسخ المرسلة إليها، فضلا عن الإقبال الكبير الذي حققته حملة الاشتراكات. ومثل هذه الحفاوة يعني الكثير بالنسبة لأسرة التحرير وجميع العاملين في المجلة، فهو - من ناحية - حافز كبير لاستمرار العطاء وتجويده، ومن ناحية أخرى مدعاة للفخر والاعتزاز بما قدمه وزملاؤهم السابقون طوال هذه المدة من عمر المجلة المديد بمشيئة الله.

ويطيب لي - في هذه المناسبة - أن أوجه الشكر والتقدير لكتّابنا الأفاضل على إسهاماتهم وتعاونهم، سواء من تكرموا بتلبية دعوة المجلة للكتابة فيها أو بادروا بذلك من تلقاء أنفسهم، كما أقدم الشكر والتقدير للقراء الكرام على متابعتهم وتفاعلهم وتواصلهم الدائم معنا.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

---

(١) خالد الفيصل. نحو إبداع أصيل. الرياض، د. ن.، ١٤٠٩هـ.

(٢) السابق.

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.
- ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.

الفيصل

● المراسلات :
مجلة «الفيصل» ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ -
فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١ .

● أسعار بيع النسخ :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية .

• EUROPE - AMERICA - ASIA: Pakistan 20R - Turkey 6000TL - India 25RUPPE - USA and EUROPE 2$

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا ، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل» .

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:
Personal Subscription S.R.150
Others S.R. 250
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

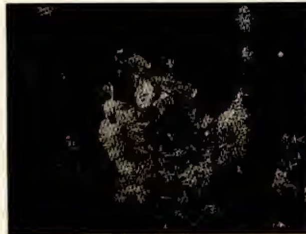
● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة .

• ALL CORRESPONDENCE TO:
AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA
Tel. 4653026 - 4653027. Telex: 402600 DRFATH SJ. Telefax: 4647851.

في هذا العدد



ص ٣٠ ماذا كان سيحدث لو أن كولومبس تنبه إلى ثمانية قرون من الاكتشافات العربية والإسلامية؟



ص ٤٠ على عمق ٢,٥ ميل في المحيط الأطلنطي قامت بعثة أمريكية روسية باستكشاف ينابيع المياه الحارة الغنية بالأملاح المعدنية .



ص ٧٥ ما السيريالية؟ أهي جنون أفضى إلى جنون، أم تهويمات فنية، أم حركة سلبية ازدهرت ما بين الحربين العالميتين؟!



ص ٨٥ في أواخر يونية ١٩٩٣م انطلق المكوك الفضائي «أنديفور» وكان من مهماته استعادة القمر الصناعي الأوربي «يوريكا» .

إسرائيل تتذكر الموت!



بقلم:
د. حسن ظاظا

الكتابات اليهودية القديمة كلها ذكريات، يقصّونها على أنها (حقائق تاريخية) لا تقبل الجدل، لا سيما ما جاء منها في كتبهم (التوارة ــ أسفار الأنبياء ـ كتب الحكمة) بل ما حفظته نصوصهم غير القانونية التي يسمونها (أبو كريفا). فهي عندهم وقائع موثّقة منسوبة ـ على نحوٍ ما ــ إلى الوحي الإلهي. ومن هنا يدهش القارئ لها، من كثرة تردد عبارات مثل : اذكر يا إسرائيل! اذكروا ! تذكروا، وهم أحرار في ذاكرتهم، حتى عندنا ينسبون محتواها إلى الله عزّ وجلّ! وإذا كان القدماء من حكماء العرب قد قالوا : إذا كنت كذوبا فكن ذَكُورا، فإن حكماء اليهود القدماء ـ مع التزامهم ذلك ـ قد خانتهم الذاكرة، فتناقضت أقوالهم كثيرا، وتنافرت، ففتح ذلك بابًا للمفسرين والموفّقين حتى يثبتوا أن تلك الظواهر ـ حتى في التوراة التي بين أيديهم ــ ليست إلا زيادة أو نقصا في التفاصيل فقط، وأن الذين يقفون عندها إنما يبحثون عن المشكلات التي تغضب الله والأنبياء. ونحن نأبى حتى أن نغضب اليهود أو يُغضبونا. أما الصهيونية فأمر آخر، لأنها في اعتقادنا حركة سياسية استعمارية رجعية متطرفة، تصل في تعصّبها العنصري إلى أقصى درجات الوحشية، وتتستر بالدين حتى تكتم أنفاس المعارضين من اليهود أنفسهم، وتجلب الكثير من الأنصار ليسيروا تحت لوائها. وكانت أهم وسائلها في هذا (الذكريات)، ولذلك حرصت منذ القدم على أن تكون تلك الذكريات أليمة دامية، وحرصت أيضًا على أن تُلقي في أذهان الدنيا بأسرها أن التاريخ يعيد نفسه، ولكن في المصائب فقط ! في حين أن التاريخ لا يعيد نفسه تماما، وعلى حدّ قول ناقد لاذع، إنه لا يعيد نفسه، ولكنه أحيانا يتعلثم أو يتأتئ أو يفأفئ، وما زال اليهود إلى الآن ـ والصهيونية خصوصا ـ تذكر العالم كله بالمصائب التي تعرض لها (شعب الله المختار) على مرّ التاريخ، حتى صارت أعيادهم مناحات ومآتم : ذكرى الخروج من مصر مع موسى (عيد الفصح) حتى إنني لأسأل: لماذا الحزن وقد أنجاهم الربّ «بيد قوية وذراع ممدودة من وجه فرعون»؟ بنص التوراة نفسها، ثم عاقب فرعون وجنوده بالهلاك، ثم ظلّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، ثم أعطاهم التوراة على يد موسى عليه السلام. ففيم طقوس الحزن؟ إن المسلمين يتذكرون هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، هو والقلة القليلة من صحابته رضي الله عنهم، فيعتبرون هذه الذكرى عيدا يفرحون فيه بنجاة رسولهم هو وصحابته من ظلم الكفار في قريش، وتآمرهم على قتل الإسلام في مهده، ورضي الله عن الخليفة عمر بن الخطاب الذي جعل هذا العيد بداية التقويم الإسلامي، وصار التاريخ الهجري هو حساب الزمن في الإسلام.

واليهود يحزنون في يوم التاسع من آب اليهودي، يتذكرون أنه في هذا اليوم دمّر بختنصّر البابلي قاعدتهم في القدس، وأخذ الصفوة منهم أسرى في بابل، ويتذكّرون الله بهذه النكبة وبشماتة أعدائهم في أدوم (الأردن) باكين مولولين: «اذكر يا رب بني أدوم في يوم أورشليم، إذ يقولون : دمّروا فيها، دمّروا حتى الأساس» ـ (سفر المزامير ١٣٧ / ٧) وهذا السفر منسوب إلى داود عليه السلام، مع أن خراب القدس (أورشليم) متأخر عن داود بخمسمائة عام! وهذا عندهم من التفاصيل البسيطة التي لا تنطق بأي تناقض! وفي اليوم نفسه في التاسع من آب (أغسطس) تقع نكبة أخرى في أورشليم، إذ يخربها الرومان سنة ٧٠ ميلادية، ويصبح ٩ آب رمز الشؤم والضياع، حتى على ألسنة العوام، فالشيء المنتظر وهو غير ممكن الوقوع يصفونه بأنه «منتظر في ٩ آب» وقد سمعتها ـ هنا في فرنسا ـ من إسرائيليين يتحدثون عن إمكان الوصول إلى سلام عربي فلسطيني ـ خيّب الله ظنهم!

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا ما يصفه التاريخ اليهودي بأنه نكبة تسيل لها دموعهم حتى صار أهم مكان يحجون إليه في فلسطين هو (حائط المبكي)، وحتى كرر كثير من علمائهم وأدبائهم أن تاريخهم كله يطفو على نهر من الدموع، ويتهمون أمم العالم (الغوييم) بأنهم المسئولون عن هذه النكبات، ويصبّون عليهم ما لا ينتهي من اللعنات، بحيث لم يبق عندهم عيد مَرح إلاّ «بوريم» وهو عيد يأتي في أخريات الشتاء (قبل عيد الفصح) يحتفلون فيه بوصول الفتاة اليهودية الجميلة جدا (إستير) إلى الاستيلاء على قلب إمبراطور إيران في ذاك الزمان القديم (أرطاكسركسيس) الذي يسمونه أحشو يروش، حتى أسكرته وحصلت منه على توكيل لخالها «مردخاي» يطلق يده في الإمبراطورية فيفعل فيها ما يشاء، فبدأ بقتل رئيس وزراء إيران وزوجته وأولاده العشرة، ثم تعقب أعداء اليهود فقتل منهم ــ في العاصمة وحدها ـ أكثر من سبعين ألفًا! وأصبحت ذكرى هذه المذبحة الأسطورية عيد مرح وسرور وشماتة عند اليهود، يلبسون فيه ملابس تنكرية : البنات مثل الفاتنة إستير، أو زارش زوجة الوزير، أو الملكة وَشْي زوجة الإمبراطور.

أما الوزير وأعداء اليهود فتصنع لهم تماثيل من القش ويدهنونها بأقبح الألوان، ويضيفون إليها تماثيل أعدائهم المعاصرين، ويعلقونها في مشانق في الشوارع والميادين، وهو عندهم يقابل (عيد الكرنفال) عند المسيحيين، وكان المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى يسمونه (عيد المسخرة) وهي تسمية معبّرة تماما، فإن اليهود يرون أن السكر إلى درجة الغيبوبة سنة مستحبة عن سيدهم الإمبراطور! فحتى عيد السرور الوحيد أصبح عيد الشماتة والغلّ والثأر.

فالصهيونية دأبت على استغلال هذه الذكريات الأليمة ـ القديم منها والجديد ــ لإثارة نزوات الكراهية عند اليهود، وإبقائهم في داخل أسوار الحقد على بقية الأمم، حتى لا يندمجوا في غيرهم. لهم أن يستولوا على مال

إسرائيل تتذكر الموت!

هـذا الغير ــ حقـا أو بـاطلا ــ ولهم أن يحـاولـوا تقويـض بناء المجتمعـات الأخرى، بـدعاوى برّاقة كـالشيوعية والتطرف اليميني المتعصب ــ حتى ضد اليهود، حيث تكتسبهم الصهيونية ـ وتدميـر القيم الأخلاقية، بنشر الإباحية، وتفكيك أواصـر الأسر، والـدعوة إلى عبـادة المال، والحصـول عليه ولـو من الدعـارة أو المخدرات أو المضـاربات التجـارية الجـارفة أو أنـدية القمـار، وإفساد أذواق العامـة بفنون متدنية بذيئة في الأدب والمسـرح والسينما والشعر والغناء والمـوسيقى والرسم والزخـرفة والتصويـر، وحتى في المطبخ والمائدة والأزياء. وإذا حـاول أحد أبناء الأمم الأخـرى أن يتذكر أقـاموا حولـه للنسيان زوابع وأعـاصير تنسيـه كل شيء إلا ما يقـوله الصهـاينة عن اليهـود أولاً والأمم الأخـرى ثانيًـا. بحيث أصبحت الجمجمة البشـرية المعـاصرة بمثـابة وعـاء للقمـامة الصهيـونية. وهم في ذلك عبـاقرة. ومـؤرخهم في العصر الحـديث (هـاينـريش غريتس) قـد كتب لهم ــ قبل الصهيـونيـة بسنـوات ـ كتـابـا في تاريخهم يقع في عشرة مجلـدات ضخمة، كان المذكر بأن الصهيـونية آتية، وأنها سبيل النجاة الـوحيد! وأتى من بعده مترجمون للكتـابة إلى جميع لغات العالـم حيث يقيم يهود إشكنـاز (غربيـون) : إلى الإنجليزيـة، والبولنـدية، والـروسية، والفـرنسية، وغيـرهـا. وتوالى من بعـده المـذكرون ومن أحـدثهم (الدكتـور يوسف حـاييم يروشـالمي) الذي ذرع العـالـم من أقصاه إلـى أقصاه محـاضرًا عن الصهيـونية، ونـاشرا عنهـا في الصحف، ثم مخرجـا كتابـا من أصغـر كتبه وأهمهـا، عنـوانه «الـذكـرى» والكلمة علـى صيغة المصـدر في استعمال اللغة العبريـة يمكن أن تفيد معنى فعل الأمر أيضا، بحيث يمكن أن نفهم من عنـوان الكتاب كـذلك «تـذكّره»، وفيـه يتحدث عن النكبـات التي تعرض لها اليهود بسبب (اللاسامية) أي العـداوة الدينية والعنصرية لليهود في المجتمع الغـربي، بحيث تبدو لقـارئ كتـابه فكـرة (الصهيـونية) على أنهـا الحل الوحيـد، وأن دولة إسرائيل المنتصـرة، القوية، المحـاربة، المرهـوبة الجانب، هي سياج الأمان لحياة اليهود وكرامتهم!

ودولة إسرائيل هـذه قد رأبت على تغذية النزعة الانتقـامية في بني إسرائيل بكافة طـرق التأثير، لاسيما بالأنصاب والقبور والأحـزان والأعياد التي تتكدس في كل مكـان حتى لا ينسى اليهـودي من السـوقة مـا تعـرض له أسـلافـه من الاضطهاد، ويثق بأن كل هذا لاضطهاد كان ظلمـا وعدوانا مجانيا من جانب أمم العالم القديم والحديث لليهود! لا يخطر ببال أحدهم أن يسأل : لماذا؟ ويكاد غيرهم لا يسـأل هذا السؤال المحرج أيضا! ففي القـدس يقوم النصب التذكـاري لتخليد (شهـداء) اليهود، ونصب آخر لتخليـد ذكرى (الكـارثة)، وأسماء شوارع وصروح حكومية ومدارس ومـدرجات جامعية وملاعب رياضية وفـرق عسكريـة لتخليد (أبطـال) من أبنـاء (شعب الله المختار)، وفي زيـارة مناحم بيجين الأولى لمصـر بعد معاهـدة (كامب ديفيد) طلب من المـرحوم أنور السادات أن يسلمه رفات اثنين من (أبطال) الصهيـونية كان قد نفّذ فيهما حكم الإعـدام قصاصًـا عن جـريمة قتـل ارتكباهـا في القـاهرة، منـذ أربعين عاما! وهـذان القاتلان هما إليـاهو بتسورى و إلياهو حكيـم. أما القتيل فكان وزير المستعمـرات البريطـاني اللورد موين، وكـان في زيارة رسميـة لمصر. وصـدر الحكم من محكمة مصـرية وطنيـة، وصدّق عليـه المفتى. ومع ذلك تسلم مناحم بيجين بقايا الرجلين، وعند عودته إلى القدس أقام لهما ضريحا ونصبا واحتفـالا بدفنهما! ورأيت بنفسي بعـد حرب أكتوبـر عام ١٩٧٣م في صحـراء سيناء بعثـة من رجال الـدين اليهـود العاملين في الجيش الصهيـوني تخـرج جثث القتلى من هـذا الجيش لـدفنها في إسـرائيل. وأعجبت بيقظـة الضباط المصـريين وهم يصـادرون كل معلومـات خطية أو خـرائط مرسـومة سجلها هـؤلاء الحاخـانات في الخفاء، وهم ينبشـون قبور مـوتاهم، وكأنهم كانوا يتجسسـون (ترحُّمًا) على أولئك الهالكين، مع أن زعمـاء الصهيونية في كامب ديفيد كانوا يعلنون أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب ضد المصريين!

كانت كل هذه الأفكار تجول بخـاطري وسط الطنين الضخم الذي أُحِسُّه



الصهيونية تعصب يصل إلى أقصى درجات الوحشية

من كل وسـائل الإعـلام المسمـوعـة والمطبوعـة، حـول الـذكـرى الخمسين للعدوان النازي الهتلري على الحي اليهودي في وارسو (عاصمة بولندا) ولم أكن أحسّ هـذه الضوضاء فـي فرنسا وحـدها ــ حيث أقيم للعلاج ــ بل في أوربـا وأمريكـا جميعـا، في هـذه الأيام الأخيـرة، رسميـا وإعـلاميا. ولهـذه المناسبة بـدأ الاستعداد بإخراج يكاد يكون مسرحيـا في موضع الحيّ اليهودي في العاصمة البولندية، وفي المعتقلات النـازية القديمة في تريبلنكا وآوشفينز ودخـاو لاستقبال (الحجـاج) من كافـة أنحاء العـالم الغربي، ومن إسـرائيل طبعا : رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابيـن يحضر على رأس وفد صهيوني كبير من الـرسميين والإعلاميين والمفكـرين والأدباء، والرئيـس الأمريكي بيل كلينتون يوفد نـائبه، ووفود رسمية ويهودية من ألمانيا وفـرنسا وروسيا والنمسا وهنغـاريـا . . . إلخ. وفي بـاريس يقيم «المجلس التمثيلي للمـؤسسـات اليهوديـة بفرنسـا» احتفالات كبيرة لإحيـاء هذه الذكـرى، تبدأ بـزيارة النصب التذكارى للشهيد اليهـودي المجهول، يلي ذلك عرض لاثنين من الأفلام عن المقاومة اليهودية ضد الألمان بعـد احتلال وارسو. ثم اجتماع لأقطاب اليهود

في مقر المجلس التمثيلي للتشاور حول مائدة مستديرة. كما سيعرض فيلم سينمائي عن «بارْبي» الفرنسي المتعاون مع النازي في مطاردة اليهود واعتقالهم ثم القبض عليه ومحاكمته، ثم افتتاح معرض عن مذبحة اليهود في وارسو، يظل مفتوحا أربعين يوما!

أما التلفزيون الفرنسي فإنه بحث عن بعض الناجين من مذبحة وارسو، وهم ــ بعد خمسين عاما ــ قليلو العدد جدا، وأعجبني أحدهم بصراحته الساذجة، عندما سأله مندوب التلفزيون إذا كان يشعر بمرارة هذه الذكرى؟ فأجاب: نعم! لكن عزائى أن هذه الحوادث قد أدت إلى قيام دولة إسرائيل! وكدت أصيح: ظهر الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا! فالعرب جميعا والفلسطينيون في المقدمة، قد دفعوا من أوطانهم وأموالهم وأولادهم ودمائهم ثمن جرائم ارتكبها غيرهم في طرف آخر من أقاصي الأرض! هذه هي عدالة البشر، وقريبا لا بد من عدالة السماء.

وهكذا نجد مناسبات البكاء اليهودي المزمن تتصل حتى يومنا هذا، لا يعزيهم عن ذلك ما حاق بأمم أخرى من القهر والتنكيل. فالمستعمر



ما عدا اليهود، فكل الشعوب ـ بما فيهم المسلمون ـ ضعيفة الذاكرة!

الأوربي (أباد) مئات الملايين من هنود أمريكا الشمالية والجنوبية، وأخذ ملايين العبيد من إفريقية ليسخرهم في إعمار العالم الجديد، والعمل في خدمته في مساكنه ومزارعه وسفنه وجيوشه، حتى إذا استغني عنهم، وألغى العالم نظام العبودية كله راح يضطهدهم ويسومهم سوء العذاب. والمستعمر الأوربي في جنوب إفريقية، نفس المأساة! والتتار في روسيا في القرن الماضي، كم شهدوا من مذابح وفظائع! والأرمن والأكراد في تركيا؟ فضلا عن تدمير بغداد ــ عاصمة العالم المتحضر في وقتها ــ تحت أقدام التتار الحفاة! وقبل ذلك وقوع مصر تحت نير العبودية للإمبراطورية الرومانية، وسقوط نينوى وتدميرها على يد الفرس. كل هذه ذكريات أليمة تدمي القلوب بما صحبها من سلب ونهب ومذابح وعدوان على الأعراض. ولكن هذه الشعوب غير اليهودية (الغوييم) ضعيفة الذاكرة، وليس لها حائط تقف عنده للبكاء، حتى الإمبراطورية الرومانية المتجبرة عصفت بها القبائل المتبربرة من قلب القارة الآسيوية فأسقطتها وسط النيران والدماء والدمار.

وفي دوّامة الذاكرة اليهودية حول كارثة وارسو، وجدت العزاء، لكن عند مَنْ؟ عند اثنين من المفكرين اليهود! نعم.. والعجيب أنهما صهيونيان حتى أطراف الأظافر! أولهما أديب وكاتب وصحفي اسمه «مارك هالتر»، له كتاب عن مذبحة يهود وارسو، والثاني «إيلي فيزل» وهو كاتب ومفكر وفيلسوف من الفائزين بجائزة نوبل للسلام. وكانت الصحيفة اليومية الباريسية (فرنسا المسائية ــ فرانس سوار) قد خصصت مساحة ممتازة في عددها الصادر يوم السبت ١٧ أبريل الماضي لذكرى الحي اليهودي في وارسو، وسأل مندوبها هذين الأديبين، كما سأل اثنين من عامة اليهود، كانا من الناجين من جحيم النازية.

وقد وجدت العزاء عندما قال «مارك هالتر» في كتابه عن تدمير الحي اليهودي في العاصمة البولندية منذ خمسين عاما. إن (التذكّر) ليصيب الإنسان بالقلق! وسأله مندوب الصحيفة: ولماذا القلق؟ فأجاب: كان كثير منا منذ سنين يرى أن الحفاظ على الذكرى فيه حماية من تكرار المأساة، ومع ذلك فإنها تتكرر. خذ مثلا (سراييفو) عاصمة البوسنة. إنها لا تماثل وارسو تماما؛ لأن المسلمين فيها أمامهم اختياران: الموت أو النفي، أما يهود وارسو فلم يكن أمامهم إلا الموت. ومع ذلك فهناك تماثل في موقف العالم القوي المتحضر، فهو لم يفعل شيئا من أجل البوسنة كما أن الجيل السابق لم يفعل شيئا من أجل يهود وارسو. وهذا مقلق!

ويحوم «إيلي فيزل» حول الفكرة نفسها فيقول: إن البحث عن المشابهة بين مسلمي البوسنة ويهود وارسو غير وارد. فما يجرى على المسلمين في البوسنة هو جرائم ضد الإنسانية في حالة ليست فيها حرب عالمية، ولا عقديات هتلرية. إنها جريمة يجب التدخل بالقوة لإيقافها.

وأما الاثنان من عامة اليهود فهما «ليون أبراموفيتس» الذي سيق إلى المعتقل النازي وله من العمر أربع عشرة سنة، والآخر «هنرى كلوجمان» وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة، وهما الآن في سن الشيخوخة، يقدمان صورة لما شهداه من النازية تذكرنا بما يلقاه المسلمون في البوسنة والهرسك من الصرب أولا والكروات أخيرا، وهي صورة القتل الجماعي والعدوان على النساء والموت من الجوع والبرد. يقول ليونم أبراموفيتس مثلا إنه كان يمشى هائما على وجهه في شارع من الحي اليهودي في وارسو فرأى صبيا ينزع حذاء آخر راقد على الرصيف، فقال له ليون: هذا حرام!. أجاب: لا! إنه ميت، ولن ينتفع به! وأخيرًا تحول الحال إلى أن أحسّ بالجوع والإعياء وبدأ يتسول في الطريق، ولو لقمة خبز! ومن ثم إلى المعتقل، وإلى أبشع مناظر الإذلال والتعذيب ثم القتل.

لقد كانت حركة الحي اليهودي في وارسو (انتفاضة) في وجه جبابرة الإبادة والتنكيل والتجويع والابتزاز من جنود النازية الألمان. وكنت أحسب أن بقية من (الذاكرة) في إسرائيل قد تهديهم ـ بتوفيق الله ــ إلى أن ما يرتكبونه ليس طريفا ولا جديدا ولا عادلا ولا شريفا، وهم يعلمون أن انتفاضة الفلسطينيين التي تعبر سنتها الخامسة لم تكن عبثا ولا نزوة أو فورة بل كانت دفاعًا عن مقدسات عريقة موغلة في عراقتها. وليت الصهاينة يفكرون ـ وبدل البكاء على الذكريات ـ أن ينظروا قليلا إلى الأمام، حيث يوجد السلام.

○ ○ ○

الألفاظ والمعاني القائمة في النفس

○ بقلم: محمد العزبي الخطّابي

ليست الألفاظ مجرّد أصواتٍ جـامـدةٍ وضعت للإعراب عن المعانـي البسيطة القائمة في النفس، بل إن كلّ لفظٍ ينطـوي على حشـدٍ من الصّور المتشـابكـة والـدّلالات المتـداعيـة تضيـق عنهـا المعـاجم العـامـة التي تقتصـر في تفسيرهـا للعديـد من الألفـاظ على تقريب المعنى البسيط للأذهان، سواء كـانت الألفـاظ دالّـة علـى جسم محسوسٍ كـالخبز والقلـم والكرة، أو على شيء معقـول كـالعلم والحريـة والعدالة.

خذ ـ مثلاً ـ لفظ **الخبز**، فقد يقول لك معجم اللغة: «الخبزُ قوتٌ يتخذ من دقيق الحبـوب، يعجن بالمـاء والملح على نِسَبٍ معلـومة، ويطبخ بعـد الاختمار في فـرنٍ أو نَحْوِهِ». هذا هـو المعنى الماديُّ القـائم في النفس عند النُّطق بلفظِ الخبز أو استحضاره في الـذهن. لكن ليس هذا كلّ شيء، لأنه إذا قيل لك: «إنّ فلانا يَكِـدُّ سحابة يومه مـن أجل خبزِ أولاده»، فإنك تُدرك على التوِّ أن المقصودَ هنا بالخبز ما يسُـدُّ الحاجة من طعامٍ وكساءٍ وسكنٍ وما إلى ذلك من أمور المعاش.

وحينما يذكر الخبز بمحضر الجـائع فإنه يُثير في نفسه تصورات تختلف عما يثيره في ذهن الشبعـان لاختلاف الحالةِ النفسية عند الـرّجلين. فهو عند الجـائع خبـزٌ مطلقٌ، سـواءٌ كـان مـن حنْطـةٍ أو شعيرٍ أو دُخْن، وهـو عنـد الشبعان خبزٌ بعينـه مصنوعٌ من دقيقٍ معلوم يألفه الشبعـانُ في غذائه اليوميّ؛ ويترتّب على اختلاف الحـالتين تصوّر أشياء جانبيةٍ أخرى ذات عـلاقةٍ بعيدةٍ أو قريبةٍ بالخبز كشظفِ العيـش أو رخائه، والاكتفاء أو الخصاصة، والعمل أو البطـالـة، وربّمـا تبـادر إلى ذهن من يتأمـل الأمـور ويـربـط الأسبـاب بالمسبّبات صور أخرى تحوم حول الخبز ومتعلقاته، مثـال ذلك ما ذكره ابن خلـدون عنـد كلامـه على الاجتمـاع الإنسـاني وضـرورة قيامـه على التعـاون وتقسيم العمل من «أن تحصيل قـوت يـوم من الحِنْطـة لا يحصل إلا بعـلاج كثيـرٍ من الطحن والعجن والطبخ، وأن كلّ واحـدٍ من هـذه الأعمال الثـلاثـةِ يحتـاج إلى مواعينَ وآلاتٍ، وأنّ تحصيل الحبوب يحتـاج أيضًا إلى أعمـالٍ أخرى من الـزراعة والحصاد والـدِّراسِ. . . ويحتاج كل واحـدٍ من هذه إلى آلاتٍ متعدِّدةٍ وصنائع كثيرة»[1].

فإذا كان هذا هو الشأن في لفظ **الخبز**، فما بالك بألفـاظٍ أخرى تنْبع من معينِ الإحساسِ الباطنِ، الذي كثيرا مـا يملك على الإنسانِ أمره فلا يجد مع ذلك قـدرةً على الإعـراب عنـه بـالكـلامِ المنطـوق. ومن هـذا الصِّنف لفظُ «**المحبة**» وما يجانسه ويحوم حوله من ألفاظٍ هي موضوع هذه المقالة.

المحبة: ألفاظها ومعانيها

إنّ هـذا اللفظ السحـري «**الحُبّ**» يتغلغل معنـاه في أعمـاقِ النفس الإنسانيـة، وهـو راسخُ الجـذورِ في طباعها، بـالغ التأثير في سلـوكها، ومع ذلك فإنه لم ينـلْ من واضعي المعاجم العربيـة العامـة سوى حظٍّ ضئيل من العنـاية، إذ جلّهـا يقتصـر على تفسير هـذا اللفظ بلفظٍ آخـر قريبٍ منـه في المعنى، وذلك من نحـو قـولهم: «المحبّـة اسمٌ من الحبّ، والحبّ هـو الوِدادُ. . . وهو نقيض البُغْض»[2]. وقد نسج «المعجم الـوسيط» على هذا المنـوالِ، ولكنـه أضاف أنّ الحبّ عند الفـلاسفـة«ميلٌ إلى الأشخـاصِ أو الأشياءِ العزيزة أو الجذّابة».

وإذ قالوا لك إنّ الحبَّ هو الوداد ــ من قبيل أنّ الماء هو السائل المائع ــ فإنك تقلب صفحـات المعجم لتبحث في حرف الـواو عن «**الودّ**» وما يشتق منه كالوِداد والموّدة والتوادّ فلا تكاد تجد ما يشفي غليلك.

فإذا كنت من أهلِ البحث والتحرّي، أو سبق لك أن عانيت **المحبة** ككلّ إنسـانٍ سويٍّ معتـدل المزاج فإنك تقـول في نفسك: ما أضيقَ أفقَ اللغـة إذا كانت معاجمهـا قاصرةً عن استيعاب المعاني القـائمة في النفس، وكان كلّ همّها تفسيـرَ لفظٍ بلفظٍ يُقـاربه ولا يقـوم مقامه بحـالٍ؛ وحينئذ تجـد نفسك مجبرًا على الرجوع إلى أهل الحكمة والأدبِ، أو من عانوا التجربة الشعورية وخَبَـرُوا أحوالها وقـدروا على تصويرها بالألفاظ المـركّبة؛ ألم يَقُلْ أبو محمد بن حـزم وهـو يحـاول أن يصف الحـبّ: «دقّت معـانيـه لجـلالتهـا عن أن توصف، فلا تدرك إلاّ بالمعاناة»[3].

وقبل أن نـولّي وجهنـا شطْـرَ أصحابِ الحكمـة والأدبِ وأهل الابتـلاء، يجدر بنـا أن نُلقيَ نظرة على بعضِ المعـاجمِ الخاصّـة وكُتُبِ فقه اللغـة وما إليها لنَـرى أنها لا تقتصـر على تفسيرِ لفظٍ بـآخر، بل يـذهب واضِعُوهـا في الغوصِ على المعاني أبعدَ من ذلك، ومـن هؤلاء الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (تـوفي في حدود ٤٢٥هـ) فهو يقول في معجمِ «مفـرداتِ ألفاظ القرآن»:

«**والمحبّةُ** : إرادة ما تـراه أو تظنّه خيـرًا، وهي ثلاثـة أوجهٍ : محبـةٌ للّذةِ كمحبة الـرجلِ المرأة . . . ومحبةٌ للنفع، كمحبة شيءٍ ينتفع بـه . . . ومحبةٌ للفضلِ كمحبّـة أهـل العلم بعضهم لبعض لأجل العلـم. وربمـا فسّـرت المحبّة بالإرادةِ في نحو قوله تعالى : ﴿ فيه رجالٌ يُحبّون أن يتطهّروا ﴾ التوبة ١٠٨، وليس كـذلك، فإن المحبّـة أبلغُ من الإرادة . . . فكلُّ محبـةٍ إرادةٌ، وليس كلُّ إرادةٍ محبة» (٤).

ثم يقول الراغب عن **الودّ** :

«**الـودّ**» : محبـة الشيء وتمنّي كـونــه، ويُستعمل في كلّ واحـدٍ من المعنيين، على أن التمنّي يتضمّن معنى الـودّ لأنّ التمنّي هو تَشَهّي حصـول ما تودُّه» (٥).

بين المحبة والإرادة

وسنعـود إلى الراغب الأصفهـاني حينمـا نصل إلى إيـراد نُبَذٍ من أقـوالِ الحكمـاءِ والأدبـاءِ فـي المحبّـة. أمـا الآن فنـواصل السيـر مع اصطحـابِ المعاجم الخاصـة، لنجد أبا هلال الحسن بن عبد الله العسكـري ـ المتوفى نحو ٤٠٠ هـ ـ يتناول مسألة الألفاظ من زاويـةٍ خاصةٍ في كتابـه «الفروق في اللغـة» الـذي يمكن عـده من معاجم المعـاني، وهـو يقـول عن الفـرق بين المحبّة والإرادة : «**المحبّة** تجري على الشيء ويكون المـرادُ به غيره، وليس كذلك **الإرادة**، تقـول : أحْببتُ زيدًا والمـرادُ أنك تُحبّ إكـرامه ونفعـه، ولا يقال : أردت زيـدًا بهذا المعنى. وتقول : أُحبّ الله، أيْ أُحب طـاعته، ولا يقال أريـده بهذا المعنى . . . ولهذا قـالوا «**إنّ المحبة تكون ثـوابًا وولاية**» ولا تكون الإرادة كذلك . . . والمحبّة أيضًا تجري مجرى الشهوة، فيقال : فلانٌ «يُحبّ اللحمَ أي يشتهيه، وتقول أكلتُ طعامًا لا أحبّه، أي لا أشتهيه؛ ومع هذا فإن المحبة هي الإرادة، والشاهدُ أنه لا يجوز أن يُحِبَّ الإنسان الشيء مع كراهته له» (٦).

ومع أن هذا الكلام يندرج كلُّه في سيـاق الفروقِ بين الألفاظ في الدّلالةِ والمعنى، فإنه يصعب تقبّلُ بعضِ ما جاء فيه من نحوِ قوله : «المحبّة تجري على الشيء ويكـون المـرادُ به غيْره»، وذلك أن النـاس أصنافٌ ومشـارب، فمنهم من يحبّ الجمـال، ومنهـم من يحب العـدالـة، ومنهـم من يحبّ المالَ، ومنهـم من لا يُحبّ إلاّ نفسه، وهـؤلاء كلّهم يحبون الشيء لـذاته لا لغيره. ثم إن المحبّـة قد تقع بإرادةٍ، وقـد يقع فيها الإنسان بـلا إرادةٍ منه ولا قصْد.

ونبقى مع أبي هلال الذي يقول : «الفرق بين **الحبّ والودّ** أن **الحبّ** يكون فيما يوجبه ميلُ الطباع والحكمة جميعًا، **والودّ** من جهة ميلِ الطباع فقط، ألا ترى أنك تقـول : أُحبُّ فـلانًا وأودّه، وتقـول : أُحِبُّ الصـلاةَ ولا تقـول أودُّ الصلاة، وتقول . . . أودُّ الـرجلَ وُدًا ومودّةً. **والودُّ والـوَديد مثل الحِبّ**، وهو **الحبيب**» (٧).

وقد يُفهَم من هـذا القولِ أنّ الحبَّ نزوعٌ طبيعي تحَـرّكه الجبلّةُ الإنسـانيةُ لكنـه يبقى مع ذلك تحت حكم النّفسِ العـاقلـة، وهـذا لعمـري هـو الحبُّ المثـاليّ الـذي ترعـاه الحكمـة والعـواطف النبيلة معًـا، ومن أمثلتـه : حبُّ العدالـةِ والمعرفةِ والخيـرِ والفضيلة. وأما الحـبُّ الجسماني فتحرّكـه الطباع والغرائز، وربّما تدخل العقل في ردْعه.

ومن المعــاجم الحديثـة الخـاصـة التي عُنيت ببيــانِ معنى الحبّ، وماهيته : «**المُعجَم الفلسفي**» الذي وضعه جميل صليبـا حيث لخّص أقوالَ المتفلسفين تلخيصًا لطيفًا نختار منه ما يلي :

«**الحُبُّ** : الميل إلى الشيء السارّ، الغرضُ منه إرضاءُ الحاجاتِ المادية أو الروحيـة، وهـو مترتّبٌ على تَخَيُّل كمالٍ في الشيءِ السـارّ أو النافع يُفضي إلى انجذابِ الإرادة إليـه كمحبّةِ العـاشقِ لمعشوقـه والوالـدِ لولـدِه والصديق لصديقـه، والمُواطنِ لـوطنه، والعـاملِ لمهنته. وقـد يكون الحبُّ نـاشئا عن عاملٍ غريـزيّ، أو عاملٍ كَسْبي أو عاملٍ انفعالي مصـوبٍ بالإرادة، أو عاملٍ إراديّ مصحوبٍ بـالتصوّر، وهو على كلّ حالٍ لا يخلـو من التخيُّل. وأَظْهَرُ أشكاله الحبُّ الجنسيّ، ولـه درجاتٌ مختلفةٌ أولّها الموافقـة، ثم المؤانسةُ، ثم المودّة، ثم الهَوى، ثم الشَّغف، ثم التَّيْمُ، ثم الوَلَه، ثم العِشْقُ.

«و إذا دلّ الحبّ على معنى مضـادٍ للأنـانيـة كان الغـرضُ منه إمّـا جلب المنفعة إلى الغيـرِ كمحبة الكريم للبـائس، أو الأستاذ للتلميذ، وإمّـا إنكار الذاتِ والتجـرد من المنفعة، والانجـذاب إلى القيم المثـالية كمحبة العـالم للحقيقة، والشاعِر للجمال، والحكيم للعدل. فإذا زَهد الإنسان في الأشياء المـادية ارتقى إلـى مرتبـةٍ من المحبّـة الروحـانيـة مبنيـةٍ على تصورِ الكمـالِ المطلقِ، وهي محبةُ الله . . . وكلّمـا كان اطّـلاعُ الإنسان على دقـائقِ حكمةِ الله أكملَ كان حبُّه له أتمّ» (٨).

وأما «**المعجم الفلسفي**» الـذي أصدره مجمع اللغـة العـربية فقـد رسم الحبّ على أنـه «ميـلٌ إلى الأشخـاصِ أو الأشيـاء العـزيــزة أو الجـذّابـة أو النـافعة، كـالحبِّ الأبـوي وحبِّ المال، يغلـو فيصبح جـارفًا ويتـركز حـول النفس فيصبح أَثَرَةً وحبا للذاتِ، أو يجاوزها فيصبح عُذريًّا أو أفلاطونيًّا، بل صوفيًّا حبًّا لله وفي الله . . والحبّ الإلهي بهجة وليدةُ كمالِ معرفة الله . . . » (٩)

ولا بـدّ لنا في هـذا العرض من إيـراد ما قـالته بعض المعـاجم الخاصّـة الصادرة بلغـاتٍ غير العـربية، ونختـار منها اثنيـن أولهما «**معجم المفردات**

> الألفاظ مجرد رموز صوتية أو حروفية توحي بالشيء ولا تحيط بحدوده

الفلسفية» الذي أصدره أندري لالاند باللغة الفرنسية، وحاول أن يَجْمع معاني الحب المختلفة في صعيدٍ واحدٍ رغم إحساسه بوجود تضاربٍ بينها، وقد ذهب المؤلف إلى أن «الحب اسمٌ مشترك» يقع على جميع الميولِ الجذّابة، وخاصة حينما لا يكون غرضها الوحيدُ إرضاء الحاجة المادية، وذلك من نحو الميولِ التي تكون بين أفراد الأسرة (كحبّ اللّعب والتّرف وحبّ المهنة. . .) وقد يراد بلفظِ الحبّ الميول الجنسية بجميع أشكالها ودرجاتها. . . والحبّ عاطفة تناقض كلّ المناقضة الأثرة والأنانية، إمّا لأن غرضه جلب الخير لشخصٍ معنوي آخر، ومثاله العطف على التعساء، وإمّا لأنه يقوم على فكرةٍ نُواجهها بنكران المنفعة الشخصية كحب العلم والفنّ والعدل. يقول تولستوي: الحبّ الصادق إنما يقوم على نكران النّفع الفردي» (١٠).

وأما خوليو كاساريس، عضو الأكاديمية الملكية الإسبانية فقد فَصَل بين معاني الحبّ المختلفة وحصرها في ثلاثةٍ حيث قال في مؤلّفه «**المعجم المعنوي للغة الإسبانية**»:

(١) «الحبّ عاطفةٌ ودية تحرّكنا إلى طلب ما نراه حسنًا بغية امتلاكه أو الاستماع به».

(٢) «الحبّ إحساسٌ إنسانيٌّ يتّسم بالإيثار ويدفعنا إلى التماسِ سعادة الآخرين».

(٣) «الحب ميل قوامه ما يحصل من تجاذبٍ بين الرجل والمرأة» (١١).

فإذا نحن تأملنا هذه العناصر الثلاثة التي رتّبها صاحب المعجم الإسباني المشارِ إليه ألفيناها جامعةً لمختلف الدلالات التي يؤديها لفظ الحبّ. ومع ذلك يبقي علينا أن نلقي نظرة سريعةً على أقوال طائفةٍ من المفكرين المسلمين في معنى المحبّة وتصاريفها.

المحبة كما يراها العلماء المسلمون

يقول الراغب الأصفهاني:

«**المحبة**» ميل النفوس إلى ما تراه أو تظنّه خيرًا، وذلك ضربان: أحدهما طبيعيٌّ، وذلك في الإنسان والحيوان، والثاني اختياري، وذلك يختص به الإنسان، فأما أن يكون بين الحيوانين **فألفةٌ**. وهذا الثاني أربعة أضرب: الأول للشهوة. . . **والثاني** للمنفعة من جهة ما يكون بين التّجار وأرباب الصناعات المهنية، **والثالث** ما يكون مركبا من ضربين كمن يحبّ آخر للنفع وذلك يحبّه للشهوة، **والرابع** للفضيلة كمحبّة المتعلم للعالم، وهذه المحبّة باقية على مرور الأوقات؛ وأما الضروب الأُخَرُ فقد تطول مدّتها وتقصر بحسب دوامِ أسبابها» (١٢).

ومع ما في مجمل هذا القول من صوابِ النظر، فإننا نرى أن محبة المتعلّم للعالم يمكن ألاّ «تكون باقية على مرور الأوقات». إذ ربما ينحرف العالمُ عن الجادة فيسقط في نظر المتعلّم وتزول أسباب المحبّة وينقطع حبلها. وأما المحبّة الدائمة التي أساسها الفضيلة فمن أمثلتها حبّ العدالة وحبّ الخير وحبّ الحق، وكل هذه القيم تحبّ لذاتها عند من له نصيبٌ من الحكمة.

ويقول الراغب الأصفهاني: «أحد أسباب نظام أمور الناس المحبة ثم العدالة، فلو تحابّ الناس وتعاملوا بالمحبّة لاستغنوا عن العدالة، فقد قيل: العدالة خليفة المحبّة تُستعمل حيث لا توجد المحبّة» (١٣).

وأما أبو علي مسكويه (٤٢١هـ) فقد ربط المحبّة بأسبابها وصنّف أنواعها بحسب ذلك فقال:

«فأما المحبّة التي يكون سببها اللذة فهي التي تنعقد سريعًا وتنحلّ سريعًا، وذلك أن اللذة سريعةُ التغيُّر. . .

«وأما المحبة التي سببها الخير فهي التي تنعقد سريعًا وتنحلُّ بطيئًا.

«وأما المحبّة التي سببها المنافع فهي تنعقد بطيئًا وتنحلُّ سريعًا.

«وأما التي تتركّب من هذه إذا كان فيها الخيرُ فإنها تنعقد بطيئًا وتنحلُّ بطيئًا. وهذه المحبّات كلّها تحدث بين الناسِ خاصةً لأنها تكون بإرادةٍ وروية، ويكون فيها مجازاةٌ ومكافأة» (١٤).

وحلّق أبو محمد بن حزم (٤٥٦هـ) في أجواء المحبّة والمحبّين وأودع انطباعاته وصورًا من معاناته في كتاب «**طوق الحمامة**»، وذهب إلى أن الحبّ: «اتصال بين أجزاء النفوسِ المقسومة في هذه الخليقة في أصلِ عُنصرها الرفيع»، وأن «سرَّ التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال؛ والشكل دأبًا يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عملٌ محسوسٌ وتأثيرٌ مشاهدٌ؛ والتنافر في الأضداد، والموافقة في الأنداد، والنزاع فيما تشابه موجودٌ فيما بيننا، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافيُ الخفيف، وجوهرها الجوهر الصعّادُ المعتدل، وسنْحها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتّوق والانحراف والشهوة والنفار- كلّ ذلك معلومٌ بالفطرةِ في أحوال تصرّف الإنسان فيسكن إليها، والله عزّ وجلّ يقول:

﴿هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكنَ إليها﴾ الأعراف ١٨٩، فجعل علّة السكون أنها منه، ولو كان علّة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب أن يُستحسن الأنقص في الصورة. . . ولو كان للموافقة في الأخلاقِ لما أحبّ المرء من لا يساعده ولا يوافقه، فعلمنا أنه شيءٌ في ذات النفس» (١٥).

> "الحبّ" لم ينل من واضعي المعاجم العربية العامة سوى حظ ضئيل من العناية

والمحبة عند ابن حزم ضروبٌ، أفضلها محبة المتحابين في الله ــ عزّ وجلّ ـ ومن أنواعها محبّة القرابة، ومحبة الألفة في الاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البرّ يضعه المرءُ عند أخيه، ومحبة الطمع في جاهِ المحبوب، ومحبة المتحابين لسرٍّ يجتمعان عليه، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوَطَر، ومحبة العشق. . . » فكل هذه الأجناس منقضيةٌ مع انقضاء عِلَلِها، وزائدةٌ بزيادتها وناقصة بنقصانها. . . حاشا محبةَ العشق الصحيحِ المتمكّن من النفس فهي التي لا فناء لها إلاّ بالموت» (١٦).

هذا وينبهنا الحسن بن الهيثم البصري (٤٣٠هـ) إلى نوعٍ رفيعٍ من أنواع الحبّ هو حبّ **الإنسانية**، الذي هو من مطالب أهلِ الكَمالِ والإيثارِ والفضل، فيقول:

«ينبغي لمحبِّ الكمال. . . أن يعوِّد نفسه محبّة الناسِ والتودّدَ إليهم. . . فإنّ الناسَ قبيلٌ واحد، متناسبون، تجمعهم الإنسانية، وتَحُلُّهم قوةٌ إلهية هي في جميعهم وفي كلّ واحدٍ منهم، وهي النفس العاقلة» (١٧).

الألفاظ رموز

نُقِل عن فولتير قوله: «أصناف الحبِّ كثيرةٌ بحيث لا ندري لمن نتوجه بطلب تعريفه»، وربما كان هذا هو الشأن بالقياس إلى جميع الألفاظ الموضوعة للمعاني المعقولة التي تتغلغل في أعماق الأحاسيس البشرية، وتبقى معها الألفاظ مجرّد رموزٍ صوتية أو حرفية توحي بالشيء ولا تحيط بحدوده. وكلّ رمزٍ يفتح أمامك أبواب رموزٍ أخرى، يدعو بعضُها بعضًا، وتتعاقب في ذهنك بفعل الإيحاء والتداعي. فلفظ **المحبّة** ترتبط به ألفاظٌ عديدةٌ أخرى بعضها من جذره، كالحبّ، والاستحباب، والتّحابّ، وأكثرها من غير جذره كالألفة، والمودة، والهوى، والكلف، واللوعة، والشغف، والعشق، والصّبابة، والجوى، والتّيم، والهيوم، والغرام، والحدب، والحنان، والرأفة، والعطف، والشوق، والحِلم، والوفاء، والإخلاص، والإيثار؛ وما يناقض هذه كالكُره، والبغض، والجفوة، والصدّ، والهجران، والحقد، والغلّ، والشّنآن، والخيانة، والغيرة، وغير ذلك من الألفاظ التي تدور كلّها في فلك الحبِّ وتتفاعل به ومعه سلبًا وإيجابًا. ومن هنا كانت الحاجة ماسّة إلى معاجم المعاني التي تهتمّ بعلاقات الألفاظ بعضها ببعض من حيث الإيحاء والمعنى القريبُ أو البعيد مع العناية بتفسير كلّ لفظٍ من حيث ماهيته الكلّية، وما يحتمله من دلالاتٍ جزئية.

وبعد، فإن **الحبّ** معنى مجرد قائم في النفس سواء كان اللفظ المعبَّر به عنه عربيًا أو غير عربيّ، فهو هو لا يتغير معناه العام سواءٌ قلنا الحبّ أو Love، أو Amor، أو Amour، وإنما يأتي الاختلاف من الحالة الشعورية لكل فرد سواء كان محبًا أو جامد القلب، فقد يقول لك الأول: «الحبُّ أثمن شيءٍ في الوجود» ثم يمضي في وصفه وتعريفه بحسب ما يمليه عليه إحساسه؛ وقد يقول لك الثاني: «الحبُّ وهم يعتري الضعفاء من الناس». ومع هذا القول أو ذاك تبقى المحبّة قيمة معنوية ساميةً تسع فضاءَ الدنيا، ويحار في تعريفها الناس كما يحارون في تعريف الحق والحرية والعدل والسعادة.

الهوامش

(١) «مقدمة ابن خلدون» ١ : ٤٢١، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي (القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٨م).

(٢) انظر مثلاً «لسان العرب» و«القاموس المحيط»، مادة: حبّ.

(٣) «طوق الحمامة في الألفة والألاّف» ضمن «رسائل ابن حزم»، تحقيق إحسان عباس، ج١ : ٩٠ (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» تحقيق صفوان عدنان داوودي، ص ٢١٤ ــ ٢١٥، دار القلم والدار الشامية، (دمشق، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

(٥) المصدر المتقدم، ص ٨٦٠.

(٦) «الفروق في اللغة»، ص ١١٤ـ ١١٥، دار الآفاق الجديدة (بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م؛.

(٧) المصدر المتقدم، ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٨) جميل صليبا، «المعجم الفلسفي»، ١ : ٤٣٩ ـ ٤٤١، دار الكتاب اللبناني (بيروت ١٩٧١).

(٩) مجمع اللغة العربية، «المعجم الفلسفي»، ص ٦٦، (القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(10) A. Lalande; "Vocvabulaire technique et critique de la Philosophie" pp. 46-49. Puf. 13e édition, Paris 1980.

(11) Julio Casares; "Diccionario idiologico de lal lengua Espanola (Barcelona, 1958).

(١٢) الراغب الأصفهاني، «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ص ٢٥٢. دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

(١٣) المصدر المتقدم، ص ٢٥٣.

(١٤) أحمد بن محمد مسكويه، «تهذيب الأخلاق»، تحقيق قسطنطين زريق، ص ١٣٥ ــ ١٣٦، الجامعة الأمريكية (بيروت ١٩٦٦م).

(١٥) طوق الحمامة في الألفة والألاّف (ضمن رسائل ابن حزم)، ١ : ٩٠ـ ٩٦.

(١٦) المصدر المتقدم ١ : ٩٥ ـ ٩٦.

(١٧) «مقالة في الأخلاق» منسوبة لابن الهيثم وليحيي بن عدي ــ ضمن كتاب «دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم» نشرها عبد الرحمن بدوي، ص ١٤١. المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ١٩٨١م).

الدولة في الإسلام
بين الحقيقة والافتراء

بقلم: د. محمود صالح العادلي

العلمانية هي مفهوم يفصل بين الدين والدولة، أي بين الممارسة الدينية والممارسة السياسية، تأسيسا على أن الدولة والمجتمع هما علاقات إنسانية بين البشر فقط، ويخرج عن ذلك - تبعا لهذا المفهوم - العلاقات الدينية، أي بين البشر والله، فالدولة والمجتمع العَلْمانيان هما - فقط - علاقات إنسانية، وليس للإرادة الإلهية ثمة انعكاس عليها، إذ إن البنية الاجتماعية العلمانية لا تُفرَض كعملية (Process) من فوق (Superimposed) أي من خارج النشاط الإنساني، بل تتكوّن في نطاق هذا النشاط، ومن خلاله[1].

والعَلْماني (Secular / Sécularisé) هو عكس الديني أو الكهنوتي، إذ هي تعني العالِم، نسبة إلى العِلْم، وهذه التفرقة بين الديني أو الكهنوتي والعالِم، تجد مكانها في المسيحية بعكس الإسلام، ومردها التفرقة بين السلطة الروحية والسلطة المدنية، فالأولى تكون للكنيسة، والثانية للولاة والأمراء، والعلمانيون بالمعنى المتقدم يحكمون - بصفة عامة - بمقتضى العقل، ويستهدفون مراعاة المصلحة العامة - بالطبع وفقا لمفهومهم لهذه المصلحة - دون تقيد في ذلك بأية نصوص أو طقوس دينية. والعَلْمانيون كان لهم دورهم في المجتمعات الغربية، إذ كانوا - غالبا - مبعثا للتطور والتجديد، الأمر الذي كان مثارًا للخلاف بينهم وبين الكنيسة ورجال الدين، ويبرز نشاطهم في مجال الثقافة والتعليم، فلهم ثقافتهم الخاصة ومدارسهم العلمانية، وتحتسب الثورة الفرنسية ضمن أكبر الحركات العلمانية[2].

الدولة في الإسلام حقيقة ثابتة

الدولة في الإسلام حقيقة ثابتة، لا ينكرها إلا مُغرِض، أو مَنْ لا يعرف الإنصاف. فالإسلام: دين ودولة، رسالة وسياسة، في آن واحد. والرسول عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بإنشاء حكم وإقامة دولة. وذلك ثابت بالنقل والعقل.

أما النقل، فمن القرآن الكريم يمكن الاستشهاد بكثير من الآيات القرآنية، غير أننا سنكتفي هنا - لضيق المقام - بالإشارة إلى بعض هذه الآيات، يقول الله تعالى: ﴿وأنـزلنَا إليكَ الكِتابَ بالحقّ مُصَدِّقا لما بين يَدَيهِ مِنَ الكتابِ ومُهَيمِنًا عليه فَاحْكُمْ بينهم بما أنـزلَ اللهُ ولا تَتَّبِع أهواءَهُم عَمّا جاءك من الحق﴾ المائدة ٤٨، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بينهم بما أَنْزَلَ اللهُ ولا تتبع أهواءَهَم واحذرهم أن يفتنوكَ عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة ٤٩، وقوله عز وجل: ﴿وما أرسَلنا مِن رسول إلا لِيُطَاعَ بإذنِ الله، ولو أنّهم إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جَاؤوك فاستَغْفَروا اللهَ واستغْفَرَ لَهُمُ الرسولُ لَوَجَدُوا الله توابًا رَحيما. فلا وَرَبِّكَ لا يُؤمنون حتى يُحَكّموكَ فِيمَا شَجَرَ بينهم، ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِمْ حَرَجًا مما قَضَيْتَ ويُسلِّموا تَسليما﴾ النساء ٦٤، ٦٥.

ومن السنة النبوية الشريفة، ثبت أن الرسول الله ﷺ قضى ونفذ الحدود فيما رفع إليه من أقضية، فقد قضى بقطع يد سارق رداء صفوانٌ، وبقطع يد «المخزومية» التي سرقت، وقضى بِرَجْمِ «ماعزا»، و«الغامدية»، وبجلد الذي زنى بها؛ كما نفذ الرسول - عليه الصلاة والسلام - كل هذا القضاء[3]. وأما العقل، فإن أيّ جماعة بشرية - كما يقول علماء الاجتماع - يتعين أن يكون لها نظام وكيان مستقل، وحكومة تسوس الأمور فيها، ويستثنى من ذلك الجماعات التي تعاني فداحة الجهل، وتبعد - كل البعد - عن الحضارة، وتنأى بنفسها عن مدارك الإنسانية[4].

الزج بالإسلام إلى دائرة العلمانية

ورغم ذلك، يأبى بعضهم إلا أن يزج بالإسلام إلى دائرة العلمانية. ومنذ ظهور كتاب «الإسلام وأصول الحكم» في النصف الأول من هذا القرن - طفا على سطح الفكر الإنساني، «فكرة حصر الإسلام في دائرة الدين فحسب». وصار كتاب الإسلام وأصول الحكم بمنزلة كتاب مقدس للعلمانيين يستمدون منه وحي أفكارهم، وينقلون منه الحجج - بعد أن يجعلوها ترتدي ثوب الزمان أو المكان الذي تتلى فيه - تأييدا لفكرتهم عن الإسلام، القائلة بأنه «دين فقط».

● أولا: نقض كتاب «الإسلام وأصول الحكم»:

صادف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» - لدى صدوره، وحتى الآن -

هجوما عنيفـا ، حيث تصدى للرد عليه كثير من علماء الـدين ، منهم : فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الجامع الأزهـر الأسبق الذي بلـور نقده لهذا الكتاب في مؤلفـه «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» ـ المطبعـة السلفية سنة ١٣٤٤هـ ، ومنهم فضيلـة الشيخ محمد بخيت المطيعي ـ مفتي الديـار المصرية الأسبق ـــ الـذي ألف كتـاب «حقيقة الإسـلام وأصـول الحكم» (مكتبـة النصر الحديثة ـ القاهرة ـ سنة ١٣٤٤هـ) ، ومنهم أيضا الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور ـ مفتي المالكية بالديـار التونسية الأسبق ـ الذي ألف كتاب «نقد علمي لكتاب الإسـلام وأصول الحكم» (القـاهرة سنـة ١٣٤٤هـ) . ومن أبـرز الكتب الحديثة التي انتقـدت كتاب «الإسـلام وأصول الحكم» ، مـؤلف الدكتـور محمد ضياء الدين الريس ، المعنون «الإسـلام والخلافة في العصر الحديث ـ نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم» (مكتبة دار التراث ـ بالقاهرة طبعة ١٩٧٦م) .

ويضيق المقام عن سرد الانتقادات التي وجهت إلى كتـاب «الإسلام وأصول الحكم» كافة ، لذا سنكتفي ـ هنا ـ بإبراز أمرين : الأول : ينصرف إلى التشكيك في نسبة هـذا الكتاب إلى الشيخ علي عبد الـرازق ، والثاني : يهتم بإيضـاح عدم قيام هذا الكتاب على أسس سليمة .

مَنْ مُؤلف الكتاب؟

يـذهب بعض الباحثين ـــ ونحن معهم في ذلك ـــ إلى أن الكتاب المذكـور ، ليس من تأليف الشيخ علي عبـد الـرازق ، إذ إنه منسـوب إليـه جملة أو بـالأقل جوهـره ، فالقدر الذي يمكن نسبتـه إليه ينحصر في : المقدمة ، وأبيـات الشعر التي أوردها استشهادا لآراء الكتاب ، أضف إلى ذلك أنـه هو الذي أورد الآيات القرآنية المستشهد بها .

وأصحاب هذه الـوجهة من النظر ، ينسبـون الكتاب المذكور إلى المستشرق مرجليوث ، والحجج على ذلك كثيرة نقتطف منها ما يلي[٥] :

١ ـ تـاريخ الشيخ علي عبد الـرازق والظروف المحيطة بـه ، تشكك في نسبة هذا الكتاب إليه . فالشيخ عبد الـرزاق لم يسطر ـ قبل صدور الكتاب المذكور ـ سوى كتـاب في اللغة وعلم البيان ، رغم مـرور أربعة عشر عامـا على تخرجه في الأزهر . أمـا بعد ظهور كتـاب «الإسلام وأصـول الحكم» ، فقد ظل الشيخ علي عبد الرازق أربعين عامـا لم يسطر ـ حسب أرجح الآراء ـ كتابـا آخر في موضوع الكتاب المذكـور نفسه ، ولا في غيره ، فهـو لم يتمرس بـالكتابـة ، ولم يتمرن على التأليف[٦] .

٢ ـ كشف فضيلة المفتي الأسبق محـمد بخيت المطيـعي ، في كتابه المعنون «حقيقـة الإسـلام وأصـول الحكم» أن الكثيرين من أصحـاب الشيخ علي عبـد الرازق ، المترددين عليـه أخبروا فضيلته بأن الكتاب ـ محل الدراسـة ـ يُنسَب إلى شخص آخر من غير المسلمين .

٣ ـ أسلوب كتاب الإسلام وأصول الحكم ، يرجح أن كاتبه غير أزهري ، بل غير عربي على الإطلاق . ويتضح ذلك مما يلي :

(أ) يتسم هذا الاسلـوب بالالتواء ، فهـو أسلوب مناورات ومـراوغات ، إذ يعرض للشبهة أو الطعنة ، ثم يتقهقر متظاهـرا بإنكاره لها وعدم موافقته عليها ، ويمرق منها لينتقل إلى شبهة أو طعنة جديـدة ، كما أن عباراته ترتدي الغموضَ حال المهـاجمة . وهذا الأسلوب غـريب على المؤلفات العـربية ، فهو يتشـابه مع الأسلوب الإفرنجي ، الأمر الذي يُرَجِّح معه بأنه كتاب مُترجَم ، ويصعب ـ من ثمَّ ـ نسبته إلى شيخ متعلم في الأزهر .

(ب) استعمل المؤلف في حديثه عن المسلمين ضمير الغـائب ، كما لو كان أجنبيا عنهم .

(جـ) أظهر المؤلف تعاطفه مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام ، وأعلنوا حـــربهم على المسلمين . إذ دافع عنهم ، في حين أنـه تحامل على رأي أبي بكـــر الصـــديق ـــ رضي الله عنه ـــ أول من أســـلـم وآمن بـنـبــــوة النبي ﷺ ، بـل أكثر من ذلـك نجده ـ أي مـؤلف الكتاب ـــ ينكر خـلافة أبي بكـر الصديق ، ويقرر أن محاربته للمرتدين إنما كـانت نزاعا في ملوكية ملك ، وليست من أجل الدين .

(د) نجد المؤلف يكرر (عيسى وقيصر) كما يكرر جملة (دع ما لقيصر لقيصر ومـا لله لله) ، ويسميها الكلمـة البـالغة ، في حين أن هـذا التعبير ، لا يمكن أن يـؤمـن بـه المسلم الصحيح الإســلام ، بـاعتبـــار أن قيصر ومـا لقيصر لله رب العالمين .

٤ ـ تناقض الكتاب بخصوص تاريخ تأليفه . إذ إنه وردت به فقرة تقرر أن التأليف كان قبل عام ١٩١٨م ، كما أفادت هذه الفقرة ما يفيد أنه كتب في عهد السلطان محمد الخامس ، في حين أن هـذا المؤلَّف ورد به اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤م .

عدم سلامة أسس الكتاب

إذا انتقلنا بعد ذلـك ، إلى مناقشة الأسس التي ارتكز عليهـا هذا الكتاب ، نجد أن دعاواه ومزاعمه وافتراءاته قامت على أساسين :

أولهما : أن الإسلام لا علاقة له بالدنيا ولا بالاجتماع ولا بالسياسة . فهو ـ أي الإسلام ـ مجرد عقيدة فردية روحية .

وثانيهما : أنه بوفاة الرسول ﷺ ، انتهت رسالته وزعامته ، وعليه فليس لأحد أن يخلفه لا في الرسالة ، ولا في الزعامة[٧] .

وكلا الأساسين محل نظر .

مناقشة الأساس الأول : الإسلام عقيدة فردية روحية :

هذا الأســاس ـ الـذي استند إليه كتـاب الإسلام وأصـول الحكم ـ لا يتفق وحقيقة الإسلام ، فـالإسلام لم يقتصر على جانب الدين فحسب ـــ رغم أهميته ـ بل شمل أيضا جـانب الدنيـا ، إذ لم يقتصر الإسلام على كونـه علاقـة بين الفرد وربه فقط ، وإنما اعتنى أيضا بشؤون الدنيـا ، فنظم المعاملات ، وحركة الأموال في المجتمع وكيفيـة صيـانتهـا من الاستيلاء عليهـا بـدون وجـه حق ، كما نظم الإسلام الحيـاة الاجتماعية في كـل وجوهها : كـالزواج والطـلاق والمواريث ، كما احتوى القرآن الكريم على قوانين الحرب والسـلام[٨] .

أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم تضمن العديد من المبادئ السياسية، كالعدل في الحكم، والشورى، والوحدة، والأخوة، والتضامن، والتعاون في كل أعمال الخير، وولاية الأمر والطاعة، والقضاء، والدفاع، والجهاد.

ولاشك أنه لكي تقام الحدود ويصان المجتمع ينبغي أن توجد القوة ــ أو السلطة ــ التي تتولى ذلك(٩). لذا فإن نصب الإمام واجب بإجماع الصحابة والتابعين(١٠)، وأهل السنة وجمهور الطوائف الأخرى شرعا، لا عقلا فحسب، حسبما قال المعتزلة، فالصحابة قدّموا نصب الإمام على دفن الرسول عليه الصلاة والسلام، كما أن إقامة الحدود وحفظ النظام لا يتمّان إلا بهذا النصب(١١). وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومقتضى ما تقدم أن القول بأن الإسلام عقيدة «فردية» روحية، لا يصمد للمناقشة، ولا يصلح ــ من ثم ـ كأساس لبناء المزاعم التي احتواها كتاب الإسلام وأصول الحكم.

مناقشة الأساس الثاني: انتهاء الرسالة بوفاة الرسول ﷺ:

استند صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» في نفيه لشمول الإسلام للدولة ــ بجانب شموله للدين ـ إلى أن الزعامة الدينية كانت للنبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ وانتهت بموته، ووجدت زعامة بين أتباعه غير متصلة بالرسالة ولا تقوم على الدين، فهي لا دينية، أو بعبارة أخرى هي زعامة مدنية أو سياسية أي زعامة السلطان والحكومة(١٢).

وللرد على هذا نقول: إن تعبير انتهاء الرسالة قد ينصرف إلى انتهاء تبليغها، وهذا أمر لا محل للجدال فيه. وقد ينصرف إلى انتهاء موضوع التبليغ، وهذا أمر محل نظر، إذ إن معناه انتهاء ما دعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، أي انتهاء القانون الإسلامي، وعدم وجوب العمل بالشريعة، وعدم حاجة الأمة إلى تنظيم بعد وفاة الرسول ﷺ. ولاشك أن هذا المفهوم لم يقل به أحد، فضلا عن «أن القول به يخرج الإنسان من دائرة الإيمان نفسه، إذ مؤداه أن الإسلام كان في حياة النبي ﷺ فقط!»(١٣).

ولا يبقى ـ بعد ذلك ـ إلا أن نفترض أن الشيخ علي عبد الرزاق ــ المنسوب إليه كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ لا يقر بما تقدم لأنه مسلم. ويدفع ذلك إلى التساؤل: أليس ما جاء به النبي ﷺ من تشريع، بحاجة إلى مَنْ ينفذه ويصونه، ويضمن احترام الجماهير له وإطاعته؟! لا شك أن الإجابة ستكون بالإيجاب، فلا مفر ــ إذن ـ من الاعتراف بأن التشريع الإسلامي يفترض وجود دولة إسلامية تقوم على أسسه وتعمل على احترامه.

●ثانيا: مناقشة وجهات النظر الأخرى للعلمانيين:

ولئن كانت أغلب أفكار العلمانيين استمدت من كتاب الإسلام وأصول الحكم، إلا أن بعض العلمانيين استند ــ فيما ذهب إليه من اعتبار الإسلام دينا فحسب ـ إلى حجج لها ذاتيتها المستقلة عما جاء بهذا الكتاب(١٤). وسنناقش هنا هذه الحجج.

(١) خالد محمد خالد يرد على نفسه:

ذهب الأستاذ خالد محمد خالد في أول كتاب له إلى أن الدين الإسلاميّ ليست مهمته لا الملك ولا الحكم، إنما مهمته النبوة والهداية، ولا يقدح في ذلك ـ على ما يرى الأستاذ خالد ـ قيام الرسول ﷺ بمفاوضات وإبرام المعاهدات وقيادة الجيش، وممارسة الكثير من مظاهر السلطة التي يمارسها الحكم، ولا ينال


خالد محمد خالد

من ذلك ـ أيضا ـ ماقام به بعض خلفاء الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد وفاته من إنشاء حكومات ذات نفوذ واسع وسلطات عظيمة كان العدل لحمتها وسداها، فليس معنى هذا أن هناك نوعا معينا من الحكومات يعتبر من الناحية الدينية ركنا أو فريضة دينية، بحيث يترتب على عدم قيام هذا النوع من الحكومات، أن يحدث إهدار ركن من الدين أو سقوط فريضة من فرائضه؛ إذ إن كل حكومة تحقق الهدف من قيامها، والمتمثل في تحقيق المنفعة الاجتماعية للأمة يعترف بها الدين ويباركها(١٥).

ولقد كفانا الأستاذ خالد محمد خالد مؤونة الرد عليه، حيث قام ـ بعد أكثر من ثلاثين عاما من ظهور رأيه المتقدم ــ بالرد على نفسه بنفسه، فأوضح أنه استعار خصائص مثالب الحكم الأتقراطي الديكتاتوري وألصقها بما أسماه «الحكومة الدينية»، وأنه أخطأ حين عمم حديثه حتى ضم الحكومة الإسلامية(١٦).

ويضيف ـ الأستاذ خالد ـ أن عناصر الدولة من أمة ووطن وسلطة عليا قد توافرت للمسلمين بعد استقرارهم في المدينة(١٧). كما أن محمدا ﷺ كان يدرك أن جانبا من مهمته ــ بوصفه نبيا ورسولا ــ يتمثل في بناء «دولة الإسلام» واستمرارها(١٨). وتنمّ تصرفات الرسول ﷺ عن أنه كان يبني دولة، بجانب نشره للدعوة. إذ قام بتشكيل الجيوش وعين قوادها، وأبرم المعاهدات، وبعث السفارات، وجبى الضرائب سواء أكانت زكاة أو جزية، وحرص حال مغادرته عاصمة الدين والدولة ـ أي المدينة ـ على اختيار أمير يخلفه فيها ويقوم بكل مهام الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ الإدارية أو السياسية أو الدينية على السواء، والرسول ﷺ قام ـ ومازال الكلام للأستاذ خالد ــ في المدينة بكافة مسؤوليات

النبي والحاكم، وظل ذلك بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعتبارا من يوم السقيفة[١٩].

(٢) الخلط بين الحكومة الإسلامية والمفهوم الغربي للحكومة الدينية:

يرى الدكتور فؤاد زكريا أن الإسلام دين فحسب، تأسيسا على أن الحكم تجربة إنسانية يلحقها وصف الخطأ والصواب، ومن ثم فإن تصحيح هذه التجربة أمر يصير في الإمكان القيام به دائما، بيد أن الحكم الذي يستند إلى السلطة الدينية ـ وهو عبارة عن حكم إنساني يمنح نفسه سلطة تتجاوز سلطة البشر ـ لا يقوم بتصحيح خطئه بسهولة، بل إنه من الممكن أن يضفي على نفسه نوعا من «العصمة»، تمنع ـ ابتداء ـ الاعتراف بأيّ خطأ[٢٠][٢١].

> ❞ الإســـلام دين ودولة، والعلمانية ليس لها مكان حيث يسود الإسلام ❝

وجليّ مدى تأثر هذا الرأي بالمفهوم الغربي للحكومة الدينية، تلك الحكومة التي عُرف عنها الكثير من التجاوزات في العصور الوسطى، حيث مارست الكثير من العسف وكبت الحريات، وفيها قام رجال الكهنوت المسيحي بتجاوز وظائفهم الكنسية فتولوا سلطات واسعة، وأداروا دفة الحكم بطريقة مباشرة أو من خلف الستار؛ وذلك بهدف تحقيق أغراضهم وأهوائهم، إذ إنه لا يوجد لديهم شريعة مُلزِمة مُفصّلة، يمكن الارتكاز عليها على أنها فلسفة للحكم، والأمر على غير ذلك في الإسلام، فالحكومة في الإسلام تدير المجتمع المسلم وفقا لمبادئ الإسلام وأهدافه، فالإسلام هو المهيمن على تشريعات هذا المجتمع وقيمه ومفاهيمه ومعاييره وأهدافه، كما يمثل الإسلام العقيدة العليا للمجتمع المذكور، ومن ثم لا محل للتخوف من رجال الدين في الإسلام، على أساس أن علماء الدين في الإسلام ليس لهم «عصمة» فهم أهل خبرة وكفاءة وفَهْم فحسب، فلا هم «كهنوت» ولا رجال دين بالمعنى الكنسي ـ المشار إليه ـ ولا يُسمح لهم بالخروج على الاختصاصات المقررة، ولا يباح لهم الحكم بأهوائهم، فالشريعة الإسلامية تحكم الجميع: الحاكم والمحكوم[٢٢] سواء بسواء.

(٣) مناقشة أهم حجج الدكتور فرج فودة:

أسس الدكتور فرج فودة دعوته إلى «عَلْمَنَة الإسلام»[٢٣] على عدة حجج، سنناقش أهمها فيما يلي:

(أ) الإسلام والمفهوم الحديث للدولة:

ينفي الدكتور فودة انطباق معنى أو مبنى الدولة بالمفهوم الحديث على الإسلام، ويقرر أن ذلك لا يعتبر تعرضا للإسلام لأنّ مكانه القلب والعقل معا، والاحتجاج إنما ينصرف إلى الدعوة للحكم بالإسلام[٢٤]. وهذا القول لانتفق معه جملة وتفصيلا، لأنه: لا يتفق مع الفكر القانوني، ويتصادم مع أحداث التاريخ الإسلامي، ويتعارض مع حقيقة الإسلام.

أما عن عدم اتفاقه مع الفكر القانوني، فمرجعه إلى كون هذا الفكر يقرر حصر الأركان الأساسية للدولة في ثلاثة، هي: الشعب، الجماعة البشرية، والإقليم، والهيئة الحاكمة، أي صاحبة السلطة على هذا الشعب[٢٥]، وهذه الأركان تنطبق ـ كل الانطباق ـ على دولة المدينة التي أنشأها الرسول ﷺ، إذ وُجدت الجماعة البشرية متمثلة في الأمة الإسلامية، ووُجِد الإقليم وهو المدينة، ووُجِدت السلطة العليا متمثلة في النبي عليه الصلاة والسلام[٢٦].

أما عن تصادمه مع التاريخ الإسلامي فواضح من تأسيس الرسول ﷺ للدولة الإسلامية، وتوسيع نطاق هذه الدولة بمعرفة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومن تبعه من الخلفاء. إذ إن بيعة العقبة كانت عقدا اجتمعت له الخصائص العسكرية والاجتماعية والسياسية، وبموجبه تم تأسيس الدولة الإسلامية العربية الأولى، فهذه البيعة بجانب تناولها الناحية العقدية، وهي الإيمان بالدين الإسلامي، تناولت ـ أيضا ـ بنود تأسيس دولة المدينة، فقد تم الاتفاق على الهجرة واندماج الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومَنْ آمن به مع أهل المدينة مكونين بذلك أمة جديدة، ذات سلطان موحد وجديد، يكون لها قوة قتالية تحمي الدعوة الجديدة، وهذا الكيان السياسي الاجتماعي الجديد. كما عاهد الرسول ﷺ هذه الجماعة من الأوس والخزرج، على أن يكون انتماؤه للكيان الجديد انتماء مؤيدا ومصيريا، ومن هذه الجمعية التأسيسية اختيرت القيادة التي كانت بمنزلة وزراء ومستشارين لحكومة الرسول ﷺ إذ اختير من الخزرج تسعة ومن الأوس ثلاثة[٢٧].

أما عن تعارضه مع حقيقة الإسلام، فجلي من أن الإسلام لم يقتصر على جانب الدين فحسب ـ مع أهميته ـ حيث شمل أيضا جانب الدنيا، فليس الإسلام مجرد علاقة بين الفرد وربه فقط، فالإسلام «دين وشرع»، على النحو السالف بيانه (راجع الفقرة المعنونة بـ «مناقشة الأساس الأول: الإسلام عقيدة فردية روحية» أعلاه).

(ب) القرآن الكريم ونظام الحكم:

يذهب الدكتور فرج فودة إلى أن القول بأن الإسلام دين فحسب لا يُعَد إنكارًا لأمر معلوم من الدين بالضرورة، فالقرآن لا ينطق بذلك، كما لم يتناول بالبيان تحديد أسلوب اختيار الحاكم أو طبيعة نظام الحكم[٢٨].

وهذه الحجة مردودة من جهتين:

الأولى: مفادها أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الإسلامي، فلقد كشفت السنة النبوية الشريفة ـ المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ـ عن ضرورة بناء دولة إسلامية، وعن شمول الإسلام للدين والدولة معا.

والثانية: أن مرونة الشريعة الإسلامية اقتضت أن تحدد أسس نظام الحكم الإسلامي: كمبادئ الشورى والحرية والعدالة، والمساواة، وغيرها مما يتصل

بنظام الحكم. وهـذه المبادئ لها من العموميـة والمرونة، ما يكفل لها الصـلاحية لجميع البشر في الأزمنة والأمكنة كافة[٢٩].

(جـ) عهد الرسول والاحتجاج به على اللاحقين:

كما احتج الدكتور فرج فودة، بأن عهد الرسول ﷺ مرتبط به، فلا يحتج به على اللاحقين، إذ لا يـوجد حـاكـم لا ينطق عن الهـوى ولا يوحـى إليـه بمـا يفعل[٣٠].

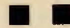
وهذه الحجـة مردودٌ عليها، إذ إنـه يتعين التمييز بين الـرسالة والسيـاسة في الإسلام، فالرسالة أو الـدعوة أو البلاغ الديني، قام بها محمد ﷺ البشر الموحى إليه، أما جانب السياسة في الإسلام فقد قام به محمد عليه الصلاة والسلام البشر المجتهد المستشير[٣١]، فجانب الحكم لا يتطلب وحيا حتى يحتج بعدم إمكان الأخذ به.

العلمانية مرفوضة

وملاك القـول ـ فيما تقدم ـــ أن العلمانية مرفـوضة: لذاتها ولنتـائجها. فهي مرفوضة لذاتها؛ لأنها تقوم على أسس واهية، لا تصمد كثيرا للنقد، على النحو السالف بيـانه. وهي مرفـوضـة لنتـائجها؛ لأنها تستهدف ـــ في النهاية ـــ إزاحة الإسلام من حياة الناس، حتى في أخلاقهم وأحوالهم الشخصية، بزعم أن الحياة تتطور وقيم الدين وأحكامه قاصرة عن مواكبة هذا التطور[٣٢].

وفي النهاية نقول إنه من الأسف أن العلمانية تستخدم لتشويه صورة الإسلام وحضارتـه وتراثه وتاريخه. فـالتقاء العلمانيين العرب مع أعـداء الإسلام، كشف عن تحالف ـ مقصود أو غير مقصـود ـ بين العلمانيين العرب والمنصرين المحليين والدوليين، فـاستخدم هـؤلاء المنصرون ـ في دعايـاتهم ضد الإســلام ـ كتـابات العلمانيين في تشويـه كل ما يتصل بـدين الله، والطعن في مجمل تاريـخ الإسلام منذ عهد الصحابة وحتى الآن[٣٣].

ومن هنـا نقـول إنه من الخطـورة بمكـان أن يلتـزم علماء الإسلام ومفكـروه السكوت على ما يدبر ضد الإسلام والمسلمين، الأمـر الذي يدفعنا إلى أن ندعو كل حريص على مصلحة الإسلام والمسلمين إلى أن يتصدى ـ فكريا ـ إلى أفكار العلمانيين، حتى يتبين الرشد من الغي، وحتى ندفع عن الإسلام تلك الشبهات التي يثيرها من حوله أعداء الاسلام[٣٤]، ومن يتحالفـون معهم بأفكارهم التي تدس السم في العسل.



الهوامش

(١) فضل شلق. مفهـوم العلمانيين (نص ورقة قـدمت إلى نـدوة عقدت عـام ١٩٧٦م). فكـر للدراسـات والأبحاث (كتاب غير دوري بصدر بمصر). ع ٤، شباط/ فبراير ١٩٨٥م. ص ٧٢.

(٢) حنا رزق ــ في معجم العلوم الاجتماعيـة، إعداد مجمـوعة من المؤلفين. القـاهرة، الهيئـة المصرية العـامة للكتاب، ١٩٧٥م. ص ٤٢٥.

(٣) أبو عبـد الله بن فرج المالكي القرطـبي. أقضية رسول الله ﷺ. حلب، دار الوعي، ١٤٠٢/ ١٩٨٢م. ط٢.

(٤) ابن خلدون. المقدمة. لجنة البيان العربي، ط ٢ ج ٢ ص ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٩.
أحمد عبد المنعم البهي، نظام الحكم في الإسلام. لجنة البيان العربي، ١٩٦٥م. ص ٣١.
إسماعيل البدوي. مبادئ القانون الدستوري. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ط ١، ص ١٢.

(٥) أنور الجندي. مؤلفات الميزان. منار الإسلام. ع ٥ س ١١ ص ٣٩ وما بعدها.
محمد ضياء الـدين الريس، الإسلام والخلافة في العصر الحديث: نقد كتـاب الإسلام وأصول الحكم. مكتبة دار التراث، ١٩٧٦م. ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٦) أحمد عطية الله. القاموس الإسلامي. دار النهضة المصرية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. مج ٥ ص ٤٨٦.

(٧ و٨) محمد ضياء الريس. المرجع السابق، ص ١٥٢، ص ١٥٦.

(٩) محمد عبده. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية. ص ٥٦.

(١٠) ابن خلدون: المرجع السابق، ص ١٣٤ وما بعدها.

(١١) محمد رشيد رضا. الخلافة، ص ١٠ وما بعدها.

(١٢) علي عبـد الـرزاق. الإسلام وأصـول الحكم: بحث في الخلافـة والحكـومة في الإسـلام. مطبعـة مصر، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م. ط ١، ص ٩٠.

(١٣) محمد ضياء الريس. المرجع السابق. ص ١٥٧.

(١٤) محمد الغزالي. الحق المر. مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٦م، ص ١٥ وما بعدها.
محمد عمارة. العلمانية ونهضتنا الحديثة. دار الشروق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ط ٢.
محمـود صـالح العـادلي. العلمانيـة والإسـلام والخلط بين الأوراق، الجمهـوريـة. ع ١٤٠٧ س ٣٩، ١٣/ ١/ ١٤١٣هـ ـ ١٤/ ٧/ ١٩٩٢م، ص ٥.

(١٥) من هنا نبدأ. دار النيل للطباعة، ١٩٥٠م. ط ٣ ص ١٥٤.

(١٦) الدولة في الإسلام. دار ثابت بمصر، ١٩٨١م. ط ١ ص ١١.

(١٧ و١٨ و١٩) المرجع السابق، ص ٢٣ ومابعدها، ص ٢٥، ص ٢٨ وما بعدها.

(٢٠) فؤاد زكـريا. الصحـوة الإسلامية في ميـزان العقل، دار الفكر المعـاصر، ١٩٨٧م. ط ٢، ص ٣١ وما بعدها. الحقيقة والـوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة. دار الفكر للـدراسات والنشر والتوزيع، كتاب الفكر (١). ص ١٤٩.

(٢١) عبـد الله ناصـح علوان. الإسـلام شريعـة الزمـان والمكـان. دار السـلام للطباعـة والنشر والتـوزيع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ط ٢، سلسلة بحوث إسلامية مهمة (١٩). ص ٨١ وما بعدها.

(٢٢) محمد يحيى. في الرد على العلمانيين. الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م. ط ١، ص ٤٣.

(٢٣) عبـدالقـادر طـاش. علمنـــة الإســلام. المسلمـون، س ٨، ع ٣٨٨، ١٠/ ١/ ١٤١٣هـ ـ ١٠/ ٧/ ١٩٩٢م. ص ٣.

(٢٤) فرج فـودة. حوار حـول العلمانية، المحـروسة للنشر، ١٩٨٧م، ص ١٦ ومـا بعدهـا. قبل السقوط، ١٩٨٥م، ص ١٨، ١٩، ٢٣، ٥١، ٨٥. الحقيقة الغائبة، القاهـرة/ باريس دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، كتاب الفكر (١٠) ص ١٣٣ وما بعدها.

(٢٥) محمد كامل ليلة. الدولة والحكومة. دار الفكر العربي، ١٩٧١م. ص ٢٢ وما بعدها.
طعيمة الجرف. نظريـة الـدولة والأسس العامة للتنظيم السياسي. مكتبة القـاهرة الحديثة، ١٩٦٨م. ط ١، ص ٥٢ ومـا بعدها.

(٢٦) خالد محمد خـالد. (في نقده وتعليقه على كتاب الإسلام وأصـول الحكم لعلي عبد الرزاق) بيروت، دار مكتبة الحياة. ص ١٥٩.

(٢٧) محمد عمارة. الدين والدولة في إنجاز الرسول ﷺ. الحوار (النمسا). ع١، س١، ربيع ١٩٨٦م.

(٢٨) فرج فودة. حوار حو ل العلمانية. ص ١٦ وما بعدها.

(٢٩) عبـد الحميد متـولي. الشريعة الأسـلامية كمصـدر أسـاسي للدستـور. منشأة المعارف بـالإسكندريـة ١٩٧٥م. ط٢، ص ١٩٠.

(٣٠) فرج فودة، المرجع السـابق، ص ١٦ وما بعدها.

(٣١) محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣٢) عبد القادر طـاش. المرجع السـابق.

(٣٣) جمال سلطان. بعد السـقوط. المسلمـون. س ٨، ع ٣٨٩، ١٧/ ١/ ١٤١٣ هـ ـ ١٧/ ٧/ ١٩٩٢م. ص ٩.

(٣٤) عبد القادر طاش. السابق.



محمد سعيد العامودي والقصة السعودية

بقلم: محمد محمود عبد الرازق


محمد سعيد العامودي

ترك محمد سعيد العامودي في فن القص مجموعة قصصية واحدة بعنوان «رامز وقصص أخرى»(١)، وتتألف من سبع قصص نشرت خلال عقدين من الزمان. واهتمت ـ جملتها ـ بالدرس الأخلاقي، وهي تجنح إلى وصف يتيم أو فقير في يوم عيد أو في غير يوم عيد، وما شابه ذلك من الموضوعات التي كانت تستهوي كتّاب تلك الفترة من النهضة السعودية. وكان الموت باعتباره نهاية كل حي يشكل ملمحًا أساسيًّا من ملامح الحكاية. فإذا لم تنته القصة به، فلا بأس من أن تبدأ به أو يرد ذكره في السياق.

وتفتتح قصة «**رامز**»(٢) بهذه العبارة: «نشأ يتيما؛ فقد مات أبوه، وهو لم يزل طفلا لم يجاوز عامه الأول، وتوفيت أمه وهو في الثالثة من سنيه، وكان خاله ـ وليس له من يكفله سواه ـ يتولى جميع شؤونه، ويرعاه طول أيام هذا العهد السعيد» وعندما يدخل العقد الثاني من حياته يموت خاله. فتخلع زوجه «القفاز الحريري الناعم»، وتعامل رامز معاملة أبلغ في الشدة والعنف مما لو كان خادما « حقيرا منبوذا»، فيهجر الدار ويفكر في ترك البلدة.

أما قضية التعليم فقد كانت هي الهدف الأسمى الذي يسعى إليه، وأول مقالة قرأناها له كانت بعنوان: «**حول الإصلاح**»(٣)وفيها يدعو أمته إلى النهوض للقضاء على الجهل والفقر. وتأثر إبداعه بهذه الدعوة في مجال القصيدة أو القصة القصيرة على السواء، والعلم يرفع كما في قصة: «رامز» والجهل يخفض كما في قصة: «**الميراث**» (٤)ويبدو أنه قصد هذا التقابل، إذ إنهما نشرتا ـ لأول مرة ـ في فترة متقاربة نسبيا، وتعاقب نشرهما بالمجموعة فكانت الأولى «**رامز**»، والثانية: «**الميراث**». وفي الأولى تأبى المدرسة أن يفارقها الطالب النجيب، فتقرر قبوله في القسم الداخلي، ثم تبعث به لدراسة الطب. وعندما يصبح طبيبا ذائع الصيت يأتيه غلام يرجوه أن يعالج أمه، وإذا هو أمام زوجة خاله في دار أقرب إلى الكوخ. وتسلم الروح بين يديه، فيتكفل بتربية ابن خاله. و«بعد ست سنوات من هذا التاريخ كان الطالب نعيم نجل أمين بك، وأحد أفراد أسرة الدكتور رامز يطلب العلم في إحدى كليات الطب الشهيرة على نفقة عميد الأسرة طبعا، وكانت الكلية نفسها التي تلقى دروسه فيها ابن عمته رامز، ذلك الطبيب العصامي العظيم، والذي ملأت شهرته سائر أنحاء البلدة، وأصبح اسمه على كل لسان!»

ويبدو أن العامودي كان يميل إلى أمثال هذه المقابلات، ولو مكّنه دوره الريادي من مواصلة الإبداع في مجال القص لتوافرت لدينا نماذج عدة. وعلى أية حال فثمة مقابلة أخرى بين: «**الميراث**» و«**ذكرى**». وقد كتبتا في فترتين متقاربتين أيضا، وتعاقب نشرهما في المجموعة كذلك. والمشكلة الأولى في قصة «**الميراث**» هي إجحاف القوانين التي تفرض التقاعد على الموظفين في سن معينة، دون مراعاة لحيويتهم ونشاطهم وقدرتهم على العطاء. فقاسم أفندي كان أحد كبار مستخدمي الحكومة ـ في الحجاز ـ في أواخر العهد التركي «وفي الحق لقد جنى القانون أيما جناية على هذا الموظف الكفء النشيط، وما أكثر جنايات القانون، ولو أنها في الغالب ليست عمدا وليست بسبق إصرار». فقاسم أفندي ما زال شابا ملء نفسه الفتوة والقوة، وبدنه الحيوية والنشاط، ومن حسن حظه أنه جمع خلال مدة خدمته مبلغا قليلا من المال استعمله في التجارة. فهو ليس كشخص قصة «**ذكرى**» الذي فاته (الميري) فلم يستثمر ماله في التجارة بين أهله، وإنما انتظر (الميري) ليتمرغ في ترابه كما يقول المثل: «إن فاتك الميري تمرغ في ترابه». حتى مات في بلاد بعيدة. ولقد أظهر قاسم أفندي أروع الأمثلة على أنه لا يقل مهارة وكفاءة ونشاطا في ميدانه الجديد، فقد كان رأس ماله ـ الأهم ـ هو طموحه وإرادته واستقامته «التي كانت لدى عارفيه مضرب الأمثال».

وثمة مقابلة أخرى داخل قصة «**الميراث**» ذاتها، فالقصة تصور شخصيتين لا رابط بينهما سوى المثل الشعبي الذي يختلف عن الآخر، وبالضرورة قصة تختلف عن الأخرى. وبالمقابلة بين القصتين يبرز المغزى. وقد وقفنا على القصة الأولى فيما بعد. ويدخل الكاتب للثانية بقوله: «لكن الحياة.. الحياة لا مناص فيها من الألم، ولا محيص فيها من الهم، ولا مندوحة فيها من الشقاء، فقاسم أفندي الرجل الناجح الموفق السعيد لابد أن يتألم، ولا بد أن يبتلى بشيء من الفشل والإخفاق، ولا بد أن يشقى، وهو إذ يشقى إنما يشقى بأقرب الناس إليه، إنما يشقى بابنه سليم، هذا الابن الذي لم يشأ القدر أن يكون شبلا من ذلك الأسد.. وأن يرث أية خصلة من خصال أبيه، وأن تجدي نفعا معه شتى المحاولات في سبيل إصلاحه، ثم في سبيل تعليمه، وأخيرا في سبيل تدريبه وإعداده لأن يكون رجلا.. ومن ثم ليحل محل أبيه يوما ما في إدارة أعماله الواسعة، تلك التي لم تكن لولا عصاميةُ هذا الأب شيئا مذكورا».

ولا يدير الكاتب الصراع بين الشخصيتين، وإنما يسرد قصة كل منهما دون تلازم بينهما. وكان سليم ذكيا، لكنه ترعرع في ظل التدليل والرخاء، وشب على عقيدة أبناء الأثرياء الذين يعرضون عن التعليم، ويرجع العامودي هذه

محمد سعيد العامودي والقصة السعودية

النشأة غير السوية إلى البيئة الجاهلة «كانت البيئة في ذلك العهد هي العامل الأول في هذه النهاية التي انتهى إليها سليم، فقد كانت روح التعليم أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، كان الأكثرون من الناس ـ إلا من شطَّ ـ ينظرون إلى أي تعليم بنفور واشمئزاز، ويكاد يكون من العيوب الفاضحة في محيط المتمولين أن يبعثوا بأبنائهم وفلذات أكبادهم إلى دور العلم؛ لأن معنى ذلك الاحتياج إلى توظيف هؤلاء الأبناء، وهم أنأى الناس عن هذا الاحتياج»، ولم يكن أبوه من هذا الطراز، لكنه اندفع مع تيار البيئة الجارف؛ لأن تأثيرها كان أفعل في نفسه من تأثير أبيه، وما إن مات أبوه حتى بدد الميراث العظيم، وانتهى به المطاف إلى العمل طاهيا بمنزل أحد الوجهاء المعروفين منذ نصف قرن ـ من زمن كتابة القصة ـ وأصبح إنسانا متهدما يحمل من مظاهر الشيخوخة الفانية ما يبعد به كل البعد عن سن الشباب الذي لم يجاوزه.

ورغم أن الجهل أساس كل بلاء، فإن العامودي يشرك معه في هذه القصة أمراض التدليل كافة، فقد كان باستطاعة سليم أن يدير أعماله التجارية في سهولة ويسر كغيره ممن حرموا نعمة التعليم، لكنه الجهل مضافا إليه أخلاق الضعفاء من : جبن وخور وتردد، وسقوط في الهمة، وركود في الضمير، ومن ضعف في العزيمة وفقدان للإرادة، وعدم القدرة على مواجهة أية صعوبة من الصعوبات، أو تحمل أية مسؤولية من المسؤوليات، ولا تنس ما ساقه إليه ميراثه، وما ساقه إليه فراغه، وما ساقته إليه أخلاقه من انغماس في حمأة اللذة، وتورط ما بعده تورط في أخلاق السوء والفساد».

قصص المجموعة

وقصة «**رامز**» (١٣٥٥هـ) وهي أولى قصص المجموعة، تليها «**الميراث**» (١٣٥٦هـ)، و«**ذكرى**»(١٣٥٧هـ) ثم «**مأساة أم**» (١٣٦٥هـ). ويغلب على هذه القصص الطابع السردي، ويبدو أن الكاتب أراد أن ينوع داخل هذا الشكل، فاستعمل عبارة: «قال محدثي» في «الميراث» و«ذكرى» لكسر حدة السرد، واستعان في «ذكرى»، بجسر كلامي يتمثل في عبارة: «أرستقراطي الأسرة» التي تتحول بعد هنيهة إلى: «لقد كان أرستقراطي الأسرة»، «ولكنه أرستقراطي!»، وغايته التأكيد على نزعة شخص القصة، وإيجاد مرتكز لفظي يثب منه إلى ما بعده. لكنه ظل محافظا في هذه القصص على أسلوب سرده من حيث استعمال الجمل المتوازنة كعادة «**الزيات**، والتكرار وضمير المخاطب، ولفظي «صاحبنا» و«فتانا» ــ أحيانا ـ كعادة **طه حسين**، يقول في «ذكرى» : «الشهرة، الشهرة ذلك السراب الخداع، الشهرة على اختلاف أنواعها، ذلك ما كان يحلم به فتانا، هذا الغض الإهاب، شهرة العلم، وشهرة الأدب، وشهرة السياسة، وشهرة العمل الناجح في ميدان الاقتصاد، وشهرة التقدم على الأقران في معترك العمل الحكومي، إلى آخر هذه الأنواع. وصاحبنا لغرارته وسذاجته، أو لذكائه وحساسيته، لا أدري. صاحبنا هذا المفتون بهذا البريق الكثير اللمعان، ذلك البريق الذي يتلألأ دوما أو على التحقيق يبدو أنه يتلألأ في رأي الأكثرين حول هذه الأنواع من الشهرة، هو مفتون جدا بأن يكون شهيرا، في الأدب أو شهيرا في العلم، أو شهيرا في السياسة أو في أي شيء، مفتون جدا بالشهرة ومحروم منها، مفتون جدا بأن يلحق بأولئك الزملاء السعداء، أو الذين يظن في قرارة نفسه أنهم سعداء».

وتبقى بالمجموعة ثلاث قصص لا يتوافر لها عنصر الحكاية، وهي: «**جزاء**» (١٣٦٦هـ) و«**أصدقاء الظروف**» (١٣٧٤هـ) و«**شيلوك الأخير**» (١٣٦٦هـ) وذلك وفق ترتيبها بالمجموعة. فقصة «**جزاء**» [٥] أقرب إلى المقالة منها إلى الحكاية أو القصة القصيرة. وبالعمل شخصان: نسيب وأديب، ونسيب «ابن وقته ــ كما يقولون ـ فهو لا يترك أية فرصة تلوح دون أن يستغلها أتم الاستغلال، وفي ذكاء عجيب لحسابه الخاص، وعلى حساب من؟ على حساب الآخرين، من زملاء المصلحة في الأعم الأغلب، ومن الأصدقاء وغير الأصدقاء كذلك...» فهو يدين ـ كما يقول الكاتب ـ «بالفلسفة الواقعية». وقد كان أدباء جيله ــ في الوطن العربي كله ــ يطلقون هذه العبارة لتقابل «الفلسفة المثالية». ويعنون بالمثالية السمو، وبالواقعية التردي. فالواقعيون هم المتسلقون الذين يسعون وراء مصالحهم الخاصة وإن كثرت ضحاياهم.

> في المجموعة ثلاث قصص لا يتوافر لها عنصر الحكاية

ولا تعرف الأجيال الجديدة هذه التسمية بعد أن تعرفت على أبعاد الواقعية الحقة. وكان أديب هو هدفه الأول حتى كاد يتسبب في فصله من عمله، رغم أن أديب بسذاجته وطيبته كان هو السبب في تعيينه، حينما سهل له سبل الغش في الاختبار بعد أن لاحظ أنه يتصبب عرقا، وأنه كاد يصبح قاب قوسين أو أدنى من الرسوب» [٦].

وكان يقول لأصدقائه إنها جريمته الوحيدة، وإنها «لم تكن في الواقع إلا ضرورة من تلك الضرورات التي تبيح المحظورات». ويتساءل الكاتب: «أهي جريمة حقا؟ قد يقول الناس جميعا: «لا. ليست هذه جريمة»! وقد تأتي الأخلاق هي الأخرى فتقول أيضا ما يقول الناس! ولكنها خطيئة على كل حال، خطيئة لا شك فيها من ناحية القانون على الأقل...».

ولا يوجد ـ في نظرنا ــ فرق بين الجريمة والخطيئة والإثم والذنب. فإن هي إلا مسميات لأفعال واحدة. والخطيئة غير الخطأ. والخطأ الجسيم يقترب من الفعل العمد. وقد تكون الخطيئة أشد جرما من الأفعال التي يجرمها القانون، أو تواضع الناس على تجريمها. كذلك فإن الناس ـ والقواعد الأخلاقية من باب أولى ـ لم تتواضع على عدم تأثيم الفسق أو الاشتراك في اقترافه. ووسائل الاشتراك ـ كما هو معروف ـ هي: الاتفاق والتحريض والمساعدة، لكن يبدو

أن الكاتب كان يخلط بين المصطلحات، ولم تكن لديـه دراية كافية بآراء الناس لسبب أو لآخـر، وعلى أية حـال فإن الإثم الصغير ـ في رأينـا ـ يعـادل الكبير، وقال أبـو بكر الصـديق رضي الله عنه: «لا كبيرة مع استغفـار، ولا صغيرة مع استمرار».

ويستطرد الكاتب قائلا: «نعم إنها خطيئة قـد لا تضر القانون «موضوعا» ولكنها أضرتـه «شكلا» وقـد لا تمسه في الصميـم، ولكنها مستـه في الروتين». والعبـارة غير واضحـة. ويبـــدو أن الكـاتب كـان يـــريـد أن يستعمل بعض المصطلحات التي تثير اهتمام القارئ «الشكـل» و«الموضوع» و«الروتين» ويختتم العمل بقـولـه: «هي خطيئة على كـل حال مهما تكلفنـا في تبريـرها، وتحليل معاذيرهـا الإنسانية، أفتكون كفارتـه عنها أنه لقي في هذه الدنيـا جزاءه عليها عادلا؟ أم أنه لا يزال بعـد يحسب في عداد الخاطئين، رغما عما لقيه من جزاء، وما أَمَرَّه من جزاء؟!».

أما «**أصدقاء الظروف**»[7] «**وشيلوك الأخير**»[8] فإنهما يفتقـران إلى العنصر الـدرامي، وإن اتخذتــا الشكل الحواري. ولــذا فإننــا نـدخلهما في بــاب «الحواريات». والأولى تتحـدث عن هذا النـوع من الأصدقـاء الذين سبق أن سماهم: «أبناء وقتهم». وذكر أنهم يـدينون بالفلسفة الـواقعية. وهو يسميهم هذه المرة: «أصدقاء الظروف» ولا نخرج مـن هذه الحوارية بغير ولعه بالتسمية الجديدة. وينهي عمله على لسان أحد الشخوص قائلا: «كلمة واحدة فقط، كلمـة لا أدري أصدق منهـا، هو مـا أطلقتها أنت على هـؤلاء الناس. كلمـة واحدة من أصح مـا يمكن أن يقال... وهي أنهم «أصـدقاء» وحسبهم أنهم كذلك..».

ويـذكر في مقـدمـة الحواريـة الثانيـة أن «**شيلوك**» بطل «**تاجر البندقية**» شكسبير، هو نفســه بطل «**شيلوك الجديـد**» لباكثير: «وعلى رغم المئـات من السنين، لا يزال شيلوك هـو هو لم يتغير: الرمز الدائم البشع للأنـانية والقسوة وسوء السلوك». ثـم يجري الحوار بين التاجر «شيلوك» وسكرتيره. ورغـم توتر الحوار حتى النهاية ـ وتلك ميزة تحسب لـه ـ إلا أننا لا نخرج بغير النتيجة التي ذكرها في المقدمة. كما لم نخرج من حواريته الأولى بغير العنوان. فشيلوكه يؤمن ـ أيضا ـ بأن الرحمة خور في الطبيعة. «كما قـال ذلك أديب شهير من أدبائكم الأقدمين». ويعني به محمد بن عبد الملك الزيـات.

هوامش

(١) محمد سعيد العامودي «رامز وقصص أخرى». العدد الأول من سلسلة «دنيا القصص»، منشورات دار الرفاعي، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ـ شباط فبراير ١٩٨٣م.

(٢) صوت الحجاز، ٢٧ من ذي القعدة ١٣٥٥هـ.

(٣) أدب الحجاز، جمعه ورتبه محمد سرور الصبان عام ١٣٤٤هـ.

(٤) المنهل، ذو القعدة ١٣٥٦هـ.

(٥) المنهل، ١٣٦٦هـ.

(٦) بالأصل: «قاب ساعتين أو أدنى» وهو تصحيف واضح.

(٧) المنهل، رجب ١٣٧٤هـ.

(٨) البلاد السعودية، ٢٥ من شعبان ١٣٦٦هـ.

شكسبير على مسرح الوردة



في ربيع عام ١٩٨٩م تم الكشف عن أثر مسرحي مهم بضـاحيــة سـذرك جنـوب لنــدن. ولكن هـذا الكشف أثــار معـارك وخـلافــات كثيرة بين المجلس المحلي وفنــاني المسرح وأصحــاب الأرض التي ظهــر تحتهـا. وتظـاهـر فـريـق من كبـار الممثلين والمؤلفين المسرحيين، واعتصم بعضهم بمــوقع الأثــر، وأوقف أصحاب الأرض عجلة الحركة في مشروعهم لإقامة بناية ضخمـة فوقـه. ثم تـوصل الجميع إلى حل وسط: أن يستمر البناء، ويظل الأثر المسرحي تحته بحيث يشكل طابقا تحتيا يصلح لأن يكون متحفا يفتح للجمهور. وأخيرا، ومنذ أسابيع، انتهت البنايـة، وبدأ العمل في إعداد المتحف. ولكن ماذا عن الأثر ذاته الذي سيضمه المتحف؟

على مساحـة كبيرة تحت هذه البناية تمتـد أطلال مسرح كامل يـرجع إلى عهد الملكة إليزابيث الأولى في القـرن ١٦، أو بمعنى مسرحي يرجع إلى عصر شكسبير. بل ثبت أن بعض مسرحيـات شكسبير قدمت على خشبتـه. ويقـال: إن مؤلفهـا اشترك في تمثيلها، لأنه كـان ممثلا، وحريصا على الإسهـام في تقديم أعماله. وليس هـذا هـو المهم، وإنما المهم أن المسرح يختلف في مسـاحته وتصميمـه عن مسـارح عصره المشهـورة. وإذا كان عهـد إليـزابيث الأولى مشهـورا في السيـاسة والملاحـة الـدوليـة فهـو مشهور أيضـا في تـاريخ المسرح الإنجليـزي، لا بظهـور شكسبير وحسب، وإنما بإقـامة عدد كبير من المسـارح الضخمة في لنـدن بصفة خـاصة. وكـانت هذه المسـارح تتسمى بكلمـة واحدة كصفـة لها، مثل: مسرح الدنيـا، ومسرح الثروة، ومسرح الأمل، ومسرح البجعة. أما هذا المسرح فكان اسمه مسرح الوردة!

وقد ثبت من البحث والتحري أن مسرح الوردة هـذا أقامه رجلان من عشاق الدرامـا، أحدهمـا دباغ جلـود وسمسار والآخـر بقال. وتم افتتاحـه عام ١٥٨٧. ولكن الجديد في الموضـوع أن قطر المسرح لا يزيـد على ٧٠ قدما، وأن المسـافة بين صفي الشرفات الـداخلية ذات المقـاعد تصل إلى ٤٦ قدمـا، وأن خشبته لا يـزيد عـرض أوسع جـزء فيها على ٣٦ قـدمـا، في حين يصل عـرض مقدمتهـا إلى ٢٥ قـدمـا. وفي مواجهتهـا تقع الصـالـة التي تفصل بين صفي الشرفـات، وكـانت مخصصة لوقوف الجمهور غير القـادر على شراء تذاكر الجلوس في الشرفات. ولهذا كانت أرضيـة الصـالة تتدرج في الانخفاض من مـدخلها إلى الخشبة بحيث تسمح للواقفين بالـرؤية المريحة. وهذه نقطة جـديدة في تاريخ مسارح ذلـك الزمان، لأن السائد في الأذهان هو استواء الأرضية.

النقطـة الأهم من هـذه هي أن المسرح صغير، لا يسع أكثـر من ألفي متفـرج وكان السائد في الأذهـان أيضا هو ضخامة مسارح عهـد إليزابيث، واتسـاع كل منها لثلاثة آلاف متفرج.

وأهم من هذه وتلك أن القاعدة المُسَلَّم بها بين مؤرخي ذلك العهد هي تغلغل خشبة المسرح داخل الصالة. ولكن أطلال مسرح الوردة أكدت عكس هذا تماما.

يعني هـذا كلـه أن مسرح الـوردة دليل على مـرونـة العمارة المسرحيـة في عصر شكسبير، مثلما هـو دليل على تعدد أحجـام المسارح ومشـاركـة الشعب في بنائهـا وتشجيع إقامتها. وربما تكشف الأيام المقبلـة عن أسرار أخرى، بعد إعداد المسرح للظهور أمام الناس.

د. علي شلش

المحافل الماسونية وخطرها المُقنّع

د. محمد علي الجندي

جاء في معجم أكسفورد الكبير تحت مادة ماسون MASON أن المفهوم اللغويّ السائد لهذه الكلمة كان خاصًا بأصحاب الحرف الذين لا تربطهم نقابة أو رابطة، فهم أحرار في ممارسة حرفهم.

لذلك فقد أصبح شائعًا أن لفظ ماسوني نسبة إلى الماسونية يُقصد بهِ البناؤون الأحرار FREE MASON . والبناؤون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان، فهي من هذا المنطلق أقدم المنظمات اليهودية التي بثها اليهود أينما حلوا في أقطار الأرض، لتكون مثوى اجتماعاتهم التي يتناقشون فيها ويتبادلون الرأي والمعلومات. تلك هي الواجهة المعلنة التي تختفي وراءها الماسونية. فلكي تكون ماسونيًا لا بد أن تكون حر النسب، طيب السيرة مهيأً للتفاني في سبيل تحقيق عمل الخير، تكافح الباطل وتناصر الحق، تواقًا للحرية والإخاء والمساواة، مختار الانتماء إليها من تلقاء نفسك وغير مكره عليها من قبل أحد.

وقد يسأل سائل: إذا كانت الماسونية كذلك، فلماذا تتستر بالظلام وترهب النور؟

ولماذا تدعو دعوتها في الخفاء، وتطالب أتباعها بالمحافظة على أسرارها؟ بل وتهدد كل من يبوح برموزها أو يحاول الكشف عن طلاسمها بالقتل والإبادة؟

جاء في بعض كلمات القسم عندهم:

«... أتعهد بإرادتي واختياري أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الماسونية ولا أبوح بها لأحد، وأتعهد بأن لا أكتب هذه الأسرار ولا أطبعها ولا أحفرها، ولا أنقشها، وأن أمنع ما استطعت من يقصد أن يفعل ذلك.. حتى لا تنكشف أسرار البنائين الأحرار».

فالماسونية بهذا المعنى خطر كامن مقنع وراء الرموز والألغاز والطلاسم، وخنجر أغمده اليهود في قلب الشعوب قرونًا، متجلببًا رداء الحرية والمساواة والإخاء.

إنها يهودية الأصل والمنبت. وما دامت كذلك فهي تجيد المكر والخداع. وتتقن أساليب التشكيك في العقائد، والنيل من الأنبياء والرسل، وتشيع الإلحاد والكفر في ربوع الأرض. وتدعو إلى الإباحية والفساد والرجس.

شعار الماسونية

اتخذت الماسونية من صناعة البناء وأدواته كثيرًا من شعاراتها ورموزها، فالفرجار والزاوية هما الرمز العام للماسونية.

وعلامة الأستاذ الأعظم: الفرجار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث.

وعلامة المنبه الأول الأعظم: ميزان البناء.

وعلامة المنبه الأعظم: خيط الشاقول..

وعلامة المهندس الأعظم: الفرجار.

ويسمى كل تنظيم ماسوني محفلاً[1] يجتمع فيه الأعضاء، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل، وتتبع المحافل المقامة في مجموعة من الدول محفلاً عامًا. وتتكون الماسونية من طبقات ثلاث متدرجة:

الطبقة الأولى: وتعرف بالماسونية الرمزية العامة، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان، ويقسم أعضاؤها إلى ثلاث فئات: المبتدئين أو الإخوة، ثم الأساتذة، ثم الأساتذة الأعاظم الذين يرأسون محافلها.

الطبقة الثانية: وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكي، ويسمى العضو فيها رفيقًا، كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم، وأعضاؤها جميعًا من اليهود، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق، وهي أدنى مراتبها.

الطبقة الثالثة: وتعرف بالماسونية الكونية، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي، وهي محفل واحد، جميع أعضائه من اليهود، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكي المؤلف من اليهود الصهيونيين.

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة، وشارة خاصة، وتحية معينة، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، وتختلف باختلاف طبقات المحافل، ولا يجوز لدرجة أن تطّلع على أسرار وتعاليم الدرجة التي تعلوها.

ولا يقبل العضو الجديد في أدنى درجات الماسونية إلا بعد تزكية عضوين له، وثبوت جدارته، ونجاحه في اختبار نفسي عسير يجري في غرفة مظلمة رهيبة، حيث يمكث فترة طويلة في تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهياكل العظمية، ثم يتم قبوله في حفل تكريمي تجري فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل.

ولا يرقى الماسوني إلى درجة أعلى حتى يمرّ باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته بالترقية وتلقّي أسرار الدرجة الجديدة، وتتفاوت هذه الاختبارات في الدقة والقسوة بتفاوت الدرجة المكرس لها العضو بحيث تمعن في القسوة كلما علت الدرجة، والقصد من ذلك كله التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذي قد يتعرض له في سبيل كتمان أسرارها.

بين الصهيونية والماسونية

وقد اتخذت الماسونية ستارًا لأغراضها الحقيقية ـ وهي خدمة الصهيونية ـ تلك النشاطات الإنسانية والاجتماعية باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعي، وتنفي عن نفسها التعرض للمباحث الدينية، والأمور السُياسية. فالماسوني يلقى دائمًا من صنوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج إليه، سواء أكان ذلك في وطنه أو في البلاد الأخرى، حيث يقابل من إخوانه الماسونيين المنتشرين في جميع الأقطار بمزيد من البشر والترحاب، والاستعداد لخدمته، والعمل على راحته حالما يلتقي بهم، ويتعارفون بمقتضى الإشارات المصطلح عليها فيما بينهم، وكلمات السر المضنون بها على غيرهم.

ويكشف لنا الأستاذ جواد رفعت في كتابه «أسرار الماسونية» عن تلك الصلة بين الصهيونية والماسونية، فيقول:

«ولا تزال الصهيونية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية، والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية، وإن التساند الواضح الموجود بين الماسونيين في العالم واليهود يرجعه الباحثون إلى كثرة اليهود في الصفوف المتقدمة من الماسونية».

وقد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون عند الدور الجدّي للمحافل الماسونية في سبيل إنشاء الدولة اليهودية العالمية التي يدين لها سكان المعمورة، ويخضعون لسلطانها حيث يقول:

إن المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع ـ دون أن تشعر ـ بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية، على أن الطريقة التي تستخدم بها هذه القوة في خطتنا، بل في مقر قيادتنا لا زالت مجهولة من العالم بصفة عامة.

وفصّل البروتوكول الحادي عشر الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من إفساح المجال لغير اليهود للانضمام إلى المحافل الماسونية العالمية، فقد جاء فيه: «ما السبب الذي دفعنا إلى أن نبتدع في سياستنا، ونثبت أقدامها عند غير اليهود، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى، فما السر الذي دفعنا إلى أن نسلك هذا المسلك، اللهم إلا أننا جنس مشتت، وليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة، بل بوسائل غير مباشرة فحسب. هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسونية التي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في فهم معناها، أو الشك في أهدافها، إننا نسوقهم إلى محافلنا التي لا عداد لها ولا حصر، تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب، ذرًّا للرماد في عيون رفاقهم».

وإمعانًا في السخرية من غير اليهود المنضمين للمحافل الماسونية يقول البروتوكول الخامس عشر:

«يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية، أو أملاً منهم في الحصول على المزايا التي توفرها لهم، ويلتحق بعض منهم بها لكي يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين، ويتوق غير اليهود إلى ضروب الانفعالات التي يهيئها النجاح والهتافات، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة في عصمتهم، وفي أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم».

أهداف الماسون ومخططاته

اتضح لنا بجلاء مما سبق مدى الترابط بين الصهيونية والماسونية، لكن يصبح هذا الترابط قويًا إذا ما عرفنا أهداف كل منهما. ويمكننا أن نحصر هذه الأهداف فيما يلي:

أولاً ـ هدم الأديان:

تقول النشرة الماسونية الألمانية بتاريخ ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٦م: «ليس فقط يجب على الماسون ألاّ يكترثوا للأديان المختلفة، ولكن يقتضي عليهم أيضًا أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أيًا كان».

إن هذه الكلمات التي حوتها النشرة الألمانية واضحة ظاهرة، لا تحتاج إلى بيان، لأنها تقرر:

أولا: أن الماسونية لا تهتم بالأديان جملة، ولا تعيرها أدنى التفات، ولا تدخلها في حسابها.

المحافل الماسونية وخطرها المُقنع

ثانيًا: أن الإنسان الذي يلتحق بها، وينضم إلى صفوفها لهو أكبر بعقله وتفكيره من أن تشمله مثل هذه الخزعبلات.

وتقول اللائحة النهائية للمجمع الرسمي للماسونية الهولندية:

«ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين، وإن قال الماسون بوجود الإله، فإنهم يريدون به الطبيعة وقواها المادية، أو جعل الإله والإنسان كشيء واحد». ومن عجيب الأمور أن هذا الكلام قال به أقطاب الماسون في الغرب، وأخذوا يبشرون بالإلحاد والكفر فتلقف منهم هذا الكلام بيغاوات الشرق، وساروا في الطريق نفسه طريق الزندقة والكفر».

والماسون في سبيل تحقيق هدفهم هذا ينزعون التدرج في الدعوة إليه على مراحل متتالية: المرحلة الأولى هي أن يشككوا الإنسان في دينه، ثم المرحلة الثانية أن تسلخه عن هذا الدين، ثم تأتي مرحلة إنكار وجود الله، وبعدها تأتي مرحلة تطبيق التعاليم والتقاليد اليهودية بعد فراغ ذهنه وتجرده من كل عقيدة، فيصبح من السهل عليهم أن يقودوه إلى حيث يشاؤون ويزجوه حيث يريدون.

ومما يدعو للأسف الشديد أن من يستقطبونهم لتنفيذ هذه المخططات وتلك الأهداف هم من رؤساء الدول، وذوي المناصب الحساسة في أية دولة من الدول، حتى يضمنوا تنفيذ مآربهم.

ومن هؤلاء على سبيل المثال «ونستون تشرشل» الذي عمل على تأييد الحكومة الإنجليزية للمطامع الصهيونية في فلسطين. وكان «هاري ترومان» رئيس الولايات المتحدة ماسونيًا أعظم، وهو الذي سارع إلى الاعتراف بدولة إسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة.

ثانيا - هدم الأخلاق والآداب العامة:

تمثل هذا الهدف عند الماسون في استخدام المرأة سلاحًا قويًا في تنفيذ مآربهم، فهم لم يعرفوا المرأة زوجة وأما وأختا وربة بيت، لأن هذا لم يخطر ببالهم، وإنما عرفوها وسيلة في تحقيق الكثير من أهدافهم الهدامة للأخلاق وللمُثل العليا في المجتمعات التي نشروا فيها عقائدهم الهدامة.

ومن هنا كان اهتمام الماسونية بالمرأة، أو بالجنس على وجه التحديد، فهيأت لطلابه، أسبابه، وأقامت له المعابد والمحافل ليجد فيه الشباب والفتيات متعهم وتحقيق شهواتهم، والعياذ بالله.

فالمرأة عندهم سلاح قوي يقرّب الأغراض، ويقنع الرجال ويلوي أعناقهم، ويلغي عقولهم، ويجعلهم جنودًا مخلصين لخدمة أغراض الماسونية العالمية. والمتصفّح «لتوراتهم» المحرفة يجد الجنس هو الطابع المسيطر والذي يشغل الكثير من صفحاتها.

ويعجب الإنسان من دعواتهم العريضة، واتهامهم الأنبياء بجرائم لا تصدر من أقل الناس معرفة بدينه وربه.

وفي العصر الحديث كان «ليون بلوم» اليهودي البلغاري الذي تولى رئاسة الوزارة الفرنسية سنة ١٩٣٦م، وهلك سنة ١٩٥٠م رأس الأفعى في الدعوة إلى هذه الإباحية. فهذا الأفاك الشيطاني له كتاب يسمى «الزواج» يعد من أقذر كتب الجنس والدعوة إلى الفسق والفجور. ضمّنه مبادئه الهدامة ودعوته الصريحة إلى المجون.

فقد دعا في صدر كتابه إلى نشر الإباحية في فرنسا، وإخراج النساء من بيوتهن ودفعهن إلى اقتراف الآثام على أن ذلك حلال وواجب، والكتاب في جملته رجس من عمل الشيطان، ولا يساوي في ميزان البحث العلمي المتزن ثمن الورق الذي سطر عليه. وتكاد تدور فكرة هذا الكتاب - الذي كتبه رجل مسؤول تولى أكبر المناصب القيادية في فرنسا في يوم من الأيام، ثم قامت «الماسونية» الحاقدة و«الصهيونية» المتبجحة بتخريبه من الداخل، فأصبح بوقًا من أبواقها - حول ما يأتي:

١ - دعوة الشباب والفتيات إلى الانغماس في حمأة الرذيلة.

٢ - تهوينه من الأخلاق والمثل، والعفة والفضيلة، ومطالبته الجنسين بالتخلص من قيودها.

٣ - السخرية من الأديان والرسل، والدعوة إلى الإلحاد السافر.

٤ - تهوين العلاقات الزوجية، وتحطيم الرباط الأسري بدعوة الأزواج والزوجات إلى الانحراف.

٥ - الدعوة إلى التعقيم الاختياري، وذلك بتنفير النساء من الحمل والولادة، وتربية الأطفال.

تلك أهم بنود هذا الكتاب، وكتب أخرى غيره تنسج على منواله وتدعو الأمم والشعوب إلى اتباع منواله ودعوته. وقد توصل علماء الاجتماع بعد دراسة مستفيضة إلى أن هذه الدعاوى الماسونية الهدامة أثرت تأثيرًا كبيرًا في أمم الغرب قاطبة فقدجعلتها تفقد الحياء، وتزال عنها العفة، وتغلب عليها الفواحش، فعمت الأمراض السرية - والعياذ بالله - كالأوبئة، وتبدد نظام العائلة والبيت، وكثر الطلاق والتفريق، وتربّى الشباب على قضاء الشهوات أحرارًا من كل قيد، وأوشك النسل أن ينقطع بتدابير منع الحمل وإسقاطه وقتل الأولاد، وضيع الفتية والفتيات خير ما أوتوا من قوة العمل وصحة الجسم في شهواتهم المجاوزة للحدود - وأصيب نموهم الجسدي والفكري بفتور عظيم.

هذه هي حال الغرب الآن... والمصيبة الكبرى أنه يحاول أن يصدّر إلينا هذا الفسق وذلك الفجور لينال منا، ووسيلته في ذلك التشكيك في عقيدتنا

السامية، وتخريب عقول شبابنا، عُدة الحاضر وأمل المستقبل، والأمل كل الأمل أن يفطن شبابنا إلى هذه المحاولات، فيتحصن بدينه الحنيف عقيدة، وبسنة نبيه المصطفى منهاجًا لينجو من هذا الوباء اللعين.

ثالثا ـ إسقاط الحكومات الشرعية:

نجحت الماسونية في إسقاط نظام الحكم في فرنسا، وإشعال نار الثورة، وإشاعة الرجس والفجور بين أبنائها فترة طويلة من الزمن، ولقد ظهرت آثار هذه المباذل عندما دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية، فانهارت واستسلمت أمام أول ضربة وجهها الأعداء إليها.

يقول «جان مينو» في كتابه «القوة الخفية التي تحكم العالم»:

استطاع الماسون أتباع الشيطان تجنيد ميرابو أحد النبلاء الفرنسيين في محفلهم عن طريق المال والجنس. واستطاع هذا الأخير إقناع «الدوق دورليان» ابن عم الملك بالانضمام إليهم بعد أن قاموا بسداد ديونه التي كان غارقًا فيها بعد أن حولوا قصر الباليه الذي يملكه إلى ماخور لكل أنواع المباذل والمفاسد والفجور. وبدأت الخطوة التالية بإقناع الدوق بقيام الثورة، وأن يتولى هو بنفسه قيادتها وحمايتها بعد أن خلعوا عليه لقب الأستاذ الأعظم للماسونية في فرنسا.

وقامت الثورة الفرنسية وألقى الدوق فيها بكل أسلحته حتى سقطت الحكومة الشرعية، وبعد أن استنفدت الماسونية أغراضها من الدوق ورجاله ورأت أنه لا فائدة فيه، وأنه عبء ثقيل عليها أصدرت أوامرها بالتخلص منه فسيق إلى المقصلة ضمن قافلة المحكوم عليهم بالإعدام. ولحق به «ميرابو» بعد أن أعطوه كمية من السم القاتل بصورة بدت معها الجريمة وكأنها حادث انتحار.

وتتوالى الأحداث لتجيء الاعترافات المتتالية على لسان أعضاء مجلس النواب الفرنسي في عام ١٩٠٤م بأن الماسونية كانت الصانع الوحيد للثورة الفرنسية، وليعلن رئيس محفل الشرق الأكبر الفرنسي بعد ذلك في حفل عشاء بباريس عام ١٩٢٣م، أن النظام الجمهوري الفرنسي الحالي هو ابن الماسونية الفرنسية.

وفي إنجلترا استطاعت الماسونية إسقاط حكومة «اسكويث» في عام ١٩١٥م؛ لرفضه التعاون معهم والاستجابة لمطالبهم في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك بتدبير فضائح «النادي الزجاجي» الذي استطاع أتباع الشيطان عن طريقه أن يتغلغلوا في الأوساط الاجتماعية العليا، ويضموا عددًا كبيرًا من سيدات وآنسات المجتمع البريطاني، واستجلاب الكثيرات من الزوجات والفتيات إليه بالإغراء والإغواء والتهديد والإفساد، ومن بينهم مجموعة كبيرة من زوجات الوزراء وكبار المسئولين وضباط الجيش في حكومة «اسكويث» الذي لم يجد معها مناصًا من الاستقالة.

وبذلك أفسحوا الطريق أمام «ونستون تشرشل»، و«بلفور» وزعيمهما «لويد جورج» أرباب الماسونية العالمية لتولي الوزارة في إنجلترا، وتنفيذ مطامعهم في استيطان فلسطين، بعد الحصول على وعد بلفور المشؤوم في عام ١٩١٧م.

وبنفس أسلوب التشهير والتلطيخ استطاعت الماسونية إسقاط حكم القياصرة في روسيا، والإتيان بالثورة البلشفية الشيوعية في العام نفسه لتنفذ تعليمات وأفكار ربيب الماسونية الأعظم كارل ماركس، وتقيم الدولة الشيوعية رأس الإلحاد في العالم المعاصر.

أما عن الخلافة الإسلامية، فقد لعبت الماسونية دورًا أساسيًّا في القضاء عليها في تركيا من سنة ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٨م.

وتبدأ بمحاولة تيودور هرتزل عام ١٩٠١م إغراء الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد ببيع فلسطين لليهود، ولكن السلطان رفض التنازل عنها بأي ثمن، وأصدر أمرًا بحظر دخول اليهود إلى فلسطين، ولما كرر الصهيونيون المحاولة برئاسة هرتزل وبخ السلطان عبد الحميد رئيس ديوانه لسماحه بدخول هرتزل عليه، وطرده شر طردة.

وبعد سنوات قليلة قام أعوان اليهود من ضباط حزب الاتحاد والترقي، وعلى رأسهم ربيبهم وربيب الماسونية كمال أتاتورك بالانقلاب على السلطان عبد الحميد وخلعه في عام ١٩٠٩. وقام الحكام الذين خلفوا عبد الحميد من الاتحاديين ـ ومعظمهم من أعضاء المحفل الماسوني أو من يهود الدونمة[2] بفتح باب الهجرة لليهود إلى فلسطين وعملوا على الإسراع في تصفية الدولة العثمانية وإلغاء منصب الخلافة حتى عام ١٩٢٤م. ولتصبح بعدها تركيا مرتعًا خصبًا لتيارات التغريب والعلمنة: فصلت الدين عن الدولة، وقضت على اللغة العربية، وركزت على النيل من كل ما هو إسلامي.

هوامش ومراجع

(١) المحافل هي الأماكن التي يجتمع فيها أصحاب الدعوة الماسونية، بنيت على شكل هيكل سليمان عليه السلام، وهو عند اليهود ليس هيكل عبادة وحسب، بل رمز إلى ملك سليمان الذي يحلم اليهود بعودته على يد المسيح المخلّص الذي ينتظرونه.

(٢) يهود الدونمة، طائفة من اليهود نزلوا مدينة سلانيك في الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الإسلام نفاقًا ليتمكنوا من الهدم من الداخل.

(٣) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، عبد الرحمن عميرة.

(٤) حقيقة الماسونية، محمد علي الزعبي.

(٥) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار.

(٦) أسرار الماسونية، جواد رفعت الكخان.

(٧) الصهيونية بين الدين والسياسة، عبد السميع الهراوي

(٨) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة.

(٩) المخططات التلمودية الصهيونية في غزو الفكر الإسلامي. أنور الجندي.

(١٠) الماسونية في الميزان، سعود الصقري.

التعليم التقليدي في نجد مقارنًا بالتعليم الحديث

د. محمد عبدالله السلمان

يُقصد بالتعليم التقليدي التعليم القديم، الذي كان سائدًا في نجد قبل ما يربو على نصف قرن من الزمان بمراحله المختلفة المعروفة، وهي: الكتاتيب ثم حلقات المساجد ثم الرحلات العلمية ومعها الإجازات أو الشهادات العلمية.

لقد أدى التعليم التقليدي في نجد دورًا كبيرًا في نشر العلم ومحاربة الأمية حسب الإمكانات المتواضعة التي أتيحت له، وهي إمكانات محدودة لا تتعدى جهود أفراد معينين من أفراد الشعب. أما الحكومة أو الإمارات التابعة لها فلم يكن لها ــ فيما يبدو ــ دور واضح في مسيرة التعليم حينذاك، وإذا وجد فلا يتعدى التشجيع المادي اليسير لفئات معينة من الحلقات العلمية، خصوصا تلك التي توجد في مدن مهمة، أو في العاصمة الرياض وما حولها. ولم يُعرف ـ في هذا العهد ـ قيام إمارة من الإمارات بدور أكثر من ذلك. بل لم نسمع شيئا مما روي عن وجوده في عهد الدولة السعودية الأولى، وفي عهد الإمام سعود الكبير خاصة، الذي كلف أمير كل بلد أن يختار عددًا من سكان بلده ذوي القابلية للتعليم، ويلزمهم بالتعليم ويعطيهم من المال ما يكفيهم[1]. فكأن الدولة حينذاك قامت بوضع مبادئ ما يسمى الآ «مكافحة الأمية وإلزامية التعليم». لكن في عهد الملك عبد العزيز وُجِدَ بعد استقرار الأمور تشجيع أكثر على طلب العلم واهتمامٌ بنشره، خاصة بعد أن بدأ ظهور التعليم الحديث في نجد بعد الحجاز[2].

والتعليم التقليدي على الرغم من إمكاناته الضعيفة أدى دورا ملموسا في ملء فراغ هائل، عانت منه البلاد تحت نير الأمية والجهل والتي غذتها عوامل عديدة، لعل من أهمها عدم استقرار الأمور في نجد؛ بسبب الحروب والمنازعات، أضف إلى ذلك الفقر الذي كانت تعيشه البلاد في ذلك الحين، مما يجعل المتفرغين للعلم قلة بل نادرين، لما يعانيه الناس من شظف العيش الذي يجعل رب الأسرة يعمل من الصباح الباكر إلى أوائل الليل ساعات متواصلة؛ ليحصل على لقمة العيش له ولأسرته.

وإذا كان التعليم الحديث قد جاء إلى البلاد في وقت متأخر مقارنة ببعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، فإنه وجد السبيل أمامه ممهدا نوعًا ما، لما قام به أصحاب التعليم التقليدي من جهود وما بذلوه من تضحيات، بل استمر التعليم التقليدي يؤدي دوره جنبا إلى جنب مع التعليم الحديث ردحا من الزمن، بل لا يزال له وجود في بعض أنواعه كالحلقات العلمية حتى الوقت الحاضر.

وإذا ألقينا نظرة على التعليم التقليدي نجده في كثير من أموره موافقا لمبادئ التعليم الحديث ومقرراته، والتي أثبتتها لجان عديدة كونت لهذا الغرض، وبهذا يكون التعليم التقليدي قد سبق التعليم الحديث في وضع النواة الأولى لمثل هذه المقررات والمبادئ. وقد ظهر ذلك جليا في جميع أنواع التعليم التقليدي.

الكتاتيب

تعد الكتاتيب المرحلة الأولى من مراحل التعليم التقليدي في نجد. ويمكن القول بأنها توازي المرحلة الابتدائية من التعليم الحديث. وهي في أهدافها القائمة على تعليم القراءة والكتابة تعليمًا جيدا لا تختلف كثيرا عن هدف المرحلة الابتدائية القائم على «تربية النشء وتعليمه بما يتمشى مع الأهداف الإسلامية السامية حتى يصبح عضوا نافعا في مجتمعه»[3].

ونجد توافقا في أمور أخرى ـ أيضا ــ بين الكتاتيب والمرحلة الابتدائية. فمدة الدراسة في الكتاتيب لا تقل عن أربع سنوات، وقد تصل إلى ست سنوات، وهي بهذا توافق المرحلة الابتدائية في هذا الصدد. أما وقت الدراسة فقد كان في أول افتتاح المدارس الحكومية في نجد عام ١٣٥٦هـ على فترتين صباحية وبعد الظهر[4]، وهي بهذا توافق الكتاتيب، ثم اقتصرت الدراسة على الفترة الصباحية إلى الظهر في المرحلة الابتدائية وقد تمتد قليلا بعد الظهر. ولكن هنا ملحوظة يجدر تسجيلها، وهي أن الطالب في الكتاتيب تستمر دراسته طوال العام صيفا وشتاء دون إجازة إلا في أيام العيدين الفطر والأضحى، بينما تصل الإجازة الصيفية لطالب المرحلة الابتدائية إلى حوالي ٣٠٪ من العام الدراسي، أضف إلى ذلك إجازتي العيدين. والإجازة الأسبوعية والتي كانت يوم الجمعة فقط، ثم أصبحت الآن يومي الخميس والجمعة، بحيث

تذهب الإجازات بجزء كبير منا العام الدراسي، يصل إلى أن الطالب لا يدرس سوى ستة شهور في السنة، وعلى هذا فإن طالب الكتاتيب قد يتخرج من كُتّابه وهو ملمٌ بالقراءة والكتابة أكثر من طالب المرحلة الابتدائية، هذا إذا أضفنا أن طالب المرحلة الابتدائية قد أشغل بمواد وعلوم أخرى حديثة، كالرياضيات والعلوم والجغرافيا والرسم والتربية البدنية ونحوها(٥)، وهي مواد إذا كثرت أو زاد حجمها عن مستوى ما يحتاجه الطالب أدت ـ في رأينا ـ دوراً سلبيا عليها وعلى المواد الأخرى. لكن إذا أعطيت بجرعات قليلة مناسبة ساعدت على توسيع مدارك الطالب وإبراز ميوله.

ومن هنا فإن منهج الدراسة في الكتاتيب يختلف عن منهجها في المرحلة الابتدائية بعض الشيء، فالمواد في الأخيرة أكثر مع أن المدة الدراسية للعام الدراسي أقل، بينما في الكتاتيب المواد أقل والمدة الدراسية في العام أكثر. والنتيجة معروفة وملموسة وهي بروز الطالب، الذي أكمل تعليمه في الكتاتيب في المواد التي يدرسها أكثر من طالب المرحلة الابتدائية اليوم، على الرغم مما يتوفر لطالب المرحلة الابتدائية من أدوات دراسية وكتب مطبوعة وأقلام متنوعة ووسائل تربوية ونحوها، بينما نجد أدوات طالب الكتاتيب بدائية.

وإذا تطرقنا إلى عدد الطلاب فنجد تفاوتا في الكتاتيب حسب ظروف المدينة أو القرية التي يوجد بها الكتّاب، من حيث استقرار الأوضاع وانفتاح تلك المدينة أو القرية والحالة الاقتصادية فيها وعدد سكانها. وفي القلة أو الكثرة التي قد تصل إلى أكثر من مائتي طالب يبقى الكتّاب واحدًا، ولا يقسم إلى جماعات وفصول كما هي الحال في التعليم الحديث وهذا قد يحدث إذا كان هناك كتّاب واحد في المدينة أو القرية، أو كان لهذا الكتاب ميزات يختلف فيها عن غيره من الكتاتيب الأخرى، من حيث مستوى المدرس (المطوع) أو موقعه، أو نوعية طلابه ونحو ذلك. ولكن لا ريب أن زيادة عدد الطلاب عن العدد المعقول، يضعف مقدار تحصيل الطالب العلمي وفهمه للمادة العلمية التي تدرس له ومن ثم تجاوبه، وهو أمر حرصت على تلافيه التربية الحديثة والتعليم الحديث.

وإذا تطرقنا إلى عمر الطالب في الكتاتيب نجده متفاوتا بدرجة كبيرة من سبع إلى خمس عشرة سنة، مما يقلل من انصهار الطلاب في بوتقة واحدة متلائمة، كما يجعل درجة الفهم لديهم متباينة. بينما نجد المرحلة الابتدائية تستقبل الطالب في سن معنة في الغالب (ست أو سبع سنوات) وتكون أعمارهم في درجات التعليم الابتدائي متقاربة، وهو أمر يفيد الطلاب ويريح المدرس.

وعلاقة المدرس (المطوع) بالطالب في الكتاتيب يختلف عما تدعو إليه التربية الحديثة، في محاربة عقاب المدرس للطالب بالضرب، بل منعه لما له من آثار سيئة على مسيرة الطالب العلمية والنفسية[٦]، لكن الواقع الذي عاشه التعليم الحديث في المملكة العربية السعودية

٥ التعليم التقليدي على الرغم من إمكاناته الضعيفة سدّ فراغًا هائلًا عانت منه البلاد آنذاك.

استخدم فيه الضرب ـ أيضا ـ فترة من الزمن، ولا يزال مثار بحث وورود ومناظرات بين المؤيدين والمعارضين. والمتوسطون في الرأي لا يلجؤون إلى الضرب إلا في حالات نادرة ويرونه الحل الوحيد حينذاك[٧]

وقد نجد بعض الأمور تبرزها الكتاتيب أكثر من التعليم الحديث، منها ما يتصل بالمدرس وحرصه على طلابه، على الرغم من عدم وجود دعم مالي معين له، ومنها ما يتصل باهتمام الكتاتيب بحفل التخرج للطالب أو الطالبة، وما تتخلله من أناشيد وفقرات وهدايا. فقد سبقت الكتاتيب التعليم الحديث في إقامة ذلك، وهذا بدوره يعمل على إيجاد جو المنافسة الشريفة بين الطلاب. ولازال التعليم الحديث يقيم ذلك للمراحل العليا من التعليم. أما المراحل الأخرى فلا يعدو أن يكون الحفل توزيعا للشهادات على الطلاب.

ولكن مما يؤخذ على تعليم الكتاتيب اهتمامها بحفظ الطالب أكثر من فهمه للمادة العلمية، وهذا ما جعل تأثيرها الثقافي في المنطقة التي يوجد فيها أقل من المستوى المأمول فيه.

ومما سبق يتضح أن هناك أمورا اتفقت فيها الكتاتيب مع التعليم الحديث في المرحلة الابتدائية، وأمورا اختلفت فيها.

فمن الأمور المتفقة:

(١) الأهداف نوعا ما وإن كانت المرحلة الابتدائية أشمل.

(٢) مدة الدراسة.

(٣) وقت الدراسة.

ومن الأمور المختلفة:

(١) مدة العام الدراسي.

(٢) أدوات الدراسة.

(٣) توزيع الطلاب إلى مجموعات.

(٤) أعمار الطلاب.

(٥) علاقة المدرس بالطالب.

(٦) حفلة التخرج.

(٧) راتب المدرس.

حلقات المساجد

أما المرحلة الثانية من التعليم التقليدي وهي حلقات المساجد فيمكن القول إنها توافق المرحلتين الثانوية والمتوسطة، والمرحلة الجامعية، وذلك لما تحويه حلقات المساجد من مستوى علمي كبير وتعمق في دراسة بعض العلوم، خصوصا الشرعية واللغوية. وهي كذلك في أهدافها القائمة على إعداد الطالب إعدادا علميا جيدا في العلوم التي يدرسها توافق أهداف المرحلتين الثانوية والجامعية في التعليم الحديث في هذا الجانب، وإن كانت أهداف التعليم الحديث في مرحلتيه أوسع وأشمل. ووقت الدراسة ومدتها تكادان تتوافقان[٨]، وإن كانت مدة الدراسة في المرحلتين الثانوية والجامعية أطول نوعا ما، لكن لطول العام الدراسي في

التعليم التقليدي في نجد مقارنا بالتعليم الحديث

الحلقات العلمية ـ مثلها مثل الكتاتيب في هذا الأمر ـ أثرٌ في تساويهما في المدة تقريبا .

أمّا موضوع الدراسة ومنهجها ففي الحلقات العلمية تعمق أكثر لعلوم محصورة شرعية أو لغوية ، بينما في المرحلتين الثانوية والجامعية توسع وشمول لعلوم أخرى ، وكلا النظامين له ميزاته وحسناته . ففي الأول يتخرج الطالب أكثر عمقا وأكثر إحاطة في العلوم التي درسها ، وفي النوع الثاني نجد الطالب أوسع أفقا وأكثر انفتاحا ؛ وذلك لتعدد المواد التي درسها في مختلف العلوم والمعرفة .

○ جهود أصحاب التعليم التقليدي مهدت السبيل أمام التعليم الحديث .

أما طريقة التدريس فهي مختلفة اختلافا جذريا . ففي الحلقات العلمية يقوم التدريس على شكل حلقات في المسجد ، ويقرأ فيها كتاب معين من علم معين ، ويقوم الشيخ بشرحه وتوجيه الطلاب لحفظه ، وقد تُدار فيها مناقشة ولكنها محدودة . بينما يعتمد التدريس في المرحلتين الثانوية والجامعية على طرق مختلفة مثل الاستقراء أو الإلقاء أو إثارة مشكلة علمية ومحاولة الإجابة عليها أو التعمق والبحث فيها ، ونحو ذلك من الطرق التي اهتم بها التعليم الحديث . ولا يعني ذلك أن الطالب في الحلقات العلمية ـ والذي يطلق عليه «طالب علم» ـ يحفظ دون فهم لما يحفظه ، بل الغالب الجمع بين الحفظ والفهم ، فهي أرقى مستوى من الكتاتيب التي لا تولي جانب فهم الطالب لما يحفظ أهمية كبيرة .

وعلاقة الشيخ بتلاميذه في الحلقات أفضل بكثير مما هو موجود في الكتاتيب ؛ حيث تقوم تلك العلاقة على المحبة والاحترام بين الطالب وشيخه والعطف والرعاية من الشيخ لتلميذه ، وهي أمور نادت بها التربية الحديثة ، ولا يزال التعليم الحديث يسعى جاهدًا لإيجادها في مدارسه في مختلفة مراحله .

ومستوى الطلاب في الحلقات يكاد يكون متقاربا في المستوى العلمي ، وإذا وجد اختلاف قسم الشيخ طلابه إلى مجموعات ، كل مجموعة لها وقت معين يختلف عن الأخرى . وقد يوكل الشيخ للمجموعة الضعيفة أحد تلاميذه المتفوقين لتدريسهم[9] . وعلى هذا فإن الحلقات أقرب إلى التعليم الحديث في هذا الشأن من الكتاتيب .

أما راتب الشيخ من حلقاته فمختلف عن المطوع في الكتاتيب . وإذا كان الأخير ليس له راتب معين ما عدا بعض الهدايا في الأعياد ، فإن الشيخ هنا ليس له راتب البتة ، فعمله لوجه الله تعالى ، بل قد ينفق الشيخ على حلقته من ماله الخاص ، سواء لفقراء طلبته أو لحفز هممهم بجوائز معينة . وهذا الأمر لم يوجد في التعليم الحديث بمراحله كافة ، وسواء كان أهليا أم حكوميا ، خصوصا وأن ظروف الحياة قد تغيرت وأصبحت مهنة التدريس مصدر رزق وحيد لكثير من المدرسين .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن حلقات المساجد لم تكن منتشرة في نجد كانتشار الكتاتيب بل بدرجة أقل ، حيث لا توجد إلا في البلد الذي يتوفر فيه الشيخ العالم القادر على القيام بأعباء الحلقة علميا ، وغالبا يوجد ذلك في المدن الكبيرة نوعا ما . وعلى هذا فالحلقات تشبه التعليم الثانوي والجامعي في هذا الصدد ، وخاصة التعليم الجامعي الذي أصبح الآن مقتصرا على المدن الكبيرة في المملكة[10] .

ومما سبق يتبين لنا أمور اتفقت فيها الحلقات العلمية مع التعليم الحديث الثانوي أو الجامعي وأهمها :

(١) ـ في الهدف العلمي عموما .

(٢) ـ في وقت الدراسة .

(٣) ـ في مدة الدراسة .

(٤) ـ في علاقة المدرس مع تلاميذه .

(٥) ـ في مستوى الطلاب العلمي في الحلقة الواحدة .

وهناك أمور اُخْتُلِفَ فيها وأهمها :

١ ـ في موضوع الدراسة ومنهجها ومواردها العلمية .

٢ ـ في طريقة التدريس .

٣ ـ حول راتب المدرس .

والحق أن الحلقات العلمية في المساجد قد أدت دورًا علميا مهما ليس في نجد فحسب ، بل في مناطق المملكة كافة . فقد كانت هي مشعل العلم الحقيقي ، ولولا هذه الحلقات المتناثرة في مدن نجد لَمَا وُجِدَ فيها أي أثر علمي يذكر . فعن طريقها خرج علماء وأدباء كتبوا وألفوا وجلسوا بدورهم يحملون مشعل العلم في بلدانهم ، في وقت عم الجهل والأمية أرجاء المنطقة من أدناها إلى أقصاها ، حيث وجد في جو الحروب والمنازعات والفقر أرضا خصبة لانتشاره ، إلى أن أذن الله تعالى بتوحيد البلاد على يد الملك عبد العزيز ــ يرحمه الله ــ فازدادت الحلقات العلمية مع استتباب الأمن والاستقرار .

و إذا كان التعليم الحديث قد بدأ في دخوله إلى نجد بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، فإن الحلقات العلمية بقيت تشع نور العلم في أرجاء نجد بمدنها وقراها الكبيرة ، ولقيت تشجيعا من الملك عبد العزيز نفسه ، حتى إنه في عام ١٣٥٢هـ ألزم في بعض المدن من كان أهلا لطلب العلم أن يطلبه[11] . كما إنه في عام ١٣٥٧هـ أمر بتشييد مبنى في الخرج لحلقة الشيخ عبد العزيز بن باز العلمية بعد أن كثر طلابه من نجد وخارجها وأصبح المبنى الأول لا يتسع لهم[12] . وكان ذلك مع بداية ظهور التعليم الحديث في نجد .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن التعليم الحديث

حينما بـدأ يدخل في نجد احتاج القائمون عليه إلى خريجي الحلقات العلمية في المساجد؛ ليقوموا بتدريس الطلاب مواد شرعية ولغوية، فبرزوا في هذه الناحية وسدوا فراغا كبيرا، واستمر بعضهم في عملهم حتى أحيلوا للتقاعد بعد بلوغهم السن المقررة لذلك. وهذا دليل على فضل الحلقات العلمية في المساجد حتى على التعليم الحديث في نجد خاصة والمملكة بشكل عام. ويكفي أن نقول دلالة على ذلك: إن الذي تولى إدارة مديرية المعارف بالمملكة عام ١٣٦٤هـ هو أحد خريجي الحلقات العلمية في المساجد، وهو الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع [١٣] وهو أول نجدي يتولى إدارتها، واستمر في عمله تسع سنوات حتى تحولت إلى وزارة عام ١٣٧٣هـ.

الرحلات العلمية

أما الرحلات العلمية، فيمكن القول: إنها تشبه مرحلة الابتعاث العلمي في الوقت الحاضر لنيل شهادات علمية عالية «ماجستير أو دكتوراه». وإذا كان الابتعاث قد وجد في المملكة في عهد متأخر بعد انتشار التعليم الحديث، وبروز الحاجة إلى ابتعاث طلاب للتخصص في علوم لا توجد دراستها في الداخل، فإن الرحلات العلمية وجدت في نجد منذ عهد مبكر حسب توفر العلماء فيها والشعور بحاجتهم إلى هذه الرحلات.

وعلى هذا فإن هناك ترابطًا بين سبب الرحلات العلمية والابتعاث، في أن كلا منهما وجد لعدم وجود العلم المراد دراسته داخل البلد، أي في حلقاته العلمية، أو يوجد ولكن بدرجة لا ترقى إلى طموح الدارس.

أما من حيث الجهة فإن الابتعاث ينحصر - غالبا - في البلدان خارج الجزيرة العربية وهي البلاد التي سبقت المملكة في مضمار التعليم، سواء كانت عربية أو إسلامية أو أجنبية. ولكننا نرى أن الرحلات العلمية قد تكون داخل الجزيرة العربية أو خارجها من البلاد العربية والإسلامية ولا تكون لبلاد أجنبية غير مسلمة.

والصعوبات التي تعترض الطالب في الرحلات العلمية جاءت بسبب ظروف تلك العهود التي وجدت فيها، أما الابتعاث في هذا الوقت فإن الصعوبات قد تكون من نوع آخر، من حيث اللغة الأجنبية وعادات ذلك البلد وتقاليده ونحو ذلك.

وإذا كان الطالب في الرحلات يعود بإجازات علمية من شيوخه فإن الطالب يعود من الابتعاث بشهادة علمية أيضا[١٤]، توضح ما حصل عليه من علم وما وصل إليه من مستوى.

وإذا أردنا أن نعقد مقارنة بين الإجازات العلمية والشهادات، نجد بينهما أوجه اتفاق وأهمها:

١ - كلاهما يُعطَى في نهاية الدراسة أو طلب العلم.

٢ - كلاهما يدل على المستوى العلمي لحامله.

٣ - كلاهما يذكر فيه نوع العلم الذي درس.

أما أوجه الاختلاف فأهمها:

١ - الإجازة العلمية تؤخذ من شيخ بعينه، بينما الشهادة العلمية تؤخذ من مؤسسة تعليمية معينة.

٢ - الإجازة العلمية كان دخولها البلاد في وقت مبكر عكس الشهادة العلمية.

٣ - الإجازة العلمية تشمل تفصيلات عن الكتب المتنوعة التي درسها الطالب على شيخه، ولا نجد ذلك في الشهادة العلمية التي تكتفي بذكر العلم المتخصص فيه، وقد تذكر الدرجة التي حصل عليها الطالب.

٤ - وُجد طلاب خارج نجد أخذوا إجازات علمية من علماء نجديين، بينما يندر مثل ذلك في الشهادات العلمية.

٥ - الإجازات العلمية تقتصر - غالبًا - على العلوم الشرعية والعربية، بينما الشهادات العلمية تشمل مختلف العلوم والمعارف، فهي أوسع وأشمل.

خاتمة

وهكذا بعد العرض السابق يتبين لنا أن التعليم التقليدي في نجد قد أدى دورًا كبيرًا وسد فراغا هائلا، وجاء التعليم الحديث ليقيم أنظمته بشكل لا يبتعد عن أنظمة التعليم التقليدي كثيرا، بل جعله نواة صالحة له، ودعما في تحقيق أهدافه وآماله الكبار.

٥ الحلقات العلمية في المساجد أدّت دورًا علميًا مهمًّا في مناطق المملكة كافة.

الهوامش

(١) منير العجلاني، عهد سعود بن عبد العزيز ص ٣٢٤، وعهد عبد الله بن سعود ص ٢٥.

(٢) عبد الله أبو راس، وبدر الدين أديب، الملك عبد العزيز والتعليم ص ٧٤.

(٣) مصطفى عطار، الملك عبد العزيز والتعليم ص ١٩. وعبد الله أبو راس، المرجع السابق ص ٣٥٠.

(٤) رواية عن بعض من درسوا في تلك الفترة ومنهم والدي - حفظه الله - في ١/١/١٤١١هـ.

(٥) مصطفى عطار، الملك عبد العزيز والتعليم ص ١٩ (ضمن بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز بالرياض عام ١٤٠٦هـ).

(٦) انظر: جريدة الجزيرة عدد ٧٠٠٦ في ٢٨/٥/١٤١٢هـ ص ٢٦ (تأكيد من وزير المعارف بمنع استخدام الضرب في المدارس).

(٧) انظر: كتاب معلم ومجتمع، نشر مركز ابن صالح بعنيزة ص ٨٤، وفيه مقالات لعدد من المعلمين القدامى ومنهم الشيخ عثمان الصالح وغيره، بعضها نشر في الصحف المحلية.

(٨) إبراهيم محمد إبراهيم، التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة العربية السعودية ص ٦٦.

(٩) عبد الله البسام، علماء نجد ٣/ ٨٤٠.

(١٠) إبراهيم محمد إبراهيم، المرجع السابق ص ١٠٩ وما بعدها.

(١١) إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهى والعرفان ٤/ ٣٦.

(١٢) عبد الله أبو راس، المرجع السابق ص ٧٤.

(١٣) انظر: ترجمته ودراسته في الحلقات العلمية في كتاب عبد الله البسام، المرجع السابق ٣/ ٨٢٧، ولمحمد القاضي، روضة الناظرين ٢/ ٢٨١.

(١٤) من المعلوم أن التعليم الحديث أدخل الشهادات في مراحل التعليم المختلفة، ولكن في الوقت الحاضر أصبح إطلاق اسم (الشهادات العلمية المتخصصة) على ما بعد الشهادة الجامعية غالبا.

صداع العقول

قانون التوحش وصراحة النسب



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو عبد الرحمن : ابن خلدون فيلسوف التاريخ، وله أسوة بالإمام ابن حزم في كتبه التاريخية، والقاضي أبي بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم، وبمفكري المسلمين من أهل المذاهب، وبمؤرخي الفقهاء والمحدثين إذا محصوا بعض الأحداث بالنقد.

وإنما ميزة ابن خلدون أنه أفرد مجلدًا ضخما ذا نظرة تقعيدية لفلسفة التاريخ وتأصيل أصوله.

ولم يطرد هذا المدد الفكري في كتابه التاريخي الذي جعل مجلد الفلسفة والتأصيل مقدمة له.

قال أبو عبد الرحمن : والمقدمة ذاتها لا يشترط أن يكون ابن خلدون أعطى فيها حلولاً صحيحة قطعية نهائية، بل حسبه أن يتنبه للإشكال ويطرحه، فيلفت أنظار الباحثين لتدريب الذهن وغربلة الأحداث.

وقبل سرد نص ابن خلدون عن مقاييس صراحة النسب، أحب أن أشير إلى أن العرب كلهم - عدنانيهم وقحطانيهم - صريحو النسب، بمعنى أنه لم يدخل فيهم غير عربي منذ نشأة العرب إلى سقوط خلافتهم العربية الصميمة، وإلى تمزق إماراتهم العربية الصميمة في الآفاق، ثم دخلت أسر من تركية والأكراد والحضر من الشام والعراق بعد غلبة دولة الأعاجم الإسلامية، إلا أن تلك الأسر معروفة مشهورة، فلم يعد غير الصريح غير معلوم.

وصراحة النسب حينما نبحثها في دنيا العرب، نجدها تعني الصراحة من أب عربي واحد.

وغير الصراحة من أب عربي واحد أن يوجد مضريون وحميريون تحت اسم قبيلة عربية واحدة، أو ربعيون وسبئيون في اسم قبيلة عربية واحدة، أو تميمي في مطير، أو مطيري في تميم.

وأنساب العرب قديماً الأغلب فيها الصراحة من أب واحد، والتحالف هو الأقل والأندر.

ومنذ القرن الخامس بدأت تتكون القبائل الصغيرة بالتحالف، وبالثقة من دعوى القرابة، إلا أنه ليس بينهم غير عربي.

ونص ابن خلدون عن صراحة النسب بناه على دعوى التوحش في القفر، فاعتبر التوحش قانونا لصراحة النسب والأمن من الخلطة، إذ لا ينزع إليهم أحد من الأمم، ولا هم ينزعون إليه.

قال أبو عبد الرحمن : والتوحش تعليل مغرٍ بالتصديق والقبول، لو أخذناه قضية مجردةً عن واقع التوحش في دنيا العرب.

وواقعه أن التوحش في القفر ظاهرة مشتركة بين العرب، فالخلطة في القفر محتملة.

وزعم ابن خلدون أن الذين خالطوا الأعاجم تأثروا بهم فاختلطت أنسابهم.

قال ابن خلدون رحمه الله تعالى : «إن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم. وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن، حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة، وهي لما كان معاشهم من القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها، والإبل تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها من شجره، ونتاجها في رماله كما تقدم، والقفر مكان الشظف والسغب - فصار لهم إلفًا وعادة، وربيت فيه أجيالهم حتى تمكنت [يعني الوحشة] خلقًا وجبلة، فلا ينزع إليهم أحد من الأمم أن يساهمهم في حالهم، ولا يأنس بهم أحد من الأجيال. بل لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لما تركه، فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها، ولا تزال بينهم محفوظة. واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعدوا عن أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب : كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط، ولا عرف فيهم شوب ؟!

وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان، مثل لخم وجذام وغسان وطيىء وقضاعة وإياد، فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم. ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف.

وإنما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم، وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم، وإنما هذا للعرب فقط » (١)

قال أبو عبد الرحمن : ما ذكره ابن خلدون من نكد العيش تعليل للتوحش في القفر، وهو توحش عند أهل المدن والأرياف، وليس توحشًا عن إخوانهم من البدو أهل القفر مثلهم.

وما دام التوحش في القفر يعني التحيز إلى البادية عن الحواضر والأمصار التي يسكنها الأخلاط من الأمم غير العربية، ومن العرب المتحضرين ؛ فلا يعني هذا التوحش الذي ذكره ابن خلدون إلا صراحتهم في النسب عن أهل الأمصار، إلا من تحضر منهم، أو تبدى من حضر العرب، فلا يدخل فيهم غير العرب من أهل الحواضر، من خلصاء العرب يندر اختلاطهم بالبادية من أهل القفر؛ لأن التحضر غاية، ويندر أن يتحول الحاضر إلى بادي، ولكل قاعدة شواذ.

أما البادية من مختلف قبائل العرب فيجمعهم التوحش في القفر، فتكون الخلطة . فأصبح التوحش الذي اعتبره ابن خلدون قانونا غير قانون في الواقع ؛ لأن العرب المختلطين بالتحالف شركاء في ميزان التوحش. والظاهرة التي ذكرها لمضر وقريش . . . إلخ لا يتميزون بها من الآخرين من حمير وكهلان . . . إلخ، فكلهم أهل شظف.

وإنما الميزة أن بعض مضر أهل حواضر في مكة والطائف استقروا فيها، فثبتوا وعرفوا، فكانوا هم الأصل لثبات المواطن، وكل من طرأ عليهم بحلف فهو معروف بداخلته تلك.

فالذي حفظ صراحة النسب ثبات المكان في الحاضرة لا شظف العيش.

والآخرون من حمير وكهلان ـ وكل البادية أهل القفر والهجر والترحال ـ تداخلت أنسابهم بعرب مثلهم بالتحالف. وإذا هاجروا إلى ريف حلوا بقوة كبيرة على عرب ضعاف من الأهالي فدخلوا فيهم. وليس ذلك بالزعم الذي زعمه ابن خلدون، وهو التقليد للعجم الذين لا يعتبرون المحافظة على النسب.

وإنما يصح هذا الزعم لو أنه دخل فيهم غير عربي، بل كهلان وطيئ . . . إلخ من أحرص العرب على أنسابهم، وهم يرون المحافظة على النسب، ولم يدخل معهم غير عربي، والذين دخلوا معهم من العرب دخلوا بالحلف عن حالة ضرورة لا عن تقليد للأعاجم ـ والله المستعان.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

هي شكوى لك.. منك

شعر : يس الفيل

أيها القلب الـــــذي أضحك أيـــــامي . . وأبكَى !
نَصْلُ من أحببت . . أدمى خـــاطـــري . . وخـــزًا وفتكـــا
كلما أقبلتَ مشتـــاقًـــا لـــــه، أعـــرض عنكـــا
والأسى منكَ، ومنـــــه أشبعَ المحـــــزون فتكـــا
بين مـــا تَـرجـــو ، ويـرجـــو ، أحصدُ الآمـــال شـوكـــا
وأعيـش الحـــب ــ رغـم الصـــدقِ ــ بين النـــاس شكـــا
لِـــــمَ ؟! لا أدري . وجهلي بـــالـــــذي أجهل . . أنكـى
ربمـــا أشكـــو، ولكن هي شكـــوى لك . . منكـــا

* * *

أيها القلب الـــــذي أسلم خطـــوي للـــــرحيق
آهِ، لـو لـم تصـطـدم بالحـــب ــ في هـــذا الطـريـــق
ربما كنـت بمنـأى الآن عـن هـــــــذا الحريـــق
غير أن الـــــوهـم ألقى بك . . في الحضن الـــوريـق
فـــــإذا بي . . دون أن أدريَ . . في وادٍ سحيــــقْ
وإذا بـــالعـــــالم المتـــــد . . عـن روحي يضيـقْ
ظلمـــــةٌ ألقت بها أمَّلتُ . . في هَـــــمٍّ وضِيْـقْ
وهـي حتى لـــو تهن . . مـــا هـــان ودي للصـــديـق

لماذا أخطأ كولومبس؟

د. م. مظفر صلاح الدين شعبان



احتفل العالم في العام الماضي بالذكرى المئوية الخامسة لرسوّ كريستوف كولومبس على البر الأمريكي. وقد شهد المنبر الثقافي مؤخرًا كثيرًا من البحوث والدراسات التي سعت إلى تسليط أقوى الأضواء على أحداث تلك الفترة بغية تحليلها وتفسيرها، وذلك اعتمادًا على الأوضاع العلمية والثقافية التي كانت سائدة آنذاك.

وليس جديدًا القول إن كولومبس باكتشافه الكبير حقق إنجازاً رائعًا، كان له فضل كبير على الحضارة الإنسانية، حتى إن اكتشاف أمريكا يمثل نقطة بارزة في التاريخ شأنه شأن سقوط القسطنطينية، واكتشاف طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح، وحفر قناة السويس.

وتشير المراجع الحديثة إلى أن كولومبس لو استفاد من الإنجازات العلمية العربية والإسلامية في مجال علوم الملاحة البحرية، لكانت رحلته إلى العالم الجديد أسهل، ومخاوفه أقل وكذلك أخطاؤه، ولكان نزوله إلى اليابسة أيسر بكثير.

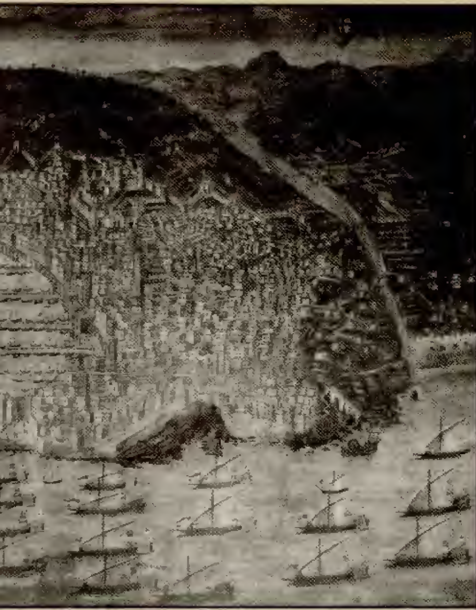
كريستوف كولومبس (١٤٥١ ـ ١٥٠٦م)

مكتشف أمريكا، ولد في جنوا بإيطاليا، وانتقل إلى لشبونة عاصمة البرتغال؛ حيث تزوج من ابنة ملاح برتغالي. سيطرت عليه فكرة الوصول إلى الهند والصين واليابان عن طريق الإبحار نحو الغرب، إلا أنه فشل في الحصول على مساعدة ملك البرتغال جون الثاني (١٤٨٤م)، لذا انتقل إلى إسبانيا، وبقي يتوسد بلاطها ثماني سنوات للحصول على المساعدة اللازمة للبرهان على صحة فرضياته. وعندما أجيب إلى طلبه انطلق من ثغر بالوس الإسباني على رأس ثلاث سفن: سانتا ماريا، ولابينتا، ولانينا، رسا في جزيرة سان سلفادور (أكتوبر ١٤٩٢م)، وقد استقبل في إسبانيا بعد عودته استقبالاً حماسيًا. وفي رحلته الثانية (١٤٩٣م) اكتشف بورتو ريكو، وجزر فيرجين وجامايكا. وفي رحلته الثالثة (١٤٩٨م) اكتشف مصب نهر الأورينوكو بفنزويلا. وأسفر حكمه لمستعمرة هايتي إلى عودته إلى إسبانيا مصفدًا في الأغلال، قاد حملة رابعة (١٥٠٢م) لاستعادة مركزه فوصل إلى ساحل هندوراس. ولكن مشقة الرحلة أرغمته على العودة في ١٥٠٤م قبل أيام من وفاة الملكة إيزابيلا التي كانت من أهم مؤيديه في البلاط الإسباني. وبعدها رفض الملك فرديناند أن يمنحه المزايا الخاصة، والحقوق الرسمية التي طلبها. وبعد عامين من الإهمال الشديد والفقر المدقع مات كريستوف كولومبس في ٢٠ أيار (مايو) ١٥٠٦م.

كولومبس واللغة العربية

في الفترة الممتدة من القرن الثامن وحتى القرن الثاني عشر كانت اللغة العربية هي لغة العلوم لغالبية الجنس البشري. ولهذا السبب فقد اعتبر كولومبس اللغة العربية «أم جميع اللغات»، وهذا يفسر سبب اصطحابه معه في رحلته الأولى الإسباني لويس دي تور، الذي يتقن العربية، مترجما خاصا له.

كان الحلم الكبير الذي سيطر على حياة كولومبس هو أن تحط به السفن في الهند، التي سيصل إليها بالإبحار عن طريق الغرب. وكان يعرف تمامًا أن العرب قد سبقوه إليها.



رسم قديم لميناء جنوا حيث قابل كولومبس ـ وهو صبي ـ البحارة العرب لأول مرة

كان كولومبس يعلم جيدًا أن العرب ـ في القرون الخمسة المنصرمة ـ قد وصلوا إلى أبعد النقاط في العالم القديم، وكتبوا عنها. فقد داروا حول محيط أفريقيا، وأبحروا حتى الهند. وقد بلغت بهم الجرأة حدًا دفعهم بعيدًا خلف القسطنطينية وآسيا الصغرى عبر مصر وسورية،

وتابعوا المسير غربًا نحو الشرق المجهول وبعدها إلى قلب القارة الآسيوية.

لقد رسم العرب خرائط التضاريس، واستكشفوا مجاري الأنهار، ووقتوا للرياح الموسمية، كما مسحوا السهول والجبال العالية والمنخفضة، ووصلوا إلى أقصى شرقي القارة الآسيوية، مما سمح لهم بنشر الإسلام واللغة العربية في كل تلك الأصقاع والبلاد.

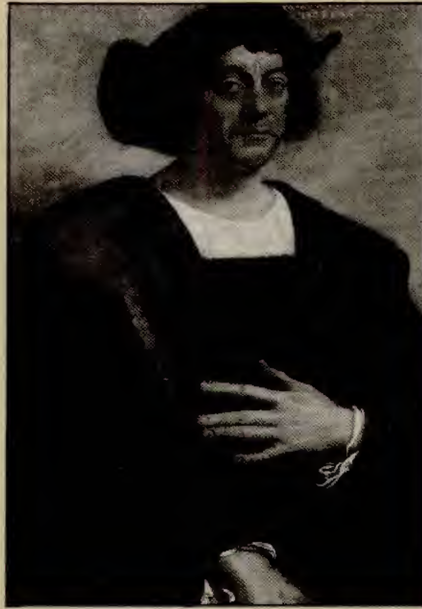
في الثالث من آب (أغسطس) عام ١٤٩٢م انطلقت السفن الثلاث: لانينا، ولابينتا، وسانتا ماريا من ميناء بالوس وعلى متنها ١٢٠ رجلاً وهي ترفع العلم الإسباني، فتوجهت أولاً إلى الجنوب نحو جزر الكناري، ومنها باتجاه الغرب تمامًا. وفي ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٤٩٢م، وفي اليوم الثالث والثلاثين على بداية الرحلة - وكان البحارة على وشك إعلان العصيان - نزل كولومبس على الشاطئ الشرقي لإحدى جزر الباهاما تُعرف حاليًا باسم جزيرة واتلنغ، قام فورًا بإعادة تسميتها باسم «سان سلفادور» وأعلن حقه



بالسيادة عليها لصالح ملك إسبانيا وملكتها.

مما سبق لا نستغرب التساؤل الذي طرحته الباحثة والكاتبة الأمريكية إيلين فنسنت باروود:

هل كانت أول كلمة قالها كولومبس لأهالي البلاد المحليين، الذين هبوا لاستقباله، هي: السلام عليكم؟ لقد توقع كولومبس أن تكون اللغة العربية هي لغة التخاطب مع الهنود المحليين، إلا أنه فوجئ في ذلك اليوم الخريفي أن «الهنود» - كما سماهم كولومبس - لم يتكلموا العربية، ولكن ذلك لم يثبط همته. فمذكراته التي كتبها في يوم الجمعة ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) توضح أنه كان متأكدًا من مقدرته على الوصول إلى كنوز زيبانغو (اليابان) والصين، إن أبحر عبر الجزر الخارجية للهند جنوبًا في رحلة أبعد من تلك التي قطعها بألف ميل. كان كولومبس متأكدًا أنه لو أجرى هذه الرحلة لتوصل إلى مقابلة الخان الأكبر الإمبراطور ذي الثراء الواسع والذي يجيد



كريستوفر كولومبس

العربية، ويحكم بلاد الذهب والفضة والجواهر والحرير، والتوابل والعقاقير الثمينة.

بين العلم والسياسة

وعند هذا الحد يحق للقارئ أن يتساءل باستغراب: كيف أخطأ كولومبس، وخانته الدقة، وهو راسم الخرائط الشهير المحترف، والقارئ النهم، والبحار الباحث، الرجل الذي صرف ٤١ سنة من عمره وهو يخطط لمغامرته الكبرى إلى الهند عن طريق الغرب؟ لقد أثبت الواقع خطأ حسابات كولومبس وبُعدها عن الدقة المطلوبة، مما دفع الدارسين إلى البحث عن تفسيرات مقبولة لذلك. وأحد التعليلات المطروحة يشير إلى أن كولومبس كان سياسيا متمرسًا بالإضافة إلى كونه بحارًا بارعًا. لم يكن كولومبس يقدر أن ينسى أنه باعتباره مسيحيا متمسكا، تم تمويل حملته بواسطة مملكتين مسيحيتين: الملك فرديناند الثاني: ملك أراغون، والملكة إيزابيلا الأولى: ملكة قشتالة، غير قادر على استعمال المصادر العلمية التي كانت متوافرة باللغة العربية، بل وجد نفسه مضطرًا لاستعمال المصادر «المقبولة» والعزوف عن المصادر «الغريبة» الأخرى.

> اعتبر كولومبس العربية "أم اللغات"، وكان يعرف أن العرب سبقوه إلى أبعد النقاط في العالم القديم وكتبوا عنها.

ولعل خطأ كولومبس نتج، ليس عن نقص المعلومات الملاحية والجغرافية التي كانت متوافرة آنذاك بكثرة، بل لأنه شعر بوجود قيود تحظر استعمال هذه المعلومات.

فخلال الهيمنة العربية على إسبانيا والبرتغال، والتي امتدت من عام ٧١١ إلى ١٤٩٢ ميلادية، تم تطوير ثقافة راقية شملت مجالات الفنون والعلوم كلها، وكان لها تأثير دائم وعميق على جميع نواحي الحياة العلمية والأدبية والفنية في أوربا كلها، وتعود جذور هذه الحركة الثقافية إلى العصور الوسطى المظلمة في أوربا، وهذه تُعرف في التاريخ بالفترة الممتدة من عام ٤٧٦، وحتى عام ١٠٠٠ ميلادية.

وخلال هذه الفترة كان العالم العربي هو الذي يحتضن المدنية والحضارة الأوربيتين، وكما تعرف سجلات التاريخ فإن العرب لم يقوموا بترجمة التراث الفني للعلم الإغريقي الكلاسيكي

لماذا أخطأ كولومبس؟

وحفظــه وتنقيتــه من الشــوائب التي علقت بــه فحسب، بل إنهم قاموا بتحـديث هذا التراث كما أضافوا إليه إسهامات جديدة وغنية.

وعندمـا بدأت أوربـا تستيقظ من سباتهـا مع بداية عصر النهضة، فإنها لم تلتفت إلى المصادر الإغريقيـة ولا إلى المصادر الرومانيـة، والتي كان أغلبهـا مفقودًا أو يصعب الـوصـول إليه، وإنمـا توجهت إلى الكتابات العلمية العربية.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي أدركت أوربا الموقف فسعت إلى إطلاق برنامج ضخم لترجمة هذه المصادر. ولهـذا الغرض أنشئت في طليطلة (توليـدو) الإسبانيـة كلية للتـرجمة، لـولاها لبقيت غالبيـة الأعمال العـربية في الفلـك والريـاضيات بعيدة عن متناول المثقفين الأوروبيين.

القارة المفقودة الموجودة

شهدت الإمبـراطورية الـرومانيـة في الفترة من عام ٢٧ قبل الميـلاد حتى عام ٢٨٤ بعـد الميلاد نقاشات فكـرية حادة، حول إمكان الإبحـار غربًا بغية الـوصول إلى ثـروات الشرق الـذهبية، إلا أن الأمـر لـم يتعـد حـدود النقـاش والمنــاظـرات الفكريــة؛ لأن أحـدًا لم يتجرأ على القيـام بأية محاولة في هذا المجال على الأرض.

ولكن بحلـول القرن الســابع الميلادي، كـان العـرب قــد تشبعـوا بفكــرة الاستكشـاف وقهــر المجهـول. فعلى مـدى أكثر مـن ثلاثمـائة عـام قـامـوا باستكشـاف قسم كبيـر من أنحـاء العـالـم المعـروف: من دلهي في الشـرق، إلى القـاهـرة وطرابلس وتـونس وقرطبة في الغرب مـرورًا بطهران وبغـداد ودمشـق في القلب. لقـد دفـع العلمـاء العرب حـدود المجهول إلى الوراء، ووسعـوا آفاق المعرفة في مختلف أصقاع العالم المعروف.

ومن حسن حظ الـوجــود الإنســاني أن هـذه المعـرفــة بكل أجـزائهــا: الفلسفـة، المنطق، الـريـاضيـات، والتـاريخ الطبيعي... وغيـرهـا كثيـر، وجدت مكتـوبة ومحفـوظة في المكتبـات العظمى. وقـد أينعت أزهـار الثقـافـة الإسبـانيـة العبقـرية (مسلمــة ــ نصرانيــة ــ يهوديـة) وغطت جميع أنحاء أوربا ومكتباتها.

إن المــوســوعــات الجغـرافيــة العـربيــة، والقواميس، والخـرائط، والرسوم، بالإضـافة إلى الكتب في الــريـاضيــات والفلك والمــلاحــة، والأبحـاث المتعلقـة بأدوات المـلاحـة المتطـورة كـانت منتشـرة، ليس فقط في إسبـانيا المسلمـة (الأندلس) بل وفي الشرق الأوسط كذلك.

ومـا ذكـرناه آنفًا ينطبق كـذلك على نظـريـة «العالـم الجديد الـواقع خلف بحـر الظلمات»، وعلى فكرة «قارة جديدة موجودة إلى غربي العالم المعــروف». وليس هنـاك أدنى شك أن العــرب كانوا أول من صنع الخرائط التـي قادت كولومبس إلى العالم الجديد.

لقد نشأ كـولومبس وترعرع في جنـوا، وكانت من المرافئ الـرئيسة في العالم القـديم، ومن غير المعقول أن لا يكـون قد سمع في صباه عن مـآثر العرب ومهاراتهم في مجال الملاحة البحرية.

ولـد كـريستـوف كـولــومبس في جنـوا عـام ١٤٥١م لأب حــائــك مزدهــر الأعـــمال: دومينيكــو كــولــومبس، وفي منتصـف القــرن الخـامس عشر كـانت جنـوا مركـزا تجـاريًّا دوليًّا مهمـا، وكـان لهـا مستعمـرات في كل من مصر وسـوريـة وقبـرص والقسطنطينيــة وعلى شـواطئ البحر الأسود وبحر قزوين.

ومن هــذه المستعمـرات المتبــاعــدة انطلق التجار والمستعمـرون والدبلوماسيـون، ومن جنوا انطلقت الإرساليـات التبشيرية (التنصيريـة) نحو الأناضول، وجورجيا، وبلاد فارس، والهند.

وفي منتصف القـرن الخـامـس عشـر كـانت الشواطئ المشـرقية تمثل بـوابات مثـالية من أجل الاتجار مع مـرافئ البحر الأسود وآسيـا الصغرى.

وفي الـواقع قبلهـا بمـائتي سنـة، كـان الـرحـالـة الإيطالي ماركو بولـو (ابن فينيسيا) قد زار الشرق الأقصى وسجل مشاهـداته ومقـابلاتـه لتجار من جنـوا وفينيسيا على طـريق الصين العظمى. ومع أن أخبار ماركو بـولو خلبت لب الكثيرين، إلا أن تأثيراتهـا على كريستوف كولـومبس كانت الأعظم لأنها غيّرت مستقبلـه. ويستدل على ذلك من أن إحـدى نسخ مذكـرات مـاركو بـولـو موجـودة في متحف كـولـومبس فـي إشبيليـة وعليهـا سبعـون ملاحظة بخط كولومبس.

كانـت عائلة كـولومبس الغنيـة تقطن في دار قـرب مرفأ سـان أندريـا. ومن روايته نعلم أنـه في تلك الآونـة، عندمـا بلغ كولـومبس العاشـرة من العمــر، عشق صخب المـرفـأ، حتى إنـه كـان يتسكع على رصيف الميناء، وهـو يراقب البحارة في غـدوهم ورواحهم على السفن العملاقـة التي تتزاحم في المينـاء والتي تمخر عبـاب البحار من الأمـاكن البعيدة: القسطنطينيـة، ومصر وتـونس وسورية وإليها.

كـان كـولومبـس وأترابـه يلعبـون بين بـالات القطن والحـرير وبراميل الـزيت والنبيذ والتـوابل ولدى وصـول إحدى السفن مـن الشرق فإنـه كان يهـرع إلى مجالسـة البحارة، وينصت إليهم وهـو مسلوب اللب، يستمـع إلى حكاياهـم عن بلدان الشرق السحرية.

يصعب على البـاحثين قبول فكـرة أن الصبي كـولومبس لم يتأثـر بالمغـامرات الجـريئة لهـؤلاء البحارة العائدين من الشرق، أو تأثره بالحكايات التي سمعهـا فيما بعـد عندمـا غادر جنوا بعد أن بلغ الرابعة عشر من العمر.

آنذاك كان كولـومبس أميًّا، ولم يتعلم القراءة إلا بعـد عـدة سنـوات. والطـريف أنـه لم يتعلم الإيطالية أولاً، بل تعلم الإسبانيـة بلهجة قشتالة. وعندمـا وصل إلى البرتغـال كان قـد بلغ منتصف العشرينيات من عمره.

في منتصف القــرن الخــامس عشــر كــان المسيحيون قـد استردوا معظم إسبـانيا والبـرتغال من المسلمين، إلا أن شبـه جزيـرة أيبيريـا بقيت بسبب تـراثهـا الإسـلامي مـركـزًا أوربيًّـا للثقـافـة والفكر.

وفي منتصـف العقــد الســـابع من القـــرن الخامس عشـر انتقل كولومبس إلى لشبونة؛ كي يقنع مليكتهـا بتمويل رحلتـه إلى الهند بـالإبحار نحـو الغرب. ولم يكن من العسيـر عليه أن يعثـر في عاصمـة البرتغـال ـ وهي مـدينة مثقفـة ـ على الكتب والمواد الـلازمة لمتابعـة أبحاثـه، لذا فإن أحـدًا لا يستغـرب أن يكون كـولـومبس البحـار، والمـلاح، ورسام الخـرائط المحتـرف، وبعدهـا صهـر واحـد من قبـاطنة البحـر التـابعين لهنـري



العالم الجديد كما يظهره أطلس خوان مارتنيز المحفوظ في المكتبة الوطنية في مدريد

المـلاح، قـد حصل على ثـروة من المعـارف الجغرافية الإسلامية.

وقد ذكـر كولومبس في رسـالة يعود تـاريخها إلى عـام ١٥٠١م أنـه خلال رحـلاتـه لكل بقـاع العـالـم، قـابل أشخـاصًـا متعلمين مـن عـروق وأجناس مختلفة، وأنه سعى للاطلاع على كل ما كتب في العلوم الفلكيـة مثل التـاريخ والفلسفـة والعلوم الأخرى. وذلك كلـه يسمح بالتوصل إلى النتيجـة: من غير المحتمل أن يكـون كولـومبس قـد غفل عـن أكثـر من أربعـة قــرون من العلـوم والاكتشـافـات الإسـلاميـة المتـوافـرة في متنـاول الجميع.

وفي رأي الكاتب الأمريكي صـاموئيل إيليوت مـوريســون، صـاحـب كتـاب «أمـيـرال البحـر المحيط»، فإنـــه من غيــرالمعقـــول أن يكـــون كولومبس، الذي نقب كثيرًا، وغاص في المراجع القديمـة بحثًا عن كتب الجغرافيا العـائدة للقرون الوسطى قبل شـروعه في رحلته، قد فـاته الاطلاع على أعمـــال متـرجمـــة مثـل «تــاريخ الهنــد» للبيـروني، و«معجم البلدان» ليـاقوت الحمـوي. وعلى الأرجح فإنـه نقب بـاهتمام في «رحلـة» ابن بطوطـة المدون في القرن الثالث عشـر، وفيه كتب أعظم الـرحـالة الأوائل حـول مشـاهـداته خـلال رحـلاتــه التي امتـدت ١٢٠ ألف كيلــومتـر من شمالي أفريقيا إلى الصين ذهابًا وإيابًا.

وتؤكـد المراجع المختلفـة أن كولـومبس كان قـارئًا نهمًا للكتب المتعلقـة بـالجغـرافيا والعلوم الفلكيـة. وقـد اعتـرف هـــو نفسـه بأنــه استقى معلومات مكثفة من مدرسـة الملاحة التي أنشأها الأميـر هنـري البـرتغـالي المعـروف بـــ«هنري المـلاح». فقبل رحلـة كـولـومبس الأولى بنحـو ثلاثين عامًا أبحرت بعـض مراكب الأمير الشراعية غربًـا إلى الأطراف الخارجية لجـزر الآزور، وربما إلى الشواطئ القـريبة من نيوفاوندلانـد. وعلى ما يبـدو فإن كـولومبس علـم من هذه المـدرسـة أن فاسكو دي غاما ــ عندما أبحر قبل ذلك بسنوات إلى الشاطئ الشرقي لأفريقيـا ـ استخدم دليلاً هو الـربان العـربي أحمـد بن مـاجد، وقـد استعمل خريطـة عربيـة كانت غيـر معروفـة آنذاك بـالنسبة للبحارة الأوربيين.

إلا أن أسوأ أخطاء كولومبس هو الذي ارتكبه ـ رغم المعارف المتـداولة آنذاك ــ كان في تحـديد المسـافة الفـاصلـة حتى الطرف الآخر من الكـرة الأرضية.

المسافة المقابلة للدرجة الواحدة

في النصف الثاني من القـرن الخامس عشر، لم تكن فكـرة «الأرض الكـرويـة» جـديـدة على الإطـلاق، علمًا بأنهـا كـانت مقبـولة في الـوسط الثقـافي آنـذاك. كما أن هـذا الـوسط كـان يعلم جيدًا التقسيـم الإغريقي للكرة الأرضية إلى ٣٦٠ْ درجة زاويـة. ولكن النقطة التي أثـارت الاختلاف بين المصـادر كانت تحـديد «المسـافة المقـابلة للدرجة الواحـدة». والقياس الصحيح ـ كما نعلم اليوم ــ هو ١١١ كيلـومترًا تقريبًا لكل درجـة عند خط الاستواء.

ففي القـرن الثالث قبـل الميلاد قـدّر الفلكي الإغريقي ـ ذو الأصل الليبي ـ إيـراتوثينيس ـ مدير مكتبة الإسكندرية ـ بمـوجب حساب دقيق ـ هذه المسـافـة بـ ١١٠ كيلـومتـرات لكل درجـة، وفي القـرن الثاني قـام الجغرافي الإسكنـدراني العظيم بطليموس بحساب الدرجة فوجد أنها تساوي ٩٣ كيلـومتـرًا. أما فـي القرن التـاسع فإن حسـابـات الفلكي المسلم أبي العبـاس أحمـد الفـرغـاني، والـذي تـرجمت أعمـالـــه إلى الـلاتينيـة خـلال العصور الـوسطى، ودرست مؤلفـاته بشكل واسع تحت اسم «الفـراغـانـوس»، بينت أن الـدرجـة تعادل ١٢٢ كليومترًا. ومع أن هـذا الرقم لا يعادل دقـة رقم إيــراتــوثينيس إلا أنــه أفضـل من رقم بطليموس.

وحـول هذا المـوضـوع فإن الباحثين يضعـون احتمـــالين: إمـا أن كــولــومبس قــد أخطأ في استعمـال الأميال الـرومـانيـة لتحويـل حسابـات الفرغاني إلى واحدات المســافة الحديثة، وبذلك تـوصل إلـى رقم ٤٥ ميـلاً لكل درجــة عنـد خط الاستواء، وإمـا أنه بعـد أن أقر فـي البدايـة صحة رقم الفـرغـاني، اختـار في النهـايـة ــ ولأسبـاب سياسيـة ـ أن يتقيد بكتاب بطليمـوس «المقدس» جغـرافيا، الـذي لم يتجـرأ أحـد على مخالفتـه، والـذي حاز بطبعتـه الـلاتينية الأولى على شعبيـة هائلة في أوربا القرن الخامس عشر.

في الحـالة الأولى، قلل كـولومبس المسـافة التي تفصله عن آسيا بمقـدار الثلث، وفي الحالة الثانية بمقدار الربع. ولـو قبل نتائج الدراسة التي أجراها سبعـون من الباحثين المسلمين، جمعهم في القــرن التـاسع الخليفــة العبـاسي عبــد الله المأمـون، وتـوصلـوا إلى حساب طـول الـدرجـة حسب خط العرض، لتجنب كثيرًا من الأخطاء.

وتروي المراجع أن بـاحثي الخليفة استعملوا قضبـانًـا خشبيـة وسـاروا على طـريق ذي اتجـاه شمال ـ جنوب إلى أن رصـدوا اختلافًا قدره درجة زاويـة واحدة في ارتفـاع نجم القطب. وقـد أدت نتـائج قيـاسـاتهم إلى رقم دقيق بشكـل مـذهل لمحيط الأرض: ٤١٥٢٦ كيلــومتـرًا أو ٢٢٤٢٢ عقدة بحـرية، وهـذا يساوي ١١٥,٣٥ كيلـومترًا لكل درجة. ولا يخفي الباحثون شعورهم بالأسى لأن مكتبات إسبـانيا والبرتغال كـانت تحتوي في زمن كـولومبس على ثـروة هائلـة من المعلومـات نتجت عن الاكتشـافـات الإسـلاميـة العـديـدة.

فالبيـروني قـام بتحديـد خطوط العـرض وخطوط

لماذا أخطأ كولومبس؟

الطول بدقة، واقترح قبل غاليليو بستة قرون أن الأرض تدور حول محورها. وبعدها بمائة عام وفي القرن التاسع تحديدًا، قام الرياضي الخوارزمي بقياس طول الدرجة الأرضية، كما أن البحارة العرب كانوا يستعملون الإبرة المغناطيسية لرسم المسارات الدقيقة. وفي نحو ذلك الوقت أيضًا نجح الفلكيان العربيان: ابن يونس، والبطاني (أو الباتيفنيوس كما كان يعرف في أوربا) بتطوير كل من الإسطرلاب القديم، المربعة Quadrant (وهي أداة تستخدم في الملاحة لقياس الارتفاع)، والسدسية Sextant، والبوصلة إلى حد أنها بقيت على مدى مئات السنين من الأدوات الضرورية جدًا لرحلات البحارة، حتى إن أيًا من البحارة لم يكن ليتجرأ على خوض البحر دونها، أضف إلى ذلك أنه بحلول القرن الثاني عشر فإن الجغرافي العربي الإدريسي أنهى مؤلفه «أطلس العالم» بمجلداته الكثيرة وخرائطه العديدة.

لقد اختار كولومبس في حسابه للمسافات التي كان عليه أن يقطعها للوصول إلى الشرق أن لا يعتمد على المصادر العربية والإسلامية، وذلك لأنه كان متأثرًا بنظرية باولو توسكا نيلّي (وهو طبيب من فلورنسة كان يهوى الفلك والرياضيات). وعندما رأى كولومبس خريطة توسكانيلي، التي يقرر فيها أن تقدير ماركو بولو لطول آسيا كان صحيحًا وأنها تبعد ٣٠٠٠ ميل فقط عن لشبونة إلى الغرب من اليابان و٥٠٠٠ ميل من هانفجو (الصين) فإن كولومبس عندها

> لم يكن بمقدوره الاستعانة بالمعلومات والحقائق التي توصل إليها قبله علماء المسلمين

قبل الأرقام التي رغب في سماعها. لقد كانت خريطة توسكانيلّي هي التي اصطحبها كولومبس معه في رحلته الاستكشافية الأولى.

وانطلاقا من هذه الأسباب مجتمعة اعتقد كولومبس أن رحلته إلى الهند عن طريق الغرب صعبة، إلا أنها ستكون قصيرة حتمًا فباستعمال الخرائط والمعلومات المعتمدة على حسابات بطليموس، ومارتن بيهم رسام الخرائط الألماني، فقد اقتنع بإمكان الوصول إلى الصين بعد رحلة بحرية لا يزيد طولها على ٤٠٠٠ ميل. وتؤكد ذلك الكتابات المدونة في كتاب «تخيلات العالم» لبيير ديلي. وحسب رواية ابن كولومبس وراوي سيرته فإن ذلك الكتاب كان رفيق كولومبس الدائم على مدى سنين طويلة (إن هوامش نسخة كولومبس من هذا الكتاب مغطاة بمئات الملاحظات والحواشي بخط يده، والنسخة هذه محفوظة في متحف إشبيلية).

اعتقد ديلي أن المحيط الغربي الذي يفصل المغرب عن الساحل الشرقي لآسيا ليس عريضًا، وقد اقتنع بمبدأ مارينوس التيري، وهو يوناني عاش في القرن الثاني، وجعل أوربا الآسيوية EURASIA عريضة من الشرق إلى الغرب، والمحيط الأطلسي ضيقًا، وادعى أن هذا المحيط يمكن اجتيازه خلال بضعة أيام مع رياح مواتية.

واستنادًا إلى ملاحظات كولومبس المدونة في سجل سفينة القيادة «سانتا ماريا»، الذي فقدت نسخته الأصلية، أو أتلفت كما يعتقد بعض المؤرخين، فإن كولومبس أبحر بأسطوله الصغير المكون من ثلاث سفن صغيرة إلى العالم الجديد مستعينًا بحدسة الشخصي فقط. وهذا يعني أنه اجتاز المحيط الأطلسي الواسع بين جزر الكناري والباهاما مستعملاً فقط بوصلة البحارة والمقسمات وبعض الأدوات البسيطة كالمسطرة، والساعة الرملية، وبعض الخرائط البدائية التي وضحت فقط شواطئ إسبانيا والبرتغال وشمالي أفريقيا، الآزور ماديرا والكناري. لقد استمد مساره من بوصلة البحار، وهي مطورة من إبرة مغناطيسية استعملها البحارة العرب قبل ذلك بأربعة قرون. أما المسطرة المربعة Quadrant فهي اختراع عربي قديم ينسب إلى ابن يونس من أهالي القاهرة.

مما لا شك فيه أن ذكرى كولومبس تستحق أن يحتفل بها تكريمًا وتقديرًا لجرأته، وصموده وبراعته الملاحية، وعلومه البحرية الفائقة إلا أن ذلك يجب أن لا يمنعنا أن نتساءل: ماذا كان سيحصل في ذلك اليوم الثاني عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ١٤٩٢م لو أن كولومبس التفت وتنبه إلى ثمانية قرون من الاكتشافات العربية ومن التقدم في مجال علوم الملاحة البحرية ورسم الخرائط؟

من المؤكد أن ذلك لو حصل، لجعل رحلته أسهل، ومخاوفه وأخطاءه أقل، ونزوله إلى اليابسة أيسر وأدق بكثير.

المراجع

(١) كولومبس: مكتشف أمريكا. سلسلة. «الناجحون» ط١٥، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٣م.

(٢) إحسان جعفر: ابن الوردي وصف أمريكا قبل كولومبس. الفيصل العدد ١٧٩، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م.

(٣) الهنود الحمر: اغتيال أمة. الجيل، آب (أغسطس) ١٩٩١م.

(٤) ٥٠٠ عام على اكتشاف كولومبس أمريكا. المنبر، أيلول (سبتمبر) ١٩٩١م.

(٥) أحمد شوقي الفنجري: المسلمون واكتشاف أمريكا وطريق الهند. الفيصل، العدد ١٠٢.

(٦) خارطة الكرة الأرضية للإدريسي. درع الوطن، العدد ٢٤٤، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١م.

(٧) نزار الأسود. الملاحون العرب واكتشاف أمريكا. الخفجي، آب (أغسطس) ١٩٩١م.

(٨) وجيه الشربجي: العلوم البحرية عند العرب. الفيصل، العدد ١٧٩.

(٩) عمر الدقاق: مغامرة العرب عبر بحر الظلمات. الفيصل، العدد ٤٦، آذار (مارس) ١٩٨١م.

(10) A.V. Barwood. Columbus: What If? **ARAMCO WORLD**, Jan. 1992.

(11) P. Lunc. The Middle East and the Age of Discovery. **ARAMCO WORLD** (Special Issue). May - June. 1992.

(12) Collins Concise Encyclopedia of Explorations. Larousse. 1969.

(13) Hail Columbus. White Man's Whale. **TIME**, May 27. 1991.

○ ○

التاليرالنمساوي

عملة دولية تداولها العالم الإسلامي

خالد عزب

○ استمدت قوتها من ارتباطها بتجارة البن

تم تداول العديد من العملات الأوربية في العالم الإسلامي في عصور انحسار هذا العالم، والتي بدأت منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ووصلت ذروتها في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر. ومن هذه العملات النقود الفضية التي عرفت باسم «الريال»، وهو لفظ مقتبس من Real الإسبانية بمعنى ملكي، وتعددت أنواع هذا النقد فمنها الفرنسية، والإسبانية والهولندية[1].

وأبرز هذه العملات التاليرالنمساوي، فقد شهدت مناجم الفضة في أوربا الوسطى نشاطا فريدا في القرن الخامس عشر الميلادي؛ نتيجة للكشف عن طرق جديدة لصهر المعادن تسهل فصل معادن الفضة عن معادن النحاس[2]، واستفادت الإمبراطورية الرومانية[3] التي قامت في أراضي ألمانيا والنمسا من هذا النشاط، فقامت بإصدار عملات فضية ثقيلة، وقد وصلت هذه العملات إلى بلاد الدولة العثمانية في أواسط آسيا، حيث حلت بالتدريج محل القرش الهولندي (الأرسلاني)، وعرفت العملة النمساوية باسم الريال أو قره قروش بمعنى القروش السوداء، وهي هنا عكس الأحمر (قزل) أي إنها من الفضة الجيدة، بعكس النقود الفضية المخلوطة بنسبة عالية من النحاس التي أطلق عليها الترك «قزل» بمعنى أحمر[4].

وتعد هذه العملة الفضية التي ظهرت في نهايات القرون الوسطى من أوائل العملات الأوربية المؤرخة، وكانت أكبر عملة فضية تم ضربها حتى هذا الوقت، ومن منطقة التيرال Tyral (بالنمسا حاليا) انتقل ضرب هذه العملة إلى أجزاء عديدة من ألمانيا وبوهيميا (بتشيكوسلوفاكيا قبل انفصالها إلى دولتين)، وقد ضرب كونتات بوهيميا عملاتهم من الفضة التي استخرجوها من مناجم

التالير النمساوي

Jodchimsthal ، ولذلك أصبحت عملاتهم تعرف باسم Jodchimsthaler ثم اختصـر الاسـم إلى Thaler الـذي أطلق على كثير من العمـلات الفضية. ويعتبر التالير الجد الأعلى لكلمة دولار المعروفة الآن[٥].

وبعيدا عن بـوهيميا فقد عرف التـالير أو التالاري في ألمانيا باسم Reishsthaler ويشار إليه باسم الرسدال Risdale أو الريال التعـاقدي الذي تعقد على أساسه الصفقات، وكـانت تسكه دول متعددة لتستخدمه وسيلة للتبادل التجاري مع مختلف الأمم، وينطبق هـذا بصفة خـاصة على الرسدال النمساوي.

وقد ضرب من تالير الإمبـراطورية النمسـاوية عدة إصدارات تنوعت طرزها تبعا لتعـدد الأقاليم التي صدرت فيها، وأكثر طرز هذا التالير رواجا في أسواق الشرق كانت تلك التي نقشت عليها صورة مـاري تـريـزا إمبراطـورة النمسـا التي تـوفيت عـام ١٧٨٠[٦]، وهذا التـاريخ مسجل على جانب من الريال.

التالير في مصر

تأخر ظهـور التالير الإمبراطـوري في مصر عن تـركيا التـي عرف فيهـا منـذ القرن الخـامس عشـر الميلادي، وكان أول ظهـور له في الوثائق بـدفاتر السادات، حيث أشير بها إلى قـرش أبي طاقة في عـام ١٠٤٣هـ، بينما تأخـر ذكـره في المصـادر التـاريخيـة إلى رمضان من عـام ١١١٤ هـ حين نودي على تسعير سعر صرف الريال أبي طاقة[٧].

وقد جـاءت هذه التسميـة (أبو طـاقة) بسبب الصـورة التي ترى على أحـد وجهي التالير، وهي تمثل أسلحـة مدلاة من عقـاب مقسوم إلى أربعـة أقسام، إذ يشبه هذا الشعار الموجود بوسط الوجه بعض الشيء تلك النـوافـذ ذات المصبعـات الحديـدية، الشائع استخـدامها في مصـر، ومنها جاءت كلمة بوطاقة أو بطاقة[٨].

وقـد أخذ التـالير ابتـداء من عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م في تسيـد أسواق التـداول النقدي بمصـر على حساب القرش الإسباني بسبب امتياز سبيكته واستـدارة القطعـة التـامـة ومقـاومتهـا للتـآكل من أطرافها[٩].

وكانت عمليـات التحويل تتم لصالح التـالير برغم أن القيمـة الجوهـرية للقـرش الإسباني تـزيد بشكل طفيف عنها في التالير، بسبب ارتفاع عيار



الوجه ويحمل صورة ماريا تريزا

القـروش الإسبـانيـة، ولعل ذلك عـائد إلى طبيعـة العلاقـات التجارية، وحقيقـة أن وزن التـاليـر كان أكبر من وزن القرش وأكثر دقة في صنعه[١٠].

البن والتالير

استمـد العـامل الحـاسم في سيـادة التـالير المطلقـة بمصر منـذ منتصف القـرن الثامن عشـر الميلادي وحتى مقدم الحملة الفرنسية أسباب قوته من اليمن بـالدرجة الأولـى؛ ففي هذا الوقـت كان التالير قد أصبح العملة المفضلة على امتداد البحر الأحمـر والمحيط الهندي لارتبـاطه بتجـارة البن، وكـان متـداولا في أوائل ذلك القـرن في «المُخـا» وساد التعـامل بها منذ عـام ١٧٦٠م (١١٧٤هـ)، حتى إنـه عند وصول «نيبور» اليمن لاحظ أن العمـلات الألمانيـة منتشرة في اليمن وتنتقل عبـره إلى الهند أيضا.

ومن أجل تمـويل تجـارة البن والبهـارات فإن كميات ضخمة من التالير كانت تتجه من الموانئ المختلفـة في أوربا إلى الإسكنـدرية، بلغت هـذه الكميـات المرسلـة من مـوانئ مـارسيليا وليفـورن والبنـدقيـة في عـام ١٧٨٧م نحـو ٤٨٠ ألف قطعة[١١].

وقبيل مقدم الحملة الفرنسية إلى مصر أصبح التالير الإمبراطوري أو «البوطـاقة» عملة حسابية أو اعتبـارية، تقـدر بـه ضـرائب الأرض الزراعيـة (أو الميري). ويعكـس هذا الوضـع الفريـد حقيقة أن التـاليـر أضحى عملـة الـدفع الـرئيسـة في مصـر آنذاك. ويذكر قنصل فرنسـا في تقرير لبلاده حرّره في عـام ١٧٦٠ م أن المصـريين وحتى الفـلاحين الذين امتنعوا في البدايـة عن قبول التالير، أصبحوا يفضلونه في التعامل على المسكوكات الذهبية.

أمـا المسمّيـات التي أطلقت على التـالـير الإمبراطـوري بخلاف (أبو طـاقة) فإنهـا لم تعرف بمصـر، فلم تشـر أي مـن الـوثـائق أو المصـادر التاريخية إليه باسم «قرش» الذي عرف به في تركيا بسبب أن النقود الفضيـة عرفت في عصـر النهضة

بالنمسا باسم Groschen ، كما لم يتداول في مصر باسم الريال «أبو شوشة» الذي عرف به في أسواق الشرق الأخرى .

وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة عدة نماذج من التالير النمساوي، وتتفق جميعها في أن وجهها كان يحمل نقش صورة ماري تريزا . ورغم الاختلاف في التصميم العام فهو يحتوي دوما على رسم لنسر ناشر جناحيه، وبوسط جسده رسم لدرع وهو مقسم إلى مناطق طولية كشبابيك الأسبلة ولذا عرف بأبي طاقة، **وأقدم القطع المحفوظة بالمتحف ترجع إلى عام ١٧٥٧م(١٢).** وقد التزم التالير النمساوي في سكه بوزن يتراوح بين ٢٧,٦٧ جراما و٢٧,٩٢ جراما وبقطر ٤٠مم .

تنافس القوى العظمى على إصداره

وبحلول القرن التاسع عشر أصبح هذا التالير عملة متداولة في أجزاء واسعة من العالم، ابتداء من الساحل الشمالي الغربي من أفريقيا ونيجيريا، ومدغشقر، وعمان، حتى الساحل التركي على البحر الأسود . ومما يدل على أهمية هذا الريال ورواجه أنه قد تم صك ٤٥ مليون قطعة منه في خلال الاثني عشر عاما الأولى من القرن الحالي، وصك نحو ستة ملايين منه في مركز صك العملة الملكي في بريطانيا في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٥٨م .

وبناء على ضغط من هتلر وموسوليني على حكومة النمسا في عام ١٩٣٥م، اضطرت هذه الحكومة إلى تسليم معدات صك الريال النمساوي إلى الحكومة الإيطالية التي كانت تحتاج إليها للإنفاق على حرب موسوليني ضد الحبشة . ومنذ ذلك الوقت احتكرت إيطاليا صناعة هذا الريال، غير أن البريطانيين الذين



الظهر ويحمل تاريخ بداية ضرب الريال ١٧٨٠م

كانت لهم مصالح تجارية مع الأقطار الخاضعة لهم، بما فيها أقطار شبه الجزيرة العربية، قد استمروا في صك الريال في المعمل الملكي لصك العملات .

وخلال الحرب العالمية الأخيرة، وبناء على رغبة الحكومة البريطانية في توفير نفقات النقل فقد نقلت معدات صك هذه العملة إلى بومباي في الهند، حيث أخذ صكها يتم هناك .

ولعل أبرز مثل على الارتفاع الهائل الذي سجله سعر الفضة هو أنه خلال السنوات الثلاث من ١٩٧١م إلى ١٩٧٤م ارتفع سعر الريال النمساوي في عُمان من نصف ريال عماني إلى ١,٤ من الريال . ومن الطريف أن هذا الريال يدخل في صناعة العقود التي يتدلى منها، وهذا النوع من العقود خاص باستعمال الفتيات، وقد تضاف إليه تعويذة أو حجاب، ويسمى بالمذود(١٣) . وقد ظل هذا الريال مستعملا في عُمان حتى وقت قريب .

الهوامش

(١) عبد الرحمن فهمي، النقود المتداولة أيام الجبرتي، ص ٥٧٨ .

عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث كتاب في ندوة الجبرتي التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

(٢) أحمد الصاوي، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ١٨٩، رسالة دكتوراه بكلية الآثار بجامعة القاهرة ١٩٩١م .

(٣) أدت الإمبراطورية الرومانية المقدسة Holy roman Empire دورا مهما في تاريخ أوربا في العصور الوسطى . وهناك اختلاف حول تاريخ تأسيسها، والتاريخ الأقدم هو ٨٠٦م عندما قام البابا ليو الثالث Leo III بتتويج شارلمان Charlmagne إمبراطورا للرومانيين في بازيليكاسان بهيتر في روما، بينما يرى آخرون أنها بدأت في عام ٩٩٦م عندما توج البابا جون السابع John VIIالإمبراطور أوتو الأول Otto I إمبراطورا للدولة الرومانية، وقد تميز تاريخ الإمبراطورية منذ عام ١٢٧٣م وحتى عهد شارل الخامس (١٥١٩ ـ ١٥٥٦م) بسيطرة آل هبسبورج Hubs burg على الحكم وتوسيعهم لحدود الإمبراطورية في النمسا وما حولها، حتى شملت معظم غرب أوربا وأصبحت إمبراطورية ألمانية تشمل ألمانيا والنمسا وبوهيميا والأراضي الواطئة في النمسا والطرف الشمالي الشرقي من إيطاليا . وقد انتهت هذه الإمبراطورية في عام ١٨٠٦م .

(٤) جب ووبون، المجتمع الإسلامي والغرب، جـ٢ ص ١٠٥ .

(٥) Dotey (R.) Money of The world - p138

(٦) روث هولي، الصناعات الفضية في عمان، ص ٢٦ . سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة ـ عُمان ع ، ط٢، ١٩٨٢م .

(٧) أحمدا لصاوي، المرجع السابق، ص ١٩١ .

(٨) السابق، ص ١٩١ .

(٩) السابق، ص ١٩٢ .

(١٠) السابق، ص ١٩٢ . وانظر «وصف مصر» ترجمة زهير الشايب القاهرة، مكتبة الخانجي ج ٦ ص ٧٣ .

(١١) مار سيليا بجنوب فرنسا كانت إحدى المحطات المهمة في طريق جنوة التجاري في اتجاه الشرق . أما ليفور ن فهو ميناء إيطالي في غرب البلاد على بعد ١٢ ميلا غرب بيزا . وتعد هذه المدينة الميناء الرئيس لتوسكانيا Tuscany ، وبدأت في الازدهار منذ القرن ١٦م عندما قرر الدوق فرديناند Ferdinand أن يجعل منها ميناء رئيسا، إذ أصبحت في عام ١٥٩٠ من موانئ تجارة الشرق، وفي القرن ١٧م أصبح لها تجارة واسعة ليس فقط مع حوض البحر المتوسط ولكن أيضا مع موانئ بحر الشمال والبلطيق .

(١٢) أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ١٩٦ .

(١٣) روث هولي، المرجع السابق، ص ٢٦ و٢٨ .

صقلية
التاريخ والشعر

د. عبدالرحيم يوسف الجمل

• كادت صقلية أن تكون ولاية "أدبية" أندلسية.

• بسقوط الجزيرة تم ترحيل المسلمين منها رغم الحضارة التي أقاموها.

صقلية جزيرة من جزر البحر المتوسط، مثلثة الشكل، بينها وبين إيطاليا آلاف الأمتار، ولا يفصلها عنها سوى مضيق مزينة أو مسينا، وهي تتمتع بسحر خاص في مرتفعاتها وسهولها، كانت تحت الحكم البيزنطي إلى أن فتحها المسلمون في السابع عشر من ربيع الأول سنة مائتين واثنتي عشرة من الهجرة (الرابع عشر من حزيران يونيو سنة ثمانمائة وسبع وعشرين من الميلاد) بقيادة أسد بن الفرات، بتكليف من حاكم القيروان زيادة الله، وكانت للقائد خلفية دينية لا تبارى، إلا أن خبرته العسكرية كانت متواضعة.

ويبدو أن الاختيار جاء لبث روح القتال في صفوف المحاربين، الذين كانوا خليطا من العرب والبربر والأندلسيين، بلغ عددهم خمسة عشر ألف رجل، حملهم أكثر من سبعين مركبا.

وفي أول لقاء، كان النصر للقوات العربية في بعض المدن، وفي بعضها الآخر كانت التحصينات المنيعة تبطئ من قدوم النصر، وتتدفق التعزيزات بكثرة على الطرفين، مما يزيد من حدة المعارك. وفي عام ثمانمائة وثلاثين من الميلاد نزلت صقلية جماعة من الأندلسيين في مراكب كثيرة وعلى رأسهم أصبغ ابن وكيل (الهواري)، وبلغ مجموع القوات المسلمة ما يزيد على عشرين ألف مقاتل، ونحو ثلاثمائة مركب، وفي الثلاثين من رجب سنة مائتين وست عشرة من الهجرة (١٢ أيلول/ سبتمبر ٨٣١م) سقطت مدينة بلرم (بالرمو)، وبعد خمسة أشهر من فتحها ولَّى زيادة الله على صقلية ابن عمه أبا فهر محمد بن عبدالله، للحيلولة دون وقوع أية محاولة من جانب المغامرين الأندلسيين العرب لضم الجزيرة إلى الأندلس الأموية، وتبقى تبعيتها للأغالبة. وفي الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة مائتين وثلاثة وعشرين من الهجرة (١١ حزيران/ يونيو ٨٣٨م) توفي الأمير الأغلبي زيادة الله، وخلفه أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم الذي حكم من سنة ٨٣٨م وحتى ٨٤١م.

وفي عام ٨٤٠م استسلم للمسلمين حصن أبلاطنو وقلعة البلوطة وحصن قرليون. وفي سنة ٨٤٣م سقطت مدينة مسينة، وفي سنة ٨٤٥م فتح المسلمون مودقة، وفي العام نفسه أرسلت الإمبراطورة ثيودورة تعزيزات إلى لواء كارسيانون البيزنطي الذي مُني بهزيمة فادحة، وفي سنة ٨٤٨م نزلت بصقلية مجاعة شديدة فاستسلمت على إثرها مدينة رغوس.

وفي عام ٨٥١م توفي أبو الأغلب، وتولى بعده العباس بن الفضل، الذي اشتهر بعسكريته المتشددة، وفي العام التالي استولى على قلعة أبي ثور وتلتها قطانية وسرقوسة وتوطس وبثيرة وطبرمين، وفي سنة ٨٥٨م سقط حصن جفلوذي ومعقل قصريانة، وبحلول عام ٩٠٢م كانت صقلية بأكملها في أيدي المسلمين، وظل الأغالبة يحكمون صقلية حتى سقوط حكمهم في عام مائتين وست وتسعين للهجرة (٩٠٩م) ليتولى العبيديون الفاطميون حكم إفريقية وكذا صقلية إلى أن استولى الكلبيون على صقلية سنة ثلاثمائة وست وثلاثين للهجرة (٩٤٧م)، ودام حكمهم أكثر من تسعين سنة، وكان النشاط

البحـري والعسكـري مستمرًّا وإن لم يحرز أي تقـدم . وفي نهايـة حكمهم اشتعلت الخلافات فيما بين المسلمين وعمت الفوضى ، مما شجع النورمانديين الذين استهوتهم ثروة الجزيرة وخصبهـا على الاستيلاء عليها ، فاستطـاع أحد ملـوكهم ويدعى (روجـار) أن يجتـاز مضيق مسينـا بعد عـدة غـارات سابقـة استهدفت زعزعة حكم المسلمين في صقلية ، وفي سنة أربعمائة وثلاث وخمسين من الهجـرة (سنة ١٠١٦م) تـم الاستيلاء على عـدة مـواقع مهمة ، واستعـرت نيران الحرب بين الفـريقين مـا يقـرب من ثـلاثين سنـة ، انتهت بتحطيم آخـر مقاومة حربية إسلامية سنة أربعمائة وتسعين من الهجرة (١٠٩٦م) .

وتـولى الملـك روجـار الثـاني الحكيم الحكـم سنـة أربعمائة وخمس وتسعين للهجرة (١١٠١م) وكـان إسلاميا في حكمـه ، وشاركه في ذلك العـديد من المسلمين ، وحافظت الجزيـرة على تقدمهـا ، ونال هـذا الحاكم من البابـا سنة خمسمائة وخمس وعشرين للهجـرة (١١٣٠م) لقـب ملك الصقليتين (ويقصـد بها جزيـرة صقلية وجنوب إيطـاليا إلى شمال مدينـة نابـولي التي تم بسط نفوذه عليها) .

سقوط صقلية

ثم هبّت أعاصير أخـرى على الجزيرة المغلـوبة على أمرهـا ، وقد أصبحت (كعكـة) مغـريـة ، ومطمع كل مغـامـر جـوّاب ، حتى سقطت سنـة خمسمائة وإحدى وتسعين مـن الهجرة (١١٩٤م) تحت سيطـرة أباطرة ألمانيـا من عـائلة السـواب الجرمانيـة ، وتم تـرحيل المسلمين من الجزيـرة إلى مالطـة والسـواحل الأفريقيـة ، بعد أن قامـوا بتعمير الحقول وتأسيس المدارس ، وإنشاء المسـاجد التي تجاوز عددهـا ثلاثمائة مسجد ، كما ذكر ذلك ياقـوت في معجم البلدان . كما أدخل العـرب أنواعـا من الـزراعـات لم تكن موجـودة من قبل ، كأشجـار الزيتـون والبرتقال وقصب السكر ، وازدهـرت الصناعـة والحياة في كل ركن من أركانها .

الشعر الصقلي

تأثـر الشعـر الصقلي في كثير من مفرداتـه بـالشعر الأنـدلسي ، فأسلـوب النظم يشير إلى وجـود صلـة وثيقة بين التقـاليـد الشعـرية العـربيـة في كل من الأنـدلس وصقلية ، بل نجـد الأغـراض نفسها ، والتراث الخيـالي نفسه لـدى شعراء الجزيرة ، وكثيرا ما يستخدم هؤلاء الشعـراء البحور نفسها التي تركز على الصورة الغنائية . وكادت صقلية أن تكون «ولايـة أدبية» أندلسية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (العـاشر والحادي عشر الميلاديين) ؛ وجل ما وصلنا من الشعـر العربي في صقليـة هـو ما أبـدعـه شعراؤهـا في الفترة النـورمانيـة ، وخصـوصـا من هـاجر منهم إلى الأنـدلس وكـانت آنـذاك تحت حكم ملـوك الطوائف .

ولعل من أهم الأسباب التي دعت لهجرة هؤلاء الأدباء من صقلية ، غياب العيش الآمن ، وتراجع الحافز الفكـري ، والمستقبل الغامض ، إلا أن قلة منهم بقيت في الجزيرة تمدح ملوك النورمان إلى أن سقطت تحت حكم الجرمان .

أبرز علمائها وأدبائها

وتـلألأ في سماء صقليـة أسماء عديـدة منهم العلماء وكثير منهم الشعـراء . فمن العلماء محمـد المازري أحـد أعـلام الحديث وعلم الكـلام ، والشريف الإدريسي صاحب كتاب «نزهة المشتـاق» ، وابن القطّاع صاحب كتاب «الدرة الخطيرة والمختـار من شعـراء الجزيـرة» ، ومن الشعـراء : ابن أبي البشر الأنصـاري ، وابن البرون ، وابن بشرون ، والبشيري الصقلي ، وابن صمنـة ، وابن القطّاع ، والمعـافري ، ومحمد بن الصبـاغ ، وأبو بكر الكـاتب ، ومحمد بن الحسين بن القـرقـوري ، وابن سرعين ، وابن البشري ، وابن حمديـس ، وابن الخياط الصقلي .

وعرض هؤلاء الشعراء في شعرهم لكثير من الأغراض ، فابن البرون ـ مثلا ـ امتاز بوصف جمال المرأة ، ومن ذلك قوله :

وسـاحِـرِ المقلتين تحسبـه	من حـور عين الجنـان منفلتـا
يبسم عـن لـؤلـؤ وعن بَـرَدٍ	مـا بين زهـر العقيـق قـد فتنـا
فـالـوجـه كـالشمس مُذْهبٌ شَرِقٌ	والصـدرُ والجيـد جـوهـرٌ نُحِتـا

وعالج الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المنعم معظم فنون الشعر والنثر ، فلـه رسالـة خاليـة تماما مـن حرفي الألف والـلام ، ويدل ذلك على تمكنـه من اللغة ، ويقول متغزلا :

يـا أملح النـاس وجهـا	جـاوزت في الحسن حـدّك
للغصن منك انعطـاف	يكـاد يشبـه قـدك
قـد كـان قلبي عنـدي	والآن أصبح عنـدك
وكنت مـن قبلُ حـرًّا	فهـا أنـا صرت عبـدك

ويأتي ابن القطـاع (٥١٥ هـ) وقد تميز شعره بالحكمة وشكـوى الزمـان كقوله :

فـأهن دنيـاك تعـززك ولا	تترك المال كمن قـد تـركـه
واغتنم عمـرك فيهـا طـائرا	قبـل أن تحصل وسط الشبكـه

أما ابن سرعين ، فشاعر جميل الأسلوب ، له صور جميلة ، يقول :

يـا بـدر تم على غصـن من الآس	ألا يـرقّ لقلبي قلبُك القـاسي
مـا لامني الناس إلا زِدتُ فيك هـوى	قلبي بحبك مشغـولٌ عن النـاس

ويميل ابن الخياط الصقلي إلى الـوعظ في شعره واستمـداد الحكمة والنظرة التأملية ، فيقول عن الحياة وكيف نعيشها في عبارة سهلة :

مـا كان أمس فقـد فـات الـزمان بـه	ومـا يكـون غـدًا في الغيب مـوعـودُ
وبين ذينك وقـت أنت صـاحبـه	في حـالتيـه فمـذمـوم ومحمـودُ

والقارئ لإبداعات هؤلاء الشعراء ، وغيرهم من أهل الجزيرة ، يجد شفافية الإحسـاس والتعبير عما يجول في خـواطـرهم ، في ألفاظ رشيقـة أملتهـا طبيعـة الجزيرة ومناظرها الخلابة .

وبـالرغم مـن قصر المدة التي عاشهـا الإسـلام في صقلية ، إلا أن الشعـر الصقلي لا يزال حيًّا في وجدان الزمن يذكـرنا بعزّ الإسـلام ومجده في تلك الدرة المفقودة .

المراجع

١ ـ تـاريخ صقليـة الإسـلاميـة ، د . عـزيـز أحمد ، تـرجمة د . أمين الطيبي ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، سنة ١٩٨٠م .

٢ ـ العرب في صقلية ، د . إحسـان عباس ، مصر ، دار المعارف ، سنة ١٩٥٩م .

٣ ـ المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطـاليا ، أحمد المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) .

حقائق وغرائب

مهمة لغواصة في المحيط الأطلسي

إعداد: نجلاء حسن حامد

بعث علمية مشتركة

في منتصف المحيط الأطلنطي، وعلى عمق ٢,٥ ميل داخل غواصة متقدمة التقنية، قامت بعثة علمية أمريكية ـ روسية باستكشاف ينابيع المياه الحارة الغنية بالأملاح المعدنية التي تمثل موطنًا للجمبري الأعمى، وهي المصدر الأول للذهب النقي في الأعماق.

كان حقل الينابيع الحارة الذي وصلت إليه البعثة المشتركة يمثل مجرد ذرة صغيرة من قوى هائلة تعمل أسفل قعر المحيط، وكان يبعد ١٨٠٠ ميل من شرق ميامي، ويقع في وادٍ يشق طريقه عبر صدع المحيط الأطلنطي الأوسط حيث تندفع المياه الحارة الفوارة التي تصل درجة حرارتها إلى ٦٥٠ْ فهرنهيت، فعندها تنفصل صفائح من القشرة الأرضية، يذوب الصخر داخل الأرض ثم ينبجس الماء بينها، فتتدفق بعضها في قعر المحيط؛ لتتكون قشرة جديدة لا تلبث أن تتصدع ثم تنزلق؛ لتشكل صدوعًا وسط المحيط تطوق الكرة الأرضية.

وعندما يخترق ماء البحر البارد ذو الكثافة الانشقاقات التي تمتد لأميال في العمق، وعندما تسخن هذه المياه قرب الصَّهارة*، تتمدد حاملة الغازات ورماد المعادن من الصخور، وتنبجس الينابيع الحارة. وعلى مدى عشرة ملايين سنة مرت غالبية مياه المحيطات بهذه العملية، التي أدت إلى حدوث تغيير كيميائي من الماء وإطلاق ثاني أكسيد الكربون في الجو.



الغواصة ذات التقنية المتقدمة تلقي بضوئها على جانب من رواسب الصدع

واحة من الألوان

عندما اقتربت الغواصة المتطورة من رابية صغيرة منتفخة بالمعادن والأملاح المعدنية تقع بالقرب من حقل للعيون الحارة. تعَّرف الفريق على نوع من الرواسب الشاحبة والصخور البركانية الداكنة في صحراء ما تحت مياه المحيط. وأصابت أعضاء الفريق دهشة بالغة عندما رأوا فجأة أمامهم واحة مختلفة الألوان، مكونة من الألوان الحمراء والصفراء والخضراء، بينما كانت كتل لامعة من المعادن في أحجام مختلفة تتقافز في مياه العيون الحارة السريعة.

وفوق كثير من الهضاب الصغيرة أمكن مشاهدة أماكن كانت تسيل منها المياه الدافئة، التي كانت تتلاقى مع المياه الباردة وتومض مثل موجات حرارية فوق رمل الصحراء.

عند الصعود إلى الرابية، دخلت الغواصة في ضباب أبيض مائل للأزرق، ينبعث من فتحات موجودة في أحد جانبيها، وفي غضون دقائق قليلة بلغت «الغواصة المدخّنات السوداء» في القمة.

وكانت الرابية نفسها تشبه رواسب الأرض وتُسمى «الكبريتيد الثقيل»، وهي مكونة من معادن النحاس والزنك والذهب والفضة.

وفي البداية خُدع الفريق العلمي ببريق البيريت (Pyrite) أو «الذهب الزائف»، وهو معدن أصفر مكون من حديد وكبريت، ولكن فيما بعد فُحصت عينة معدنية تحت المجهر تبين وجود حبيبات من الذهب العالي النقاوة. على أن اكتشاف الذهب النقي في مثل رواسب العيون المعدنية الحارة هذه ينفي الاعتقاد الذي ساد مدة طويلة، وكان يؤكد أن الذهب أصبح مركزًا فقط على الأرض.

جمبري بلا عيون

عند استخبار مدخّنة سوداء في حقل آخر تم تصويرها بواسطة كاميرا شديدة الحساسية، كشفت عن وجود شيء غريب لم يكن معروفًا من قبل، عبارة عن عين حارة غنية بالمعادن يصدر عنها وميض تحت الأحمر يمكن تمييزه بشكل جلي.

أمام الأنوار المنبعثة من الغواصة وحول مدخّنات الدخان الأسود، كانت تحوم أسراب تقدر بالآلاف

وربما بالملايين من الجمبري، الذي يتغذى على البكتيريا، وكانت البقع الموجودة على ظهره تعكس أضواء الغواصة، والغريب أن هذا الجمبري أعمى لا يرى، أطلق عليه اسم Rimicaris exoculata «أي ساكن الصدع الذي بلا عيون».

وبعد إرسال عينة من الجمبري إلى المختبر تيقن أن جزءًا من ظهر الجمبري الذي يضم حجرات الخياشيم السوداء الناتئة، يشتمل على مادة كيميائية موجودة في عيون حيوانات أخرى، وإذا كانت هذه القشريات لا تستطيع أن ترى بواسطة هذه الرقعة العاكسة، إلا أن هذا العضو يؤدي وظيفة جهاز إحساس.

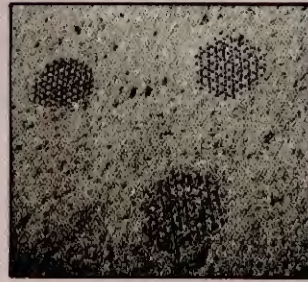
ولكن كيف يستطيع الجمبري أن يجد طريقه في ظلمة قعر المحيط؟

يفترض العلماء أن « العين » الفريدة للجمبري تلتقط مصدرا ضعيفا من الضوء، ووميضا تحت الأحمر من الدخان الأسود، وإذا كانت الحال هكذا تكون للعلاقة بين جهاز الإحساس والوميض وظيفتان هما: مساعدة الجمبري على إيجاد الدخان الأسود والكائنات العضوية حوله، ومنعه في الوقت نفسه من الاقتراب الشديد من الحرارة.

كذلك تبين أن الرواسب نفسها هي ملجأ لمخلوق غامض في حجم دولار الفضة، يبدو في شكل رقعة الداما الصينية، قد يكون ذا صلة بحفريات كانت موجودة في الصخور منذ ٧٠ أو ٣٤٥ مليون سنة، ارتفعت من قعر بحر قديم وظهرت في جبال أوربا الوسطى وويلز.



الجمبري الأعمى



مخلوق نادر غير معروف في شكل قطعة «الداما» الصينية



ملايين من الجمبري الأعمى تنتشر في الأعماق



صدع المحيط الأطلنطي حيث تتفجر الينابيع في صحراء ما تحت القعر

ينابيع حارة على الأرض

تجذب الينابيع الحارة الموجودة في مناطق مختلفة من العالم كثيرًا من السائحين، ويعتبر نبع «الإيمان القديم» الحار الموجود في متنزه يالوستون الوطني Yellowstone في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الينابيع الحارة شهرة، وفي المتوسط تنطلق مياهه مرة كل ٧٣ دقيقة، ويتراوح ارتفاعها بين ٣٧ و ٤٦ مترًا، وعلى مدى ثمانين سنة ظل الناس يراقبون هذا النبع الحار الذي لم يتخلف عن الانطلاق الموقوت مرة واحدة!

غير أن غالبية الينابيع الحارة تتفجر مياهها في أوقات غير منتظمة، فبعض الينابيع الحارة تتفجر عدة مرات في الساعة الواحدة، بعدها تتوقف بالساعات أو الأيام أو الأسابيع وربما الشهور. وفي بعض الينابيع الحارة تكون المياه المندفعة منها مجرد فقاقيع فوق سطح الأرض، وفي بعضها الآخر تندفع المياه في نافورات يزيد ارتفاعها على ٣٠ مترًا.

وفي متنزه يالوستون يوجد نحو ٢٠٠ نبع حار، وفي آيسلندا (أرض الصقيع والنار) توجد مجموعة من العيون الحارة على بعد ١١٠كم من ريكيافيك العاصمة في شكل دائرة قطرها ١٦ كم من اللافا البور. وفي نيوزيلندا (أرض الخضرة) توجد مجموعة أخرى من الينابيع الحارة أشهرها نبع بوهوتو في روتروا، حيث تنطلق مياهه بصفة غير منتظمة ثلاث أو أربع مرات في اليوم إلى ارتفاع يتراوح بين ١٨ و ٣٠ مترًا لمدة تبلغ ٣٠ أو ٤٠ دقيقة.

* الصُّهارة: مادة صخرية مذابة في باطن الأرض ينشأ الصخر البركاني عنها حين تبرد.

الكاتب المسرحي الألماني تانكريد دورست

من مسرح العرائس إلى مسرح العمالقة



دورست يلقي محاضرة عن اتجاهات المسرح الألماني الحديث في كلية الألسن بجامعة عين شمس

بقلم: د. مصطفى ماهر

ليس من شك في أن اللقاءات الشخصية بالأدباء تتيح للإنسان فرصة اقتراب أفضل من شخصياتهم، والتعرف الأعمق على أفكارهم. وقديمًا قيل: «ما راءٍ كمن سمع». وهذه طائفة من الأدباء الألمان العظام عرفناهم من كتاباتهم ثم التقينا بهم وحاورناهم على مدى الثلاثين عامًا الماضية: فريدريش دورينمات، وماكس فريش، وهوجو لوتشر، وبارابارا فريشموت، وإلزة تيلش، وجونتر جراس، وماكس فون در جرين، وهانس ماجنوس إنتسنسبرجر، وتانكريد دورست TANKRED DORST. ولتانكريد دورست مكانة خاصة في نفوسنا، فقد زارنا في القاهرة مرتين.

كنت قد كتبتُ عن تانكريد دورست دراسة ظهرت في أول أيار/مايو ١٩٨٥ م كمقدمة لترجمة مسرحية «عصر الجليد» (ترجمة د. عبد السلام إسماعيل، سلسلة المسرح العالمي، الكويت) تحدثتُ فيها عن حياة تانكريد دورست وفكره وفنه.

بداية اهتمامه بالمسرح

وقد ذكر تانكريد دورست فيما رواه عن ذكريات الطفولة أنه كان يذهب إلى المسرح، وأنه كان يفكر في أثناء العرض وبَعدَه في أن الأحداث يمكن أن تسير على نحو آخر، وكان يتخيل للممثلين أدوارًا أخرى، وهكذا بدأ اهتمامه بالمسرح. وإذا كان قد زُجَّ به في الحرب قبل أن يحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية، فقد وجد في معسكرات الأسر الإنجليزية والأمريكية فرصة ذهبية للقراءة، فقرأ كل ما وصلت إليه يده من كتب دستويفسكي الروسي، وإرنست توللر، وشتيفان تسفايج، وهاينريش هاينة، وتوماس مان الألماني. وكانت الحياة في المعسكرات فرصة ذهبية ــ أيضا ــ لدراسة شخصيات البشر.

فلما أُفرج عنه، وعاد إلى الوطن وجده محطمًا، مقسمًا إلى مناطق احتلال إنجليزية وفرنسية وأمريكية وروسية، ووجد أسرته مبعثرة، وشق عليه كسب لقمة العيش. ثم حصل على شهادة الثانوية العامة، و شق طريقه هاويا إلى مسرح العرائس.

وكانت بدايته في ميونيخ، فقد اجتمع أصحاب محبّون للمسرح يبحثون عن وسيلة لإحياء هذا الفن، في وسط الخراب الشامل الذي خلفته الحرب، فهداهم تفكيرهم إلى مسرح العرائس؛ فهو لا يحتاج إلى نفقات كبيرة. واتخذوا مكانا في (بدروم) ترشح المياه من جدرانه، وكان الجمهور يلتف في المعاطف والبطاطين شتاءً لاتقاء البرد. وخرج مسرح العرائس إلى الوجود. وكتب له تانكريد دورست ست تمثيليات، وتأكد من موهبته الإبداعية. ومسرح العرائس له سماته التي تغري الكاتب بألا يهتم كثيرًا بالأعماق النفسية للشخصيات، فهو يتعامل مع دمى منفصلة عن الشخصيات التي تتكلم من خلالها. ومن التمثيليات التي قدمها لمسرح العرائس نذكر «القط لابس الحذاء الطويل» عن قصة للكاتب الرومانتيكي لودفيج تيك، و «أوكاسان ونيكوليت» عن قصة من الأدب الفرنسي الوسيطي، وهناك دراسات تتناول مصدرها العربي، وتفسر أوكاسان على أنه القاسم.

كان دورست يعمل، ويمارس هواية الكتابة للمسرح ويدرس في الجامعة في الوقت نفسه. درس الأدب الألماني وتاريخ الفن وعلوم المسرح. ثم قر رأيه على ترك الدراسة الجامعية دون الحصول على شهادة، وركز اهتمامه على احتراف الكتابة للمسرح، وشجعه على ذلك حصوله على جائزة مسرح مانهايم في عام ١٩٥٨م. وكان المسرح قد أعلن في العام السابق عن مسابقة للأدباء الجدد ليعالجوا مسرحيًا موضوعات رأى أنَّ لها أهمية عصرية: القنبلة الذرية، العنصرية، النازحين، الفصام في عالم اليوم. وكتب دورست مسرحية «مجتمع في الخريف». كانت مرحلة الكتابة لمسرح العرائس قد كشفت للكاتب أمورًا كانت تنقص محاولاته الأولى منها: البعد النفسي للشخصيات وارتباطها بالواقع. ولكنه كان قد تمكن من الوسائل الفنية للمسرح ومن أهمها وسائل الكوميديا مثل التهويل، التهكم، التندر. وإذا لم تكن مسرحية «مجتمع في الخريف» قد نجحت في عرضها الأول، فقد نجحت له مسرحية أخرى شدت أزره، هي «المنحنى»، مسرحية من فصل واحد وثلاثة

من مسرح العرائس إلى مسرح العمالقة

أشخاص (التي مثلت على مسرح لوبيك في ٢٦ آذار/مارس ١٩٦٠م).

وبدأت أقدامه ترسخ في عالم المسرح. وتُرجمت المسرحية إلى لغات كثيرة، وما زالت تمثل بنجاح في ألمانياوخارج ألمانيا، وهي تكشف عن التناقض في حياة النـاس، وكيف أن الحادثة التي يتألم لها بعضهم، يسعد بها ويعيش منها بعضهم الآخر، ويتسع المجال الفكري فيها لنصل إلى مشكلة من مشكلات الإنسانية المعقدة، التي تفسر ولا تبرر المحن البشرية. والموضوع يدور باختصار حول منحنى خطير وَعِر سيّئ التعبيد تنقلب عنده السيارات، فتتحطم ويجرح أو يموت ركابها، وهناك أخَوان يعيشان على ضحايا هذا المنحنى الخطير، أحدهما يصلح السيارات المحطمة ويبيعها ويكسب منها، والثاني يتكسب من أحزان أقارب الضحايا بما يلقيه من كلام مؤثر عند المقابر. ثم يأتي موظف كبير مسؤول للتفتيش وتقدير الموقف عند المنحنى الخطير والتخطيط للحل المناسب فتنقلب به سيارته هو الآخر وينجو بأعجوبة. ويقرر القيام بإجراءات لإصلاح المنحنى لمنع الحوادث، والحفاظ على حياة الناس. وما إن يسمع الأَخَوان حديثه هذا حتى يتملكهما الخوف على مصدر حياتهما، ويقتلاهُ.

عناية بالموضوعات الصينية

لم يكن دورست امتدادًا لبرتولد بريشت ولكنه تعلم منه أشياء، منها أهمية الخروج إلى الآفاق العالمية في الفكر والفن، فجال بفكره في ثقافات فرنسا وإنجلترا والشرق العربي والصين. وكان البحث في خبايا الأعماق الإنسانية ومحاولة التفسير النفسي السيكولوجي للأحداث والناس هو الذي دفع تانكريد دورست إلى موضوع من الأدب المسرحي الصيني، ومن تمثيليات خيال الظل على وجه التحديد، هو موضوع «خطبة استهجان طويلة عند سور المدينة». وكان بريشت قد أثار اهتمام المؤلفين والجمهور بالموضوعات الصينية، نذكر على الأقل - على سبيل المثال - مسرحيته: «إنسان سيتشوان الطيب». وجد دورست في تمثيليات خيال الظل الصينية تمثيليتين، إحداهما بعنوان «خطبة استهجان طويلة عند سور المدينة» والثانية بعنوان «خطبة استهجان قصيرة عند سور المدينة»، فاختار الأولى وتناولها بصياغة جديدة. وأخرج المسرحية في عام ١٩٦٢م المخرج المرموق بيتر تساديك Peter Zadek، وهي مسرحية من فصل واحد مثل «المنحنى».

وموضوع المسرحية هو ببساطة كبيرة: الإنسان الصغير، أو قل الإنسان العادي، الذي يقف عاجزًا أمام أولي القوة؛ فهذه هي امرأة عادية، تعيش على صيد السمك وبيعه، تذهب إلى سور المدينة حيث القيصر ورجالاته وقواده وضباطه، وتطلب من القيصر أن يرد إليها زوجها، فتتبين أنه مات في معركة من معارك القيصر؛ وعندما يعرضون عليها أن تتطلع إلى الجنود وتتعرف على زوجها، تقرر أن تختار واحدًا بدلاً من الذي مات، ولكن الضباط يشكون في الأمر، ويأمرونها هي والجندي بأن يمثلا أمامهم مشاهد تظهرهم على أن كلا منهما يعرف الآخر معرفة الزوجين، فإن اقتنعوا بمصداقية المشاهد وتبينوا منها أنهما فعلاً عاشا معًا حياةً مشتركة سنوات، ردوا إلى المرأة رجلها هذا؛ ولكن الاختبار فشل. مثّلت المرأة دورها على نحو مقنع، ولكن الرجل لم يستطع مجاراتها، ولم يستجب لدعواتها المتكررة إليه. أضف إلى هذا أن الضباط الأقوياء كانوا منساقين إلى شهواتهم، مفكرين في مصالحهم. فلما خاب مسعاها وأدركت أنها راجعة بخفي حنين، ألقت خطبة استهجان عند سور المدينة، حيث لا يرد الحجر. ونجحت هذه المسرحية في عام ١٩٦٢، وظهر فيها نضج المؤلف في المعالجة الفنية، حيث استخدم قالب «المسرح داخل المسرح»: فالممثلون يمثلون أمام جمهور المسرح، والمرأة والجندي في داخل المسرحية يمثلان أمام الضباط. وتأكد للنقاد أن دورست لا يسير في طريق بريشت الذي يستهدف التغلب على الإيهام عن طريق الإغراب، بل يسير في طريق رسمه لنفسه وهو التغلب على المسرح المناهض للإيهام عن طريق التشديد على لعبة التمثيل ذاتها. وأفادت المسرحية من ظروف إقامة سور برلين، حيث ربط الجمهور بين سور المدينة وسور العار الذي أقامته سلطات الهيمنة والقهر في ألمانيا الشرقية الشيوعية، حتى هدمته الثورة الشعبية في عام ١٩٨٩ م.

بريشت



مولير



كان دورست يعد صياغة جديدة لترجمة مسرحية «البخيل» لركن الكوميديا الفرنسية الركين موليير، ومسرحية «الطاس» من تأليف أوكيزي O'Casey (١٨٨٤ - ١٩٦٤ م) مجدد المسرح الإيرلندي، ومن قمم المسرح الإنجليزي في القرن العشرين، عندما اتجه إلى موضوع إرنست توللر. قرأ دورست كتابًا لتوللر من قبيل السيرة الذاتية بعنوان «شبابي في ألمانيا»، وأعجب بشخصية هذا الرجل، وسعى إلى استجلاء دوافعه النفسية، وكان إرنست توللر شاعرًا تعبيريًا (ولد عام ١٨٩٣م وانتحر في نيويورك في عام ١٩٣٩م) وكانت له أحلامه السياسية، ففكر في عام ١٩١٩م في إقامة جمهورية في مدينة ميونيخ ــ عاصمة بافاريا ــ على نمط جمهورية اللجان الذي عرف في روسيا، ونجح فعلاً لمدة شهر من أول نيسان أبريل/لأول آذار مايو، ثم اعتقل وحوكم مع الجماعة التي اشتركت معه أو اشترك معها.

وكان المشاركون في هذه الحركة من المثقفين، والمغامرين، والمثاليين الحالمين، تبنوا مطالب الكادحين وأحلامهم، في التحول من نظام ديموقراطي زائف إلى نظام يكون الحكم فيه للشعب عن طريق لجان شعبية. وعرضت المسرحية في عام

أعماله المسرحية تدور حول البحث في الأعماق الإنسانية ومشكلات الحياة والناس

١٩٦٨م في شتوتجارت، ونجحت بما فيها من اهتمام بموضوعات سياسية، وبما اتخذته من قالب جريء هو القالب المفتوح الذي يمكن أن نسميه قالب الجريدة، بالإضافة إلى اعتماده على الوثائق. والنص من النوع المفتوح الذي يتيح للمخرجين تشكيل العرض كما يتراءى لهم. تبدو شخصية توللر جذابة يتعاطف معها الجمهور، ولكنها شخصية رجل لا يدرك الواقع إدراكًا حقيقيًا. ويستخدم الكاتب نصوصًا وثائقية، يربطها بإسقاطات على العصر الحاضر. والخط العام للعرض هو تبرير الثورة التي قام بها توللر ورفاقه سياسيًا، وتخطئتها من الناحية الأخلاقية.

نجحت مسرحية توللر في ألمانيا نجاحًا هائلاً، وكان لها أثرها في ترسيخ أقدام الكاتب ودعم شهرته. ثم ترجمت المسرحية إلى لغات كثيرة وعُرضت في إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وهولندا. ومن العروض الشهيرة تلك التي أخرجها باتريس شيرو Patrice Chereau في ميلانو ثم في باريس.

ومن المهم أن نبرز هنا اهتمام دورست بالأنواع الأدبية الجديدة، التي ظهرت مرتبطة بوسائل الإعلام الواسعة الجديدة وبخاصة سيناريو الفيلم السينمائي والتمثيلية التليفزيونية. نذكر من هذه الأعمال الجديدة «الحرف القرمزي»، و «مريض الوهم» عن موليير.

وكتب دورست في اتجاه مشابه لاتجاه «توللر» تمثيلية تليفزيونية هي «زاند» في عام ١٩٧١م تدور حول رجل اسمه كارل لودفيج زاند كان في اتحاد شبابي تقدمي وقام في عام ١٨١٩ م بالاعتداء على حياة الشاعر المسرحي كوتسيبو الذي كان متهماً بالرجعية. كان التحليل النفسي للشخصيات وتداخلها في الواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي هو الشيء الذي اهتم به دورست، ولم يتخذ موقفًا عقائديًا، لا إلى اليمين، ولا إلى اليسار، وكان هذا شيئًا لافتًا للنظر في وقت كان النقاش في ألمانيا يدور حول حركة الطلاب، والتقدمية والرجعية.

وتكرر هذا التوجه نفسه في مسرحية «عصر الجليد» التي كتبها في عام ١٩٧٣م، ولم يتخذ فيها موقفًا سياسيًا من الشخصية المحورية المتهمة بالتعامل مع النازية، وإنما شغل برسم صورة حية متكاملة للشخصية، مهتما في المقام الأول بالارتباطات النفسية السيكولوجية وما يتصل بها من ارتباطات أخرى. تدور أحداث المسرحية في النرويج بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واندحار النازية، في وقت ساده السعي إلى اقتلاع جذور النازية والنازيين وأعوانهم. والشخص الرئيسي فيها كاتب هرم كانت له علاقات طيبة بالنازية في أوج عظمتها، فلما أفل نجمها انقلب عليه جمهوره، وتحولت مؤسسات الدولة إلى ملاحقته ومقاضاته. وهكذا نراه في دار للمسنين، وضعوه فيها، واختبروا قواه العقلية تمهيدًا لاستجوابه ومحاكمته. وتتولى التحقيق معه هيئة فيها من يمثل رجال الدين، ومن يمثل الصحافة ومن يمثل قطاع المال والأعمال. لا تُسمِّي المسرحية الأديب كنوت هامسون باسمه، بل تسميه الشيخ، وتضع في مواجهته شخصًا محوريًا هو الشاب الذي أتى بدافع من الوطنية المتأججة حاملاً قنبلة يريد أن ينسفه بها معتبرًا إياه خائنًا لوطنه. والمسرحية تأتلف من سلسلة من المواقف تجمع بين الشيخ من ناحية وشخصيات متعددة من ناحية أخرى، هؤلاء هم الشاب والخبير النفساني والزوجة والابن والأصدقاء والقسيس والصحفي ورجل المال والأعمال. تكشف هذه المواقف عن سخف عناد الإنسان في التمسك بموقف لم يعد له معنى، وسخف مقاضاة إنسان لأنه اعتنق ذات يوم رأيًا، كما تكشف عن سخف التفكير في معاقبة إنسان هرم هو قاب قوسين أو أدنى من الموت. ولم يكن دورست في هذه المسرحية يهتم بشيء قدر اهتمامه بتصوير شخصيات تنبض بالحياة، شخصيات يتغلغل في دوافعها النفسية ويبين ما فيها من تناقض. تضم المسرحية في طياتها عددًا من الأسئلة الأخلاقية والفكرية، منها ما أثار موجة من النقد الحاد لام أصحابه الكاتب على أنه لم يقف موقفًا رافضًا للنازية، بل لقد قال بعضهم: إن تانكريد دورست يوشك أن يبدو متعاطفًا مع النازية ومع المتعاطفين معها. وهذا الاتهام لا أساس له من الصحة، فدورست كاتب بعيد عن عن الاتجاهات الفكرية الأيديولوجيات.

ومن الأنواع الأدبية التي أحبها تانكريد دورست «الليبريتو»، وهو النص الأوبرالي. من هذه النصوص الأوبرالية نذكر «المغربية» (١٩٦٩ م)، «القط لابس الحذاء الطويل» (١٩٧٥م).

الاقتراب من نبض الحياة

وعلى الرغم من أن تانكريد دورست لم يكن من أنصار الأدب الوثائقي، بل كان يرفض رأي بعض النقاد الذين ضموه إلى زمرة الأدباء الوثائقيين، إلا أنه كان حريصًا على الاقتراب من الحياة الواقعية النابضة، ولهذا كثيرًا ما يعتمد على سير مكتوبة وأخبار موثوق بها. وهو هنا يتحدث عن الأديب النرويجي هامسون الحاصل على جائزة نوبل (ولد عام ١٨٥٨م وتوفي عام ١٩٥٢م) وكان من المعجبين بالثقافة الألمانية، وتحول به حبه هذا إلى تحيز إلى جانب النازية في الحرب العالمية الثانية. وقد حدث بالفعل أن أخذته السلطات النرويجية في أيار مايو من عام ١٩٤٥م وله من العمر ٨٦ عامًا، وقد أصابه ضعف بالبصر يوشك أن يصل إلى حد العمى، وضعف في السمع يكاد يصل إلى الصمم فزجت به في معسكر من معسكرات الاعتقال، ثم نقلته إلى دار المسنين، ثم إلى مستشفى الأمراض العصبية والنفسية لاختبار قواه العقلية وإمكان مساءلته؛ ثم حوكم بتهمة الخيانة العظمى، وحكموا عليه في عام ١٩٤٨م بغرامة مالية هائلة، تساوي ثروته كلها، فسخر من الحكم قائلاً: إنه

من مسرح العرائس إلى مسرح العمالقة

كان دائمًا يفكر أن يهدي أمواله إلى الدولة لتصلح بها من حال الفقراء، ورفض التقدم بالتماس لتخفيف الحكم. ونشر في سن التسعين كتابًا عن حياته، لم يتراجع فيه عن رأي، ولم يندم على فعل، بل أكد أنه راضي النفس، مرتاح الضمير، واثقٌ من عدل الزمن، الذي إن لم ينصفه حيًا، فسينصفه ميتًا.

وهذا هو الذي حدث بالفعل، فقد تغيرت اتجاهات الرأي العام في النرويج قبل وفاة هامسون، وطالب الخاصة والعامة بالاعتذار له، وتكريمه، ولكنه أبى ونأى بجانبه، وظل يؤكد أن من حق الإنسان أن يعتنق الرأي الذي يرتضيه، وأن ما فعلته الدوله به ذنب لا يغتفر.

ونحن عندما نقرأ هذه السيرة، ونقرأ كتاب زوجته عنه ـ وكانت هي الأخرى قد عوقبت معه، وحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات! ـ، وما تحدث به ابنه عنه، وما تبادله المؤيدون والمعارضون من إدانة وتكريم، نفهم أسباب اهتمام تانكريد بهذه «الشخصية» العجيبة التي لا يجد كاتبٌ مسرحيٌ لـه توجهات دورست صعوبة في نسج خيوط مسرحية من حولها. وتانكريد دورست على حق فيما قاله عن المسرحية التي كتبها، فقد قال: إنه لم يكتب مسرحية موضوعها هامسون، ولكنه كتب مسرحية موضوعها شيخ هرم يُحاسَب، وقد بلغ من العمر أرذله، عن رأي يكون قد ارتآه يوما ما، ويتشبث عنيدًا بموقفه. المفتاح (السيكولوجي) لهذه الشخصية هو «العناد»، ولكن العناد وحده لا يكفي لإماطة اللثام عن شخصية الإنسان فالإنسان شيء متناقض، إنه تركيبة من الأفكار والأحاسيس لا يستطيع أحد أن يقول أيها أشد أهمية.

زوجة دورست

وجدير بالذكر أن زوجة دورست وهي الأديبة الفنانة أورزولا إيلر Ursula Ehler بدأت في عام ١٩٧٠م تشترك معه في الكتابة، وسيكون على النقد العلمي المدقق أن يبين ما أضافته إلى عالمه الفكري والفني. وكان دورست قد قضى فترة من عام ١٩٧٠م في الولايات المتحدة الأمريكية. كذلك

> مسرحية «ميرلين» كُتبت للعرض في قاعة سوق السمك القديمة بهامبورج

يجدر بالذكر أن دورست مارس الإخراج المسرحي والسينمائي، فأخرج بنفسه «عصر الجليد» في عام ١٩٩٠م على مسرح زيوريخ. وأخرج للتلفزيون تمثيليات متعددة منها «أم كلارا»، كما مارس التمثيل فأدى دور الرسام بوتنر في مسرحية «دوروتيا ميرتس» في عام ١٩٧٥م.

وعندما تولى بيتر تساديك إدارة مسرح مدينة بوخوم تعاون مع دورست تعاونًا وثيقًا. وكتب دورست مسرحية من نوع الريفيو أو المسرحية الاستعراضية هي «ماذا تفعل الآن أيها الإنسان الصغير؟» (١٩٧٢م) عن رواية لهانس فالادا. وتدور الأحداث في عشرينيات القرن، حول شاب وشابة يربط بينهما الحب، وهما من الشريحة البسيطة من الطبقة الوسطى، يعانيان من الفقر والبطالة وما اعتور هذه الفترة من صعاب اقتصادية ويأس. وتتألف المسرحية الاستعراضية من مشاهد تارة في البيئات الفقيرة البائسة، وتارة أخرى في البيئات الثرية الباذخة، تدخل بينها تابلوهات موسيقية ومنوعات، لإبراز التناقض بين الفقر والثراء.

وكتب تانكريد دورست على مدى سنوات طوال من ١٩٧٠م إلى ١٩٨٥م سلسلة من المسرحيات والحوار «السيناريوهات» تدور حول أسرة من الطبقة الوسطى في مشاهد من حياتها اليومية التي تنعكس فيها مشكلات الناس الحياتية من مخاوف واضطرابات وتصادمات بين القديم والجديد، كما تنعكس فيها الأحداث السياسية والظروف الاجتماعية والمتغيرات الفكرية والعقدية.

وتعبر هذه الأعمال عن التوجه الذي بدأ دورست يأخذ به بعد مرحلة الكتابة لمسرح العرائس، وهو الاهتمام بحياة البشر الجياشة، والبحث عن آليات سلوكها. يقول دورست: «كنت مهتمًا بأن أرى أشخاصًا في مراحل حياتهم المختلفة، ثم ألتقي بهم من جديد، فأتعرف إليهم، ومن ورائهم ظاهرة الزمن. الزمن الذي ينفذ من خلال الناس، ويطبعهم بطابع مميز، ويغيرهم ويهملهم ويسقطهم من حسابه. وأنا عندما أصور الناس من هذا المنطلق أرسم صورة يمكن أن يكون لها دلالة تاريخية». نذكر «فوق بركان كيمبوراتسو» (١٩٧٥م)، دوروتيا ميرتس» (١٩٧٦م)، «أم كلارا» (١٩٧٧م)، «الفيللا» (١٩٨٠م)، «موش» (١٩٨٠م)، «هاينريش أو عذاب الخيال» (١٩٨٥م) «رحلة إلى شتيتين» (١٩٨٤م).

تدور تمثيلية «دوروتيا ميرتس» التليفزيونية التي كتبها دورست وأخرجها حول أحداث جرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن الحالي، ودوروتيا فتاة من أهل المدينة الكبيرة، تعلقت بأهداب حلم صور لها حلاوة الحياة البسيطة في الريف وإمكان تنفيذ إصلاح اجتماعي يقضي على الزيف في الريف ويحقق العدالة والسعادة، فتركت المدينة وتزوجت من رجل من رجال الأعمال في الريف، وخاضت التجربة، وتبينت استحالة تحقيق الحلم، وأن ما فكرت فيه كان وهمًا.

ويعالج (سيناريو) فيلم «موش» الذي أخرجه دورست بنفسه موضوع الصدام بين شخصية موش المتقدم في السن الذي يخشى من الجديد والتجديد، وأرنو الشاب الذي يؤمن بضرورة التجديد، ويعتقد أن مصنع الصابون الذي يعملان فيه ويتحملان مسؤولياته سيخسر وتذهب ريحه إذا لم يساير الزمن. ويصل العناد بموش إلى أنه لم يعد قادرًا على رؤية الأشياء على حقيقتها، وما يزال العناد يشتد به حتى يصل إلى ما يشبه الجنون، والتفكير في قتل الغريم.

«ميرلين» الأكثر إثارة !

وربما كانت مسرحية «ميرلين» هي أكثر مسرحيات دورست إثارة، والعنوان الكامل للمسرحية هو «ميرلين أو الأرض الجرداء»، فهي مسرحية طويلة تحتاج لأكثر من ثماني أو عشر ساعات لعرضها على المسرح، ولهذا لم تظهر كاملة في يوم واحد إلى الآن، وإنما عرضت على ليلتين متتاليتين، وربما اختار المخرجون أجزاء منها صنعوا منها عرضًا متكاملاً.

والغريب في هذه المسرحية أن فكرتها بدأت بالمكان، حيث أغرى بيتر تسادك تانكريد دورست بأن يكتب مسرحية تصلح للعرض في مكان بعينه، ولم يكن هذا المكان سوى قاعة سوق السمك القديمة في هامبورج، وهي قاعة انقطعت صلتها بالسمك، وأصبحت جزءًا من التراث المعماري يتبارى أصحاب الأفكار الجديدة في الاستفادة منه.

وفكر دورست بالفعل في أن يكتب عملاً مسرحيًا ضخمًا ينتفع بما في المكان من أعمدة وسلالم وأبهاء وقواطيع من الحديد الزهر. كان المكان كبيرًا ففكر في أن لا ينشئ مسرحية طويلة منوعة تستغل كل إمكانات المكان وتنسف القيود التي تفرضها خشبة المسرح التقليدية، وكانت تلك بداية مسرحية «ميرلين». وتحمس الكاتب لها وما زال هو وزوجته يعملان حتى تَمَّت.

والمسرحية فيها شبه كبير بـ «فاوست» لجوته، وبملحمة «بارتسيفال» لفولفرام فون إيشينباخ. وهي تقوم على طائفة من الأفكار المحورية، منها مثلاً الفكرة التي خرج بها من «توللر» وهي أن الإنسان يحلم الأحلام الكبار يصنع بها حياة جديدة سعيدة، ولكنه يفشل في تحقيق هذه الحياة الجميلة المتخلية. والمسرحية تستخدم القالب الضخم المنوع: فيها عناصر الملهاة، والمأساة، والأغاني، والأوبرا والاستعراض والفقرات القصصية، وتهيؤات حالمة. وعرضت المسرحية لأول مرة في دسلدورف في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٨١ م، أخرجها ياروسلا كونديلا Jaroslav Chundel، ثم تلاها عرض في ميونيخ من إخراج ديتر دورن Dieter Dorn، وكان طول العرض في الحالتين نحو سبع ساعات مقسمة على ليلتين، وكان كل مخرج يختار أجزاء ويترك أجزاء، فلم يجرؤ أي واحدٍ منهما على إخراج النص كاملاً.



جوته — دورست

والشخصية المحورية هي شخصية ميرلين المعروفة في الأساطير الكلتية، وهو في المسرحية الساحر ابن الشيطان، ومستشار الملك أرتوس، ومخترع المائدة المستديرة. ويلعب ميرلين دورًا مركبًا فهو الذي يصرِّف مصائر الأشخاص، وهو الذي يؤلف بين خطوط الأحداث المتنافرة.

والكاتب يجعله مهيمنًا على النص، حاضرًا كان أو غائبًا والسؤال الجوهري المطروح هو السؤال عن مستقبل الإنسانية، أو مستقبل الحضارة، وهل ستنتهي إلى كارثة لا يعلم إلا الله مداها، أم إلى النجاة والخلاص ؟ وقد جعل الكاتب ميرلين يتلقى من أبيه الشيطان تكليفًا خبيثًا يتمثل في تحرير الإنسان من الخوف من الشر، أو قل تحريرهم لكي ينـدفعوا إلى الشر في غير ما وجل. لكن ميرلين سرعان ما عصى أمر أبيه ووقف إلى جانب البشر، معينًا لهم على المساواة والديمقراطية، واخترع لهم المائدة المستديرة رمزًا لهذا الفكر، ويجتمع حولها أعظم الفرسان، فرسان المائدة المستديرة، أو فرسان الملك أرتوس، في جو من المساواة والنِدِّية، أو قل من الديمقراطية، لتحقيق أهداف سامية هي : السلام بدلاً من الحرب، والنظام بدلاً من الفوضى، والعدل بدلاً من الظلم. وكان المفروض أن يصبح مجتمع المائدة المستديرة هو النموذج الذي تقتدي به الإنسانية حيثما كانت. ولكن انظر إلى الفرسان تجدهم يتناحرون وينسون الأهداف السامية العامة، ويفكرون في مصالحهم وأهوائهم، ولهذا يقعون في الخطأ والخطيئة، ويضلون السبيل. وهذا هو موردريد بن أرتوس من الحرام، يثور على أبيه ونظامه ومثله العليا، ثورةً تتحول إلى معركة دامية بين جيشين، جيش الأب وجيش الابن، وتنتهي الحياة الجميلة التي تعلقت بها الآمال. فلا يبقى على كوكب الأرض سوى الحديد والدم. لقد قام الدليل على أن التاريخ أقوى من أحلام المدينة الفاضلة، وأن الواقع أقوى من العقل.

وليست هذه النهاية الحزينة نذير شؤم، بل لعلها تحمل من الخبر الشيء الكثير لأنها نذير يحض على معرفة الحقيقة ومواجهتها. وأراد الكاتب بالعنوان الثاني للمسرحية «الأرض الجرداء» أن يقول : إن حضارة الإنسانية بكل ما فيها من اتفاقات وتوفيقات واختراعات وتخريجات ما هي إلا طبقة رقيقة هشة من الخضرة من تحتها أرض وعرة جرداء. وليس من الصعب أن نتبين في هذا النص المزاوجة بين حكمة الشرق والغرب، وتناول موضوعات إنسانية عامة تشغل بال الناس في العالم في كل زمان ومكان : الحق والخير والجمال والعدالة والسلام والنظام.

وحدثني تانكريد دورست بأنه فرغ من مسرحية يوشك أن يقدمها لتعرض على المسرح هي مسرحية «السيد باول» يتناول فيها مشكلة إنسانية حساسة هي ارتباط الإنسان بالمكان ارتباطًا يجعل من الصعب بل من المحال اقتلاعه منه.

وكلما طال ارتباط الإنسان بالمكان، تعمقت جذور الانتماء. ومن الممكن أن نفهم المشكلة على مستوى أمة، ومن الممكن أن نفهمها على مستوى فرد أو أفراد. وهذا هو السيد باول، رجل مثلي ومثلك، تقدمت به السن في سكن استأجره، وارتبطت به حياته، وهذا - بعد ذلك - شاب ورث البيت وأراد أن يستغله على نحو اقتصادي حديث، ولكنه لم يستطع أن يخرج الساكن القديم، الذي لم يخف من أن ينهدم المبنى المتهالك فوقه ولم يقع في أي شرك نصبه له الشاب. إنه باق في مكانه الذي ألفه، في بيته، ووطنه لا يتزحزح.



أبو حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ

د. ناول عبد الهادي

المعروف بهذه الكنية، نابغتان من نوابغ الفكر العربي، أحدهما شرقي، والآخر مغربي. أما الشرقي فهو أبو حيّان التوحيدي، فيلسوف الأدباء، المتوفى سنة ٤١٤هـ. وأما المغربي، فهو مترجَمنا أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي النفزي نسبة إلى نفزة بكسر النون وسكون الفاء من قبائل البربر، تنتمي إليها أسر كثيرة، وقد أنجبت نوابغ وعظماء أمثال طارق بن زياد، وعباس بن فرناس، وأبي البقاء الرندي ومن إليهم.

ولد **أبو حيان** بغرناطة أواخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ ـ ١٢٥٧م) وبها نشأ وتعلم، وقرأ القرآن وجوّده، وتوسع في علومه وقراءاته. لازم شيوخ غرناطة في فنون العربية حتى تبحر فيها، وأخذ علوم الحديث والتفسير عن جملة من مشايخ المغرب والأندلس.

رحل إلى مالقة، وسبتة، ولم يقم بفاس ـ كما يقول ـ إلا ثلاثة أيام أدرك فيها أبا القاسم المزياتي.

وكانت المائة الثامنة في تاريخ الأندلس شحيحة بالأئمة، عقيمة بالأفذاذ، وكان الجو مخنوقا، ومعالم الفكر محدودة، وكان أبو حيان متوقد الذهن، حاد البادرة، ينقد شيوخه، ويكثر من الاعتراض عليهم في مجالسهم. وقد ذاع صيته، وطارت شهرته، وهو في عنفوان الشباب، وأقرأ في حياة أشياخه، وأخذوا عنه كما أخذ عنهم. وحدثت بينه وبينهمَ ـ وكأنهم استصغروا شأنه ـ معارك كلامية، وخصومات عنيفة، أدت إلى كشف العُوَار، والتأليف في مساوئ المعارضين: فألف **أبو حيان** كتابه **«الإلماع في فساد إجازة ابن الطباع»**، وهو من ألمع شيوخه، فرفع أمره إلى السلطان محمد بن نصر الملقب بالفقيه، فامتعض له، وأمر بتنكيله، فلم ير بدا من أن يفر بنفسه، ويجتاز البحر مختفيا، فلحق بالمشرق، وهو يتوجس خيفة.

ويذكر لنا **أبو حيان** سببا آخر لخروجه من الأندلس، يقول: «ومما قوّى عزمي على الرحلة من غرناطة، أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة، والرياضي والطبيعي ـ قال للسلطان: إني قد كبرت، وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتب طلبة أعلمهم هذه العلوم لينفعوا السلطان من بعدي، فأشير إليّ أن أكون من أولئك، ويرتّب لي راتب جيد، وكساوٍ حسان، فتمنعت ورحلت مخافة أن أُكرَه على ذلك..» ومعلوم أن أبا حيان كان شديد البغض للفلسفة، وعلوم الطبيعة أو علوم الأوائل على حد تعبيره. وأيًا كان السبب فقد كانت هناك عوامل متعددة أرغمت أبا حيان على مغادرة الأندلس، وكان الشر يترقبه من حين لآخر وكان خروجه سنة تسع وسبعين وستمائة (٦٧٩هـ ـ ١٢٨١م).

شيوخه

وقد طوّف في كثير من البلدان، ودخل بلاد الحبشة، وحج إلى بيت الله الحرام، وتردد على الشام. **قال ابن الخطيب**: واستقر بمصر، فنال بها ما شاء من عز وشهرة، وتأثل وافر وحظوة، وأضحى بمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة. وكان مغرما بالروايات، وأخذ الإجازات من مشايخ العلم، وكانت في ذلك العصر بمنزلة الشهادات العليا الآن. وقلما دخل بلدا لم يأخذ فيه عن الشيوخ المرموقين، ويجيزوه بمروياتهم، حتى تحصّل لديه في هذا الباب ما لم يوجد لغيره من أهل عصره.



ويقدر عدد الشيوخ الذين سمع منهم بنحو خمسمائة، أما المجيزون فأكثر من ألف. قال: «سمعت بغرناطة، ومالقة، وبلش، والمرية، وبجاية، وتونس، والإسكندرية، والقاهرة، ودمياط، والجيزة، ومنية ابن خصيب، ودشنا، وقنا وقوص، وعذاب من بلاد السودان، وينبع، ومكة، وجدة، وايلة. أما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة، ومالقة وسبتة، وديار أفريقية، ومصر، والحجاز، والعراق، والشام..».

ومن شيوخه في المغرب: أبو الحكم مالك بن المرحل، أخذ عنه علوم الأدب، **وأبو القاسم العزفي**، أمير سبتة، روى عنه كتابه **«الدر المنظم، في المولد المعظم»**.

تـولى الإقـراء بـالجامع الأقمر، وجلس على كـرسي التفسير والحديث بالمدرسـة المنصوريـة، والتف حوله عـالم من التلاميذ والشيـوخ، وكان إمـامًا مُنْتَفَعا بـه، ألحق الصغارَ بـالكبار، وصار تـلاميذه أئمة وأشيـاخًا في حيـاته، وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء، يساعدهم ويطوي لهم المراحل حتى ينبغوا في أقرب وقت.

وهو ثبت فيما ينقل، مُتَحَرٍّ فيما يقـول، عارف باللغة، ضـابط لألفاظها. أما النحو والصرف فهـو إمام الدنيا فيهما، لـه اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقـاتهم وتواريخهم وحوادثهم وتقييد أسمائهم خصوصا المغاربة.

وإليه يـرجع الفضل في إشهار مصنفات ابن مالك، والتنـويه بها حتى عم نفعها الشرق والغـرب. والتـزم أن لا يقرئ أحـدًا إلا في كتـاب سيبويـه أو في التسهيل لابن مالك أو في مصنفاته.

صفاته

وكـان حسن العمة، مليح الـوجـه، زاهر اللـون، مشربـا بحمرة، منـور الشيبـة، كبير اللحية، مسترسل الشعـر فيه غير كثـة، قامتـه معتدلـة، ليس بالطويل ولا بـالقصير، عبارته فصيحة، لكنه في غير القرآن يعقـد القاف قريبا



جامع الأزهر

من الكاف، وهـي من لهجات أهل الأنـدلس، وبعض جهات المغـرب وكان شديد البسط، مهيبا جهوريا، مليح الحديث لا يُمَلّ وإن طال، انفرد في أهل عصره برواية كتاب سيبويـه، وكان يـعـتـز بذلك ويقول: لا أعـلـم راويا له ــ بمصر والشـام والعـراق واليمن والمشرق ــ غيري، وسنـده مشهـور عنـدنـا بالمغرب.

وكان يقول في مقدمة ابن الحاجب: هذه نحو الفقهـاء (ازدراء بها). قال فيه تلميذه الصفدي: «. . وكـان أمير المؤمنين في النحو، والشمس السافرة في الصحو، لو عاصر أئمة البصرة لبصرهم، أو أهل الكوفة لكف عنهم أتباعهم السـواد وحذرهم، نـزل منه كتـاب سيبـويه في وطنـه، بعد أن كـان طريـدا، وأصبح بـه التسهيل بعـد تعقيده مفيـدا، وعلى الجملـة، فهـو إمام النحـاة في

99

كان يُجلّ ابن تيمية، وتأثر بمجلسه، لكنهما اختلفا في مسائل

66

عصره شرقا وغـربا، وفـريد هذا الفن الفـذ بعدا وقربـا، خدم هـذا العلم مدة تقارب الثمانين، وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشبعة الأفانين.

يا سيبويه الـورى في الدهر لا عجب ... إذا الخليلُ غـدا يفـديك بـالعين

وكـانت أوقاتـه كلها مـا بين تـدريس وتأليف، وقراءة وكتـابة، لا يعـرف الراحة في العمل، كثير التجوال على المكاتب.

المرأة في حياته

وكانت لـه حظوة وخصـوصية عنـد أمير العصر سيف الدين أرغـون ـ ولما توفيت ابنته نضار ــ وكانت عالمة أديبة ـ طلب من السلطـان الناصر أن يدفنها في بيتـه بـالبرقية داخـل القاهـرة، فأذن لـه في ذلك، وكـان لا يـدفن في ذلك الموضع إلا خواص الملك. وكـانت وفاتها سنة ٧٣٠هـ ـ فوجد عليها والـدها وجدا عظيما، وانقطع عند قبرها نحو سنـة، وألف فيها كتابا سماه «**النضار، في المسلاة عن نضار**» وبكاها بقصائد تعتبر من أروع شعره في الرثاء.

وكـانت تحفظ علوم أبيهـا، وشاركتـه في بعض شيوخـه، وخرّجت جـزءًا لنفسها، وكـانت تجيد العربيـة، وتنظم الشعر. وكان أبـوها يقول ليت أخـاها حيّان كان مثلها!

وكانت معتقتـه (زمرد) أم ولده حيـان ـ عـالمة ومسندة، روت عن كثير من الشيوخ، وجمعت مروياتها في جزء لطيف، وكان أبـو حيان شغوفا بحبها وفيها يقول:

جننت بها سـوداء لـون ونـاظـر ... ويـا طـالما كـان الجنـون بسـودا

وهـذا يـدلنـا على مـدى تقـدم المرأة المسلمـة في العصـور الـوسطى، مع المحافظة على ثقافتها الدينيـة، ومظهرها المحتشم. على أن بيت أبي حيان كان عبـارة عن نادٍ ثقـافي، يغشاه العلماء والأدبـاء والشعراء والـرواة، فهو كما يقـول تلميذه ابن السبكي في الطبقات: «. . كعبـة علم تُحَج ولا تَحج، ويُقْصَد من كل فج، تَضرِب إليـه الإبل آباطها، وتفـد عليه كل طـائفة سفـرا لا يعرف إلا بـارق البيد بسـاطها، عم المسير إليـه الغدو والـرواح، وتنافس على أرج ثنـائه مسك الليل وكافـور الصبح، ولقد كان أرقّ من النسيم نفسا، وأعـذب مما في الكـؤوس لعسـا، طلعت شمسـه من مغـربها، واقتعـد مصر فكـان نهايـة مطلبها. .».

وكان أبو حيـان على مذهب الظاهريـة، يميل إلى التشيع، ويبالغ في محبة علي. حارب التقليـد والجمود، ونـاهض أهل البدع والزيغ، ونـدد بالمتصـوفة الدجـالين، سأله بعضهم عن **أبي مدين الغوث** فقال: رجل مسلم دين، إلا أنه لا يطير في الهواء، ولا يصلي الخمس بمكة.

وكان يُجِلّ ابن تيمية، حضر مجلسه يـوما وهـو غاص بتلاميـذه ومريـديه



أبو حيـان الأنـدلسي الغـرناطي

فهالـه أمره، وتأثـر بمجلسه الـرهيب، فارتجل قصيـدة يمدحـه فيها يقـول في مطلعها :

لما أتينـــا تقيَّ الـــدين لاح لنـــا ... داعٍ إلى الله فـــردٌ مـــالـــه وزر

على محيـــاه من سيما الألى صَحِبـوا ... خيرَ البريـــة نـورٌ دونـــه القمـــرُ

إلى أن يقول :

كنـا نتحـدث عن حبر يجيء، وهـا ... أنت الإمـام الـذي قـد كـان يُنْتَظَـر

ثم انحرف عنـه لأسباب : منها أنهما اختلفـا في مسألة، فقال أبـو حيان : كذا قال سيبويه. فقال ابن تيمية يكذب سيبويه، وفي رواية : أهو نبي النحو؟ وقد أخطـأ في ثلاثين مـوضعا من كتـابه! ويقال إن أبـا حيان وقـف على كتاب «العرش» لابن تيميـة، فرآه يميـل إلى التجسيم (وهو من ذلك بـراء)، فأنكـر عليه ذلـك، ورماه في كتـابه «النهر» بكل سـوء، ولابد لـلأبطـال أن يتقارعـوا ويترايشـوا السهام، سيما وصـاحبنـا أبو حيـان ـ حاد المزاج، سليط اللسـان، يسيء الظنون بـالناس لأدنى هفوة، ويؤاخـذ الجماعة بجريـرة الفرد! ويعمم في محل التخصيص، ومن نفثاته :

وأوصـــاني الـــرَّضِيُّ وَصَـــاةَ نُصح ... وكــــان مُهـــذَّبـــا شهما أبيّـــا

بـأن لا تُحْسِنَـنْ ظَنًّـــا بشخـصٍ ... ولا تصحبْ حيـــاتَكَ مَغــرِبيّــا

"

الشيوخ الذين سمع منهم يقدرون بنحو خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف

"

افتخاره بالبخل !

على أنـه كان أمينـا صـدوقـا، حجة، سـالم العقيـدة، عاريـا عن البـدع الفلسفية، بريئًا من الاعتـزال والتجسيم، سريع الدمعة، كثير الخشوع، يبكي عند قراءة القرآن، ويجري دمعه إذا سمع الشعر الرقيق. وكـان يفتخر بالبخل كما يفتخـر الناس بـالكرم، ويقول : أتأثـر بكل الأشعـار سـواء منها الغـزلي والحماسي ـ إلا أشعـار الكرم فإنها لا تـؤثر فيّ! ومن وصـاياه لبعض تـلاميذه : احفظ دراهمك، ودع يقال عنك بخيل ولا تحتج إلى الأراذل، وينشد :

رجـاؤك فلسـا غـــدا في حفـائلي ... قنيصـا رجـالا للنتــاج من العقم

أأتعبُ في تحصيلـــه وأضِيعُـــهُ ... إذن كنت معتاضـا من البُرْءِ بالقسم

ولعل مما يفسر لنا هذا الاتجاه الغريب من أبي حيان ـ أنه رجل طال عمره، وتغرب، وطوف البلاد ولا شيء معـه، وتعب، حتى حصل المناصب، وجرب الناس وحلب أشطر الدهر، ومـرت به حوادث، فاستعمل الحزم، وربما عاش على التقشف. ومن بنـود مـذهبـه في التقشف، أو التقتير على الأصح، أن الفقير في مصر يكفيه أربعـة أفلس : يشتري له بائتـة بفلسين، وبفلس زبيبا، وبفلس كوز ماء، ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز.

وكان يعيـب على مشتري الكتب ويقول : الله يرزقـك عقلا تعيش بـه! أنا أيّ كتاب أردتـه استعرتـه من خزائن الأوقـاف، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم ما أجد ذلك، وينشد :

إن الـــدراهم والنســـاء : كـــلاهما ... لا تـأمنَنَّ عليهما إنســـــانـــــا

ينـــزعن ذا اللـب المتين من التقى ... فترى إســـاءة فعلـــه إحســـانـــا

وهذه شنشنة نعـرفها من أخزم، فقد كان أبو الأسـود الدؤلي واضع النحو بخيلا، وكـان كثير من النحويين بخلاء، يبخلـون حتى على أنفسهم ولا يرون في ذلك غضاضة!

عمّر أبو حيان طويلا، وناف على التسعين، وكف بصره، وعاش في كسر بيتـه رهين المحبسين! وكانت وفـاته ثـامن وعشرين صفـر عام خمسـة وأربعين وسبعمائة (٧٤٥هـ ـ ١٣٤٤م) بعـد أن تفـرغ لتـدريس الحديث بـالمدرسـة الصالحية، وقد أحضَرَ إليه تقي الدين السبكـي ولده تاج الدين الإمام الشـهير ـ وهـو ولد صغير ـ وقال لـه : يا بني، هـو غنيمة، ولعلـك لا تجده في سفرة أخرى، قال : وكذلك كان.

مؤلفاته

فقـد قضى أبـو حيـان هـذا العمـر الطـويل في خـدمـة العلم والثقـافـة الإنسانية، وتخرج عليـه أجيال من التلاميذ والشيوخ، وخلف لنا مكتبـة هائلة في مختلف العلـوم والفنـون، ومؤلفـاتـه نحـو خمسين أو تـزيد، مـا بين مُطوّل ومختصر، وأكثرها يعتبر مفقـودا إلى الآن. وقـد طبع منها : «البحـر» تفسير في ثمانية مجلدات، ومختصره «النهـر» وتطغى عليهما النزعة النحويـة، ولذا يقال : فيهما كلُّ شيء إلا التفسير. و«تحفة الأريب في غريب القرآن» و«نهج السالك في الكـلام على ألفيـة ابن مـالك». ويـوجد منهـا مخطـوطـا في بعض المكتبـات ـ «التقـريـب» بخطـة، و«التذييل والتكميل في شرح التسهيـل»، وهو مطـول، واختصره في «الارتشاق». قال السيوطي : لم يـؤلف في العربية مثلهما، وعليهما اعتمدت في كتابي «جمع الجوامع». و«المبدع في التصريف»، و«اللمحة البدرية في علم العربيـة» و«عقد اللآلي» في القـراءات، وله رسائل أدبية، ومـوشحات وديوان شعر توجد منه نسخة فريدة بالمغرب.

وكـان أبو حيـان يجيـد ـ إلى جـانب اللغـة العـربيـة ـ عـدة لغات أجنبيـة كالفارسية والتركيـة، والحبشية. وله فيها مؤلفات. «كـالإدراك للسان الأتراك» وهو مطبـوع و«زهو الملك في نحو الترك»، و«مقطف الخرس في لسـان الفرس» و«نور الغبش في لسان الحبش» وغيرها. وله مقطعات شعرية مترجمة.

حوار مع :

د. محمد رجب البيومي

الواقع الأدبي مريض!

أجراه: فرج مجاهد عبد الوهاب


د. محمد رجب البيومي

تجتمع الاهتمامات الشعرية والنثرية في شخص الدكتور محمد رجب البيومي، فله إنتاج أدبي مشهود، يتمثل في عدة دواوين شعرية وروايات ومسرحيات، فضلا عن البحوث والمقالات، التي عرف بكتابتها مبكرا بدءا بمجلتي « الرسالة » و « الثقافة » المصريتين.

وفي هذا اللقاء يتحدث الدكتور البيومي عن تجربته الأدبية وعن آرائه حول العديد من قضايا الأدب والثقافة.

أحداث الطفولة والشباب

● هناك علامات وأحداث بارزة في مرحلتي الطفولة والشباب تؤثر في تغيير المسار الفكري والعلمي للإنسان. هل لنا أن نتعرف هذه الأحداث؟

□ الذي أثر في حياتي أنني حفظت القرآن، وتخرجت في المدرسة الإلزامية في سن التاسعة، وكان التلميذ لا يلتحق بالأزهر إلا في سن الثانية عشرة، فبقي أمامي ثلاث سنين. وكان والدي يريد أن يلحقني بالأزهر فجعلني أستعد بالقراءة. ودخلت مكتبة والدي فوجدت بها كتاب « **كليلة ودمنة** » بقصصه المختلفة التي تناسب الكبار والصغار، فالكبير يفهم قصصه بأبعادها الفلسفية وإيحاءاتها السلوكية والأخلاقية، أما الصغار (ـ مثلي ـ) فيجدون المتعة ـ في سرد أحداث القصة وتعرّف شخصياتها. ومنذ ذلك الوقت أحببت الأدب من خلال هذا الكتاب. وفي هذا الوقت ظهر ديوان «**حافظ إبراهيم** » وكان يباع بسبعة قروش، فاشتراه والدي ونسخ منه قصيدة « عمرية حافظ »:

حسبُ القوافي وحسبي حين أُلقيها

أني إلى ساحة الفاروق أهديها

فحفظتها. ومن هنا تعلقت بالشعر والأدب.

وعندما التحقت بالمعهد الأزهري بدمياط كنت مكتملاً ـ في نظري ـ بالنسبة لزملائي من الناحية الثقافية، وبدأت أكتب في مجلات إقليمية تصدر في دمياط، وأذكر أنني قرأت مجلة اسمها « **الإسلام** » وكانت بها مقالة بعنوان « **إسلام عمر** »، فلما قرأتها وجدتها تحوي أفكارا مكرورة متداولة بين الناس، ففكرت في أن أكتب مثل ذلك. ووقع في يدي كتاب « **شرح قصيدة بانت سعاد «لكعب بن زهير،** فقرأت القصيدة، وكتبتها بأسلوبي، وأرسلتها إلى مجلة «**الإسلام**»، فنشرتها في العدد التالي، فكان ذلك تشجيعا لي لأواصل المسير على الدرب، وكنت أكتب ولا أعرف أنني أهل للكتابة، وكانت القيمة الحقيقية ـ في تقديري ـ نشر المقالة، أما كونها جيدة أو غير ذلك فلم أستطع الحكم حينئذ.

أضف إلى ذلك أن مدرس الإنشاء كان يمنحني الثقة بتقويمه المشجع. وبعد ذلك وجهني أمين المكتبة إلى مجلة « **الرسالة** »، فكنت أشتريها يوم الأحد و« **الثقافة** » يوم الاثنين وأقرأهما في نهم وشغف، فالرسالة كان يكتب فيها **أحمد حسن الزيات، والعقاد، والمازني، وشكري، وهؤلاء قمم عالية**، أما مجلة «**الثقافة**» فكان يكتب فيها **أحمد أمين، ومحمد فريد أبو حديد، وعوض محمد،**

ولكل واحد منهم أسلوبه وفكره. ومع أنني كنت صغيرا لم أفطن إلى كل هذا، إلا أنني حفظت كل الشعر الذي قيل في ذلك العصر، وقد منّ الله عليّ فتفتحت شاعريتي من خلال هاتين المجلتين. أما مجلة « **الرواية** » فكنت اطّلع عليها، ولم يكن عندي اتجاه للقصة، ولم أكن أفهم من القصة سوى أنها «**حدوتة**»، أما القصة كشريحة من شرائح المجتمع، تعبر عن خلجات النفس، وتعالج مشكلة، فلم يكن هذا المعنى في ذهني؛ لأن أساتذة الأدب في الأزهر حينذاك كانوا يدرسون أدب التراث المتمثل في المعلقات والمقامات ولم يتصلوا بالأدب الحديث، ومن ثم فمفهوم القصة بمعناه الفني الحديث لم يكن واضحا في ذهني.

شخصيات لها تأثيرها

● ما الشخصيات التي أثرت في مراحل حياتك المختلفة؟

□ هناك شخصيات لها أثر عظيم في حياتي الأولى، منها شخصية **محمد فريد وجدي** وهو أستاذ **العقاد**، هذا الرجل أحببته كثيرا، فعندما كتبت المقالة الأولى في مجلة « **الإسلام**» ذهبت إلى الأستاذ أمين المعهد فقال لي: لماذا لا تكتب في مجلة

د. محمد رجب البيومي



«الأزهر» ؟، وكان هذا دافعا لي حيث وجدت في صحيح البخاري حديثًا بعنوان « إسلام هرقل » فكتبت مقالة، وصفت فيها الحديث بأسلوبي، وأرسلتها إلى **محمد فريد وجدي رئيس تحرير مجلة «الأزهر»، ففوجئت بطرد يصلني بعد أيام، وفيه جميع مؤلفات محمد فريد وجدي هدية ومعه خطاب يقول فيه : « إن المقالة بها موهبة ولكنها لا تصلح للنشر؛ لأن الذي يريد أن يكتب لا يكتفي بما هو معلوم ولكن يجب أن يضيف الجديد، فأنا أنصحك أن تقرأ كثيرا للأدباء الكبار، وتجعل هذا الموضوع عناصر عدة، فإذا استطعت أن تضيف الجديد فاكتب إليّ ثانية »**. هذا التوجيه كان ممتازًا وقد سررت من هذا الخطاب، وبدأت أقرأ في « **الرسالة** » و« **الثقافة** » فوجدت الأبحاث المنشورة فيها تعرض المعلومات البسيطة، وبخاصة عند **محمد سعيد العريان** عندما كان يكتب عن الأعلام، كان يأتي بالفكرة المعروفة في التاريخ، فيضيف إليها من ذاته وتخيلاته، مما يجعلها قصة جميلة، فبدأت أفهم التوجيه الذي وجهني إليه **محمد فريد وجدي**، ثم بعد ذلك قابلته عندما ذهبت إلى القاهرة في أثناء دراستي، وكان أستاذ الأساتذة، وهو زميل **مصطفى كامل ومحمد فريد**، وقد ذكرته بنفسي، فقابلني باحترام، ولاحظت في أثناء المقابلة ملاحظة غريبة أثرت في نفسي؛ فعند دخول الخادم الحجرة كان يقف له، وسألته في ذلك فقال : إن الأجانب أقف لهم أمامه، فلماذا لا أقف له وهو يخدمني أكثر من هؤلاء ؟! هذه الكلمة ألقت عليّ درسا لا أنساه، وعرفتني قيمة المساواة الحقيقية، ولذلك فإنني أكتب عنه كل عام لبعث ذكراه، من قبل الاعتراف بمكانته. وسوف يصدر قريبا كتاب «**السيرة النبوية في ضوء العلم والفلسفة**». مقالات لمحمد فريد وجدي لأنني وجدت كتاب «سيرة الرسول»، تأليف **محمود سامي الصبان** وكله كلام فريد وجدي، فأردت بكتابي هذا أن **أفضح سارق فريد وجدي**.

والشخصية الثانية هي عبد الرحمن شكري، وهو أديب عظيم وأنا أعرف أنه منكور، وكان لي صديق اسمه **نقولا يوسف**، قلت له يوما : أريد أن أقابل شكري، فقال لي : إنه يعاني من المرض ويعيش عالة على أقاربه، فتألمت كثيرا، وأضاف قائلا : إذا أردت إسعاده فاكتب عنه، فكتبت عنه في مجلة « **العالم العربي** »، وأرسلتها إليه فسعد. وذهبت لمقابلته وكنت حافظًا أكثر شعره، وقد جمعت ديوانه أنا ونقولا يوسف وكتبت مقدمته الأدبية. كما أن بيني وبين شكري مراسلات، وقد يوفقني الله يوما إلى جمعها ونشرها.

أمّا الشخصية الثالثة فهي أحمد حسن الزيات؛ لأنه شجعني بنشر كتاباتي في « **الرسالة** »، وأنا طالب بالمعهد، مع أن كثيرًا من الأساتذة لم



عبد الرحمن شكري



الزيات

يكن باستطاعتهم النشر فيها، وقد شجعني **أحمد أمين** بنشر مقالاتي في « **الثقافة** »، إلا أن الزيات استفدت منه كصديق، أما أحمد أمين فكموجه، حيث كان يناقشني في المقالة بأستاذية؛ فقد كان عميد كلية الآداب. أما الزيات فقد كان من مدرسة البيان العربي، وأصحابها أربعة : **الزيات، البشري، الرافعي، المنفلوطي**، إلا أن الزيات كان أقرب في كلامه إلى الشعر.

هؤلاء قد شجعوني، أضف إلى ذلك انتسابي إلى جماعة الإخوان المسلمين الذي أفادني كثيرا، وكانت مجلة « **الإخوان المسلمين** » لا تخلو من قصيدة لي، وعندما كبرت لم ألق بالا لشعر الشباب؛ لأنه يمثل الطفولة ولا يمثل النضج

الشعر أقرب إلي

● **كتبت الشعر والمسرحية والرواية والمقالة، فأي هذه الفنون الأدبية أقرب إليك ؟ وهل كان لعملك ناقدا تأثير على إبداعك ؟**

□ الشعر هو الأقرب إلى نفسي، ولكني لجأت إلى المقالة لظروف خاصة، مع أن هوايتي الشعر والمسرحية، وقد حصلت على جوائز المجمع اللغوي عن ديوان « **صدى الأيام** » وثلاث المسرحيات. وإنني ألتزم بفكرة في الشعر هي فكرة التعبير عن الخواطر الذاتية، وأرى أن العقل يأتي دوره بعد العاطفة، فلا بد أن تشعر أولا. وكان لاطلاعي على المعارك النقدية الأثر الذي جعلني أميل إلى **مدرسة الديوان**، وأميل إلى طريقتها في الشعر، فمدرسة الديوان لها عيوب ولها محاسن، فمن محاسنها أنها تبرز التجربة الشخصية، ولا بد للشاعر أن يكون له تجربة، كما إنها تؤكد على الوحدة الموضوعية في القصيد، وتهتم بترتيب الأبيات. أما عيوبها فثقافتها أكبر من عاطفتها، فعقلية العقاد في شعره تغلب على عاطفته. وهذا يفيد النثر. أما الشعر فلا؛ فالعقلية متغلغلة عندهم، فديوانهم مثل ديوان أبي العلاء المعري، أضف إلى ذلك أنني في شعري حاولت التخلص من جفاف هذه المدرسة وعيوبها.

الواقع الأدبي مريض

● **كيف يمكن وصف الواقع الأدبي الآن بأبعاده المختلفة ؟**

□ الواقع الأدبي في مصر مريض؛ لأن المشرفين على الجرائد والمجلات غير جديرين بهذا الإشراف، **ففي الماضي كان رئيس تحرير الأهرام « أنطون الجميل » والسياسي « محمد حسين هيكل » والبلاغ « عبد القادر حمزة » والجهاد « محمد توفيق دياب ». كانوا جميعا أعضاء في مجمع اللغة العربية، فكانوا يوجهون الشباب، ولا ينشرون إلا الجيد**، فكانت المجلة جامعة، وكان هؤلاء يقدمون المواهب الحقيقية، أما الآن فالموجودون على الساحة الأدبية أناس جاؤوا عن طريق القوى العاملة، فهم يكتبون لأنهم عينوا، لا لأنهم موهوبون.

أما على المستوى العربي فإن الإمكانات عندهم استطاعت أن تضعهم على الطريق الصحيح، فعلى سبيل المثال نجد أن المملكة العربية السعودية لم تفرط في حق الأدب فَرَعَتْهُ من خلال المجلات

والنوادي والجماعات الأدبية التي واكبت التطور، والغرس في طريق النمو، فالفكر يحتاج آمادًا، بالإضافة إلى **جائزة الملك فيصل التي تدل على مدى اهتمام المملكة بالبحث الأدبي والعلمي الجاد**، وهي جائزة لها لجان على مستوى العالم العربي والعالم أجمع، فهي جادة محايدة في حكمها، على خلاف بقية الجوائز التي لا تخلو من غرض. فمثلاً جائزة نوبل، لماذا اختارت رواية «أولاد حارتنا» بالذات؟ ولكن مع هذا فالجائزة صادفت من يستحقها بغض النظر عن هذه الرواية.

● وماذا تقول عن النقد العربي؟ وهل يمكن أن يكون لنا مذهب نقدي؟

□ يوجد عندنا نقاد جيدون مثل **عبد القادر القط وعز الدين إسماعيل وشكري عياد وعلي شلش**، وفي إمكانهم أن يوجدوا حركة نقدية، أما مذهب نقدي فإلى الآن ليس لدينا للأسف.

لا أفهم الشعر الحر

● نعود إلى إبداعكم الشعري - هل يمكن أن نعرف ما الشعر عند الدكتور رجب البيومي؟ وهل لكم رأي في الشعر الحر؟

□ الشعر هو هواتف النفس؛ لأن الشعر يلزم فيه التجربة، والشعر يحتاج إلى الصدق والبيان أيضا، فأنا لا أقول شعرًا إلا بعد أن أشعر، وبعد أن أتلمس هذه المشاعر، وبعد ذلك أجيد معاناة التجربة وتمثيلها، أما البيان فيجب أن يكون على العمود العربي وعلى الصياغة القديمة. هذا مذهبي فإذا خالفني شخص آخر فلكل وجهة هو موليها.

أما عن الشعر الحر فأنا لا أقرؤه لأني لا أفهمه، فوظيفة الشعر الأولى هي التعبير عن المشاعر، فإذا كان الشعر لغزا أمامي، وتحول إلى قضية رياضية ومعادلة حسابية، فكأني أمام فلسفة، لا أمام شعر. إذن قضية الشعر الأولى قضى عليها الغموض. الإنسان يريد أن يجد نفسه في القصيدة، فإذا لم يجد نفسه فلا يكون هذا شعرا، والأمر يستوي بين القصيدة العمودية والقصيدة النثرية، وهناك بعض الأمثلة لميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران، لأنهم يكتبون الشعر النثري، ومع ذلك نجد فيه عواطفنا، أما أن نجد أشياء أشبه بالطلاسم فهذا ليس شعرا.

● لك تجربة خاصة في ديوان «حصاد الدمع» رثيت فيه زوجتك، فكيف تنظر إليها الآن؟

□ أعتز بهذا الديوان؛ لأنه صدى صادق لنفسي، لم أكذب فيه أبدًا، وكتبته كله في ثلاثة أشهر، حيث كانت عواطفي ملتهبة، فكان بمنزلة تنفيس عن مشاعري، ولذلك أعتز به؛ لأنه رمز الصدق والوفاء، وأشعر بيني وبين نفسي أنني أديت نحو زوجتي واجبًا تستحقه.

القرآن والأدب العالي

● ارتباطك بالقرآن الكريم كان له أكبر الأثر في ديوان «من نبع القرآن». كيف كان ذلك؟

□ القرآن الكريم مادة لا تنضب؛ لأنه يوحي إلى الأديب بمشاعر كثيرة، وكانت المجلات الإسلامية تطلب مني قصصا وقصائد، فاتجهت هذا الاتجاه لأرضي الأستاذ محمد سعيد العامودي رئيس تحرير مجلتَيْ «الحج» و«الرابطة»، حيث قال لي: إن باب الشعر الإسلامي عندي ضعيف ويأتي إليّ النظامون، ولكني أريد الشعراء فعلا، ففكرت ماذا أصنع؟ قلت: أستلهم تلك القصص، وأولها قصيدة بلال، وكان لها وقعها الطيب لدى القراء، فشجعني هذا على أن أكتب بعدها حديث الإفك، فلاقت نجاحا أيضا. وطالبني الأستاذ العامودي بالاستمرار الذي لقي هوى في نفسي، أما كونه يمثل الأدب العالي؛ فلأنني عشت جو النص، وكان يجب أن أبتعد عنه وآتي بشيئ من الخيال، وهذه القصص تصلح أن تكون نواة لمن يريد أن يسير بها إلى الإمام، ولمن يريد أن يحلق بالخيال؛ لأنني كنت في الواقع ملتزمًا بالنص فإذا تجاوزته ففي حدود قليلة.

❞ الأدب ارتقاء بالمشاعر والأحاسيس، فهل الأدب المكشوف كذلك؟ ❝

المصادرة والأدب المكشوف

● كتبت عن «الأيام» و« في الشعر الجاهلي » للدكتور طه حسين، وفندت كل ما جاء فيهما من هجوم على الأزهر ومخالفة للعقيدة الإسلامية، ولك محاضرة يعرفها الجمهور السعودي جيدًا، ترد فيها على دعاة الأدب المكشوف. كيف ترى المواجهة مع الكتب المنحرفة دينيا وأخلاقيا، والتي كثرت بشكل واضح هذه الأيام؟

□ أولاً المصادرة تزيد الانتشار، فكل مصادرة في هذا العالم ترفع من المصادَر، ونحن لا نؤيد المصادرة، ولكن من حق الدولة أن تصادر، فحرية الفكر لا تعني النيل من الدين والعقيدة بينما نثور عند سب الآباء والأقرباء.

أما بالنسبة للأدب المكشوف فيجب علينا أولا أن نفهم ما هي رسالة الأدب؟ الأدب ارتقاء بالمشاعر والأحاسيس، فإذا قرأت قصيدة مكشوفة في وصف المرأة فهل ترتقي مشاعرك؟! والإجابة واضحة. ويزداد التأثير على الشباب فينام طول الليل مؤرقا. أما إذا قرأت قصيدة غزل عفيف تدعو إلى السمو فإنك تشعر بالراحة.

فرسالة الأدب هي الارتقاء بالمشاعر والأحاسيس، فإذا كانت رسالة الأدب المكشوف هي هبوط الإنسان وجعله منحلا، فليست هذه رسالة الأدب، الذي هو تعبير جميل عن المعنى النبيل، أما المعنى الهابط فإنه يفيد المحلل النفسي أو عالم الاجتماع. والأديب الراقي لا يكون راقيًا إلا إذا تكلم عن المعاني الجميلة، ومن هنا فالأدب مصدر غذاء روحي.

تميز أدب المرأة

● هل للاختلافات بين الرجل والمرأة

د. محمد رجب البيومي



أثــر في تميــز أدب المرأة من أدب الرجال؟

□ كثيرًا مـا يحدث هــذا؛ لأن المرأة أدرى بتحليل نفسيـة زميلاتها وأدرى بنـواحي الحنـان.

وأضرب لك مثلا بـوداد سكـاكيني، لها مجمـوعـة قصصية تسمى «**بين النيل والنخيل**»، عندما تقرأ هـذه المجمـوعة تحس بأحـاسيس المرأة بـالضبط، الضرتــان، العانس، المطلقـة، تجد مشاعـر المرأة مرسومة بدقة. أما الرجل فتجده يكتب هذه الأمور بعقلـه، ولا يتغلغل إلى الدقـائق كما تتغلغل المرأة، فالمرأة لها عالمها الخاص الـذي تجيده، وهو المتصل بالأسرة.

● **ولكننا نجـد بعض الأدبـاء برع في تصـويـر المشـاعـر النسـائيـة، مثل إحسـان عبـد القدوس وجـوستـاف فلوبير.**

□ نعم هـذا صحيح، ومعنى أن الـرجل قـد بـرع، لا يعني أن المرأة لم تبرع، فهي لها عــالمهـا الخاص كما ذكرت، وعنـدما أقـرأ لجاذبية صـدقي وأقرأ لوداد سكاكيني أشعر براحة تجاه الأخيرة، أما كاتبـات مثل نوال السعـداوي ولطيفة الزيـات فلا تشعر بروح المرأة في أدبهن.

● **وما رأيكم في قضية الأدب المكتوب باللهجة العامية ؟**

□ الأدب المكتـوب بــاللهجـة العـاميــة لـه أنصاره، وإن كـان طعا مـا لا نشارك فيـه، إلا أنه يعبر عن المشـاعر والأحـاسيس، فإذا كـان الأدب العـامي يأتي بأحـاسيس جـديـدة ويعبر عن واقع جميل فنحن نحبه. ونستشهد ببيرم التونسي، وكان شاعـر الشعب، وكذلك عـزت صقر الـذي يقول هذين البيتين الجميلين:

لــه يــا بــابــا أنت بتسهــر
وبتصرف في فلــوسنــا وتسكــر
هــو أنت يــا بــابـا دايما تصغــر
اشمعنى أنـــــا وأختي بنكبر

فأيـة مشاعـر إذا كـانت صـادقة في أي ثـوب نـرحب بها، والأدب من مـزايـاه السهـولـة، وهي موجودة في اللغة العربيـة، بدليل أن العامي الذي لا يفقه شيئـا عندما يسمع القرآن يفهمـه، والقرآن أسمى آيات البيـان العربي. ودعـوى أن العامي لا يفهم اللغة العربية دعـوى مكذوبة، فهو لا يفهم اللغة المتقعرة، أما اللغة السلسة فيفهمها ويحبها.

أدب السيرة الذاتية

● **قـال بعضهم: إن السيرة الـذاتيـة يجب أن تكتب بأمانة شـديدة، وقال بعضهم الآخــر وعلى رأسهم نجيب محفوظ: إن أدب السيرة الذاتية يجب أن يكون للقادة العسكريين فقط، ولا يجب الخوض في أحـداث عـائليـة ، مثلما حدث في سيرة الـدكتور لـويس عوض مثلا. فما تعليقكم على ذلك ؟**

□ لا يوجد أدب ذاتي مائة بالمائة؛ لأن الأديب - لا شعوريا - يحب نفسه، ومهما ادعى من فضائح يحاول أن يبررها، وقـد يختلق أشياء غير مـوجودة، فالصدق الكامل في أدب السيرة الذاتية لا نعتقد أنه موجود إطلاقا، حتى طه حسين في «الأيام» تعرض لعـائلتـه، وكل ذلك لكن يبين أنـه لاقى عقبـات كثيرة وسيطـر عليهـا، مع أن الــواقع غير ذلك.

فالأدب الـذاتي لا يخلو من تحيز، وبعض الكتاب من يجعلـه موضـوعيا مثل أحمد أمين في «حيـاتي»، وهنا نستطيع أن نقول: لا شعوريا يحاول أن يبرر ما يأتي، حتى لو كان أدبا مكشوفا مثل اعترافات جان جاك روسو، أما اعترافات تولستوي فهي نظيفة.

الأدب الإسلامي ليس جديدا

● **ما هو تصوركم للأدب الإسلامي؟ وهل يمكن لــلأدب الإســلامي أن يساعد في الدعـوة الإسلامية بترسيخه مبادئ الإسلام وقيمه ؟**

□ الأدب الإســلامي موجـود الآن وهـو ليس شيئا جديدا؛ لأنه بدأ منذ فجر الدعوة. وكل مـا يتجه للفضـائل الإسلامية هـو أدب إســلامي، ومن حقنــا أن نتجـه إلى هــذا الأدب وننميه؛ لأن جناح الأدب الداعر زاد عن حده، فلا بد أن يقابله جناح آخر.

والأدب الإسلامي أدب قائم على مبادئ الحرية والمساواة والعـدل، والدعوة الإسـلامية ليست غير ذلك، فإذا كانت هذه هي رسالة الدعوة الإسلامية فلا بد أن يكون الأدب كذلك.

تجربة الكتابة للطفل

● **لكم تجربة في الكتـابة للطفل وهي تجربة صعبـة حيث لم نجد الكثير من الأدباء كتبوا للطفل، فما الصعوبات التي واجهتكم في ذلك وكيف تغلبتم عليها؟**

□ كـاتب الطفل لا بــد أن يكـون ملما بعلم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ويعرف مستوى الأطفال، وقد طلب مني الكتـابة للطفل ولا أدري أكـانت التجـربـة ناجحـة أم لا ؟ وهنـاك كتّـاب معروفون بالكتابة للطفل مثل **محمد عطية الإبراشي وكامل كيلاني وعبـد التواب يوسف** وقد أجادوا في ذلك.

وكنت قد كتبت مقالة بعنوان «رباب وقصص الأطفـال» وقلـت إننـا نخـرب الأطفــال بقصص البطولـة الزائفـة والخرافة، ويجب أن يتحلى كـاتب الطفل بسمات، فلا بـد أن يرجع للطفـولة، وليس كل شخص قادر على ذلك.

● **أخيرا، هل تـرى أن الشعر تـراجع وأن الرواية أصبحت ديوان العرب ؟**

□ فعلا الشعـر قد تراجع وذاع صيت الـرواية عنـدنا، والسبب في ذلك أن المجـلات والصحف احتفلت بـالرواية، ولها حق في ذلـك؛ لأن القارئ أقبل على الرواية، وزهد في الشعر لغموضه، وقارئ الرواية هو الجمهور.

أما قارئ الشعـر فهو المثقف، فكان يجب على المجلات والصحف أن تهتم بالمثقف وتجعل للشعر نصيبــا، ولكنهم ببحثهم عن الـــربح اهتمــوا بالرواية.

○ ○

الطيب صالح في منظور النقد البنيوي

تأليف: د. يوسف نور عوض
عرض: سمير أحمد الشريف

تحدث الدكتور يوسف نور عوض عن ظهور الطيب صالح في الحياة الأدبية بشكل يُعَدُّ حَدَثًا فريدا لـم يتكرر كثيرًا في تاريخ الأدب العربي الحديث، من حيث إن الطيب صالح لم تقدمه للحياة الأدبية حركة فكريـة (أيدلوجية) استهدفت أن تجعله صوتا لها، وإنه لـم يكن واحدا من الكتاب الذين تعوّد القارئ العربي مطالعة أسمائهم في المجلات والصحف، إضافة إلى أنه كاتب مقل لا يمكن مقارنة أعماله في حساب الكم بأعمال الكتّاب الذين بلغوا المكانة نفسها.

ظهر الطيب صالح ولم يكن رصيده في الحيـاة الأدبية غير ذلك القبول الذي فرضتـه أعماله، فكـان أن أحدث في قـرائه صدمـة منهجية أثـارت في نفوسهم الكثير من التساؤلات.

تطرق د. يوسف نـور عوض كذلك للحديث عن طريقتـه التي اختارها في دراسـة أدب الطيب صـالح متتبعـا المنهـج البنيـوي، هـذا المنهج الـذي يتيح للـدارس أن يتعرّف مكـوّنـات العمل الداخليـة، ليس من حيث هي عنـاصر تنتظمها بنية كلية، بل من حيث هي نظام إعلامي يعتمد على إمكانات القارئ النفسانيـة والاجتماعية والثقافية، مـؤكدا أنها طريقة لم تكن ممهـدة بسبب الأزمة التي يعيشها النقد الأدبي، وهـي أزمة ليست خاصة بالأدب العـربي وحده، بل هي أزمـة منهج في أساسهـا لا زالت تـواجه الحركـات النقـدية كـافة في بيئـاتها الإنسـانية المختلفـة؛ بسبب تـداخل النقـد الأدبي مع غيره من الفنون والعلـوم والفلسفات.

وضع المؤلف صورة للنقـد العربي الحديث، فتحـدث عن أهم التيارات في النقد الأدبي العربي، وأوضح حالة عدم التـوازن القائمة في بنية النقد الحديث، والتي يرجـع سببها إلى تغلب الاتجاهات الأيـدلوجيـة والنفسية والسيـاسية على المجال النقدي، وأن السبب في استمرارية حالـة عدم التوازن، عدم قدرة النقد الأدبي على تجاوز نظرية النقد الاجتماعي السائدة للوصول إلى تصورات علمية، تفيـد من التطـورات التي حـدثـت في مجال الـدراسـات اللغـويـة والإعـلاميـة والأنثروبولوجية، وقسّمها إلى أربعة اتجاهات:

أ) الاتجاه التكاملي:

ولا يخضع لأي تعريف فني واضح المعالم، فهو ليس نقدا تاريخيا ولا بلاغيا ولا نفسيا، وهـو يقف عنـد حدود معينة بـالقدر الـذي يقف فيه عنـد الشكل التعبيري ودلالتـه، وقد يطيل الـوقـوف على النسيج باعتبـاره قـالبا لمعـانٍ تُنقَل ويمكن تحليلها كأية تجربة إنسانية، وإن كان يواجه بصرامة الإمكانات اللغوية والإمكانـات التي يهيئها نوع العمل، حسـب استعداد الأديب وثقافتـه واتجاهه الفكـري (أيـدلـوجيته). وعلى رأس رواد هـذا الاتجاه يأتي طـه حسين والعقـاد والمازني، هـؤلاء الـذين صـدروا عن تصورات تـرى العمل الأدبي تجمعـا لعـدة عناصر لغـوية وتاريخيـة واجتماعية، وإن لـم يـروا فيه أي تكـامل عضوي لِبُنَى جمالية فنية، وهذا يفسر لماذا كانت دراسـة هؤلاء تتجه نحو تفسير معاني الأعمال خارج النصوص باستخدام معلومات تتعلق بالبيئة والتاريخ.

ب) الاتجاه الاجتماعي:

لم يكن نقاد هـذا الاتجاه أكثر شجاعـة من نقاد الاتجاه التكـاملي في التفريق بين القيم الفنيــة والفكــر الأيـدلــوجي، فبينما كــان أمين الخولي يعترض على الانكباب على السياسـة فنيا، ويرى في ذلك أدبـا دعائيا يفقد فنيتـه، نرى عبد القـادر القط يتحمس للتفكير الرومـانسي وإن لـم يعطـه ما يستحق من أبعـاد اجتماعية، ونقاد هذا الاتجاه استهلـوا نشاطهم متحمسين خطاهم دون إفصاح عما يريـدون، ولويس عوض يـدعو إلى أدب اشتراكي، ومنـدور يرى الجوانب المضيئـة في انفعـالات الشعـراء بعنـاصر الفكــر ممـا يسميـه جماليـات الشعـر المهموس.

جـ) اتجاه التحليل النفسي:

وهو اتجاه تعـرّف عليه غـالبية النقـاد العرب، وبـدا تأثيره في الأدب العربي كبيرا، ونجح النقاد العرب في أن يدخلوا إلى بحوثهم النقدية الذهنية وتطبيقاتهم


الطيب صالح



الطيب صالح
في منظور النقد البنيوي

المختلفة شتى البواعث المضطربة والشذوذ ومحاولات الارتداد إلى الطفولة، كما نجحوا في تمحيص أساليب التداعي وتفسير غموض اللغة ومعالجة الوعي والتعمق في الأخيلة والرموز، كما فعل كل من محمد أحمد خلف الله وأمين الخولي، أي إن الاتجاه النفسي في النقد الأدبي تركز على البحث عن الأسباب النفسية الظاهرة والخفية، والتي كانت وراء الإبداعات الفنية للأدباء، وهي في معظمها تتصل بشخصيات الكتاب، أي إن محورها كان الإنسان وليس النص كبُنى جمالية مستقلة عن مبدعيها.

د) الاتجاه الصحفي :

وهو تيار يعتبر امتدادا لجيل طه حسين والرافعي، وإن اختلف أصحابه مع أولئك الرواد في المنهج والأسلوب وطريقة الأداء والحكم. وعلى رأس رواد هذا الاتجاه بدر الدين، رجاء النقاش، صبري حافظ، جلال العشري، غالي شكري وغيرهم.

توقف المؤلف مع الاتجاهات الأسلوبية اللغوية كما عرضها «أنكيفست»، مبينا أن الأسلوب في نظر اللغويين يعكس مدى استجابة المتلقي للنصوص الأدبية حسب اختلاف كل منهم في طريقة قياسه للقيم الأسلوبية، وباستبعاد الاتجاه التحويلي يمكن ملاحظة أن محك القياس في الغالب هو مقارنة النص الذي بين أيديهم بنص آخر.

ويعتمد اختيار النص على ملاءمته لنموذج النص الذي يراد قياس قيمه الأسلوبية، وحيث إن اختيار كل نمط يخضع بالضرورة لاختلاف ذوق الذي يختار، فقد تحتم بالضرورة اختلاف النتائج التي يتوصل إليها الدارسون، من ذلك يظهر أن مفهوم الأسلوب عند اللغويين هو مفهوم معياري، تتحدد قيمته في الأصل حسب منهج الدارس ونظرته، وهذا برغم أن التحليل الأسلوبي يدخل الدارسين في ميادين غير لغوية، فقد أصر الكثير منهم على أن الأسلوبية فرع من العلوم اللغوية تتميز بنزوعها العلمي، وهذا تقاومه كثير من التيارات النقدية الجديدة، فإذا ما وضعنا الأسلوبية في ميزان النقد أمكننا القول : إنها أثارت من المشكلات أكثر مما قدمت من الحلول، وتصوُّر الأسلوبية يرجع في معظم الأحوال إلى ضيق تصورات الكثير من اللغويين، وعدم تفهمهم لطبيعة التكوين الأدبي، وهذا ما حاول تلافيه النقاد الأدبيون خلال جهود مدرسة شرح النصوص، ومدرسة النقد الجديد التي خالفت ما كان سائدا في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية. من هنا لا يمكن تجاهل جهود كل من (فوسلر) الذي اهتم بالظواهر اللغوية في النص كأدلّةٍ إلى معرفة الثقافة الوطنية، و «جروس» الذي اعتبر اللغة شعبة من شعب الجمال، و «سبيتزر» صاحب الدراسة المميزة «الألسنية وتاريخ الأدب» أو ما يسمى بالأسلوبية الفيولوجية، وتعكس وجهة نظر الحلقة الفيولوجية التي تنادي بالاهتمام بالتفاصيل السطحية في الأعمال الأدبية والتدرج إلى مركز الحياة الأدبي، ثم إرجاع التفاصيل التي ترد في النص إليه، وقد تعرض «سبيتزر» إلى هجوم مجموعة من اللغويين.

تعرض المؤلف في حديثه عن البنيوية النقدية للمدرستين الفرنسية والتشكيلية في مجال النقد البنيوي، وقد لخّص الأسس التي تقوم عليها البنيوية كما حددها «بياجيه» بما يلي :

(أ) الشمولية :

وتعني النظر في العمل الأدبي من حيث هو بنية متكاملة وليس تجمعا لمجموعة عناصر.

(ب) التحويلية :

وهي القوانين التي يصبح بها الكلام نصا أدبيا.

جـ) التنظيمية الذاتية :

وهي التي تجعل عناصر العمل الأدبي تتعايش فيما بينها، بحيث إذا اختل عنصر من عناصرها أدى ذلك إلى تدمير العمل بأسره.

أما لماذا اتخذ الدكتور يوسف نور عوض من البنيوية رؤية لدراسة أدب الطيب صالح ؟ فلأنه ـ كما يقول ـ انتهى إلى حقيقة أن تجريد العمل الفني من تصوره البنيوي يحصره في مضمونية تبعده عن الرؤية المضمونية الحقيقية التي يوحيها النص، وذلك كان سببا في قبول مبادئ البنيوية الفلسفية التي لا تخالف في انطلاقاتها الاتجاهات الأصلية في النقد العربي القديم.

في الفصل الثاني من الكتاب وعنوانه «الطيب صالح في منظور النقد العربي الحديث» تخير المؤلف مجموعة من النماذج النقدية حاول من خلالها تحديد الاتجاهات التي سار عليها نقد الأعمال الأدبية للطيب صالح مراعيا أن يمثل هذا الاختيار اتجاهات أربعة، يختلف كل واحد منها عن الآخر في منحاه وغايته.

> ”دون مقدمات أحدث الطيب صالح صدمة منهجية في الساحة الأدبية“



رجاء النقاش



غالي شكري

الاتجاه الأول : وقف المؤلف مع نقد أدب الطيب صالح خلال مسيرة الأدب السوداني ممثلا بالناقد (مختار عجوبة)، مبينا أن دراسة عجوبة لم تكن دراسة نقدية خالصة؛ لأنها كتبت في إطار التاريخ للقصة السودانية، وقد عدّ «مختار عجوبة» الطيب صالح واحدًا من رواد الواقعية في الأدب السوداني الحديث، ودرسه من منظور رمزي دون أن يعتمد على أية رؤية بنيوية، وقد كان تركيزه معتمدًا على المضامين الفكرية بمعزل عن الصياغة الفنية، وهذا ما أوقعه في كثير من الأخطاء التصورية لطبيعة التركيب الفني لدى الطيب صالح، وبشكل خاص في قصة «عرس الزين»، كما جعله غير منضبط في سياحته الأدبية التي اقتصرت على الرؤية النقدية الواضحة.

الاتجاه الثاني : الطيب صالح في نظر النقاد العرب، وفيه توقف مع آراء بعض النقاد من أمثال محيي الدين صبحي، رجاء النقاش، علي الراعي، مصطفى جلاب، جلال العشري، معتبرا أن ما كتبه محيي الدين صبحي عن أدب الطيب صالح أفضل ما كتب؛ لأنه قارن بين مواقف ثلاثة هي. موقف عطيل، وموقف ميرسو، وموقف مصطفى سعيد في مجابهة موقف حضاري غريب عنهم.

الاتجاه الثالث : المعرفة الذاتية بالطيب صالح ونقد الدكتور محمد إبراهيم الشوش، وهو النقد الذي يكتسب في نظر الدكتور يوسف أهمية خاصة لعدة أسباب، أهمها : التصاق الدكتور الشوش بالطيب صالح بحكم صلة القربى والزمالة في بريطانيا أيام الدراسة، وبحكم التصورات العقلية والثقافية المتقاربة للاثنين معا، إضافة إلى أن نقد الشوش يتسم بالموضوعية والاتزان، وهو في رأي الدكتور أفضل النقاد الذين عالجوا أعمال الطيب صالح حتى الآن؛ وذلك لأنه التزم مذهب النقد من خلال النص.

الاتجاه الرابع : الاتجاه الذاتي.

وفيه عرض الدكتور نور عوض لرؤية الطيب صالح النقدية لفنه الأدبي، هذه الرؤية التي أضاءت الكثير من الجوانب حول التكوين المعنوي والفكري لإبداع الطيب صالح، وهذا قد أظهر شطحات الكثير من النقاد الذين لم يعتمدوا في دراساتهم بنية العمل الفني أو منطلقاته الفكرية.

في الفصل الثالث من الدراسة وعنوانه : «البُنَى الروائية» توقف المؤلف مع أهم الأنماط المعروفة في الفن الروائي الحديث وهي :

* رواية الحدث : وتعتمد في الأساس على حادثة صغيرة تتطور وتتشعب لتولد سلسلة من الأحداث في نسيج العمل القصصي تنتهي إلى قمة يأتي بعدها الحل بطريقة عجيبة، ويتركز بين هذين القطبين ـ العقدة والحل ـ اهتمامنا كله حيث تتحقق النشوة التي هي الغاية التي يرمي إليها العمل الأدبي.

* رواية الشخصية : وتتميز بخصائصها الواضحة التي تجعلها من أهم الأنماط الروائية في الأدب النثري، وهذا النوع من الروايات تتميز بأنها حبكة نافرة؛ لأنها لا تعتمد على حدث معين تتفرع منه أو تنصب فيه الأحداث الفرعية كما تتميز الأحداث بأنها لا تتجه نحو نهاية بعينها، أما أشخاصها فمن النوع المسطوح الذي لا يخضع لأيّ نوع من التطور الدرامي.

* الرواية الدرامية : وفيها تختفي الفجوة التي تفصل بين الشخصيات والحبكة، وشخصياتها مجرد أدوات تتوسل بها الحبكة التي لا تعتبر مجرد إطار تدور فيه الشخصيات، بل تتلاحم مع الحبكة بشكل عضوي متماسك.

* الرواية الزمنية : وهي أقل الأنماط أهمية، وفي هذا النوع كتب أعظم الروايات التي دخلت عالم الفن الروائي كرواية «الحرب والسلام»، حيث يبدو الزمن هو العنصر الغالب، وإن كان الزمن فيها يختلف عن زمن الرواية الدرامية، من حيث إن القاسم المشترك فيها هو حركة التغيير، وهي تتميز بصرامة الإطار وعشوائية التطور.

* رواية الحقبة : وتنطلق من أهداف متواضعة، فهي لا ترمي لتقديم صورة لمجتمع ما صالحة لكل زمان، بل لتعيد نفسها في إطار مرحلة محددة من مراحل تطور المجتمع، وقد أحدثت رواية الحقبة آثارًا كبيرة في نظر النقاد الذين يرون أن مطابقة العمل الروائي للواقع أكثر أهمية من استجابته لمقتضيات الخيال، إضافة إلى أن رواية الحقبة تلتقي مع رواية الشخصية في تحييد الزمن.

وهذه ليست كل الأنماط الروائية الحديثة فقد ظهرت أنماط أخرى أكثر تحررا من القيود السابقة كروايات العبث والتداعي، وإن ظلت هذه الألوان حبيسة النزعات الفردية، ولم تنطلق لتصبح تيارات رئيسة في كتابة الرواية الحديثة.

في الفصل الرابع من الكتاب : دراسة تطبيقية لأعمال الطيب صالح من منظور بنيوي تعرض فيه الدكتور لدراسة تطبيقية، شملت خمسة أعمال أدبية هي : دومة ود حامد، عرس الزين، موسم الهجرة إلى الشمال، بندرشاه، مريود. وفي هذه الدراسة الممتعة انتهى المؤلف إلى أن الطيب صالح قد اختتم بهذه المجموعة (مريود) عبر رحلته الأدبية ـ التي انتهى إليها حتى الآن ـ حلقة من حلقات إبداعه الفني، ولكي ينطلق في مجال القصة العربية فإن عليه أن يثبت وجوده في مجال غير قرية د. حامد وشخوصها.

«رؤيته الذاتية لأدبه أظهرت شطحات كثير من النقاد»


محيي الدين صابر


محمد إبراهيم الشوش

منظور الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية

بقلم: د. عبد الفتاح عوض

الجزء الأول

الرواية جنس من الأجناس الأدبية التي لم يكن لها بدايات ملموسة في أمريكا اللاتينية، ومن ثم لم يكن هناك تراث روائي، وكان دور الكتاب في أوائل القرن التاسع عشر يقتصر على تقليد ما شاع وانتشر في أوربا المعاصرة، أي الروايات التاريخية للكاتب الإنجليزي والتر سكوت (١٧٧١ ـ ١٨٣٢ م). كان الكتّاب يقدمون الرواية التاريخية باعتبارها مشروعا قوميًّا؛ لأن تحويل التاريخ إلى خيال كان يقوم على النزعة الاستقلالية، وكانوا يعتقدون أن دورهم هو بمنزلة المهمة التعليمية التي تجعل الشعب يدرك ما هو تراثه القومي. والنتيجة أن ظهرت رواية تجريبية ذات اتجاهات فكرية (أيديولوجية)، تتسم بالطابع (الرومانتيكي) وكانت في الغالب غير مقبولة.

وعلى سبيل المثال رواية «عروس الملحد» (١٨٤٦ م) للكاتب الأرجنتيني **فيديل لوبيث** (١٨١٥ ـ ١٩٠٣ م)، تدور الأحداث حول قصة حب غير متكافئة بين أحد القناصة النبلاء الإنجليز وإحدى الفتيات من بيرو. ونقول إنه ليس من اليسير الفصل بصفة قطعية بين الكتّاب الرومانتيكيين والواقعيين في أدب أمريكا اللاتينية، مثله مثل الآداب الأوربية. ففي جذور الواقعية الأوربية كانت هناك محاولة لوصف الحياة المعاصرة في ذلك الحين، وخاصة تلك الحياة المدنية الحديثة، كنوع من معارضة الفن القصصي التاريخي أو الغريب أو الخيالي. ومع ذلك فإن **فلوبير وبلزاك** كتبا روايات تاريخية بالإضافة إلى إبداعاتهم الأدبية ذات الطابع الواقعي الخالص. ومن جهة أخرى نجد أن العديد من الروايات الواقعية كانت تحوي جوانب رومانتيكية ذات قيمة جمالية.

ونظرًا لهذه الصعوبات لم يكن مفهوم الواقعية قابلا للتطبيق بصفة عامة، ففي غالبية الروايات نجد أن البناء الروائي يشابه بناء الرواية الرومانتيكية، فيما عدا أحد الجوانب المهمة وهو الذي يمثل النصوص المجردة من المثالية، إذ ترى الرواية الواقعية أن الحب المثالي له صداه في القدر المأساوي للفتاة السيئة السلوك، وأن القوى التي تفصل بين العاشقين في الرواية الواقعية هي قوى اجتماعية فاسدة ـ الطبقة الاجتماعية أو المادة ـ وأن الطبيعة تتحول من أريحيتها إلى طاقة مملوءة بالشرور والآثام.

وعلى الرغم مما سبق فإن لكلٍّ من تياري الواقعية والرومانتيكية في أدب أمريكا اللاتينية يوجد عامل مشترك وهو أدب العادات: رسم الشخصيات وتصويرها، والمشاهد التقليدية، وهما جوهر الروايات ذات الإطار الرومانتيكي أو الواقعي.

ويرى كتاب الواقعية في القارة الأمريكية اللاتينية أن إبداعاتهم الأدبية هي أعمال تتعلق بالعرف والعادات والتقاليد، ومن ثَمَّ فإن الكاتب الأرجنتيني **بول جروساك** (١٨٤٨ ـ ١٩٢٩ م) كان يعدّ روايته «**الثمرة المحرمة**» (١٨٨٤ م) بمنزلة «العادات الأرجنتينية». ومن ثَمَّ فإن كلمة «المحرمة» لا تستخدم هنا من حيث المعنى الأخلاقي، وإنما من حيث الإحساس الأولي بالكلمة التي تشير إلى «القرب»، فالكاتب الواقعي مقتنع تماما بأن هناك بعض التحولات الاجتماعية التي تؤدي إلى فقدان الصفة.

وتوجد ظاهرة جغرافية يجب الإشارة إليها وهي تركز الروايات الطبيعية والواقعية في الأرجنتين والمكسيك بصفة خاصة، حيث إن الكتّاب كانوا يعيشون في المدن الكبرى في هذين البلدين، وكان اهتمامهم كبيرا بقضايا التقليد والتغيير؛ رغبة في المحافظة على التراث ومواكبة التطور. وفضلا عن ذلك فإن ما يميز الرواية الواقعية في أمريكا اللاتينية هو الجانب الأخلاقي. ولو نظرنا إلى رواية الكاتب الأرجنتيني **لوثيو بيثنتي لوبيث** (١٨٤٨ ـ ١٨٩٤ م) وعنوانها **«القرية الكبرى»** نجده يتحدث فيها عن العادات والتقاليد في بيونس أيرس في ظل الرغبة الشرهة في الرفاهية والمتعة.

تمرد على التيار الواقعي

ومنذ زمن ليس بالبعيد كانت الروايات الواقعية والإقليمية تعدُّ أشكالاً مميزة للنثر في أمريكا اللاتينية، ولكن منذ عام ١٩٤٠ م تغيرت النظرة، حيث اتسم الجيل المعاصر بالتمرد والثورة على الروايات الواقعية وأدب الرفض وتبني موقف نقدي جديد لأسلوب الماضي وسلوكياته، كما يؤكد ذلك الناقد والروائي المكسيكي **كارلوس فوينتيس** : «إن الاتجاه الوثائقي للرواية الأمريكية اللاتينية كان يخضع لهذا النسيج الأصيل من حياتنا : الوصول إلى الاستقلال دون تحديد الهوية الإنسانية، والخضوع لطبيعة غريبة تماما كانت مع ذلك هي الشخصية الحقيقية للإنسان الأمريكي اللاتيني» [١]. ويرى **كارلوس فوينتيس** في هذا مرحلة ضرورية، حيث كانت الرواية الوثائقية مرحلة التطور والنضج للرواية اللاتينية ابتداء من الأعمال الروائية الأولى التي اتسمت بالغموض وصعوبة التراكيب، ويرى أنه من الضروري وضع الرواية التاريخية في منظور تاريخي مثل روايات «**السيدة باربارا**» للكاتب الفنزويلي **رومولو جاييجوس** و«**العالم العريض والغريب**» للكاتب **بيروثيرو اليجريا** (١٩٠٩ ـ ١٩٦٧ م) و«**السيد سيجوندو سومبرا**» للكاتب الأرجنتيني **ريكاردو جويرالديس** (١٨٨٦ ـ ١٩٢٧ م) التي كانت هي الروايات الأولى التي أثارت الاهتمام في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية لتركيزها على الظلم الاجتماعي، وكانت تلك على وجه التحديد هي الملامح نفسها التي نالت اهتماما لدى القارئ الأوربي والأمريكي.

ولقد عانى الجانب الأكبر من الكتّاب الواقعيين الأوائل من تأثير الفلسفة الوضعية إلى أن وصلت إلى درجة الجبرية، ويقول الناقد **فرانسيسكو بولنيس** في كتابه **مستقبل الأمم الأمريكية اللاتينية**» إن الشعوب التي تأكل الذرة كانت أقل في المستوى من الشعوب التي كانت تأكل قمحا [٢]، ومن هنا يمكن أن نتساءل : إلى أي درجة كان المثقفون يشعرون بأنهم مجردون من الحماية منذ ستين أو سبعين عاما من حيث العلاقة مع «القوى» و «القوانين» و «الظواهر» التي ـ حسب رأيهم ـ كانت تتحكم في وجودهم وفي وجود مجتمعاتهم. ولم يكن كتاب هذه الفترة يرون شخصياتهم في دائرة الحرية والغموض، وإنما كمرحلة تطور خاصة لقانون شمولي. وكانت الوظيفة الوحيدة للقارئ هي متابعة التطور كمراقب سلبي ملزم بقبول النتائج الموضوعة سلفا من جانب المؤلف.

وهذا النوع من الواقعية «المغلقة» يتضح من مؤلفات الكاتب المكسيكي «**ماريانو أثويلا**» (١٨٧٣ ـ ١٩٥٢ م) الذي مارس الطب وأيد مذهب الفلسفة الوضعية، حيث تمثل رواياته الأولى «**ماريا لويسا**» (١٩٠٧م) و«**الفاشلون**» (١٩٠٨ م) و «**العشب الشيطاني**» (١٩٠٩ م) مرحلة البداية التي تقوم على انتقاد العيوب الاجتماعية على طريقة المذهب الطبيعي. وفي عام ١٩١١م، بعد قيام ثورة المكسيك بقليل، نشر رواية «**اندريث بيريث**» وهي تحكي قصة صحفي وجد نفسه مشتركا في الثورة وفي المعركة.

ومن بين الأعمال الروائية التي تمثل المفهوم الأساسي لتيار الواقعية للكاتب نفسه نذكر مجموعة «روايات الثورة» التي تضم رواية «**أهل القاع**» (١٩١٦ م) و «**الحكام المستبدون**» (١٩١٧ م) و «**الذباب**» (١٩١٨ م)، ففي الروايات الثلاث تعطي الثورة شعورا وإحساسا جديدا بحياة الإنسان [٣].

وثمة كاتب أرجنتيني هو **مانويل جالبيث** (١٨٨٢ ـ ١٩٦٢ م) يُعَدّ أحد الكتاب الواقعيين المتعددي المواهب والوجوه في أمريكا اللاتينية. كان مرتبطا بالفلسفة الوضعية كمنهاج فكري. تعالج رواياته المشكلات الاجتماعية الملموسة، ففي روايته «**الشر الميتافيزيقي**» (١٩١٦ م) يحلل موت المثالية الرومانتيكية في بيئة بيونس أيرس الجافة. وفي روايته «**ناتشا ريجوليس**» (١٩١٨ م) يقدم نظرة جديدة لموضوع المثاليات المفقودة التي تنتصر على شخصيات الروائي **جالبيث**. ومن أفضل رواياته «**المعلِّمة العادية**» حيث تتآمر إحدى المدن الواقعة في إقليم لاريوخا للقضاء على مفهوم الحب والعلاقات الطبيعية. ويبين الكاتب **جالبيث** أنه يمكن أن تعيش الآمال والأحلام الفردية جنبا إلى جنب مع اللامبالاة أو الكراهية في المجتمع. ويبغي الروائي من ذلك، مثله مثل بقية

الرواية الأمريكية اللاتينية مترددة بين الواقعية والرومانتيكية والطبيعية والأسطورية

كتاب الرواية في أمريكا اللاتينية، أن الرواية هي وسيلة للإصلاح.

روايات الصعاليك

ومن بين اتجاهات الرواية الاجتماعية ظهر اتجاه آخر يتعلق بروايات الصعاليك، وهذا النوع له جذوره العربية في إسبانيا إبان القرن السادس عشر، وفي أمريكا اللاتينية ظهر من جديد خلال القرن العشرين على أيدي مجموعة من الكتاب لم يقتصر اهتمامهم فقط على الشخصيات ذات المستوى الاجتماعي الوضيع، إنما جاء تفضيلهم للشكل الذي يسمح لهم بتقديم سلسلة من الأحداث في رواية بلسان ضمير المتكلم. ويتمثل الطريق الوسط بين الرواية الواقعية المغلقة وبين رواية الشطار في روايات **روبرتو بايرو** (١٨٦٧ ـ ١٩٢٨ م). وهو كاتب أرجنتيني كان يميل في كتاباته إلى تيار الفوضوية، وكان يعتبر أن الرواية ليست إلا وسيلة للإصلاح الاجتماعي. وفي روايته «**زواج لاوتشا**» (١٩٠٦ م) [٤] يحكي قصة الصعلوك لاوتشا الذي يتصنع الحب للزواج من السيدة كارولينا مالكة أحد المحلات التجارية، وذلك بمساعدة الأب باباجنا، إلى أن يأتي ـ ببذخه وإسرافه ـ على كل ما لديها من مال ويهجرها في النهاية. في هذه الرواية نجد أن الكاتب يحافظ على العلاقة مع القارئ؛ حيث إنها في الحقيقة تتآمر معه بغرض السخرية من الأشخاص والبشر.

منظور الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية

وثمة نموذج آخر من المكسيك متمثل في الكاتب **مارتين لويس جوثمان** (١٨٨٧ ـ ١٩٦٣ م) [٥]، حيث يشير إلى أن الثورة في المكسيك ساعدت على ظهور رواية الشطار، فقد كان العديد من الكتّاب شهود العيان للصراع وقاسوا من أهوال الحرب. وفي روايته **«النسر والثعبان»** (١٩٢٨ م) يقص الكاتب الأحداث بنفسه، حيث يصف هروبه من مدينة المكسيك بعد انقلاب «أويرتا» وتجواله بحثا عن جيوش الشمال، ومغامراته مع عديد من القادة الثوريين مثل «بانشو فيلا» الذي عمل سكرتيرا له. وترتكز واقعية جوثمان على التقاط التفاصيل الدقيقة ذات المعنى الطريف، واختياره للمواقف الطريفة والمضحكة التي تشرح لنا ما تمثله الحياة في وسط الثورة. والكاتب ينتقل بالقارئ ليعيش معه من صراعات المعارك والمدافع إلى مشاهد الرقص، التي كانت تدور خلف خطوط النار، والترحال في القطار إلى مشاهد إلقاء مقاعد الركاب في فرن القاطرة حتى تواصل السير وكذلك تصوير مشهد هروب جوثمان من السجن. وتتركز روايته على انتقاده لكل القادة وإشفاقه على السجناء وأسرى الحرب من التعب الذي حل بهم. **وتعتبر كتاباته بمثابة تحقيق يسجله كاتب عاش الثورة ونظر إليها بمنظار دقيق واهتم بالتفاصيل المتفحصة الواعية.**

وهناك كاتب من شيلي هو **مانويل روخاس** (١٨٩٦ ـ ١٩٧١ م) **يعدُّ أحد**

روايات الصعاليك ذات الجذور العربية تمرّد على الواقعية المغلقة

أقطاب الرواية الواقعية في أمريكا اللاتينية، وتقوم رواياته على التجارب الذاتية ويسردها بضمير المتكلم. وترتكز أصالته ـ على وجه الخصوص ـ في استخدام النوادر والمادة التي يستقيها من الحياة. فرواياته **«زوارق في الخليج»** (١٩٢٢ م) و **«ابن اللص»** (١٩٥١ م) و **«طرف السكة الحديدية»** (١٩٥٩ م) نجدها مكتوبة بأسلوب يذكرنا بأسلوب الروائي الأسباني **بيو باروخا** (١٨٧٢ ـ ١٩٥٦ م)، الذي يحاول أن يعطي انطباعا بأن تكون المادة هي الحياة بشرورها دون هدف أو قصد. ومن ثم فإنه يعارض الهيكل القائم على الحجة في الأدب الواقعي في القرن التاسع عشر، ويقوم بإيجاد بناء يبدو أكثر تحررا كما لو كان شيئا عرضيا، مثل مقابلة أحد عبر الطريق. ويختار روخاس هذا البناء الروائي العرضي؛ لأنه يرفض النظام الميكانيكي للحدث والأثر الذاتي في الواقعية التقليدية.

الصراع بين الإنسان والطبيعة

ولا شك أن الكتّاب المعاصرين في أمريكا اللاتينية يعطون أحيانا انطباعا بأن الصراع غير المتكافئ بين الإنسان والطبيعة كان موضوعا رئيسا في إبداعاتهم الأدبية في الأربعينيات. وفي الواقع فقد كان عدد قليل فقط من الكتّاب هم الذين منحوا الطبيعة دورا رئيسا في إبداعاتهم، وأن القوى التدميرية للطبيعة تكمن داخل النص في القلق والانشغال بالعدالة الاجتماعية. ومع ذلك فإن شعور الكراهية في البيئة وانتهاء الحضارة كان مجالا مهمًا للإنسان في أمريكا اللاتينية. ويجب الأخذ في الحسبان أن «الطبيعة» و«المنظر» ينموان بدرجة الأهمية نفسها التي يشعر بها الكتّاب البعيدون عن الطبيعة. ولكن بالنسبة للإنسان في القارة الأمريكية اللاتينية فإن الهروب من العالم المتحضر، لم يكن يعني الوقوع في أحضان الطبيعة التي تتسم بالأمومة والمعرفة، وإنما الطبيعة الشرسة التي لا ترحم.

ولنتناول كاتبا آخر من أوروجواي هو **«أوراثيو كيروجا»** (١٨٧٨ ـ ١٩٣٧م) [٦] الذي نلمح في رواياته القدرة على التعبير الدقيق عن نظرته الرواقية للعلاقات التي يحافظ عليها الإنسان مع القوى الطبيعية. وهذا التطور يثير الدهشة عندما نعرف أن كيروجا بدأ حياته الأدبية ممثلا لتيار الحداثة في الأدب، فضلا عن زياراته لباريس ولقاءاته ممثلي هذا التيار. وعند عودته إلى مونتفيديو أصبح عضوا في الحلقة الأدبية التي تحمل اسم «مجلس جاي سابير». وكتب شعرا حديثا إلى أن وقع حادث أودى بحياة أصدقائه، الأمر الذي أدى إلى تحويل مسار حياته تماما، فانتقل إلى بيونس أيرس، حيث التقى بصديقه ليوبولد لوجونيس الذي كان شغوفا بمنطقة إطلال البعثات التبشيرية المسيحية الواقعة شمال الأرجنتين، والتحق بالعمل مصورًا في المجموعة التي نظمها لوجونيس لدراسة هذه الأطلال. ومنذ ذلك الحين عاش سنوات عديدة مع لوجونيس، وإن كان قبل ذلك قد شغل وظيفة تتعلق بمجال الزراعة في إقليم تشاركو. ولكن حياته تحمل طابع المأساة، فقد انتحرت زوجته الأولى، ثم انتحر هو بعد ذلك عندما علم أنها كانت مصابة بمرض السرطان.

وكانت محاولاته الأولى في كتابة الرواية تقليدا للكاتب الأمريكي **إدجار آلان بو** (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ م) حيث اتسمت بتفصيل كل ما هو غريب وعنيف.

ومن بين رواياته الأولى **«المطارد»** و **«الدجاجة المذبوحة»** التي تنتمي إلى مجموعة الروايات الدموية. وقد صدرت هذه الروايات في طبعات دورية تم تجميعها في مجلدات بعنوان **«حكايات الحب والجنون والموت»** (١٩١٧م) و**«حكايات الغابة»** (١٩١٨م) و**«المتوحش»** (١٩٢٠م) و**«أنا كوندا»** (١٩٢١م) و**«الصحراء»** (١٩٢٤م) و**«المنفيون»** (١٩٢٥م). وتدور أغلب روايات كيروجا في المناطق التي حظيت بوصول البعثات التبشيرية وإقليم تشاكو، حيث يشكل خط الاستواء ستارا داخليا يناسب موضوعين من موضوعاته المفضلة، أولهما: إثبات قيمة الإنسان عندما يواجه أخطار الطبيعة، وثانيهما: القوى الطبيعية التي لا

يمكن توقعها دائما، إلى الدرجة التي يكون من الصعب أن يتغلب العقل والإرادة عليها.

الرواية الإقليمية بحث عن الأصالة

وفي مرحلة لاحقة ظهرت الرواية الإقليمية الأمريكية اللاتينية عندما بحث الكتاب عن أصالتهم وهويتهم القومية، وكان عليهم بالطبع الاندفاع نحو الإقليمية، نحو تلك الظواهر التي كانت تختلف فيها الحياة في القارة الأمريكية اللاتينية عنها في أوربا. وعن الخصائص الطبيعية والإقليمية جاءت مقالة بعنوان «آريبل» (١٩٠٠م) [٧] كتبها **خوسيه أنريكي رودو (١٨٧١ ـ ١٩١٧م)** عقد فيه مقارنة بين التقليد في حوض المتوسط ومذهب المنفعة الأمريكي والوقوف إلى جانب القارة الأمريكية اللاتينية التي أثبتت هويتها. ولأول مرة ـ تقريبا ـ تتفوق أمريكا اللاتينية عند مقارنتها بحضارات أخرى؛ إذ إنه بعد إفلاس أوربا الذي ظهر واضحا في أثناء الحرب العالمية الأولى، أصبحت المقارنات شائعة ومؤيدة من جانب الكتّاب الأوربيين والأمريكيين مثل **د. هـ. لورنس وهيرمان كيسرلنج وولد فرانك**، الذين رأوا أن الحياة التلقائية والبديهية والعلاقات الأساسية كانت مزدهرة في أمريكا اللاتينية، في حين أنها كانت قد انتهت بسبب حالة الفساد التي أصابت المجتمعات الصناعية والعمرانية. وفي عقد العشرينيات نجد الكاتب المكسيكي **خوسيه باثكونثيلوس** (١٨٨١ ـ ١٩٥٩م) يعلن في روايته «**الجنس الكوني**» (١٩٢٥م) عن أزمنة مستقبلية سيحل فيها العصر الجمالي محل العصر التكنولوجي، وحينئذ سيشهد هذا الانتصار «الجنس الكوني» الأمريكي اللاتيني. وكانت حجج هذه المقالات وأسانيدها بمثابة الحافز لتنشيط حركة الأدب، حيث كان الكتاب يميلون إلى البحث عن العناصر الإيجابية في بيئتهم الريفية بدلا من البكاء على تأخر أوطانهم وتخلفها. ومع ذلك فقد أدى هذا الرفض في بعض الأحيان إلى الحنين إلى النظام الإقطاعي القديم كما جاء في كتاب «**مذكرات الأم بلانكا**» (١٩٢٩ م) للكاتبة الفنزويلية **تيريسا دي لا بارا** (١٨٩١ ـ ١٩٣٦م) أو كتاب «**السيد العظيم وملك الشياطين**» (١٩٤٨ م) للكاتب الشيلي **إدوارد باريوس** (١٨٨٤ ـ ١٩٦٣م). ومع هذا ففي أعمال الكتاب الذين تبنوا موقفا نقديا متشددا من الحياة الريفية، مثل الكاتب الأرجنتيني **بينيتو لينتش** (١٨٨٥ ـ ١٩٥١ م) وقصاص أورجواي **أنريكي أموريم** (١٩٠٠ ـ ١٩٦٠م) تظهر فكرة تقول: إن الروح القومية الحقيقية تكون أكثر ارتباطا بالحياة في الريف أكثر منها في المدينة.

وهذه النزعة الإقليمية التي كانت توازن بين القيم الريفية والقيم المدنية من جهة، وبين سكان البلاد الأصليين والأجانب من جهة أخرى، أدّت إلى ظهور عمل أدبي من الطراز الأول، هو رواية «**السيد سيجوندو سومبرا**» (١٩٢٦م) للكاتب الأرجنتيني **ريكاردو جويرالديس** (١٨٨٦ ـ ١٩٢٧م) [٨]. كان هذا الروائي ابنا لأحد الإقطاعيين وكانت أسرته تنعم بثراء وفير، الأمر الذي ساعده على معرفته مدينة باريس معرفة تامة، وزيارته لكل دول أوربا بما فيها الكتلة الشرقية. وهيأت له سفرياته تعرّف العديد من الكتّاب الأوربيين وصداقته لهم، وخاصة الكاتب الفرنسي **فاليري لاربود** (١٨٨١ ـ ١٩٥٧م) وقد اهتم الكاتب الأرجنتيني منذ البداية بطريقة الكتابة التي تعبر عن جوهر بلاده، وخاصة تلك القيم الأخلاقية التي كانت في سبيلها للاندثار.

التزام بالقيم الأخلاقية

ونتناول رواية «السيد سيجوندو سومبرا» التي تتمثل فيها التأثيرات الأولية، من حيث الهدوء الرواقي ورفض الحداثة والحب في الخلاء. فابيو كاثيريس ابن يتيم غير شرعي يولد بين خالتين عانستين ثقيلتي الظل في إحدى المدن الصغيرة. نشأ في ظروف جعلته موزعا بين التشرد والإجرام. إنه الفتى الأرجنتيني الذي يتردد على الحانات ويتخصص في النشل بدلا من الذهاب إلى المدرسة. في هذه الحياة المتعثرة التي يعيشها يتدخل السيد سيجوندو سومبرا ويلتقط الفتى ليعمل عنده ويحوز إعجابه وثقته بسرعة فائقة، إلا أنه سرعان ما يهرب من منزله. وتتلقفه فرقة الفرسان التي تقوم بتدريبه على مباريات رعاة البقر وتقبله لحياتهم الشاقة. وفي نهاية الرواية يصبح رجلا كاملا. إنه راعٍ من رعاة البقر، ولم يعد يتيما؛ حيث إن الأب الذي رفض الاعتراف به تواتيه المنية، ويترك له ميراثا يعيش منه، ويتحول هذا الفتى الذي كان قاطع طريق في يوم ما إلى عضو صالح في المجتمع.

ولكن رواية «**السيد سيجوندو سومبرا**» ليست قصة بسيطة تعالج حياة رعاة البقر فحسب، بل إن تعلم فابيو هو تدريب روحاني. وكما هي الحال في كل التدريبات الروحانية فإن الإعداد الجسماني هو الخطوة الجوهرية الأولى. ففي الأيام الأولى التي كان فيها تحت وصاية معلمه، كان على فابيو أن يتعلم كيف يسيطر على اندفاعاته ورغباته الجامحة والعمل كعضو في جماعة ونسيان كبريائه الفردية، والبدء في الابتعاد عن ملذات الحياة، ليس بنسيانها وإنما بالتدريب على تنمية شعور اللامبالاة تجاهها لديه. إن التربية الروحية لفابيو كانت تقوم

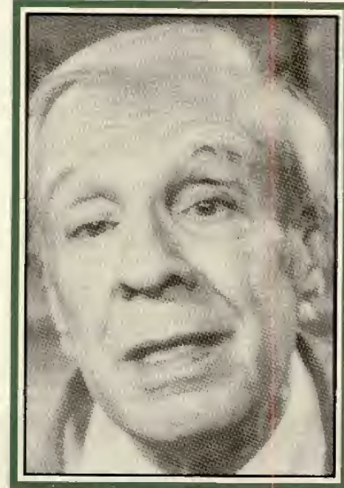
بتأثير نزعتي التمرّد والحرية يبدع أدباء أمريكا اللاتينية

على الابتعاد عن العلاقات النسائية وعن المجتمع وعن الحضارة، فالمجتمع هو القوة السلبية دائما: أصحاب الحانات والمواخير في المدينة التي ولد فيها، والقضاة والمحامون الذين يعقدون أمور الحياة بلا داع، والنساء اللاتي يمثلن الخطر الأكبر في مجالس المتعة. كان على فابيو أن يتعلم ليس فقط أن يتحكم في نفسه كراعي بقر، وإنما أيضا في مواجهته الصعاب الحرجة التي تضعها هذه القوى في حياة شاب يافع.

التمرد والحرية اتجاها الرواية المعاصرة

وبالنظر إلى الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية نجد أنها تتمثل في اتجاهين

بيونس أيرس مشعل التجديد في الأدب الأمريكي اللاتيني


خورخي بورخيس


جيمس جويس


مارسيل بروست

هما : **نزعة التمرد ونزعة الحرية** . بدأت نزعة التمرد على أيدي كتاب الطليعة في العشرينيات كرد فعل ضد اتجاه ومفهوم الواقعية والواقع الذي كان ـ بالنسبة لهؤلاء الكتّاب ـ مفهوما ضيقا يقوم على الشكل دون الجوهر . وبشكل إجمالي فإن اتجاه الواقعية في أمريكا اللاتينية كانت تنقصه هذه الكثافة التي كان

يعتبرها **هنري جيمس** (١٨٤٣ ـ ١٩١٦م) العلاقة المميزة للرواية العظيمة . ولكن بمجرد تخلص الكتاب من الفكرة القائلة بأن الرواية كانت تعني الرواية الواقعية شعروا بحريتهم في استخدام تيار الوعي عند الكاتب الأيرلندي **جيمس جويس** (١٨٨٢ ـ ١٩٤١م)، ومعالجة الذاكرة والزمن على طريقة الكاتب الفرنسي **مارسيل بروست** (١٨٧١ ـ ١٩٢٢م) وكذلك تقليد الدادائية ، ذلك التيار الأدبي القائم على إلغاء أي علاقة بين الفكر والتعبير والتصور السريالي ، ومن ثم فقد ظهرت القدرة الإبداعية وتطورت الأساليب الجديدة تماما .

وقد اضطلعت بيونس أيرس بدور خاص في هذا التطور، وخاصة خلال العشرينيات . وعلى الرغم من حالة الجفاف الثقافي التي تأسف عليها الكاتب الارجنتيني **خورخي لويس بورخيس** (١٨٩٩ ـ ١٩٨٦م) عند عودته من أوربا سنة ١٩٢١م، فإن بيونس أيرس كانت مدينة قليلة الارتباط بالتراث بالمقارنة بأية مدينة أخرى تقع في نصف الكرة الأمريكية اللاتينية ، ومن ثم كانت أكثر انفتاحا على كل ما هو جديد . وإن اعتزاز المثقفين في العشرينيات وتأكيدهم أنهم كانوا سببا في أن يمر المحور الثقافي عن طريق بيونس أيرس ربما لا يقوم على أسس صلبة ، ولكنه يشير أيضا إلى إحساسهم بكل ما هو حديث . وعلى العكس من ذلك فإن كتاب المكسيك أو بيرو لم يتمكنوا من تطوير تراثهم الثقافي منذ الماضي البعيد ، ولهذا كان عليهم أن ينظروا إلى المستقبل ويقوموا بابتكار أساليب خاصة بهم . وبالإضافة إلى ذلك فإن المدينة كانت ممتلئة بالتوتر، كانت مكتظة بالروس والبولنديين والإيطاليين الذين راحوا يبحثون عن اليوتوبيا ، ولم يكن هناك بد من الاتصال بأية طريقة برعاة البقر في أمريكا الجنوبية وبسكان البلاد الأصليين . كانت توجد طبقة الأوليجارشية الموسرة والمشهورة في أوربا بالبذخ والإسراف الذين كانوا يتصفون بها ، وكذلك مجموعات المهاجرين التي أنتجت شعرا بلهجة الغجر في الأرجنتين بالإضافة إلى التانجو وحياة الليل في المدينة . كانت بيونس أيرس حالة فريدة بين كل مدن أمريكا اللاتينية ؛ حيث تميزت حياتها الثقافية بالمسامرات والمجادلات الأدبية والمجلات الثقافية مثل «كلاريداد» و«بروا» و«بريسما» ومجلة «مارتين فييرو» التي تعتبر المجلة الأولى ذات الطابع التعليمي الجاد، والموجهة إلى طبقة الشعب ذات المستوى الثقافي المحدود، في حين أن المجلات الثلاثة الأخرى كانت طليعية ، حيث كانت تضم تعليقات على الأدب الأوربي الجديد والأدب الساخر الموجه لسياسة المجموعات الصغيرة . وكان من بين الشخصيات التي عرفت القدرة الفائقة على السخرية والنقد الرسام **«بدرو فيجاري» وجوليس سوبرفيل و«اليبيرتو خيروندو»** . وكانت المجادلات تدور حول الفن أكثر منها في السياسة ، على الرغم من أن الموضوعات السياسية كانت تحظى بالاهتمام وتؤدي إلى الانقسامات بين تلك الجماعات المثقفة [٩].

الهوامش

1. Carlos Fuentes: La nueva novela hispanoamericana, México, 1969, P.29.
2. Francisco Bulnes: El porvenir de las naciones latinoamericanas, México, Jean Franco: Historia de la Literatura Hispanoamericana, Editorial Ariel, Barcelona, 1975, P.217.
3. Antologia: La novela de la revolucion mexicana, ediciøon de Antonio Castro Leal, 2 vols., México, 1958 - 1960.
4. Roberto Bayro: El casamiento de Laucha, 5° edicion, Buenos Aires, 1961.
5. Martin Luis Guzman, obras comletas, 2 vols. México, 1961 P. 28.
6. Horacio Quiroga: Cuentos escogidos, Madrid, 1962 (Anaconda, El salvaje, Pasado amor), Ed. Sur Buenos Aires, 1960.
7. José Enrique Rodo, Ariel, 1900.
8. Ricardo Guiraldes, Obras completas, Buenos Aires, 1962.
9. El periodico Martin Fierro 1924 - 1949, Buenos Aires, 1949.

التشكيك في التشريعات!

بقلم:
د. محمد بن سعد
الشويعر

من أخطر ما يواجه الشباب في عصرنا الحاضر، ما يوجه إليهم من شبهات تشككهم في قدرة التشريعات الإسلامية على استيعاب الحياة الحاضرة، وقدرة التعامل معها دون جمود أو وقصور، وذلك بحجة أن العصر تطوّر، وأن متطلبات الحياة، وأسلوب تعامل الناس فيها، يدعو إلى الأخذ بما في حياة الأمم من أسلوب في التعامل القانوني، والربوي والاجتماعي، والإداري والتربوي، وما يستلزم الحياة الاقتصادية من حاجة إلى تنظيم الضرائب، وفرض الغرامات، وإلزام الناس التأمينات على الأنفس والسيارات والبضائع وغيرها.

إلى غير هذا من أمور يظنها أصحابها جديدة، وأن الإسلام بعيد عن الأخذ بها، وحل معضلتها؛ لأنهم لم يفهموه، بل قصر بهم علمهم عن استظهار ما تنطوي عليه شريعة الإسلام من أمور، فيها حل لكل مشكلة منها، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية، أو غيرهما مما بدؤوا به، وسيجد ما يرونه ضروريًا في تنظيم شؤون الحياة، وتسيير أمور الناس فيها، وغاب عنهم مفهوم قول الله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ الأنعام ٣٨. ونسوا أو تناسوا شمولية هذا الدين، الذي جعله الله خاتم الأديان في حل كل معضلة تعترضها، وقدرته على استيعاب أية مشكلة تنشأ. ولذا وصفوا الإسلام، وتشريعات الله فيه، بما وصفوا به دياناتهم النصرانية واليهودية، وغيرهما مما دخلته يد الإنسان تعديلاً وتبديلاً، وهم بذلك يريدون إلباس الثوب الجاهز في انتقاداتهم لدياناتهم، وتصرف رجال الكهنوت فيها، وتعديلات العلماء وما سمّوهم رجال الدين، في تشريعاتهم، وما أنزل عليهم من كتب امتدت إليها يد الإنسان تعديلاً وتحويرًا، برسالة الإسلام، والنبي الكريم ﷺ، وما جاء في القرآن الكريم الذي حفظه الله من العابثين، وحماه من أصحاب الأهواء، فهم قد وجدوا في أحبارهم ورهبانهم صفات وأعمالاً متباينة. جعلت العقلاء والمفكرين يعدّدون مآخذ كثيرة مما أوجد في تاريخهم الطويل لمن يقرؤه - ثورات متعددة على الكنيسة وحماتها، والمنتفعين من ورائها، بدءًا بمحاكم التفتيش والتسلط ونهاية بالثورة العلمية، التي نتج عنها تحول كثير من المفكرين في مجتمعاتهم إلى العلمانية، واعتبار التدين تعصبًا فقط.

وهذا مما حوّل شبابهم إلى المبادئ والأيديولوجيات المختلفة: من علمانية في العقيدة، ورأسمالية في المال والعمل، إلى إلحادية في العقيدة، واشتراكية في المال والتوجيه.

ثم تبع ذلك أفكار ومبادئ متعددة كالماسونية والوجودية وغيرها كثير، لأن خلف كل مبدأ غاية، وهدف يرمي إلى جذب المنتمين إليه. لكنها كلها تتفق في محاربة الإسلام؛ لأنه في نظرهم العدوّ المشترك، والشبح المخيف. وما ذلك إلا لأن عقولهم كانت فارغة من الإيمان بالله، ومما تعنيه قوة الإيمان المرتبط بالخالق سبحانه، وهذا من النقص في فهم العقيدة الصافية، الصادقة بتوجهها لله، حيث يحث على ذلك الإسلام وما فيه من تشريعات، تجعل تعاليمه سياجًا يحمي النفوس من المؤثرات.

وإذا كان المثل العربي يقول: كل إناء بالذي فيه ينضح، فإنما يتحمسون له من باطلهم، جعلهم يلفّقون التهم حول الإسلام تشكيكًا وافتراء وتهويلاً. وتلبيسًا على الذين لا يعرفون شيئًا عن تعاليم الإسلام وأثرها في حياة الفرد. ونماء المجتمع، واستقامة شؤون الحياة. هذا في الوقت الذي انساق معهم ضعاف القدرة العلمية، والتمييز والإدراك لأبعاد ما طرح أمامهم، باعتباره جزءًا من التيارات الموجهة المراد الاستجابة لها. وقد مال معهم المنبهرون بمظاهر حضارة تلك الأمم، المنخدعون بلحنهم في القول، وما جسّموه من أوهام في مثل نَعْتِهِمْ آثار الحدود الشرعية في الإسلام: في الزنا والسرقة، والقذف، وشرب الخمر والردة عن الإسلام، وغيرها بنعوت عديدة كالقسوة والظلم، والوحشية، وأن البدائل التي لديهم أرحم وأكثر التصاقًا بالإنسانية، وتوجيها للمنحرف.

ودور علماء الإسلام في هذا: تعبئة أذهان الشباب، وتوسيع ثقافاتهم بالنظرة الشمولية من الإسلام، واهتمامه بحفظ الفرد وحماية الجماعة، وصيانة الأعراض، ووقاية الأموال، وذلك بوضع الحواجز التي تردع جماح النفوس. وتحمي الحقوق عن التعدي أو التطاول، ومناقشتهم من المنطلق الذي يعرفونه بآثار الجريمة. وردع الاعتداءات في ظل الإسلام ومقارنتها بما لدى الأمم الأخرى، وتفشي الجريمة في بيئاتهم، إذْ جعل الله في كل تشريع في الإسلام حكمة وغاية. فيجب أن تبسط هذه الأمور أمامهم حتى تتسع مداركهم، ليكونوا محصّنين ضد أي تيار.

وما دام الشباب هم الأرض الخصبة لهذه البيئة، فإنهم أيضا الدرع الواقية، إذا عرفوا وأدركوا نظرة الإسلام لهذه الأمور، وبتحصينهم علميًا وتوجيهيًا يستطيعون رد شبهات المبطلين عن دينهم، ويحمون مجتمعهم من نفثات المغرضين الحاقدين، ويوضحون لغيرهم خفايا ما يقال عن الإسلام، ويردون الشبهات متى صدروا في فهمهم عن علم حقيقي، مستمد من النظرة الشمولية لكل أمر يطرح بدليله الواسع من مصدري التشريع في الإسلام: القرآن والسنة. والله الموفق.

إبراهيم: من قس إلى داعية للإسلام

تربى في أحضان النصرانية متشربًا تعاليمها، وحصل على أعلى الشهادات العلمية في فلسفتها ولاهوتها، ثم عمل قسًّا وأمينًا عامًّا للإرسالية التنصيرية الألمانية - السويسرية في مدينة أسوان المصرية في منتصف القرن الميلادي الحالي، وتوقع له كثيرون أن يصير يومًا ما بطريركًا، لكنه اختار الإسلام على الدنيا الفانية.

إنه المهتدي «**إبراهيم خليل أحمد**» الذي وُلد في ١٣/ ١/ ١٩١٩م في مدينة الإسكندرية لأسرة نصرانية شديدة التعلق بعقيدتها، حباها الله بسطة من العيش، مما أتاح له أن يتلقى تعليمه في أرقى المدارس الخاصة شأنه شأن أبناء الأسر الميسورة الأخرى.

وكان انضمامه إلى فريقي «الكشافة» ثم «الجوالة» فرصة طيبة للتعرف على مختلف البيئات والعقائد، وعرف الكثير عن الإسلام من خلال اختلاطه بزملائه المسلمين وصداقته لهم.

واضطرته أهوال الحرب العالمية الثانية وويلاتها إلى ترك مدينة الإسكندرية إلى مدينة أسيوط في صعيد مصر عام ١٩٤٠ م فرارًا من غارات النازي، وهناك التحق بكلية أسيوط الأمريكية، مستأنفًا دراسته الثانوية حتى حصل عام ١٩٤٢م على دبلوم الكلية، الذي يعادل شهادة التوجيهية - الثانوية العامة - حاليًّا.

دراسة اللاهوت

حين انتهى من التوجيهية كان قد وطد علاقاته مع بعض رجال الإرساليات التنصيرية، الذين أتاحوا له فرصة العمل في سلاح الصيانة التابع للجيش الأمريكي ما بين عامي ١٩٤٢ - ١٩٤٥م، وبحكم العمل شاهد الكثير من أهوال الحرب والدمار والدماء، مما كان له أكبر الأثر في اتجاهه النفسي للبحث عن السلام الروحي، ووجد سبيله إلى ذلك في الانخراط في السلك الديني.

فوظف طاقاته وماله لخدمة الكنيسة، والتحق عام ١٩٤٥م **بكلية اللاهوت الإنجليزية** التي تخضع برامجها لإشراف **جامعة برنستون الأمريكية**. ويشكل الأساتذة الأمريكان ما نسبته ٢/ ١ مقارنة بالأساتذة المصريين العاملين بها، وتخرج في الكلية بعد ثلاث سنوات حاصلاً على دبلومها العالي الذي يعادل درجة البكالوريوس في الجامعات المصرية.

ترسيمه قسًّا

رُسم إبراهيم بعد اجتيازه فترة التدريب العملي ومدتها عام قسيسًا وراعيًا للكنيسة الإنجليزية في باقور بمحافظة **أسيوط** عام ١٩٥٢م، وذاع نشاطه الديني بين المنصرين الأمريكان، ولا سيما في مجال العمل التنفيذي بين المسلمين، معتمدًا على النفوذ الإنجليزي في البلاد - آنذاك - حتى انتدبه المؤتمر الديني المسمى «**ستودس النيل الإنجيلي للتدريس** في كلية اللاهوت في أسيوط» للعمل في **كنيسة نهضة القداسة التابعة للإرسالية الإنجليزية - الكندية**، وتهافتت عليه الإرسالية الألمانية السويسرية في أسوان بغية اجتذابه للعمل معها، وكان أن انتدب عام ١٩٥٤م أمينًا عامًّا لها، وهناك برز نشاطه التنصيري في المنطقة ما بين «**الدكا**» في أرض النوبة إلى «**أدفو**» جنوبا.

دكتوراه في النصرانية.. ولكن

وفيما كان إبراهيم يجهز عُدَّته ليطعن الإسلام والقرآن الكريم طعنة مسمومة في بحث؛ لنيل درجة الدكتوراه من جامعة برنستون في فلسفة النصرانية ولاهوتها، عنوانه «**سيف جليات**» حول مصرع الجبار جالوت على يد نبي الله **داود عليه السلام**، شاءت عناية الله أن تقهر نداء الشر في داخل إبراهيم وترده إلى النظرة السليمة، حين سمع قوله تعالى ﴿**قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدًا**﴾ الجن ١ - ٢.

يحكي إبراهيم في كتابه «**لماذا أسلمت**» الذي صدرت طبعته الثانية عام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م عن دار القَلم في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة تأثير هذه الآيات الكريمة على نفسه، فيقول: «**كان لهذه الآية وقع في نفسي إذ جعلتني أفكر تفكيرًا حرًّا نزيهًا، وأحسست بأن الله الذي علمني ما لم أعلم يستطيع أن يجردني من العلم والمعرفة ويتركني للذل والهوان، لكن إرادته لهدايتي جعلته يفيض عليّ من أنوار هذه الآية مما أيقظ ذهني وقلبي ووجهني إلى إرادته ومشيئته.**

«وبرزت أمامي نقاط رئيسة، منها الوحدانية، والغفران كما تقررها النصرانية والإسلام، والفضل يرد لأهله، فإن القرآن الكريم قد بسّط عقيدة الوحدانية

تبسيطًا يفهمه العالم والأمي، وهذا لا ريب من سنن الله في عدالته . . **ويفخر المسلم بعقيدة الوحدانية السليمة التي تتلخص في قوله تعالى ﴿قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوًا أحد﴾ . هذه الوحدانية في الذات والصفات والأفعال، ومعناها أن ذاته ليست مركبة، وليس لغيره ذات تشبه ذاته . . أما الوحدانية في النصرانية ــ كما تمخض عنها مجمع نيقيه في القرن الرابع الميلادي ـ فتعتمد على ما جاء في إنجيل متّى الباب الثامن والعشرين، والعدد التاسع عشر : (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس) . والمدقق في النصوص الكتابية يرى إضافة هي (إله واحد أمين)** ويشار إليها في الحاشية بأن هذه الإضافة لم توجد أصلاً في النسخ القديمة . بل وجدت في الترجمات» .

مقارنة بين عقيدتين

ويمضي **إبراهيم** يحدثنا كيف أسهمت كتابات كبار القسس النصارى ـ دون قصد منهم ـ في تيسير الطريق نحو اعتناقه الإسلام، إذ قرأ في كتاب علم اللاهوت **للأنبا يؤنس** ــ الجزء الأول ـ ما نصه : «**إننا نجد أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة يخاطب الآخر أو يتكلم**» بينما المسلّم بـــه أن أسماء الشخص الواحد وصفاته المختلفة لا يمكنها أن تتخاطب معًا أو تتكلم عن بعضها بأمور صريحة تسمعها الآذان وتدركها الأفهام .

وتوقف أمام الاختلاف في مفهوم الوحدانية بين مدارس النصارى المختلفة، وما تعرض له «أريوس» من ظلم وتعذيب لرفضه فكرة ألوهية المسيح ومناداته بإنسانيته، كما توقف أمام نظرية النداء والغفران التي هي أساس عقيدة التثليث، فأحس بعدالة الإسلام وصدقه حين جعل التوبة النصوح وسيلة لغفران الذنوب .

وكثرت مقارناته بين سمو ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في التوراة والإنجيل من كلام محرف، وانتهت المقارنات إلى الإيمان الراسخ بأن الله سبحانه وتعالى قد ﴿**أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾ التوبة ٣٣ .

خطوة إيجابية

حين انتهى **إبراهيم** إلى هذه القناعة رأى ضرورة اتخاذ خطوة إيجابية تحسم موقفه، وهي اعتزال الخدمة الدينية النصرانية واعتزال الأهل والعشيرة والأصدقاء الذين يربطونه بها، فتقدم إلى مسؤولي الإرسالية بطلب اعتزال الخدمة، وبعد معارضة منهم وإصرار من قبله تم له ذلك، والتحق بوظيفة مساعد مدير مبيعات في إحدى الشركات بالقاهرة في يوليو ١٩٥٥م، وساعدته هذه الوظيفة على اكتساب خبرات مكتبية وتسويقية، تؤهله للاستقلال بنفسه، ومن ثمّ تتيح له فرصة إعلان إسلامه وقدمه راسخة، وساقت له الظروف **الدكتور محمد عبد المنعم الجمّال** المدير العام لمصلحة الضرائب، الذي راجع الشركة التي يعمل بها من أجل طباعة الجزء الثلاثين من القرآن الكريم مفسرًا باللغة الإنجليزية، وكلفته الشركة بهذه المهمة، وأتاح له الاحتكاك بالدكتور الجمّال بما يحمل من فكر إسلامي مستنير فرصًا عدة لمعرفة الكثير عن الإسلام .

قراره بإشهار إسلامه

واتخذ **إبراهيم** قراره بالاستقلال بمكتب تجاري خاص كي يمكن له أن يجد موردًا للرزق في حالة محاربته في رزقه إذا ما أشهر إسلامه، وافتتح المكتب في مارس ١٩٥٨م، وفي أعياد النصارى الغربيين وبالتحديد في ٢٥ ديسمبر ١٩٥٩م الذي يزعمون أن **المسيح عليه السلام** وُلد فيه، تدارس مع نفسه قرار إشهار إسلامه من نواحيه كافة : الزوجية والعملية، ووجد أنه لابد من مواجهة الحقائق، فأرسل دون تردد خطابين، أولهما للدكتور **جون طومسون** رئيسه في العمل، والآخر لمحافظة القاهرة لإشهار إسلامه .

أحدث الخطاب الأول آثارا عكسية شديدة، منها رفض أرباب البيوتات التجارية النصرانية التعامل معه، وهجر زوجته له وتركها أبناءها، أما الخطاب الثاني فكان من آثاره كما يحكي بنفسه : «تحديد جلسة للمناقشة والمواجهة من قساوسة جاءوا فزعين إلى منزلي مساء يوم الثلاثاء من يناير ١٩٦٠م وكان من الواجب أن يخطرني بذلك قسم الوايلي الذي يتبعه محل إقامتي، لكن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث، وما إن علمت بموعد الجلسة حتى تهيأت لها، وما إن جاء شهر فبراير حتى أحيلت الأوراق إلى الشهر العقاري للتسجيل، ولما أيقنت الزوجة أن الأمر صار مقضيًّا به استأذنت في ترك المنزل، وأذنت لها وأنا عالم بطرق التبشير المرير لإصرار زوجتي على موقفها باعتبارها نصرانية، وعلى سبيل المثال فإن المرسلين من الخطورة بمكان لا يبارى **وها هي سمومهم** : «**فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف به أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات، ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات**» إنجيل متى : ١٠ : ٣٢، ٣٣» .

بمثل هذه السموم انتزع القسس زوجة إبراهيم من حياته الآمنة المطمئنة، وأحالوا أهله وعشيرته إلى خصوم أعداء، لكنه واجه كل هذه المصاعب بصبر وإيمان حتى كتب الله له أن يتم **إشهار إسلامه رسميا في ٢٠/ ٥/ ١٩٦٠م، حيث صدر القرار بتغيير الاسم والديانة له ولأبنائه الأربعة** .

وتجلت عناية الله ورحمته بعبده المهتدي حين ذلل له ما يواجهه من مصاعب الحياة نتيجة محاربته في رزقه، إذ ترامت قصته إلى أسماع الأستاذ **أحمد عبد الله طعيمة** ـ يرحمه الله ــ وزير الأوقاف الأسبق، الذي استدعاه في مارس ١٩٦٠م وعينّه خبيرًا للشؤون الدينية في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

وكتب الله لإبراهيم أن ينعم بنعمة الإيمان بدلاً من أن يعمل على تقويض عقيدة المسلمين وجذبهم للنصرانية، وصار المنصّر السابق داعية إلى الله يخدم دينه بحماسة غير مبتغ سوى ما عند الله من الأجر والثواب .

مس الكافر القرآن

■ ما حكم مس الكافر القرآن الكريم لتفسيره؟

ع . ن . م ـ الباكستان

□ إذا كان القصد من هذا تعليمه شعائر لدين الإسلامي وآدابه وأحكامه والاستفادة فلا بأس بهذا، بل لعله من الأمور المهمة بجانب الإقناع الجدلي العلمي بحسن جدل وطرح وعقل .

ولعله يقرأ عليه من القرآن فيسمع هو القرآن بنفسه بحكمة ووداعة .

زواج كبير السن

■ **إذا جاء رجل يخطب بنتًا، والفارق بينهما كبير في حدود العشرين عامًا، فهل يصلح هذا ؟**

د . ي . أ ـ دمشق ـ سورية

□ إذا عرف الخاطب كبير السن من نفسه قيامه بواجبات الزوجة على وجه حقيقي فهذا صالح، ولا أرى ما يمنع، وفارق السن ليس سببًا للمنع، بل ربما كان الكبير أوقع في النفس من الصغير من حيث التجربة والعقل والعفاف .

ولم تظهر بدعة كبير السن إلا منذ عشرين عامًا تقريبًا، وإلا فكم زواج تم في القديم والحديث وصلح وأفلح مع فارق السن هذا .

فالمقصود أن الشرع والعرف يجيزان هذا، وليس هناك ما يمنعه . ولعل المنع يأتي من خلال أن كبير السن بتقدم سنه لا يقدر على القيام بحق الزوجة الصغيرة، وهذا أمر نسبي ليس من الحق جعله سببًا لطرحه أمام الحاصل الكثير مما تم في مثل هذا .

حديثان صحيحان

والثالث ضعيف

■ **ما صحة الحديث : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، والحديث : «يسّروا ولا تعسروا»، والحديث : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»؟**

ل . س ـ الرياض ـ جامعة الإمام ـ كلية أصول الدين

□ الحديثان الأولان صحيحان، وتمام الأول : «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» في رواية أخرى .

أما الثالث فلعلي سبق أن ذكرت أنه حديث ضعيف، وهو كذلك؛ لأن النبي ﷺ بُعث بالتوحيد الخالص، الذي هو دعوة الرسل عليهم السلام . ومكارم الإخلاق تأتي تبعًا للقرآن الكريم، والإسلام جاء بالمكارم كلها، وهي من الخلق الحسن والعادة الجليلة، وقد قال تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾، وثبت عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حينما سئلت عنه ﷺ أنها قالت : **«كان خلقه القرآن»** .

وقد حث الإسلام على النجدة، والكرم، والبذل، والستر، والعفو، والشجاعة، والأمانة، والوفاء ابتداءً .

وما كان عند العرب قبل الإسلام من هذه العادات الطيبة، فإنما جاءتهم من بقايا دين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

ولهذا تجد الشعر الجاهلي يزخر بالعقائد الأولى كشعر زهير وأمية بن أبي الصلت وسواهما .

الجهاد يسقط عن المعذور

■ **لا أستطيع الجهاد لأنني معذور، فهل يسقط عني الجهاد ؟**

حسام د . ن . أ ـ أزمير ـ تركيا

□ الجهاد الذي تعنيه هو جهاد الكفار، والذي عرّفه العلماء بأنّه بذل الجهد والطاقة لقتال العدو .

ففي حال يسقط عنك كونك معذورًا كالعرج والمرض وسواهما، وفي حال لا يسقط عنك، فلا يسقط عنك جهاد الدعاء، فتخلص النية، وتسعى إلى حلال المال، ثم تدعو الله بهلاك العدو، وتلح في الدعاء .

والدعاء على الأعداء حال العذر أمره عظيم جدًّا، ففي هذه الحال لا يسقط عنك الجهاد، وكم فعل الدعاء من أفعال خطيرة في الأعداء، وقد توافرت النصوص على هذا، كما دلت عليه حال المسلمين عبر العهود .

الأرض للأول

■ **رجل أحيا أرضًا إحياءً خفيفًا، وبعد مرور ثلاثة أعوام فوجئ بظهور وثيقة جديدة (صك) لإنسان آخر، علمًا بأن هذه الأرض ليست مملوكة لأحد بيّن بأدلة شرعية ثابتة . فمن أحق بالأرض ؟**

نايف سي . م . ـ سلطنة عمان

□ إذا كان الحال كما وصفت على الحقيقة فتكون للأول، ولا قيمة للإقطاع الثاني، ما لم يكن هناك مستند بملكية الأرض للثاني أو مورثيه، لأن مجرد إحياء الأرض من قبل الأول كاف لتملكها حسب النص الشرعي وقواعد الإحياء، كما هو في مطولات كتب الأصول، وفروع الفقه، ونصوص الحديث الدالة على هذا .

وإن كان سوف يحصل من جراء هذا متاعب؛ أرى لازم الصلح إن كان صاحبك تقيًّا ورعًا . والأمر على ما ذكرت أنها ليست مملوكة لأحد .

ردود سريعة

● **الأخ فهد بن براك العبدلي ـ مكناس ـ المغرب :**

١ ـ ليس هناك أي فرق بين أركان كل صلاة من الصلوات الخمس .

٢ ـ زكاة الذهب في كل أحد عشر مثقالاً ربع العشر .

٣ ـ المال الحرام لا زكاة عليه لأنه مال باطل، لكن يتوب صاحبه ويرده إلى ذويه، أو إن كان ربا يتخلص منه بجعله في جماد .

تجربتي مع الصحافة الأدبية

بقلم: عبد الغني محمد العطري




الصباح
عين الرضى وعين الغضب

الصفحة الأولى من العدد ٧٧ من «الصباح» الصادر في ٢٦/٧/١٩٤٣م

الكاتب في سطور

● عبد الغني محمد العطري.
- أديب وصحافي سوري.
- خاض في عام ١٩٤١م تجربة إصدار مجلة باسم «الصباح».
- بين عامي ١٩٤٥م و١٩٦٣م أصدر مجلة أخرى أسبوعية سماها «الدنيا».
- عقب إيقاف الدولة لمختلف الصحف والمجلات ومن بينها مجلة «الدنيا» قدم إلى المملكة العربية السعودية وعمل في وزارة الإعلام بالرياض لمدة عامين.
- عاد إلى دمشق، ولكن ظلت علاقته وطيدة بالسعودية إذ عمل رئيسًا لقسم الصحافة في سفارتها بسورية لمدة سبعة عشر عامًا.
- متفرغ الآن للعمل الأدبي.
- له عدد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة.

كان ذلك قبل اثنين وخمسين عامًا بالتمام.

في صيف العام ١٩٤١م ضقت ذرعا بمقاعد الدرس. وجدتها أصغر من أحلامي المجنحة، أحلامي التي اتسعت قبل الأوان. قررت أن أكون رئيسًا لتحرير مجلة أدبية كبرى، تجمع أقلام كبار الأدباء العرب.

وكيف لا أفعل ذلك، ومجلة «الرسالة» كبرى المجلات الأدبية في الوطن العربي، وصاحبها أحمد حسن الزيات، تنشر لي كل ما أبعث إليها من مقالات وقصص؟

كيف لا أثور على ركود الحياة الأدبية في سورية، وأدباؤها قابعون في بيوتهم، قانعون بمتابعة أخبار الغارات، والمعارك، والقتال الرهيب؟

كانت الحرب في أوج اشتعالها.

كان شاغل الناس وهاجسهم، تأمين الغذاء والكساء لا أكثر.

كان الناس، كل الناس، يتساءلون بحيرة وقلق:

- هل نعيش إلى الغد؟ وهل يتاح لنا ولبلادنا أن تنجو من جحيم الحرب؟ كانوا يسمون الورق، وورق الصحف بشكل خاص، الذهب الأبيض، لندرته، وغلائه، وصعوبة الوصول إليه.

كان قلم الرقيب الفرنسي الأحمر، عملاقًا، رهيبًا، لا يغفر، ولا يعفو، ولا يتسامح.

في هذا الجو القاتم الرهيب، قررت أن أخوض المغامرة الطائشة حتى النهاية، ولم أكن قد تجاوزت العشرين إلا بقليل.

لم يكن هذا العمر، يسمح لي بالحصول على ترخيص بإصدار جريدة أو مجلة، ولم تكن ظروف الحرب تسمح بمنح ترخيص جديد لأحد.

حيلة

لجأت إلى الحيلة: وجدت عددا من امتيازات الصحف الصغيرة وقد عجز أصحابها عن إصدارها، بسبب ظروف الحرب، وغلاء الورق، فأخذوا يصدرونها كل ثلاثة أشهر، وبمواد جاهزة للطبع، من صحيفة مستمرة في الصدور وبعد تبديل طفيف جدا ببعض العناوين، حفاظًا على امتيازات هذه الصحف من الإلغاء. وكانت هذه العملية تشكل عبئًا ماديًا ثقيلاً عليهم.

فاتفقت مع واحد من هؤلاء «الصحافيين» على استئجار امتياز جريدته لمدة سنتين، لقاء

من تجاربهم



أجر شهري قدره خمس وعشرون ليرة سورية أي ما يعادل نصف دولار بسعر اليوم! . واشترطت ألاّ يتدخل في شأن من شؤون المجلة . وفرح صاحب الامتياز بهذا العرض، وتخلصه من أعباء وتكاليف الجريدة .

مولد «الصباح»

كانت الجريدة تحمل اسم «الصباح» وكانت يومية سياسية، فجعلتها أسبوعية أدبية ثقافية .

وقد صدر العدد الأول من «الصباح» يوم السادس من تشرين الأول «أكتوبر» من العام ١٩٤١م فأشفق الأصدقاء، وسخر الأعداء، ووقف الزملاء يرقبون النهاية المأساوية، لهذه المغامرة التي بدأها شاب طائش، مغامر، لا يحسب حسابًا للعواقب .

أصبحت دمشق مركز إشعاع أدبي كبير، بعد أن كانت عالة في أدبها على مصر ولبنان .

لم أبال بالجهد والإرهاق . ولم أعبأ بالخسارة المادية، لا لأني ثري مترف، بل لثقتي بأن العمل الناجح، لا بد أن يؤتي ثماره . وقد تحولت الخسارة فيما بعد إلى ربح محدود، ولكنه كافٍ لاستمرار العمل، ودوام الصدور .

وتابعت «الصباح» صدورها بانتظام، رغم كل المتاعب والأشواك وعقبات الورق والطباعة . ورقابة الانتداب الفرنسي الظالم .

نافذة للأعلام

على صفحاتها نشر أعلام الأدب والفكر في

بقصصه ومقالاته : وكذلك سهيل إدريس، وكان أول ظهوره على صفحات «الصباح» .

نزار ودائرة الضوء

بقي أن أروي للقارئ العزيز قصتي مع أخي وزميلي في المدرسة، الشاعر الكبير نزار قباني :

جاءني نزار بعد صدور الأعداد الأولى من «الصباح»، وبيده قصيدة غزلية ــ لعلها أولى محاولاته في الشعر، وقد كتبها بخط جميل منمنم، على ورق أزرق فاخر، وهيأ لعنوانها «كليشيه» مكتوبة بخط أنيق، وطلب أن أنشر له قصيدته هذه .

قرأت القصيدة ــ بهدوء ــ حتى نهايتها، ثم علقت عليها قائلا :







محمد كرد علي وخليل مردم بك وزكي مبارك وآخرون نشروا في «الصباح»

صدر العدد الأول، فإذا بالقارئ يصاب بالذهول والدهشة، وهو يرى الصحف اليومية الكبيرة تصدر في صفحتين صغيرتين، وتطبع أحيانًا على ورق ملون من ورق إعلانات الحرب، التي يبشر فيها الحلفاء بقرب النصر. وسحق النازية والفاشية، وأصحاب الصحف يشكون ويئنون، وحلمهم الأكبر، الحصول على «بالة» ورق واحدة! .

كان العدد يضم مقالات وقصائد وقصصًا لأعلام الأدب والفكر في سورية ولبنان، وتبعه العدد الثاني والثالث . . ثم العاشر، وأخذ الأدباء والشعراء يلتفون حول «الصباح»، ويمدونها بثمار العقول النيّرة، وفيض الخواطر الناضجة .

الوطن العربي آثارهم . نشر فيها محمد كرد علي، وشفيق جبري، وخليل مردم بك، وعمر أبوريشة، والصافي النجفي، ومحمد البزم بعض آثارهم .

ومن مصر نشر فيها الأدباء الراحلون : زكي مبارك، ويوسف جوهر، وصلاح الدين ذهني، وعلي أحمد باكثير، وعبد المعطي المسيري .

أما رائد القصة العربية محمود تيمور فقد كان لي صديقًا وفيًّا، وأخًا عزيزًا وأستاذا موجهًا، يمدني بقصصه ومسرحياته ومقالاته على الدوام، ونشرت له كتابًا يحوي مسرحيتين هما «أبو شوشة والموكب» وكان يطيب له أن ينعتني على الدوام بلقب : «دينامو الصحافة والأدب في سورية» .

ومن لبنان كان خليل تقي الدين يمدني

ـ هذه القصيدة يا نزار جريئة أكثر من اللازم، ونشرها يسبب لنا متاعب وإشكالات بلا حدود .

غير أن نزار أخذ يلح على ضرورة نشرها، ويحثني على أن أكون شجاعًا وجريئًا مثله، وألاّ أخشى العواصف، ووجدتني في النهاية مستسلما لإلحاحه ومستجيبا لما أراد . وظهرت القصيدة، فأعجب بها بعضهم، واعترض بعض آخر، وتابعت بعدها نشر قصائد كثيرة رائعة لنزار، وكانت هذه المرحلة بدء انطلاقته، وبداية تألقه وشهرته الواسعة، التي يحسده عليها معاصروه من شعراء العربية .

«الصباح» و العجيلي

قصة أخرى أحب أن أضعها تحت أنظار

القارئ، مع عَلَم آخر من أعلام الأدب المعاصر، هو أخي الدكتور عبد السلام العجيلي. فقد بعث إليّ - ذات يوم - وهو طالب في كلية الطب، بمقالة كتبها بأسلوب المقامات، وأسماها «المقامة الطبية» فسحرني أسلوب المقالة، وسخريتها الصارخة، فنشرتها دون أن أعرف صاحبها.. وتوالت مقامات العجيلي وقصائده ومقالاته. وكانت هذه بداياته. وحين أقامت «الصباح» مسابقة للقصة القصيرة، فازت قصته «حفنة من دماء» بالجائزة الأولى، وقدرها خمسون ليرة سورية، أي أقل من دولار واحد، بسعر اليوم!. وقد قدمها الشاعر الكبير الراحل عمر أبو ريشة.

أعود بعد هذا لأقول: إن «الصباح» نشرت لوداد سكاكيني وزوجها الدكتور زكي المحاسني روائعهما وأجمل ما أبدعاه.

وعلى صفحاتها نشر فؤاد الشائب، وبديع حقي، وصلاح الدين المنجد، ونزيه الحكيم، وخليل هنداوي، وممدوح حقي، وروحي فيصل، وسعد صائب، وعشرات غيرهم من الأعلام، أجمل وأحسن ما أبدعوه.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن «الصباح» كانت متشددة جدًّا في النشر، لا تدفع إلى المطبعة إلا بالمادة فائقة الجودة، ولو جاءت من كاتب ناشئ مجهول، وكانت تطوي وتغفل أية مادة ضعيفة، ولو جاءت من أحد أعلام الأدب والفكر.

وباتت «الصباح» ميدانًا فسيحًا للأعلام، ولجميع المبدعين، مشهورين وناشئين.

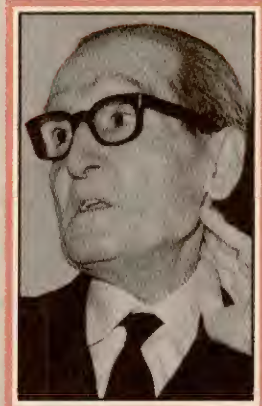
مسيرة الإبداع بين الأدواء

واستمرت القافلة تسير من نصر إلى نصر، والأقلام تتبارى، والقرائح تبحث عن مزيد من الإبداع.

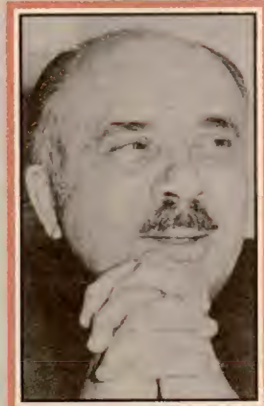
لم نبال بجو الحرب، بل تناسيناه. ولم نعبأ بغلاء الورق، بل تجاوزناه. ولم نخش قلم الرقيب الرهيب، بل تحاشيناه. ولم نهتم بالتعب والإرهاق؛ لأن عزيمة الشباب كانت أقوى منهما.

ولكن الحسد، والخيانة، والغيرة، هذه الأدواء القاتلة، كلها تكاثفت وتآمرت ذات يوم، على الصرح الأدبي الشامخ، الذي بنيته بالعرق والدموع، وبالعزيمة التي لا تقهر، والتصميم الذي لا يتراجع.

> على صفحات "الصباح" نشر أعلام الأدب والفكر في الوطن العربي آثارهم



نشرت لمحمود تيمور كتابا يحوي مسرحيتين: أبو شوشة والموكب.



سهيل إدريس كان أول ظهوره على صفحات «الصباح»



نزار قباني ألحّ علي نشر محاولاته الشعرية الأولى

> أشفق الأصدقاء، وسخر الأعداء، ووقف الزملاء يرتقبون النهاية المأساوية لهذه المغامرة

نعم لقد تآمرت الخيانة، والحسد، والغيرة على الصرح، الذي ظل يتنامى طوال سنتين كاملتين، فهدمته، وجعلته ينهار في لحظات. ولكن كيف تم ذلك؟.

لجأ عدد من أشرار الحسد، والخيانة، والغدر، إلى صاحب امتياز المجلة، فحرضوه على عدم تجديد عقده وتعامله معي، وأوغروا صدره علي. فعلوا ذلك، لينهار هذا الصرح الشامخ.

وتوقفت «الصباح» عن الصدور، ولكن مجموعة أعدادها التي صدرت طوال سنتين كاملتين، بقيت، وستبقى مرجعًا لا غنى عنه، لكل من يريد أن يدرس، أو يؤرخ، أو يتحدث عن الحياة الأدبية والفكرية في الوطن العربي، خلال هذه الحقبة من الزمن. كان ذلك قبل اثنين وخمسين عامًا بالتمام.

ولعل بين القراء الأعزاء من يهمه أن يعلم أني لم أستسلم لهذا الفشل، بل أخذت منه درسًا وعبرة، وأصدرت بعده مجلة «الدنيا» على أسس راسخة، وكانت لونًا جديدًا في الصحافة الأسبوعية الجامعة، ولقيت من النجاح ما لا حد له، إلى أن أوقفتها السلطة مع سائر الصحف والمجلات، وقد تفرغت بعد ذلك للعمل الأدبي والتأليف. وأصدرت عددًا من الكتب، ولا يزال بين يدي المزيد منها.

○ ○


العقاد

الفارس

شعر: د. صابر عبد الدايم

مهداة إلى عملاق الأدب العربي : عباس محمود العقاد

في زمـــــان الهوانِ أنْـتَ الإبـــــاءُ ... والمنــــاراتُ من حجـــاكَ تُضَـــاءُ

والمفـــــازاتُ شجَّـــــرتْهَا لُحُونٌ ... أنْـتَ فيهـــا الغنـــاءُ والأصْـــداءُ

أنْـتَ أيقظْتَ في الصَّبـــاح نيـــامًـــا ... كـــــانـتِ الأرْضُ لَيْلَهـم والسَّماءُ!!!

أسْكنـــوا الحَرْفَ هيْكـــلاً مــرْمــريًّـــا ... والخيـــــالاتُ في رُؤاهُـمْ خُـــــوَاءُ!!!

فجَّـــــرتْ رُوحُـكَ الفتيَّـــــةُ فيهمْ ... لغـــةَ الضـــوء.. وهْـي حـــاءٌ وبـــاءُ

عـــانقـــوا الشّمس في الظهيرة.. والحقُّ.. ... ... خطـــاهُ.. لمْ تُثْنِها الـــرَّمضـــاءُ

وَهَـجُ الصِّــــدْقِ فيكَ نـــورٌ ونـــارٌ ... وإلى نـــوركَ المريـــــدون فـــاءُوا

لغـــةُ النـــار أنْـتَ فيهـــا المرايـــا ... ... والحُروفُ العَـــواصفُ الهوجـــاءُ

أيّ ريـحٍ أثَـــــرْتَها في فضـــــاءا ... تِ رؤانـــا فَـــزُلْـــزِلَ الشُّعـــراءُ؟!!

أيّ نـــارٍ سَكَبْتَهـــا في مســـافـــا ... ت هـــوانـــا فـأُحْـــرِقَ الضعفـــاءُ؟!!

أيّ كنــزٍ... وجـدْتَـــهُ في كهـوف النَّفس ... والنَّفـس والـــوجـــودُ سَـــواءُ؟!!

لغـــة الضـــوء... لم تـــدع لك حِبًّـــا ... غيْرَ مَـنْ أنْـتَ في مـــدَاهُـمْ رجـــاءُ

لغـــة النَّـــار... أبعـدتْـكَ عن الضـــوء ... وفي الضَّـــــوْء تكْمُـنُ الظلماءُ!!!

عبقـــريٌّ... ســـافـــرْتَ في عبقـــريّـــا ... تِ التـــواريـخ... والحيـــاة اصطفـــاءُ

فـــارسٌ أنـتَ لـــلإبــــاء تغنّـي ... لـك في ســـاحـــة الخلـــود لـــواءُ

من المكتبة السعودية







أحمد محمد جمال
(رحمه الله)

● الكتاب: قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي

● المؤلف: أحمد محمد جمال

● الناشر: دار الصحوة للنشر. القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ٢٠٩ص

يقدم المفكر الإسلامي «أحمد محمد جمال» كتابه ببضعة أسطر، دالة على أن موضوعات هذا الكتاب «قضايا عصرية في محكمة الفكر الإسلامي» مما اختلف حوله العلماء والمفكرون والكتاب قديمًا وحديثًا. ولهذا تناولها بالبحث والدراسة، والحوار والجدال، في بعض الندوات والمجالس الثقافية والفكرية، وعلى صفحات المجلات العلمية والأدبية. ومن هنا فقد أحب أن يجمع شتاتها في هذا الكتاب، ويطرحها مرة أخرى بين أيدي القراء من باحثين ومفكرين وطلاب علم عسى أن ينتفعوا بها. وأبرز موضوعات وأفكار الكتاب حسب التسلسل التالي:

★تحكيم الشريعة الإسلامية واجب في كل زمان ومكان. وقد استخلص هذا العنوان من خلال آراء العلماء في وجوب تحكيم الشريعة، بدليل أن آيات القرآن تؤكد وجوب الحكم بما أنزل الله، حيث إن أئمة السلف لهم تعليقات على تلك الآيات، أمثال: ابن القيم وابن تيمية، وابن حزم والزركشي، ومحمد بن عبد الوهاب، وسيد قطب.

★ جهاد النفس أولا. وقد حدد الأستاذ أحمد محمد جمال مفهومه، وعدّه الجهاد الأكبر، بينما جهاد العدو هو الجهاد الأصغر، وشتان بين جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو المخالط أي النفس، ومجاهدة العبد هواه يجعل الرجل مؤمنا صادق الإيمان تقيًّا صحيح التقوى، جريئا على لقاء أعدائه، زاهداً في متاع الدنيا وزينتها، مؤثرًا الشهادة في سبيل الله على الزوجة والولد والحياة، واستأنس بكثير من آراء علماء المسلمين القدامى والمحدثين كعادته، فضلاً عن النصوص الفكرية، وبعض الأحاديث النبوية التي وقف عندها طويلاً ومما عدّها الرسول أرفع درجات الجهاد مثل ذكر الله، وكلمة حق عند سلطان جائر، وسعي المرء على نفسه لكفّها عن سؤال الناس، وعلى أبويه الضعيفين.

★الميدان الأول للدعاة الإسلاميين، بين الأستاذ أحمد محمد جمال حقيقة الدعوة الإسلامية، ورأى أنه لا بد من تطوير عصري لأساليب الدعوة، لاسيما أنه ثمة عقبات تعترض سبيل الدعوة، ولا بد من توجيه الدعوة إلى داخل المجتمع أولاً، ومن خلال كون الداعية قدوة عملية، لأن حقيقة الإسلام هي «دعوة وعمل»، وقد أحسن الأستاذ جمال تصوير مغزى أفكاره بقوله: «إنه لا بد أولا من تهيئة البيت لاستقبال الضيوف وتكريمهم قبل أن ندعوهم لزيارتنا. والبيت هنا هو المجتمعات الإسلامية، والضيوف هم الذين نريد أن ندعوهم إلى اعتناق الإسلام، والتهيئة الواجبة هي إعادة الإسلام بمحارمه ومكارمه إلى مجتمعاتنا وحكوماتنا وشعوبنا.. ليجد الضيوف في بيتنا مصداق كل ما سمعوه وما قرؤوه عن الإسلام حقيقة منظورة وواقعًا ملموسًا، فيؤمنوا به ويستجيبوا لنا».

★الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في مكافحة الجريمة. وأوضح الأستاذ جمال ذلك بدءا بكيفية تحقيق الأمن العام في المجتمع الإنساني، ووقوفا بكون المسلمين خير أمة، واهتمام الرسول بالنهي عن المنكر، والنصر والنجاة للآمرين بالمعروف، وانتهاء بمسؤولية العلماء عن إصلاح المجتمع واقتدائهم بذلك النظام القديم الإسلامي المعروف بـ(الحسبة).

★الإسلام دين السلام. تحدث فيه الأستاذ جمال باسترجاع حالة العالم قبل الإسلام، وتأكيد أن السلام الداخلي يأتي أولاً ثم السلام الخارجي - أي الاجتماعي والسياسي هما هدفا الإسلام — لأن الإسلام سلام حتى على مخالفيه كما يقول الأستاذ جمال، وإن كان في هذا القول تعارض على نحو ما مع طبيعة الجهاد في الإسلام. ولكنه يوضح أن الحرب الإسلامية هي جهاد، وأن الحرب من أجل المستضعفين الذين لا يستطيعون تحقيق السلام لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. وإن محمدا كان رسول السلام.

★ الاستعمار الذاتي في العالم الإسلامي. وما يقال عن الاستعمار بأقلام أهله. ويظل الاستعمار ملة واحدة، ولهذا أخذ الاستعمار الغربي في الانهيار، ولكن يبقى الا ستعمار الذاتي عند المسلمين هو الأخطر. من هنا فإن الجامعة الإسلامية هي المنقذ. لذلك كان هناك ضرورة قصوى من الحكومات الإسلامية للاهتمام بشبابها المسلم.

★ حول التصوير المحرم. أهو المرقوم أم المجسم؟ عالج الأستاذ أحمد محمد جمال هذا الموضوع معالجة فيها الكثير من الاجتهاد، مما يتفق مع روح الشريعة، وذلك من خلال إيضاح معنى التصوير في القرآن، وتحريمه في الحديث النبوي، وما ورد من آراء للصحابة والتابعين والفقهاء حول



التصوير، ثم ما انتهى إليه الفقهاء المعاصرون من فتاوى، أمثال الشيخ أحمد الخطيب، والشيخ محمد رشيد رضا، وما انتهى إليه الأستاذ جمال الذي أبانه بما يأتي:

إن تحريم التصوير ينصب على المجسمات التامة، وكان تحريمه في البدء لحداثة العهد بالشرك والوثنية، ولسد الذريعة، فإذا ترجحت المصلحة للإباحة جاز التصوير. وإن التصوير الآن أصبح ضرورة في كثير من العلوم والشؤون. ويبقى تحريم الصور المجسمة التي تتخذ للتعظيم حتى في الوقت الحاضر ومستقبلاً، كما يباح التصوير الفوتوغرافي واليدوي للضرورة العلمية والاجتماعية والإدارية.

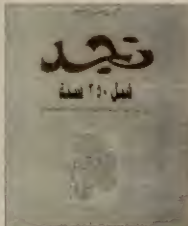
★ تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل. وهو من الموضوعات الذي تبرز فيه شخصية الأستاذ أحمد محمد جمال الفكرية والإسلامية بشكل تام.

ومنذ كلماته الأولى لاختياره موضوع المحاضرة حين دعته جامعة الإمام محمد بن سعود لإلقائها في قاعة كلية الشريعة يوم ٥/٤/١٣٩٨هـ. ثم تأكيده أن الإسلام يحث على تعليم الرجل والمرأة. ولكن ثمة أمور مستجدة اليوم حيال هذه القضية. فبدأ بظاهرة الأدب النسائي، والعودة إلى الماضي القريب عند أوائل القرن العشرين، وقاسم أمين وتحرير المرأة وأسماء أخرى مسيحية وكتاب «السفور والحجاب» ونظيرة زين الدين، فكان ذلك الكتاب «من أخطر الكتب المزورة باسم المرأة لإفساد المسلمات، وتجريدهن من الحياء والعفة تحت شعار الحرية والمساواة». ثم وصل الأستاذ جمال بنا إلى ظاهرة ثانية هي الدعوة إلى الاختلاط، من خلال إيضاح رؤى دعاة التحرير وتشغيل المرأة في المجتمع السعودي، ثم رده على المتحررين وتفنيد ادعائهم حول مصير المرأة المتعلمة بعد اكتفاء المملكة من احتياجها إلى المدرسات السعوديات، وأن المرأة نصف المجتمع، وهي في السعودية طاقة معطلة، ولا خوف من زلاتها في عملها مع الرجل، ولا سيما أنها أصبحت مصدر إنفاق على البيت وغيره من ادعاء. ثم الانتقال بنا إلى ظاهرة ثالثة هي تجريء البنات على الخروج لخوض معركة ـ المصير النسائي ـ ورده عليها، وظاهرة رابعة وهي ظاهرة الحملات الصحفية بأقلام بعضهن على الفتيان الجامعيين الذين يمتنعون عن الزواج بالفتيات الجامعيات لإحساسهم بالنقص حيالهن.

وإذا كان الأستاذ جمال قد أورد مواقف وآراء المتحررات، فقد أشاد في الوقت نفسه بالمصونات.

ولأن الموضوع محاضرة، مثل الكثير من موضوعات هذا الكتاب، فقد استوجب من المحاضر الرد على حوار وأسئلة المستمعين، مما أغنى مادة الموضوع أو المحاضرة. وكانت خلاصة مواقف الأستاذ جمال عن تعليم المرأة وتوظيفها وعملها يتركز على أن التنمية الحقيقية سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم عمرانية لا تتحقق إلا برجال مخلصين نشؤوا داخل بيوت عامرة بالإيمان والعرفان، تديرها أمهات صالحات قانتات. ولهذا يقول: «فأعطني ــ أولاً ـ أمهات عارفات بحق الأزواج والأولاد، مخلصات في أداء واجبهن إزاء أسرهن وبيوتهن، أعطك رجالاً يضعون وينفذون الخطط الإنمائية بإيمان وأمانة ورثوهما عن أمهاتهم القانتات الصالحات المستقرات في بيوتهن الحافظات لأعراض أزواجهن». وكأن الأستاذ جمال يعيد هنا قول ذلك الأب الكريم لأولاده يومًا: «والله لقد أحسنت إليكم الآن وقبل مجيئكم بعشرين عامًا. فتعجب أولاده وسألوه: وكيف أحسنت إلينا قبل مجيئنا؟ قال: بحسن اختياري لأمكم قبل مجيئكم».

وقد وردت بعض العبارات التي تعارض الأخرى في هذا الموضوع، كردّه مثلاً على ادعاء من خشي مصير المتخرجات الجامعيات بعد الاكتفاء من احتياج المملكة إلى المدرسات السعوديات إذ قال: «فهل يعقل أننا سنستغني عن التعاقد مع مدرسات أجنبيات أو نكتفي بالمدرسات السعوديات، ثم يفيض عددهن عن الحاجة؟» ص ١٧٢، ويقول في ص ١٨٥ عن ملء فراغ مجال التدريس وأن «هذا يغنينا عن الاستعانة بمديرات ومدرسات غير سعوديات» على أنه في رده على أحد السائلين عن الموضوع نفسه يؤكد بكل يقين «بأن هذا الاكتفاء المنتظر لن يتحقق لأسباب كثيرة» ص ١٨٩. ولقد كان الكثير من آراء الأستاذ جمال صائبة حول مهمة المرأة الأساسية التي جعلت لها، وهي البيت وتربية الأبناء؛ لأنها خلقت لتكون سكنا للرجل، وخلق الرجل ليكون سكنا لها، وهذا يصح في المجتمعات الغنية، بينما المجتمعات الفقيرة، وأفرادها ذوو دخل محدود، يحتاجون لمن يشاركهم في زيادة ذلك الدخل. فتدخل المرأة معترك الحياة جنبًا إلى جنب مع الرجل في جهاد مستميت من أجل لقمة العيش.





د. محمد بن سعد الشويعر

● الكتاب: نجد قبل ٢٥٠ سنة
● المؤلف: د. محمد بن سعد الشويعر.
● الناشر: إصدارات النخيل. الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ١٤٢ص

يقودنا د. محمد بن سعد الشويعر، من خلال كتابه: «نجد قبل ٢٥٠ سنة» وبكل تؤدة وتواضع وروح علمية إلى عالم بحثه، ومنذ كلماته الأولى في تمهيده، حين يذكّر قارئه بأن بحثه هذا مختصر، ولم يكن غير مقالات نشرت من قبل في الصحف، وأنها سكنت هذا الكتاب بقصد «إثبات أن وسط الجزيرة العربية ــ منطقة نجد بالذات ـ وإن قلّ ما وصل إلينا علمه، مرصود في سجلات التاريخ، فإنه حافل بمعالم حضارية. فرقت بين جزء من سكانه وبين حياة البداوة والانتجاع خلف الكلأ والمرعى».

ولقد كانت تلك العبارات فحوى قصده ومنهجه وفكره وجهده، فإنه استطاع أن يجمع الشتات في سجلات التاريخ ـ رغم وصول القليل منه إلينا ـ عن نجد قبل قرنين ونصف، ويثبت ويؤكد معالم حضارية كانت لتلك البقاع. وقد شخصت تلك المعالم بأطرها الثقافية والعلمية والعمرانية والحربية والاقتصادية.

وكان للتحديد الزمني التاريخي لهذا البحث دور كبير في رصد المعلومات، وكشف الحقائق في سياق متدفق. فكان ما قبل عام ١١٥٨هـ، تاريخ قيام الدولة السعودية الأولى، هو نهاية للتحديد الزمني الذي يمتد إلى ما بعد الفترة التي تلت دولة الأخيضريين في اليمامة (٢٥٣ ـ ٣١٧هـ) ثم القرامطة (٢١٧ ـ ٤٧٠هـ) حين قضى العيونيون في الأحساء على تلك الدولة القرمطية. ولهذا فقد كانت فترة القرامطة وما تلاها حتى قيام الدولة السعودية الأولى من عام ١١٥٨ هـ هي المرحلة التي كان المؤلف الشويعر يصحبنا معه إلى معالمها المظلمة المجهولة، في محاولة لتسليط أضوائه وكشف الخبايا المنسية.

وكان مجهود الدكتور الشويعر ينصب على تغيير بعض المفاهيم عن «نجد» التي روّج لها الكثير من الباحثين، وأكثرهم من الغربيين، ومفادها أن «منطقة نجد لا يعيش فيها إلا القليل من البدو، الذين يتنقلون في أرجائها ـ بشظف من العيش ـ من مكان لمكان طلبًا للكلأ، ويتقاتلون لأتفه الأسباب، ويسيطر عليهم الجهل المطبق، والفقر المدقع.

وأول موقف اتخذه الدكتور الشويعر هو تقديم بعض النماذج من معالم الحضارة النجدية، مستندًا على نصوص شعرية، ومراجع قديمة، ورسائل جامعية حديثة. ويمثل لمعالم تلك الحضارة منوّهًا بـ«شهرة مدينة (ثرمداء) بصناعة البرد الجيدة».

ومشيرًا إلى «خصوبة بلدة (سدوس) وكثرة نخيل (ملهم) القريبة منها» بالاستناد لما ذكره ياقوت الحموي وكذلك ما نقله الهمداني والأصفهاني عن جزيرة العرب، وكذلك ما ذكره الدكتور عبد الله محمد السيف في رسالته العلمية.

ويعود المؤلف دومًا ليؤكد «أن ستارًا أسدل على المنطقة مع قيام القرامطة، طمست معه معالم كثيرة من الرصد والتوضيح، وضاع معه جزء مما قد يكون دوّنه»، لذلك فإنه لا يفارقه اليقين بوجود الكيان الحضاري النجدي الذي جارت عليه الأيام، والأحداث التاريخية، مثل الكثير من البلدان العربية «كما حصل في بغداد بعد سقوطها في أيدي التتار أو في قرطبة بعدما استولى عليها فرديناند» وإنها لمقارنة قد يراها القارئ لا تستقيم مع الواقع التاريخي والجغرافي. ولهذا نجده يعترف ــ في تواضع ـ بقصور بحثه، واستماحة القارئ عذرا عما يجد فيه من ثغرات. ولكنه متيقن من وجود كنوز كثيرة في تراث هذه المنطقة ينتظر المزيد من الجهد الموفق والاستنتاجات المستنبطة مما رصد. ومما يزيد تفاؤله ويقينه تلك المادة التي وجدها في كثير من مصادره التاريخية، وبخاصة التي وجدها عند كل من: ابن بشر، والفاخري، وابن منقور، وابن غنام، الذين أرّخوا للفترة التي سبقت الدولة السعودية الأولى، ومع ذلك فما زال الدكتور الشويعر في انتظار المعلومات الكاملة والحلقات المتصلة من أي مصدر كان: تاريخًا أو شعرًا أو كتابة أو حكاية، أو مخطوطات أو حفريات أثرية، عسى أن تسلط الضوء لاستجلاء الحقيقة، ولكنه ـ وهو بصدد ذكر «بناء المدن وتعمير البلدان» ــ يرى أنه في «نجد» قد كثرت فيها حركة إنشاء المدن والقرى أو إعادة تعميرها، في الفترة التي يؤرخ لها حسبما وصل إليه علمه من النتف التاريخية.

وقد استمد مادته التاريخية عن تلك المواقع الجغرافية من المؤرخين القدامى والمعاصرين أمثال: حمد الجاسر، وعبد الله بن خميس، وسعد بن جنيدل، ومحمد العبودي.

وقد ألحق الدكتور الشويعر بتلك البلدان حركة علمية مزدهرة، وخصوصا بجهود المتوافدين إليها وببعض أسرها التي تعتبر منبع علم ومجمع معرفة، مثل: عائلة آل بسام في العيينة وعنيزة وعائلة آل شبانة في المجمعة وسدير وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد ــ في العيينة والدرعية. وكان ابن بسام قد تحدث في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» عن الحالة الحضارية والثقافية في نجد، وعن مناطق الازدهار، ولا سيما في أشيقر.

ويرى الدكتور الشويعر أن وجود القضاة في نجد دليل على الاستقرار المحلي ومن ثم فهو معلم حضاري. لذلك قدّم نموذجًا إحصائيا بلغ عدد قضاته واحدًا ومائة قاضٍ في أربع وعشرين بلدة من نجد ما بين القرنين التاسع والثاني عشر الهجريين. وكذلك بلغ عدد العلماء أربعة ومائة عالم. أما المكتبات الشهيرة فكانت ستا: مكتبة آل إسماعيل في أشيقر، ومكتبة آل عوسجي في ثادق، ومكتبة آل ذهلان في الرياض، ومكتبة آل عضيب في عنيزة، ومكتبة آل عتيقي في المجمعة، ومكتبة آل عبد الجبار ـ من آل شبانة ـ بالمجمعة أيضًا. وقد ذكر الدكتور الشويعر أحد عشر كتابًا خُطّ بأقلام من أهل أشيقر ما بين ٧٩٩ و١١٨٧هـ.



إن معـالم الحضـارة النجـدية هي هـاجس المؤلـف الأول في كل وقفاتـه، ولذلك يشيـر دومًا إلى بعض العـوامل التـي طمست تلك المعـالم، ومثلما رأينـاه يذكـر دور القرامطة فـي ذلك، نجده أيضاً يذكر دور الحمـلات العثمانية.

ورغم الحس الوطني الذي يغلب على مشاعر الشويعر ورؤاه الفكرية في كتاباته وتحليله لقضاياه التي عرضها، فإنه ثمة حقـائق - وإن بدت للوهلة الأولى أنها ليست ذات شـأن كبير - تشخـص في الأذهان عن نجد عبر الأزمنة، وتؤكدها المعلومات والنصوص الموثقة من الكتـاب، وتتركـز جميعها في الحـديث عن مظـاهـر الحيـاة العمـرانيـة والاجتماعيـة والعلمية والصناعيـة والحربيـة لنجد على نحو ما.





صالح بن علي الشهري

● الكتاب: دروس تربوية نبوية
● المؤلف: صالح بن علي الشهري
● النــــــاشر: دار الضيــــــاء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٦٢ ص.

يعـرض المـؤلف، في هـذا الكتـاب، بعض الآداب والفضـائل الإسـلاميـة التي يجب أن تأخـذ بها التربيـة بوسـائلهـا المختلفـة، وذلك من خـلال طـائفـة مختـارة مـن الأحـاديث النبـويـة، استخلص منهـا عشرين درسًـا في التربيـة والأخلاق.

وقـارئ الكتـاب يجد ثـلاث نقـاط منهجيـة التزمها المؤلف هي:

١ - المقدمة التي أفصح المؤلف فيها عن هدفه من تأليف الكتـاب بقوله: «يـجـد الـقـارئ فيها - أي في دروس الكتـاب - ما يغنيـه بـإذن الله عن تلك المنـاهـج والنظـريـات التربـويـة المستـوردة، التي لا تخرج عن كـونها بقايـا لفتـات مـوائد الغـرب، ولتكون بإذن الله لبنـة صـالحة في إعادة البنـاء المنهجي التربوي الإسلامي وصيـاغته بطريقـة صحيحة مستمـدة من كتاب الله العظيم، وهـدي رسـولـه الكـريم ﷺ، وسيرة السلف الصالح». ص١١.

فنحن أمـام كتـاب يحاول الإجـابـة عن تساؤلات كثيرة تثـار هذه الأيام عن مـوقف الفكر الإسلامي من قضـايا الواقع التربوي ومشكـلاته، فيقدم دليلاً عن عمق أصالة فكرنا التربوي.

٢ - التزام المؤلف بالأحاديث الصحيحة، فيما يـذكرهـا حيث لم يَرِدْ في كتـابه حـديثٌ ضعيف، رغم أن جمهور العلماء أجاز الاستفادة من ضعيف الأحـاديث في فضـائل الأعمال والآداب ممـا لا يترتب عليها حكم شرعي.

٣- استخدام المؤلف الأسلوب الواضح الذي يُمكّن القـارئ من استيعـاب الكتـاب في سهـولـة يسر، إذ عمـد إلى إيضـاح العبـارة والالتـزام بـالتنـاسب والتأكيـد على الأفكـار التربـويـة التي يعـرضهـا، فكـان يبسّط الكـلام في بعضهـا، ويختصره في بعضهـا الآخـر، حسب الحاجـة والضرورة.

ولقد تنوعت موضوعات الكتـاب، رغم أنه ضمّها إطـار تربـوي خلقي واحد، كما أنـه اختلط فيهـا التنظير والممارسة والتطبيق. ففي الـدرس الأول عـرض المؤلف مـوضـوعًـا عن الطبيعـة الإنسـانيـة، تحت عنـوان «فطـرة الإنسـان»، فـاستخلص المضمـون التربـوي للحـديث «كل مـولود يـولد على الفطـرة...»؛ وهـو موضـوع تحتـاجه أيـة فلسفة تـربـوية في تحديـد موقفهـا من الإنسـان وتصـورهـا لطبيعتـه وخصـائصـه. وفي الـدرس الثاني تنـاول «صفات المؤمن» من خـلال تحليلـه للحديث: «ليـس المؤمن بطعان ولا لعـان ولا فاحش ولا بـذيء»، وقد عاد إليها في حـديثه العـاشر «صفات تـربويـة إيمانية» حين أخـذ يحلل الحديث «من كان يـؤمن بالله واليـوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وهذه الصفـات تسعى التربية إلى تحقيقها.

وفي الـــدرس الخامس «فضـل العمل وذل السؤال» تناول فيـه موضوع العمل قيمـة إسلامية وفـرديـة واجتماعيـة؛ وهـو يحلل الحديث النبـوي «لأن يأخـذ أحـدكم حبلــه..». والعمل في الإسـلام عبـادة، فكل قطـرة عرق تبـذل فيـه آيـة جهاد توضع في موازين المرء مع صلاته وزكاته.

وفي الـدرس التـاسع عشر «سلامـة الأبـدان» يعرض المؤلف جانبًا «فسيولوجيًا» عن نمو الجسم وصحتـه، وارتبـاطـه بـالنمـو العقلي والنفسي والاجتماعي، وذلك من الحديث الشريف «ما ملأ ابن آدم وعـاء شر من بطنـه...»، والـذي يهدف إلى تـوفير الصحـة للفـرد، وإلى تحسين الأداة التي يمارس بها الفرد طاقته وجهـده وقوته في شق درب الحياة.

وهكذا في بقيـة دروس الكتاب التـي تدور في فلك التربيـة الخلقية، والقيم بين القـول والعمل. فضلاً عما فيهـا من إشارات تـربويـة أخرى فعّـالة ومـؤثـرة فكـراً وبـلاغـة.

- على أن كتـاب «دروس تربـويـة نبـوية» رغم كـونه خطـوة على طريق الأصـالـة وتأكيد الهويـة الحضـارية لـلأمة الإسـلامية في مجال التربيـة، فإن ثمة ملاحظتين عليه هما:

أ ــ كـان يمكن للمـؤلف أن يفيـد في شرح دروسه التربوية وإبراز معانيها التي قصد إليها من تجارب الأمم ونظريـاتها ومناهجهـا التربـويـة؛ أما أننا نـرفضها دون تحليـل لها، ومعرفـة ما يـلائمنا ويتفق مع أصـولنـا العقـديـة، ومـا لا يتفق ولا يــلائم، ونكتفي بــوصفهــا بأنها «لا تخرج عن كونها بقـايا لفتـات موائد الغـرب المنحل والشرق الملحد» فهـذا موقف ينبغـي أن يعيد العـاملون في مجال التربية الإسلامية النظر فيه.

ب ــ إن الكتـاب عـالـج ــ من خـلال تحليل الحديث النبوي - عديداً من الموضوعات التربوية التي أشرنـا إليهـا، ولكنـه أغفل الإشـارة إلى الكيفية التي يمكن أن نفيـد بها من المعاني التربـوية في عملنـا التربـوي.

على أن المؤلـف استطاع أن يشرح لنا الأحـاديث، ويستخرج منهـا بواطن لم تكن مرئية. وهـذا جهد طيب، وغاية نبيلة.

قراءة في

السريالية

عادل البطوسي

ما السريالية؟

هل هي جنون أفضى إلى جنون؟ أم تهويمات فنية أدّت إلى هذيان طبيعي؟

هل استمرت بعد وفاة رائدها ومنظّرها الأكبر «أندريه بريتون» زعيمها الذي قاد ثورتها؟ وهل للسريالية الآن حاضر حتى يكون لها مستقبل؟

هل نجحت في الخروج بمركب جديد يعيد التوازن ويفتح آفاقا للفكر؟ وهل بواعث قيام السريالية ما زالت قائمة، أم انهارت أمام حركة الواقع؟

هل ظل للسريالية ما يبررها باعتبارها حركة سلبية ازدهرت في سنوات ما بين الحربين، تُغالي في الاتجاه الانطوائي العام أمام حتمية التاريخ والقضايا المعاصرة، أم هي ضجَّة وانتهت؟

هل للسريالية علاقة بالدادائية والفوضوية والهلوسة واللاواقعية واللاوعي واللامنطق و(الشذوذ الفني)؟ وما علاقتها بالسقطات الأخلاقية في عصرها؟

هل تستحق السريالية هذا الصخب الهائل حولها، وهذا الكم من المؤلَّفات عنها، ومنها: «مسح موجز للسريالية» لديفيد كاسكوين ١٩٣٥م، «الأصول الأدبية للسريالية» لبالاكيان ١٩٤٧م، «فلسفة الفن الحديث» لهيربرت ريد ١٩٥٥م، «الحركة السريالية» لبول ري ١٩٧١م، «السريالية والشعر الحديث» لبلوك ١٩٥٩م... إلخ؟!

هل نجحت في تأسيس نهج فني من خلال الهروب من كل رقابة يفرضها العقل عبر «السيرياليزم» (ما فوق الواقع) و«السيرناتوراليزم» (ما فوق الطبيعة) والنزوح نحو سلطان الأحلام المطلق؟

التساؤلات متعددة؛ وهذا ما سنجيب عنه في هذه القراءة الشاملة للسريالية.

الدادائية البلشفية

حين كانت الحرب العالمية على أشدّها ظهرت نزعات فوضوية تخريبية متوقَّعة، حتى ولدت «الدادائية» في ملهى (كاباريه) فولتير في باريس عام ١٩١٦م، وانتشرت بين الأعوام ١٩١٨م، ١٩٢٠م من زيورخ إلى ألمانيا. وفي برلين المنهكة بالتضخم النقدي والثورة؛ تبوأت دوراً سياسيا، وتعالت الصرخة: (الدادائية هي بلشفية ألمانية)، واستجاب دادائيو برلين فورا للشعارات الفنية التي تبناها الحكم الروسي الجديد، وسعوا لكي تكون برلين معبرا روسيا إلى الغرب؛ وعرفت دادائية برلين (جون هارتفيلد - جورج جروس - أوتوديكس) حيث سنّوا طريقة في الرسم عرفت بـ (الواقعية السحرية) وهي تسعى إلى الاهتمام بالمحتوى، لكن في سياق إيحائي غامض نوعا ما، بدت فيه ملامح خفية للسريالية التي كانت في دور المخاض.

ولكن ماكس إيرنست المولود في عام ١٨٩١ الذي كان يخاطب اللاوعي طغى في دادائية كولون بألمانيا، وتخلّى عن دراسته الأكاديمية للفلسفة وعلم النفس (بعد أن تعرّف نظريات فرويد). وكان جنديًّا بالجيش الألماني زمن الحرب ـ وعبّر عن الأساطير في صورة رمزية مثل: «أوديب الملك» ١٩٢٢ (وعقدة أوديب هي جوهر العصاب ولبه لدى فرويد) و«هؤلاء الرجال» ١٩٢٣ وقد أهداها إلى أندريه و«فيليب سوبو»، ومن هذه الحلقة ولدت السريالية.

وفي عام ١٩٢١ انتهت الدادائية كمذهب فني انعكست على أساليبه كل أهوال الدمار ومآسي الحرب العالمية الأولى، التي داهمت الحضارة الأوروبية كشبح مخيف كئيب، ألقى بظلاله وظلامه على العالم وعلى الأذهان والنفوس البشرية، فحطّم كل شيء حتى اصطبغ الفن بهذا اللون القاتم المأساوي، وأفرز تعبيرا سيكولوجيا كئيبا أطلق عليه آنذاك «الدادائية» أو «فن ضد الفن»؛ وذلك لكي يواكب الدمار الذي استشرى في ربوع البلاد الأوروبية من جرَّاء تلك الحرب المدمِّرة، ثم لجأ الفنانون بعد ذلك إلى الهروب من الواقع بأسره، وانتهجوا السريالية الهاربة من كل رقابة يفرضها العقل، النازحة نحو سلطان الأحلام المطلق.

وبعد ذلك ظلَّت السريالية، كحركة منظمة، تسيطر على عالم الإبداع منذ عام ١٩٢٤م، وكان آخر معارض السريالية هو ما أُقيم في باريس عام ١٩٤٧م عقب الحرب العالمية الأخيرة.

ماهية السريالية

يقول م. هـ. أبرامز M. H Abrams في معجمه حول المذاهب والمصطلحات Aglossary of literary terms: إن السريالية Surealism أو الواقعية الخارقة Superrealisme ظهرت كحركة منظمة في فرنسا من قبل (بيان حول السريالية) ١٩٢٤م لأندريه بريتون، وكان هدفها الصريح التمرُّد على جميع القيود على الإبداع الفني الحر، ومن هذه القيود التفكير المنطقي والأخلاق والمعايير الاجتماعية وسيطرة التفكير المسبق والغاية، ولضمان العملية غير المعرقلة «للعقل العميق» الذي اعتبروه المصدر الشرعي الوحيد للمعرفة والفن اتجه السرياليون إلى «الكتابة الآلية» (الكتابة الموجَّهة من قبل تلقينات العقل اللاواعي) ولجؤوا إلى استغلال مادة الأحلام وحالات العقل بين النوم واليقظة والهذيان الطبيعي أو المولَّد بصورة اصطناعية.

وقد قامت السريالية بعد صدور الكتاب الذي ألَّفه الصديقان (بريتون ـ سوبو) وهو كتاب (المجالات المغناطيسية) الذي ألقاه في رثاء «ابو للينير» وانضم إليها من رجال التاريخ (روبير دينو) ـ روجيه فينزاك - رينيه كروفيل - انتونان ارتو) ومن رجال الفن (ماكس أرنست - تانجي ـ أندريه ماسون ـ سلفادور دالي) ومن رجال السينما (مارسيل باينول).

وفي البيان (المانفيستو) رقم [1] الصادر بتاريخ ١٩٢٤م تمَّ تعريف السريالية بأنّها: (آلية نفسية بحتة). وهذا عكس التعريف الرسمي للسريالية في دائرة المعارف الفلسفية (تميل تماما إلى التخلُّص من العمليات الآلية النفسية)، وخرج من التعريف المنطوق المشهور بأنها: (إملاء الفكر في غياب كل رقابة يفرضها العقل، وهي خالية من كل الأفكار الجمالية أو الأخلاقية المسبقة أو المتيسرة) ولمّا كان هذا التعريف غير محدد صدر البيان (المانفيستو) رقم [2] عام ١٩٣٠م، كبيان سريالي توضيحي يرمي إلى (إصلاح الجوهر الإنساني بفضل الإنسان ومن أجل الإنسان). وهذا التعريف ـ أيضًا ـ عام لا يحدّد معالم السريالية، ويجعلها مفتوحة وقادرة على استيعاب زعماء السياسة وعلماء الاجتماع، فصدر البيان السريالي رقم (٣) ١٩٤٢م، الذي بلور ماهية السريالية من حيث هي حركة تقصد إلى إحداث توازن نفسي لدى الإنسان، بين جوانب النفس الشعورية وجوانبها اللاشعورية، أو كما يقول «بريتون» (إنها ـ أي السريالية ـ تتجه إلى إبراز الواقع الباطن والخارجي باعتبارهما عنصرين يمضيان نحو نوع من الاتحاد، وهذا الاتحاد النهائي هدف السريالية الأخير).

ثورة الهلوسة

كل من قرأ كتاب (ثورة السريالية) في كانون الأول (ديسمبر)



السريالية تمرد على جميع القيود على الإبداع الفني الحر، ومنها التفكير المنطقي والأخلاق والمعايير الاجتماعية وسيطرة التفكير المسبق والغاية . اللوحة أعلاه لخوان ميرو

١٩٢٤م أُصيب بصدمة بالغة، لم يفق منها إلاَّ على اكتشاف عالم جديد أو طريقة جديدة في رؤية العالم، فقد غطَّت الكتاب صورٌ صغيرة لخمسة عشر شابا هم ثوَّار الشعر الجديد، وتحت هذه الصورة كتبت العبارة التالية (لا بد من الوصول إلى إعلان جديد لحقوق الإنسان) وكان أندريه بريتون (١٨٩٦ ـ ١٩٦٦) مبتكر السريالية والمبشِّر الأكبر بها ـ (وكان شخصية معقَّدة يؤمن أن مفهوم «فرويد» للاوعي يُقدِّم أفضل تفسير للنفسية الإنسانية). كان بريتون هذا يعلن أنه مخلّص سيرشد السفينة إلى شاطئ الأمان أو يمنحها «طوق النجاة» على الأقل! وهذا الطوق هو «السريالية» لنجاة جيل ضائع حائر يريد أن ينتمي، ولم يكن «بريتون» وحده هو الذي زعم إنقاذ شرف الشعراء فيما بين عامي ١٩٣٠م، ١٩٤٥م ولكنهم كانوا جماعة كبيرة من المثقفين ممن آمنوا بمبادئ السريالية، فقد ضم كتاب(ثورة السريالية) مقدّمة قصيرة تطالب الشعر بأن يخاطب النفس لا العقل، وأن يثير الإحساس بالجمال والخيال متخطيا حدود المنطق العادي والحياة اليومية.

وفي عام ١٩٢١م قصد «بريتون» فيينا للقاء «فرويد». واعتقد «بريتون» الذي لا ينفي ضلوعه في الأنشطة «الدادائية» في باريس وعدميته وفوضويته ووضعه العقل في خدمة اللاعقل ــ بفضل أفكار فرويد ــ أن التوازن بين العقل والخيال والوعي واللاوعي قد أضرَّت به النتائج المؤسفة، وحربُ ١٩١٤ ـ ١٩١٨م أبرز شاهد على ذلك، وهو الذي أسعفه الحظ بالخروج منها سالمًا (أنا أومن بأن الحل المستقبلي لهاتين الحالتين المتناقضتين في الظاهر: الحلم ـ الحقيقة ــ هو نوع من الحقيقة المطلقة أو الحقيقة العليا)، واقترح أسلوبًا لبلوغ هذه الحقيقة، هو الوحدة بين الحلم والواقع (إنها التلقائية النفسية الخالصة نميط بفضلها اللثام عن عملية الفكر الحقيقية بمعزل عن أي سيطرة يمارسها العقل، وبعيدًا عن كل المحصلات الجمالية والأخلاقية السابقة).

وبريتون استقى هذه الفكرة من استخدام فرويد طريقة «الكتابة التلقائية» والكلمة المقترنة في سياق تحرياته التحليلية النفسية، وأن القوة تكمن في الصورة البصرية للشعر ذي التداعيات أو المستوحى من الحلم. كما في قصيدة «قبلاي خان» لكوليردج، وغير ذلك.

شاعر الموت

كان «أندريه بريتون» يعشق الحقيقة وعندما سأله «بول ايلوار» ذات مرة: هل لك أصدقاء؟

فرد عليه: كلا يا صديقي العزيز!

فقد كان، رغم الجنون والهلوسة والتخريب، أبًا للسريالية وشاعرًا ورائدًا لنظريات أدبية (يجب تغيير اللعبة وليس مشاهدة اللعبة)،

وقالوا كثيرا بعد موته حول حكمته وشعره ووضوحه الذي جعل حياته بريئة من أية أسرار دفينة؛ وهو الذي أضناه لغز الموت وغموض الحياة الأخرى، فقد كان يحيا الحياة دون أن يخاف الموت، وكان يعلم جيدا أن الحياة وحدها هي التي تعرف الموت، أمّا الموت فإنه لا يموت؛ وغريزة الموت ـ لدى «منبعهم» فرويد ـ والتي كان يمثلها «ثاناتوس» إله الموت عند الإغريق تشمل لديه كل الدوافع العدوانية المُدمِّرة.

وليس أدل على شاعريته من أن طالب الطب «بريتون» عندما أهدى إلى الشاعر الكبير «ابو للينير» ـ الذي أطلق على مسرحيته الساخرة «أثداء تيرسياس» تعبير (الدراما السريالية) وقبل وفاته المبكرة عام ١٩١٨م كان قد بذر بذور حركة أدبية جديدة ـ قصيدته الأولى التي تأثر فيها «ملارميه» تنبأ «أبو الشعراء» له بمستقبل باهر، وتعارفا، ولكنهما كانا وظلا عدوين يحتقر كل منهما الآخر، في حين احتفظ «بول فاليري» بالمسافة بينه وبين «بريتون» الذي صادق «جاك فاشيه»، كأعمق ما تكون الصداقة، ولكن فاشيه لم يلبث أن قتل ولقي مصرعه فلم يغفر «ابو للينير» قتله أبدا؛ كما لم ينس موت «أبو للينير» على الإطلاق فقد كان بريتون يكره الموت حتى إنه لفرط كراهيته للموت سُمي (شاعر الموت).

وقد قال عنه «جورج سادول» رفيقه في رحلة التحرير والتطوير، تحرير الفن من القيود الكلاسيكية القديمة، وتطويره نحو رؤى أعمق وآفاق أبعد مدى: (إن جيلا بأكمله ينتهي بوفاة بريتون، فقد كان بحق أستاذًا للجيل الذي نسميه اليوم «الجيل المجنون».

المجنون الكبير

وصف «بريتون» فن «سيلفادور دالي» بأنه (أكثر الأعمال هلوسة). وهاجمه «أراجون» (يجب القضاء على أعماله الشاذة) حين يخرج في «روما» ويُعلن (ها أنذا أُولد من جديد)، أو يحلق نصف شاربه! أو يذهب إلى «نيويورك» بسيارة أُجرة زودها بأنابيب تُسقط مطرًا صناعيا على تمثال صنعه لكولمبس كتب عليه (ها أنذا أعود). ويحول بعد ذلك هذا التشكيل إلى لوحة! ثم جنونه العاتي بـ «جالا» ملهمته وزوجته الشرعية المعشوقة، وغزالة طروادة، توأمه المتكون وإيَّاه من انقسام بويضة واحدة!

وحين أُصيب بجروح وحروق عام ١٩٨٤م كتب مذكرات بها آراء غريبة فيقول (٢٦ يونيو ٣٤١٥ ـ ١٧ مارس ٣١٥٥ ق. م ـ ١٤ بعد الموت) حتى عندما وقع ضحية الاكتئاب بعد وفاة «جالا» التي رآها في ربيع ١٩٢٩م، حيث جاءت مع مجموعة من الأصدقاء البوهيميين إلى بيته وبينهم كان «بول إيلوار» (زوجها)! واسمها الحقيقي «بلينادا يكونوف» روسية الأصل، كل ما يُقال عنها هو أنها كانت طفلة لعبت في (أحضان) تولستوي، وأنها عولجت في مصحة؛ وعندما رآها (انفجر الحب داخله) يقول: (النساء عطاء رائع قادر على تحويل الرجل إلى معتوه وأنا أحب المعتوهين) ـ (جالا إلهة ذلك البيت وحارسته ـ جالا تنصب الشباك لصيد سمك المنكليس ـ قصر بوبول مثل جالا قلعة لا تقهر ـ أحبها أكثر من أبي وأمي وأكثر من بيكاسو...)

ووصل «دالي» المولود ١١/٥/١٩٠٤م في «فيغيراس» الأسبانية إلى حالة من النرجسية البغيضة وكتب كتابه (الحياة السريّة)، وسلسلة من الكتب تحمل اسمه: خطاب مفتوح إلى دالي



من أعمال بيكاسو التي تُظهر أسلوبه: الإغراق في السخرية، والشذوذ الفني، والتشويه.



لوحة لبول كلي (١٨٧٩ ـ ١٩٤٠م).

١٩٦٦م، دالي بقلم دالي ١٩٧٠م - كيف تصبح دالي ١٩٧٣) حتى عندما وقع ضحية الاكتئاب الطويل بعد وفاة «جالا» كان يقول : (اثنان يبهراني أنا وجالا) .

الأسطوري المجنّح

مارك شاجال المولود عام ١٨٨٧م روسي الأصل، هاجر إلى فرنسا، مخلّفا وراءه قريته (فيتبسك) الروسيّة، وأفلح في المزاوجة الملهمة بين روحانية الشرق الذي أتى منه وعقلانية الغرب الذي هاجر إليه؛ وعبر هذه المزاوجة جاءت إبداعاته رؤية ميتافيزيقية وتأملات «فوق واقعية» . وهذا التفسير وحده تفسير قاصر مجرد سيؤدي بنا قطعا إلى خطأ فادح إذا تصورنا هذه الأعمال على أنها نوع من التهويمات الأسطورية الخرافية ، أو أنها مجرد مرادف تشكيلي مسمط لأقاصيص الجنيات وحسب!

فشاجال ملأ قماشاته بصور مستوحاة من طفولته في روسيا (البائع المتجوّل - أنا والقرية - عازف الكمان - بيوت الحقل - حيوانات المزرعة) وهو ينأى بفنه عن كل ما هو محدود واستاتيكي، ولهذا فمعيار لوحاته لا يهتم مطلقا بالمنطق الواقعي الحديث، إنما يشكّل توقا لاعجا إلى تجسيد ما نستطيع أن نسميه (منطق اللامنطق)!

ولعل هذا هو السبب الذي يضفي على لوحاته مظهرها شبه الأسطوري الناتج عن حمى اللقاء بين الظاهر والباطن، بين الواقع واللاواقع، وربّما لهذا خُدِع البعض بسريالية «شاجال» باعتباره ـ كما قال بريتون - أول من أدخل الكتابة



من أعمال سلفادور دالي الذي وصف بريتون منظّر السريالية فنَّه بأنه أكثر الأعمال هلوسة



لوحة لِيسْ كلين .

والمجاز (أي الشعر) في ميدان الفن الحديث؛ ورحلته كلها محاولة لتجسيد العالم الواقعي الممنطق، وإبرازه من حيز التجريد المهوّم إلى الإبانة المجسَّدة؛ وتضمَّن أسلوبه تنوعًا كبيرًا لا في النسب والفراغات والقوالب البلاستيكية فحسب، بل في الألوان والتأثير البصري، ومع أنه عادي النزعات الذهنية في الفن الأوربي إلَّا أنه استفاد منها فيما قام به من ديكورات وملابس للباليهات المختلفة كباليه (اليكو) - كمثال - المقتبس من أشعار «بوشكين» والذي وضع موسيقاه تشايكوفسكي .

تجارب انتحارية

انتشرت ظاهرة الانتحار في أوربا واهتمَّ بها السورياليون، وحاولوا الانتحار مثل (أراجون) الذي انتحر عام ١٩٢٨م؛ وانتحر قبله «جاك فلاش» ١٩١٩م، ورينيه كرانفيل ١٩٢٨م، وكان أول عدد من مجلة الثورة السريالية في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٤م عددًا خاصًا عن الانتحار قال فيه «بريتون» : الانتحار كلمة سيئة التشكيل، فالشخص الذي «يَقتُل» - بفتح الياء - ليس هو الشخص نفسه الذي يُقتَل .

وقدم لنا الشاعر «ستيفان ملارميه» نموذجًا للبطل السريالي الذي يعشق الحياة ويتخلّص منها في آن واحد؛ ففي قصيدته (هيروديا) نموذج البطل السريالي الذي ظل يحتضنه طوال حياته من ١٨٤٢ - ١٨٩٨م - هيروديا الفتاة نموذج للإنسان المثالي في نظره : نقاء - طهارة - سمو - جمال؛ مربيتها الحمقاء لا تعرف أنها تدنسها إذا حاولت تقبيل الخاتم في إصبعها، أو حاولت رشّها بالعطر، أو حاولت مجرد لمس شعرها إنها نموذج الجمال والكمال، يكتفي بذاته ولا ينتظر أحدًا لإكماله؛ إنها نوع من النرجسية : نرجسية تفنى لتحقيق الذات، إنها الإخلاص . .

التبتل . . والإخلاص يفني الذات لتكامل الذات، تعانق «هيروديا» الليل، وعناقها يرمز لعناق (الجمال والموت) عناق (اللذة والألم)؛ لقد وصلت السريالية عند «ملارميه» إلى «السادية» . أما جيوم أبو للينير ، ١٨٨٠ - ١٩١٨م فحياته في نظر السريالية نموذج مثالي للسوك السريالي : إنها تذكرك - مع اختلاف البيئة - بقصة شاب يسمى «فاشيه» أُعجب به «بريتون» بعد أن عرفه أثناء الحرب الأولى، أعجب به وبأسلوب حياته، يلقي بنفسه في تجارب انتحارية، يعشق آراء عدمية، ينتهي منتحرا بالأفيون بعد أن يقنع صديقا له بقيمة الموت فينتحر معه . ورغم أن «ابو للينير م ينتحر إلا أنه عاش غريب الأطوار في سلوكه وإنتاجه وطاقاته المتعددة التي لا تنفد، حتى مات عام ١٩١٨م موتة باردة غريبة حيث أصيب بنزلة برد وشيع جنازته المارة في فتور وسخرية!

خائن التكعيبية

عندما بدأت المدرسة التكعيبية تفرض نفسها على باريس عام ١٩١١م سافر (بابلو بيكاسو «المولود في ٢٥/ ١٠/ ١٨٨١م» مع «فيرناند» و«براك» في رحلة إلى مدينة «سيريت» وانكبّوا على العمل لتوثيق مرحلة النظريات التكعيبية.

وبعد وفاة والده أظلمت الدنيا في وجهه، ونشبت الحرب عام ١٩١٤م وعاد الحزن يخيم عليه بعد الموت المفاجئ لصديقه «ابو للينير».

وعندما دمَّرت قنابل سلاح الطيران الألماني سوق قرية «جرنيكا» الواقع في إقليم «باسك» شمال آسبانيا في يناير (أبريل) ١٩٣٧م نزل الخبر على بيكاسو ككابوس وكانت لوحته «الجرنيكا».

وقد دخلت السريالية حياة بيكاسو عام ١٩٠٤م عندما تعرَّف على «ابو للينير»، ثمَّ سافر إلى هولندا ١٩٠٥م ورسم لوحته (الهولنديّة الحسناء)، واشترى تاجر اللوحات «فيلار» كل أعماله.

وأثناء الحرب العالمية الأولى مكث بيكاسو في باريس يرسم الوجوه «البورتريه» وسط صياح واتهامات الصحافة الفنية له بـ(خيانة التكعيبية)، ثمَّ عمل مع الكاتب المسرحي «جان كوكتو» كمصمم للديكور، وسافر إلى روما وقابل أستاذ الباليه الشهير (ديا جيليف)، وتعرَّف على (سترافنسكي) وتزوج راقصة الباليه الروسية (أولجا كوجولوفا) عام ١٩١٨م، التي أنجبت له ولده (باولو).

وانتقل بيكاسو إلى مرحلة جديدة ارتبط فيها بالسريالية التي انبثقت عن «الدادائية» في زمن الحرب العالمية الأولى، وهذه المرحلة اتصفت بتحريفات عشقه للشكل «جروتسكيه» وهو أسلوب ينطوي على الإغراب والإغراق في السخرية والتشنيع والشذوذ الفني والتشويه، ورغم ذلك ـ فللتاريخ ـ لا نستطيع أن نجزم أن بيكاسو كان سريالي، أو أن السريالية نجحت في استقطابه. ورغم أن الكاتبة الأمريكية «جروترود ستاين» تؤكد في كتاب صدر عام ١٩٣٧م أن بيكاسو كان يعي الحقيقة، والأشياء التي رآها هي الأشياء التي كانت كائنة حقًّا.

إلاَّ أن «بريتون» في أول معرض سريالي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥م قرن بيكاسو بالحركة السوريالية هو ودي كيريكو (المولود عام ١٨٨٨م) وبول كلي (١٨٧٩ ـ ١٩٤٠م) وايرنست (المولود ١٨٩١م) ومانسون (المولود ١٨٩٦) وميرو (١٨٩٢ ـ ١٩٨٣م) وماجريت (١٨٩٨ ـ ١٩٦٧م) وتانجي (١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م).

ميتافيزيقا الرؤى

تدرب «جورجو دي كيريكو» في «ميونيخ» ودرس أعمال الرمزيين الألمان وكان على بينة من فلسفة نيتشة وحاول في رسومه أن يقتنص حسًّا «نيتشويا».

وقد رأى «بريتون» مُنظّر السريالية في رسومه المبكرة تمثيلاً بارعًا لتلك الحالة من العزلة القاهرة والقلق الذي لا مفر منه ولا علاج له، واعتقد أنهما جزء من الحالة الإنسانية. وفي اتّساق مع نظريات «فرويد» كان على بريتون ـ لاحقا ـ أن يفسر الأبراج والأروقة والقطارات والمحطات رموزا حسية! رغم أن دي كيريكو كان قد استعمل مخيلته ببراءة!



اعتمدت السريالية على التحليل النفسي وتفريغ الطاقات النفسية المكبوتة. اللوحة لدالي.

مارس دي كيريكو خلال الحرب نوعًا آخر من الرسم «الميتافيزيقي» نقل فيه الصور ما وراء المادي الملموس إلى عالم تحل الدمى فيه محل الكائنات البشرية، والأشياء التافهة الخادعة بصريا(علبة الكبريت ـ السمك ـ البسكويت ـ شرائح الخبز)تعرض ذاتها بصورة غير متوقعة على الفضاء الصوري مشوشة أية محاولة للتمييز بين الوهم والحقيقة، مثل هذه الأشياء رموز متحورة؛ أمَّا المنطق فهو منطق الحلم خارج الزمن الذي يمكن قياسه؛ وفي حاضر مهدد لا مفر منه يوشك أن يخلّ في أية لحظة؛ ثمَّ في نحو عام ١٩١٩م ماتت الرؤية لديه وانزوى «دي كيريكو»، شأنه شأن شاجال ينتابه الكبر، وحيدا تؤنس وحشته مخيلة لا يحسد عليها.

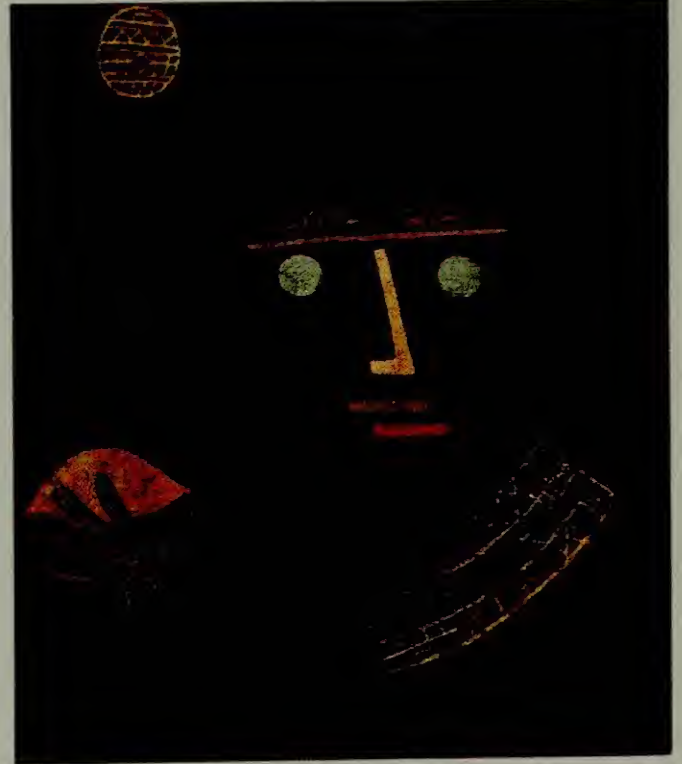
التلقائية الطفولية

كان أندريه ماسون (المولود عام ١٨٩٦م) من أشد المتحمسين لممارسة التقنية التلقائية في السريالية؛ وهذه التلقائية، ضمن القيم الكيفية للعمل الفني التي تنتج، نتيجة لتفاعل المتلقي مع العمل الفني مع التأكيد على الأصالة والابتكار، وهما من أهم القيم والكيفيات الجمالية، من حيث إنها تحقق القيمة الجمالية للعمل الفني والمتعة للمتلقي معًا، كما تميز العمل الفني من غيره وتمنحه طابعه الفردي وتخلق الوحدة الكلية للحالة المزاجية. ولذلك فـ«أندريه ماسون» بإيقاع سريع تلقائي لضربات الفرشاة وَلَّد عُمقا وحيوية على سطح الصورة، ولنأخذ مثالاً لوحته (معركة الأسماك) المرسومة عام ١٩٢٧م، ومثله «إيرنست» في لوحته (الغابات).

الجوهر الغامض

في لوحات «رينيه ماجريت» (١٨٩٨ ـ ١٩٦٧م) المولود في «ليسين» بمقاطعة «هينوت» ببلجيكا عودة واضحة إلى الجوهر الغامض للأشياء البسيطة والمركبَّة فهي تسمح للمرء أن يستحضر حالة الكينونة.

والتعمق في دراسته يجعلنا ندرك أن محاولة حل الألغاز غير مجدية، بل لا بد من تجنبها، فصوره تنشأ من إيماءات لغز العالم المرئيّ، لذا فهو في حاجة لأن يستل مصادره من الأحلام والظواهر الخفية، فهو حين يرسم لنا [الفارس الضال ١٩٢٦م ـ منظر عام ١٩٢٦م ـ الواحة ٢٥ ـ ١٩٢٧م ـ رجل يقرأ الجريدة



السريالية لم يعد لها حاضر حتى يُنتظر لها مستقبل. اللوحة لبول كلي

١٩٢٧م ـ تأمل ١٩٣٧م ـ السم ١٩٣٩م ـ ١٦ سبتمبر ١٩٥٧م ـ قبل المصارعين ١٩٦٠م] يتيح لنا من خلال العمليات الذهنية فرصة (التفكير البصري).

وألف «ماجريت» تصوير ما هو غير متوقع بـ«فجاءات» وتحويرات مقصودة لوظيفة العين الطبيعية (المرآة المضللة ١٩٢٨م ـ العناصر الستة ١٩٢٨م ـ على عتبة الحرية ١٩٢٩م) والبعد الشعري والأزمنة والفصول في (القناع ١٩٣٥م ـ السحر الأسود ١٩٣٥م ـ الرجل ذي القبعة المستديرة ١٩٦٤م ـ العالم الشعري ١٩٣٩م ـ الوضع البشري ١٩٣٥م)... وغيرها.

وتزوج «ماجريت» عام ١٩٢٢م «جوزجيت بيرجر» وعام ١٩٢٥م، كانت بداية مقاطعته للسريالية، وفي عام ١٩٤٠م رحل عن بلجيكا مع بداية الاحتلال الألماني وبعدها ذاع صيته، وفي عام ١٩٥٤م أقاموا



من لوحات روي ليختنشتاين.

معرضا تكريميا لأعماله في بروكسل التي قضى نحبه فيها يوم ١٥/٨/١٩٦٧م.

المحصلة النهائية

أولاً: السريالية مدرسة فنية مبتكرة، أسست إبداعًا لا نملك أن ننكر وجوده المؤثر في حقبة ما، ولكنها لم تنجح في الخروج بمركب جديد يعيد التوازن النفسي، ويحقق التكامل الاجتماعي، ويفتح آفاق الفكر. والسريالية نفسها تعترف أنها لم تستحدث حقائق جديدة، وتؤكد أنَّها أضافت حقائق كانت قائمة بالفعل ولكنها لم تكن معروفة

ثانيا: السريالية بكل روادها ـ الذين عرضنا لهم ـ اعتمدت على التحليل النفسي وتفسير فرويد للأحلام، على أنها تفريغ للطاقات النفسية والجنسية المكبوتة في طيات اللاشعور والعقل الباطن.

ثالثا: من خلال استعراضنا ـ العابر ـ لنماذج من رواد المدرسة وجدنا أنهم جميعًا، رغم الموهبة الفائقة الفريدة، كانوا يميلون إلى فوضى إبداعية من خلال الدعوة إلى الانشقاق عن الأنماط التقليدية للتنظيم الفني، ونحن لسنا ضد التجريب أو الإبداع المبتكر.

رابعا: واقع الأمر أن السريالية لم يعد لها حاضر حتى يُنتظر لها مستقبل؛ وينبغي أن يكون واضحًا أن السريالية نفسها لم تكن أسلوبا فنيا أو سُنّة جمالية؛ خير ما توصف به أنها نزعة للحياة توفّر للإنسان ـ كما يعتقد ـ تحررًا اقتصاديا ونفسيا، وأفكارها في كل جزئياتها ثورية كتلك التي في الفن التجريدي.

خامسًا: المأزق النفسي الفظيع الذي خلفته الحرب العالمية في أوج تأجّجها هو الذي أدّى إلى ظهور نزعات فوضوية متوقعة حين تراءت للشعوب المتحضرة أنّها باتت في غمرة جنون انتحاري متصاعد، سلبها كل القيم الإنسانية التي ناضلت من أجلها طويلا، وتتمخّض عن هذا أنشطة تخريبية احتضنت شعراء ورسامين استهوتهم الأنشطة التخريبية الدادائية البلشفية المجنونة التي تمخض عنها جنون السريالية.

سادسًا: السريالية جنون أفضى إلى جنون، أفضى إلى انتحار فني شاذ؛ فإذا كانت قد ازدهرت في سنوات ما بين الحربين فلأنّ العالم كان في حالة من الشلل النفسي والروحي، أملاً في الخلاص من الذعر والتوتر والقوى الفاشية والحرب العالمية، بأن هيأت لهم فرصة الهروب إلى عالم خيالي، وبعد ذلك لم يعد لها ما يبررها باعتبارها حركة سلبية تُغالي في الاتجاه الانطوائي وتقطع صلتها بالواقع.

إحالات:

(١) آلان باونيس ـ ما هي السريالية؟ ت: فخري خليل. آفاق عربية ع ٦ ـ س ١٤، حزيران ١٩٨٩م ـ ص ١٠٠ ـ ١١٢.

(2) M. H. Abrams, A glossary of Literary Terms Fourth edition - New York 1981.

(3) Milven Rader: Art and Human values. Printical. Hall, New Jersey 1976, P.30.

(٤) رينيه ماجريت تأليف أ. م. هاماشر وترجمة جيمس بروك واي • نيويورك هاري برامز (الناشر) ط٢. تعريب أمين صالح. مجلة كلمات (البحرين) يناير ١٩٨٣م، ص ١٢٨ ـ ١٤٧.

(٥) راجع مجلات:

المنهل ع ٤٨٨ ـ ص ٦٨.

العربي ـ ع ٣٩٨ ـ ص ١٥٠.

الدوحة ع ٧٢ ـ ص ٩٠

الكويت ـ ع ٨ ـ ص ٦٨.

القاهرة ـ ع ٣٨ ـ ص ٢٤.

(6) - Freud S. Leonardo Davince, by A. Brill, London, Kegan Paul 1932. P 128.

- Introductory Lectures on Psychoanalysis Vol. 15

- Sartain, Aron, Q et al., Psychology: Understanding Human Behaviour.

استنادًا إلى بحث واف حول (الفرويدية) لقاسم حسين صالح المدرس بكلية الآداب، جامعة بغداد. مجلة كلية الآداب. ع ٣٢، ص ٢٢٧.

الكراك

يُباع كأنه صابون، وخطورته كالقنبلة الذرية

د. صلاح يحياوي

الكراك هو الاسم الشائع لنمط جديد من الكوكائين، المخدر المعروف. ويُعرف في بعض الأماكن - وبخاصة في الساحل الغربي للولايات المتحدة - باسم الرّوك ROCK «الصخر». وهو يدخن بتجرع أبخرته التي تنطلق عند تسخينه، في حين يتم تناول الكوكائين مباشرة عن طريق الأنف أو بالزرق في الوريد.

يباع الكراك[1] على شكل قطع أو بلورات بيضاء أو رمادية أو صوفية اللون تشبه قطع الصابون، وذلك في قوارير صغيرة مصنوعة من لدين شفاف، ذات أغطية ملونة تشبه عُلبيات الفيتامينات؛ وتحتوي القارورة الواحدة على ثلاث قطع. وفي الواقع فإن بعض تجار المخدرات يبيعون الصابون إلى جانب الكراك متظاهرين بأنهم تجار صابون؛ كي يفلتوا من العواقب الوخيمة لفعلهم هذا.

لا يُحْرَقُ الكراك بل يسخن إلى درجة حرارة مرتفعة كي يرسل أبخرته. ويكسره بعض مستعمليه إلى قطع صغيرة جداً يَذْرونها على السجائر المرهوانة (الماريوانا) أو سجائر التبغ، ويتجرعون أدخنته عندما يدخنون تلك السجائر.

ويدخنه أغلب الآخرين في غليون مائي خاص، بوضع قِطَعِهِ على شبكة الفولاذ الدقيقة في الغليون، ويسخنون الغليون عادة بلهب قداحة غاز، فتنصهر بلورات الكراك محررة أبخرة المخدر. تدخل الأبخرة إلى الرئتين، ومنهما إلى تيار الدم الذي يحملها إلى الدماغ خلال ثوان. وسرعان ما تنتاب المدخن أحاسيس خاصة.

يتراوح ثمن قارورة الكراك التي تحتوي على ما يعادل ٣٠٠ ملغ من الكراك والتي تكفي لسيجارتين (أو نَفَسَيْن) بين خمسة دولارات و ٢٤٠ دولاراً.

وقد ظهر الكراك في بادئ الأمر في شوارع نيويورك في صيف عام ١٩٨٥م. وقد كتب ضابط وحدة المشروع الخاص بالمخدرات في قسم الشرطة في المدينة المذكورة في شباط (فبراير) من عام ١٩٨٦ م: «منذ اكتشاف أول القوارير في الصيف الماضي والكراك يظهر في كل مكان وبكميات متزايدة».

وقد بلغت كميات الكراك في الكوكائين المصادر في مدينة نيويورك أكثر من النصف. أما في بعض نواحي نيويورك فقد بلغت ٩٠٪.

ويُعَدُّ الكراك من أكثر أنماط الكوكائين المتوافرة قوةً وفعلاً. وقد قال المدعي العام المتخصص بالمخدرات في ولاية نيويورك: «يُعَدُّ الكراك بالنسبة إلى الكوكائين كالقنبلة الذرية بالنسبة إلى القنبلة العادية».

اعترافات المتعاطين

وقد عرض الدكتور جولد GOLD في مقال نشر في مجلة "PSYCHOMATICS" نتائج محادثاته الهاتفية مع عدة مئات من متعاطي الكوكائين، الذين أُعْطُوا فرصة لمناقشة موضوع المخدرات على الهاتف على رقم خاص مجاني، كان **الدكتور جولد** يهدف من وراء ذلك إلى تقديم المساعدة المجانية إلى أولئك الذين لديهم مشكلات تتعلق بالكوكائين، وإلى جمع المعلومات من مستعملي المخدر.

بينت الدراسة أن ٨٥٪ من مستعملي الكوكائين كانوا من البيض، وأن متوسط أعمارهم حول الثلاثين عاماً، علماً أن أغلب الهاتفين كانوا بين الخامسة والعشرين والأربعين، وأن أصغرهم سناً كان في الثانية عشرة من عمره. وأكبرهم سناً في الثانية والسبعين.

قال أغلبهم: إن التكلفة هي العائق الوحيد أمام استعمالهم الكوكائين. وقال ١٠٪ منهم إن المرض لم يمنعهم مطلقاً عن استعمال المخدر سواء أكان المرض جسديًّا أم ذهنيًّا.

كان ثلث الهاتفين من النساء، وكانوا ممن قضوا عدة سنوات في الجامعة، وكان بينهم عديد من الأطباء والمحامين والمهندسين والأساتذة والطيارين ورجال الأعمال ممن يبلغ متوسط دخلهم ٢٥٠٠٠ دولار في السنة، أو يزيد، وقد بدؤوا ذلك قبل سنوات خمس تقريبا من استعمالهم الهاتف على الرقم الخاص.

وقد وجد الدكتور جولد أن المستعملين العرضيين سرعان ما يزيدون من تواتر جرعات الكوكائين وكمياته حتى غدوا عبيدًا للمخدر. وأن الكثير ممن كانوا شرفاء ومواطنين صالحين قبل أن يجرفهم مخلب الكوكائين قد اختلسوا وسرقوا ليدفعوا ثمن المخدر. ويعاني العديد ممن كانوا يتمتعون بصحة جيدة قبل شروعهم بتناول المخدر، يعانون الآن ضروبا من آلام جسدية وذهنية نشأت من استعمالهم الكوكائين.

وكانت هذه المشكلات الجسدية على الترتيب: الأرق والتعب، وأوجاعا شديدة في الرأس، وأذى لحق بالمجاري الأنفية عند من كانوا يستنشقونه، وفقر في الأداء الجنسي، ونوبات مرضية من فقد للوعي ودوار وقيء.

وقد وصف ما يزيد على ٨٠٪ من مستعمليه ثلاث مشكلات نفسانية رئيسة هي:

ــ هبوط في القوى الحيوية والنشاط الوظيفي.

ـ قلق وحصر نفسي.

ـ نزق وحدة طبع.

ومن الأعراض الأخرى التي كثيرا ما ترافق ذلك جنونُ الارتياب (توهمات من كونهم مُلاَحَقين)، وفقد الاهتمام بكل نشاط لا علاقة له بالمخدر، وعدم القدرة على التركيز، والنفور من الأصدقاء والأسرة. وقد راودت فكرة الانتحار ٨٣٪، وحاول ٩٪ منهم الانتحار

قال ٧٣٪ من الهاتفين إنهم ما عادوا قادرين على التحكم برغبتهم في الكوكائين، ولا الحد من استعماله، وما يزيد على ٦٠٪ منهم يعدون أنفسهم مدمنين. وكمقياس لتوقهم إلى الكوكائين وحاجتهم الماسة إليه فإن ٧٢٪ يعدون المخدر أكثر أهمية من أسرهم، وأن ٧١٪ منهم يفضلون الكوكائين على الغذاء، و٦٩٪ منهم يقدمون الكوكائين على الأصدقاء، و ٥٠٪ يعتقدون أن الكوكائين أساسي أكثر من الجنس.

لقد أُوقف ١٢٪ من المتعاطين سواء لتعاملهم بالمخدر أو لامتلاكه، وقَبِلَ نصفهم سرقة المال، وصرف النصفُ الآخر جميع وفرهم وغدوا مدمنين.

وانتابت ٤٠٪ منهم تقريبا صعوبات مهنية؛ وقد فصل ١٧٪ من أعمالهم. وكان أكثر من النصف مطلقين، أو مهددين بالطلاق نتيجة لاستعمال المخدر.

وعندما سئلوا: لِـمَ يتناولون الكوكائين؟ قال ٨٢٪: من أجل الشعور بالنشاط والخفة أو (الكيف)، وقال ٥٧٪: لأنه يزيل السأم عن حياتهم اليومية، وقال



٤٨٪ منهم : إن المخدر أكسبهم مزيدًا من القدرة والثقة بالنفس.

سر تعاطيه

لقد انفتح الشباب الأمريكي على المخدر المميت «الكراك» لأسباب عدة : أحدها رخص ثمنه نسبيًّا؛ ذلك أن القارورة التي ثمنها عشرة دولارات تكفي «لِنَفَسَيْن» اثنين. وقد بدأ بعض المراهقين بدعم عادتهم بالمال من مصروفهم اليومي ومن عملهم الجزئي.

وعلى الرغم من انخفاض ثمن الكراك في بداية الأمر إلا أنه يمكن أن يغدو غالي الثمن جدًّا فيما بعد. وقد قال دان لانجدون LANGDON مدير الإعلام العام في مركز المعالجة من المخدرات في مدينة نيويورك : «إن الشعور بالنشاط والخفة شعور قصير العمر، وهو يُحدث التوق الشديد إلى المخدر مرة بعد مرة».

وقد وُجِدَ عند مقارنة شم خط [٢] من مسحوق الكوكائين بتدخين غليون من الكراك أن مستعمل الكراك يتناول أربعة إلى ستة «أنفاس» في المدة الزمنية نفسها. وسرعان ما يغدو معتادًا ويصرف مئات الدولارات في اليوم الواحد.

كما أن الكراك سهل الاستعمال. ويشرح ذلك منتج أفلام تلفزيونية عانى الإدمان على الكراك قائلاً : «إنه كالقهوة الآلية، مسبق الصنع».

ويقول مدير البحث من أجل خط الهاتف الخاص المتعلق بالكوكائين ملخصًا هذه الفتنة بالكراك : «إنه منتج جديد، لا فوضى معه، ولا إزعاج، ولا تأخير».

ويبدو أن الناس ذوي الخبرة المحدودة بالمخدرات لا يخافون كثيرًا عندما يتناولون عدة «شحطات» من الغليون أو السيجارة، لكنهم يخافون من تناول الحبوب أو من الزرق بالإبر. فالعديدون يخشون من العدوى بالإيدز أو السيدا المرض الجائح الذي يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر باستعمال الإبرة غير المعقمة نفسها.

وقد شاع - أخيرًا - في الشارع أن الكراك يُقَوِّي، وأنه الأجود من أجل الاسترسال في الانشراح وإثارة الجنس، في حين أنه على العكس من ذلك تمامًا لأن النتيجة هي - غالبًا - البرودة الجنسية والعنة.

يقدر الدكتور جولد أن نحو مليون أمريكي قد دخنوا الكراك مرة واحدة على الأقل. وقد أعلنت شرطة مدينة نيويورك في الساحل الشرقي أن ٥٥٪ من جميع الموقوفين من أجل الكوكائين كانوا متورطين بالكراك. وأعلنت شرطة لوس أنجلوس في الشاطىء الغربي أن ثلثي الموقوفين متورطون باستعمال الكراك. ومن كانون الثاني (يناير) إلى نيسان (أبريل) من عام ١٩٨٦م ارتفعت نسبة عدد الموقوفين لتعاطي الكراك والكوكائين إلى ٤١٪ في الوقت الذي كان عدد الموقوفين لتعاطي المرهوانة والهروئين نحو ٩٠٪.

تحضير الكراك

يحضر تجار المخدرات الكراك من مسحوق الكوكائين، وذلك بمزج مسحوق الكوكائين التجاري - الذي يباع عادة في الشوارع - بالماء وثاني كربونات الصوديوم، ويحرك حتى الحصول على عجينة ثخينة. ثم يسخنون العجينة في قدر على موقد حتى الجفاف، فيحصلون على كتلة شبيهة بالصابون، أو بكرة من سكر وسخ بعض الشيء تشكلت على هيئة كتلة صلبة نتيجة لرطوبة الهواء، عندئذ يكسر تجار المخدرات الكراك إلى قطع صغيرة يطلقون عليها اسم «الصخرات»، ويضعونها في قوارير من لدين شفاف يحوي كل منها عادة ما يكفي «لنَفَسَيْن».

ولا يحتاج تجار المخدرات إلى معمل أو مختبر لصنع الكراك، بل إلى مطبخ وموقد، وهذا هو السبب في أن أغلب الكراك ينتج في شقق صغيرة يستأجرها تجار المخدرات.

ولما كان كل تاجر يصنع الكراك بطريقته، فإن بعض الكراك يباع بأسماء تجارية مختلفة.

وتقدر شرطة نيويورك أن ٦٠٪ من الكوكائين المبيع في الشوارع هو على شكل كراك. ويعتقد مدير البحث من أجل الخط الهاتفي الخاص بالكوكائين أن ٤٠٪ من جميع أولئك الذين يستعملون الكوكائين يدخنون الكراك.

ولما كان الكراك أكثر نقاء من كوكائين الشارع فهو لذلك أكثر قدرة، وأسرع فعلاً. فبتدخين الكراك يَصِلُ الكوكائين إلى الدماغ خلال ثوان. أما باستنشاق الكوكائين فإنه لا يصل إلى الدماغ إلا بعد ثلاث أو أربع دقائق.

ومن مشتقات الكراك ما يطلق عليه البائعون المتجولون اسم «قاعدة الفضاء» أو «سرعة النجوم»، وهو مزيج من الكراك والفنْسيكليدين PHENCYCLIDINE الذي يسمونه «غبار الملائكة»، وهو من أكثر المخدرات قوة في تعطيل الذهن. ويقوم مستعملوه غالبًا بتصرفات غريبة شاذة، ويغدون عنيفين كما لو أنهم يعانون مرضا ذهنيا خطيرا.

ولتحضير المشتق يقومون بنقع كتل الكراك في الفنسيكليدين السائل أو يَذْرون مسحوق الفنسيكليدين على الكتل. ثم يباع الناتج المميت إلى المستعملين الذين يدخنونه كالكراك في سيجارة أو في غليون الماء.

ويقول الأطباء : إن هذا المخدر النَّغِل يمكن أن يسبب جنون شكٍ خطيرًا، ونوبات مرضية ودُوارًا وهلوسات وسلوكًا ضالاًّ وعنيفًا.

وقد قال أحد ضباط التحري في مدينة نيويورك واصفًا «قاعدة الفضاء» : إن تاجر المخدرات قال له عندما باعه المخدر : «خذ حذرك منه؛ لأنه يشيع فعله فيك بسرعة فائقة».

الهوامش

(١) اشتق الاسم CRACK من كلمة CRACKLING التي تعني الفرقعة أو الطقطقة التي يحدثها المخدر عند تسخينه.

(٢) الخط : مصطلح يصف صفًّا من مسحوق الكوكائين طوله ٥,٢ سم وعرضه ٠,٣ سم يستنشقه المستعملون عبر قصبة مص أو دولار ملفوف على شكل أسطوانة رفيعة.



المركبة الأوربية المستعادة
يوريكا

المهندس: سليمان القرطاس

شهد اليوم الأخير من شهر تموز (يوليو) الماضي إطلاق مكوك الفضاء الأمريكي «أتلانتس» إلى الفضاء في رحلة برقم ٤٦ وعلى متنه سبعة رواد فضاء منهم رائدا فضاء من أوربا في مهمة استغرقت تسعة أيام، وتضمنت مهمة هذه الرحلة إطلاق قمر صناعي أوربي وآخر أمريكي - إيطالي مشترك بالإضافة إلى إجراء ثلاث تجارب علمية أمريكية.

والذي سنسلط عليه الضوء هنا هو القمر الصناعي الأوربي «يوريكا» (مختصر لكلمات المركبة الأوربية المستعادة) إشارة إلى أن هذا القمر الصناعي سيبقى في المدار نحو تسعة شهور يتم استعادته إلى الأرض في رحلة لاحقة للمكوك في الربيع أو بداية الصيف الحالي ١٩٩٣م.

وكان من المؤمل إطلاق القمر في الأول من آب (أغسطس)، إلا أن حدوث عطل في نظام تخزين المعلومات دعا وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) إلى إشعار رواد الفضاء بتأجيل إطلاق القمر لـ ٢٤ ساعة لإعطاء وكالة الفضاء الأوربية ESA وقتًا كافيًا لإصلاح النظام.

وتم إطلاق هذا القمر في اليوم الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٢م الساعة السابعة بتوقيت جرينتش على ارتفاع ٤٣٠كم. وكان من المقرر أن يبلغ المدار الذي يدور فيه لمدة تسعة أشهر على ارتفاع ٥٢٥كم وبزاوية انحراف ٢٨,٥°. وكان من المقرر كذلك أن يبلغ ذلك بعد ٤٠ ساعة من إطلاقه، إلا أن حصول العطل في نظام تخزين المعلومات الذي أشرنا إليه أدّى إلى وصول القمر إلى ارتفاع ٤٧٥ كيلو مترًا فقط وبزاوية انحراف مخالفة لما هو مطلوب.

وبدأ مهندسو وكالة الفضاء الأوربية سباقًا مع الزمن لإعداد الخطط والأساليب لإعادة القمر إلى

مداره المفترض، وانتهى هؤلاء من إعدادها يوم ٦ آب (أغسطس)، وبعد سلسلة من المناورات المدارية استهلكت كمية وقود إضافية استقر أخيرًا في مداره يوم ٨ آب (أغسطس).

ويُذكر أن صفات تصميم القمر « يوريكا» الذي وضعته وكالة الفضاء الأوربية يضع في الحسبان حدوث مشكلات أو تأخر إطلاق المكوك لاستعادته مدة عدة أشهر بزيادة الوقود الدافع للمركبة يوريكا.

المركبة

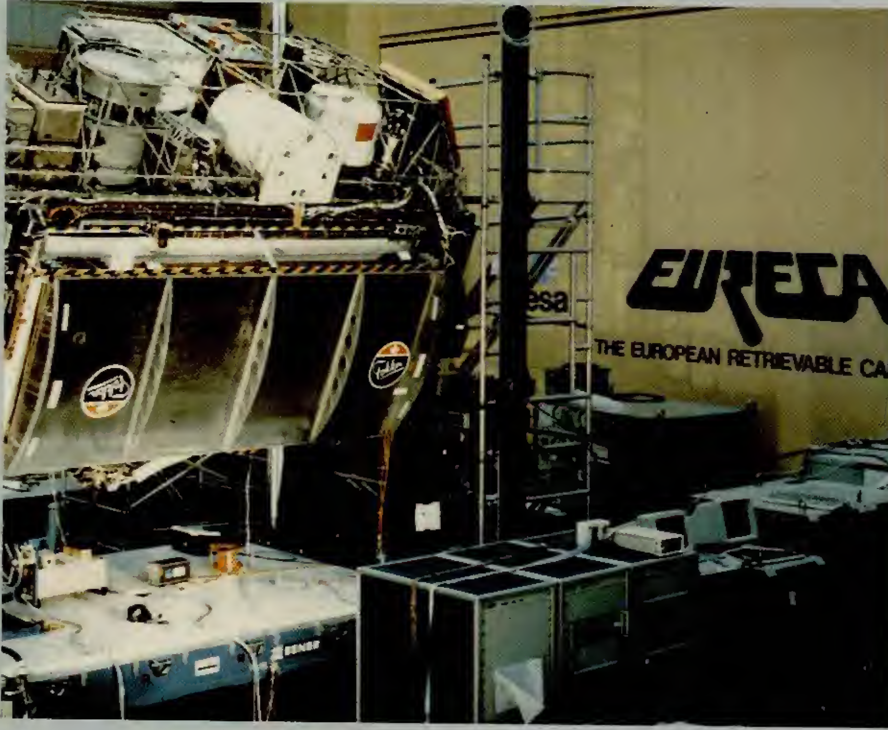
صنع هيكل المركبة من ألياف الكربون لما لها من خاصية المرونة والقوة نسبة إلى الوزن والدعامات والجسور من تشكيل أنبوبي، بينما صنِعَت العُقَد من مادة التيتانيوم وجمعت سويًّا في إطار عملي من الأجزاء المكعبة، وهذا يسمح بتنظيم دقيق وتحليل الجهود بصورة أسهل، ويسهل عملية التجميع والصيانة، والأجهزة الكبيرة تكون ملتصقة بالعقد، أما الأجهزة التي تزن أقل من ١٠٠ كغم فتجمع على أسطح قياسية للمعدّات.

التحكم الحراري

التحكم الحراري ليوريكا يجمع بين نقل الحرارة الفعال والعزل الخامل ونظام المشعّات الحرارية، فالناقل الفعال مطلوب لتبريد الأجهزة التي تشع حرارة كبيرة من خلال حلقة التبريد بالفريون والتي تبرد حرارة الحمولة من خلال مشعين إلى الفضاء، وحلقة الأنابيب المبردة هذه تتشابك مع الحمولة من خلال المبادلات الحرارية (الأسطح الباردة) أو بدوران المائع مباشرة خلال الأجهزة والمكونات المجمعة. أما نظام العزل فيستخدم عازلاً متعدد الطبقات مع مسخنات كهربائية عند انخفاض درجة الحرارة إلى ما دون المدى المسموح به، ويمكن للنظام الفعال أن يبرد حرارة الحمل القصوى وهي نحو ٢٣٠٠ واط.

القدرة الكهربائية

نظام القدرة الكهربائية يقوم بتوليد الجهد وخزنه وتغييره وتوزيع القدرة إلى جميع أنظمة المركبة ومعداتها. وتحمل المركبة جناحين مرصوفين بالخلايا الشمسية يتكون كل منهما من خمسة ألواح، قابلين للطيّ والدوران، ويتم الحصول منهما على ٥٠٠٠ وات، ويتم تغذية الحمولة المفيدة بـ ١٠٠٠ وات



صورة لمركبة Eureca أثناء الفحص (ملتقطة من قبل MBB في مركزها-بريمن)

بفولتية ٢٨ فولت، كما أن هناك أربع بطاريات نيكل كادميوم، كل منها بسعة ٤٠ أمبير/ ساعة، ويمكن لهذه البطاريات تغذية حمل قدره ١٥٠٠ وات لبضع دقائق. وخلال وجود المركبة في عنبر الشحن لمكوك الفضاء فإن المكوك سيزودها بالطاقة لضمان بقاء المعدات الدقيقة في درجة حرارة ملائمة ضمن الحدود المقبولة.

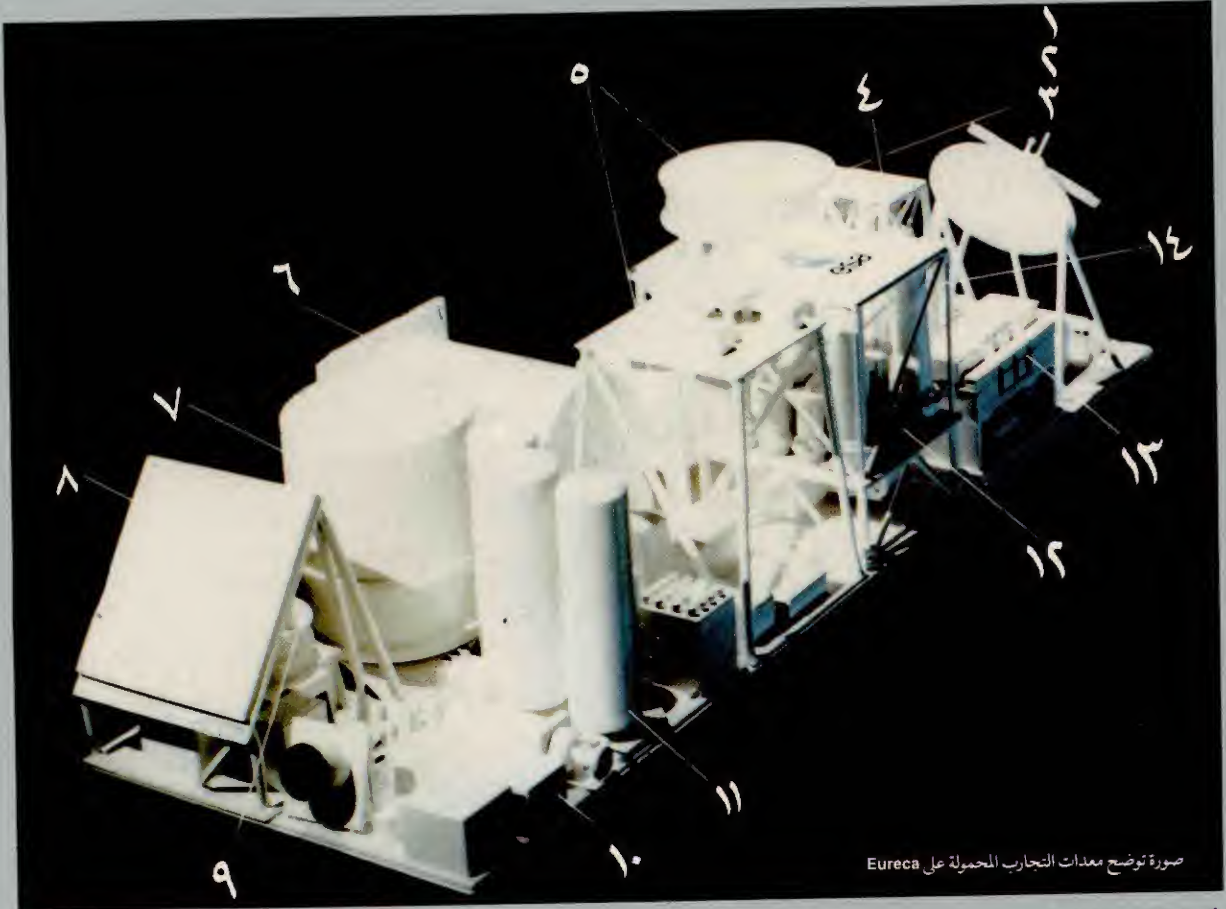
التحكم بالوضع والمدار

النموذج الخاص بالنظام الفرعي للتحكم بالمدار والوضع، يستخدم لإيجاد الوضع واتجاه المركبة واستقرارها خلال عملية الدوران في المدار النهائي وعملية المناورات للوصول إليه، وقد صمم لمزيد من التلقائية. فهو يضمن جميع متطلبات المهمة ليوفيها حتى في حالة وجود عطل شديد على متنها ويتضمن عدم وجود معلومات تحكم بالأنظمة لمدة تزيد على ٤٨ ساعة.

مجمع المدار العابر يتكون من مجموعتين غزيرتين من النافثات، عددها في كل مجموعة بدفع ٢٠ نيوتن تستعمل لدفع يوريكا إلى المدار الذي تقضي فيه معظم المهمة بارتفاع ٥٢٥ كم، ثم العودة إلى مدار الاستعادة بارتفاع ٣٢٥ كم. وكمية الوقود الموجودة في المركبة كافية لتبقى المركبة في المدار، اعتمادًا على مدة المهمة، لتصل إلى ما بين ستة إلى تسعة أشهر.

وهناك لحظات حرجة في عملية يوريكا، فكمية الهيدرزين المطلوبة للوصول إلى المدار مسألة دقيقة فقد تنخفض الكمية المخزونة؛ نتيجة ظروف غير ملائمة، وهو ما حدث فعلاً كما أشرنا في بداية المقالة. واحتاج القمر إلى مزيد من الوقود لتصحيح المدار. وإضافة إلى ذلك قد تؤدي بعض المصاعب التقنية أو المناخية أو التأخير لرحلات أخرى إلى تأخير إطلاق مكوك الفضاء ورحلته للاستعادة في الوقت المحدد، وحتى بدء رحلة الاستعادة يجب أن تبقى المركبة على ارتفاع ٥٢٥ كم. وهذه الظروف لم تكن غائبة عن خبراء وكالة الفضاء الأوربية فقد وضعت التصاميم لكي يكون الوقود كافيًا لبقاء المركبة مدة ١٨ شهرًا في المدار في الحالات غير المناسبة.

ونظرًا لكون المركبة تحتوي تجارب في مجال الجاذبية الدقيقة microgravity فقد استخدم نظام الاستقرار باعتماد العزم المغناطيسي ومجمع تحكم برد الفعل الذي يستخدم النتروجين كغاز دافع، لكونه ضمن حدود عدم الإخلال بالتجارب هذه، وللغرض نفسه تم تصميم مفاصل خاصة لجهاز ضاغط الفريون لإزالة الاضطراب الاهتزازي لكونه



صورة توضح معدات التجارب المحمولة على Eureca

١- SOSP (جهاز الطيف الشمسي) ٢- ORA (مقياس كثافة طاقة الاحتجاب) ٣- WATCH (المنظار ذو الزاوية الواسعة)
٤- ASGA (مجموعة الخلايا الشمسية المتقدمة) ٥- AMF (فرن عاكس تلقائي) ٦- HPT (المنظم الحراري الدقيق)
٧- PCF (تسهيل تبلور البروتين) ٨- TICCE (تجربة الإمساك بالفترة الزمنية) ٩- SFA (جهاز قوى الشد السطحي)
١٠- RITA (مجمع الدفع التأيني بواسطة التردد الراديوي) ١١- SGF (تسهيلات تنمية البلورات من المحاليل) ١٢- MFA (مجمع الأفران المتعددة)
١٣- ERA (الأحياء في الفضاء ومجمع الإشعاع) ١٤- SOVA (جهاز قياس الثابت الشمسي وتغيراته)

عنصر الاضطراب الرئيس. ويحتوي النظام على غاز مبرد يستخدم في عملية الانفتاح والطي دون الحاجة إلى عمل رواد المكوك لذلك.

الاتصالات ونظام المعلومات

نظرًا لطبيعة المدار المنخفض ليوريكا فإنها ستكون مرئية من قبل محطات التحكم في غويانا الفرنسية وجزر الكناري وبرث في أستراليا خمس إلى ست فترات في اليوم، كل فترة مدتها عشر دقائق فهي بذلك تكون مرئية لمدة تساوي ٣٪ من الوقت الذي تمضيه في المدار.

لذلك ولهذه المتطلبات فإن نظام عمل هذه المركبة يجب أن يكون تلقائيًا، بحيث يخزن الأوامر المرسلة من المحطات بناءً على معلومات الحالة التي ترسلها المركبة لتكون كافية لأداء عمل المركبة قبل أن تمر على محطة أخرى.

وهناك جهاز ذاكرة على متن يوريكا سعته ١٢٠ ميغا بت لخزن أوامر التشغيل، وهذه السعة كافية لخزن ١٠٠٠ أمر تشغيل. وكذلك يتم استلام المعلومات المرسلة من «يوريكا» وتحليلها للاستفادة منها في المختبرات المدارية في المستقبل في كنتاج بلورات يستفاد منها في استخدامات ذات مجالات واسعة مثل الأدوية والإلكترونيات.

وهذه التجارب ستكون مركزة على دراسة الدور الذي تلعبه الجاذبية على مدى واسع من العمليات الفيزيائية الكيماوية التي سيتم فهمها. وبما أن معظم المواد المصنعة على الأرض تنتج من محاليل أو على الأقل حالة سائلة فهناك مجال كبير للاستخدام المفيد للتحريك من المتوقع أن يقدم الكثير من أجل الفهم الأفضل لميكانيك الموائع.

الجانب الآخر لدراسات Eureca - 1 سيكون علم الحياة Scince of life. وبما أن البيئة الفضائية أساسًا معادية للحياة من خلال معرفة التأثير المستمر للجاذبية الدقيقة وتأثير الإشعاعات في الأجسام، فقد أصبح من الضروري معرفة آثارها والطرق التي تحد من تأثيرها من أجل إطالة مدة تحمل الإنسان للفضاء. وإضافة إلى ذلك فإن يوريكا تحمل معدات أخرى لدراسة الأجواء العليا، الفلك، الاتصالات البعيدة، ومعدات وأجهزة للأجيال القادمة من الأقمار الصناعية.

المهمات العلمية

تحمل «يوريكا» خمسة عشر جهازًا، تستخدم خمسة منها لإجراء عدة تجارب من اختيار وكالة الفضاء الأوروبية لإجراء ٥٠ تجربة تقدمت بها الجامعات ومعاهد البحوث الأوروبية أو من مراكز بحوث وكالة الفضاء الأوروبية.

وتستأثر تجارب علم الجاذبية الدقيقة بالنصيب الأكبر من هذه التجارب؛ وهذا العلم يختص بدراسة الظواهر الناشئة عن الوجود في بيئة الجاذبية

الدقيقة أو الاستفادة منها: (وهو ما يعرف سابقًا بانعدام الجاذبية، ومن خلال الأجهزة الحديثة تم تحسس جاذبية في المدار قدرها واحد من المليون من الجاذبية على الأرض).

وتشمل تجارب ESA في هذا المجال تصنيع المواد وميكانيك الموائع وعلم الحياة. ففي تصنيع المواد يتم الحصول على البلورات ذات النقاوة العالية، والتي تُنتَج لدراسة تركيبها البلوري ونمو البلورة، وستتعدى فوائد هذه التجارب مجال الفيزياء الأساسية لمفاصل التقنية المطلوبة لإنجازات في هذا المجال، والتي سيكون فيها إنتاج مواد كهذه أمرًا معتادًا.

والأجهزة الخمسة عشر هي:

١ ـ AMF (فرن عاكس تلقائي): هو فرن إشعاع ضوئي مصمم لتنمية بلورة مفردة منتظمة من طور غازي أو سائل باستخدام طريقة الحرارة المتنقلة أو طريقة برجمان Bridgman.

وأساس المكونات هي المرآة البيضوية، وتوضع المادة التي تجري عليها التجربة في الحلقة البؤرية السفلية للمرآة، ومصدر الضوء هو مصباح هالوجيني بقدرة ٣٠٠ W ويوضع في البؤرة العلوية، ويمكن الحصول على حرارة تصل إلى ١٢٠٠ درجة مئوية وتستهلك هذه التجربة ٥٠٠ وات كحد أعلى ويمكن الحصول على تنمية لـ ٢٠ بلورة في هذا الجهاز.

٢ ــ SGF (تسهيلات تنمية البلورات من المحاليل): وهي تجهيزات متعددة مُعَدَّة لتنمية بلورات أحادية من محلول، وتتألف من أربعة مفاعلات وأنظمة التحكم المرتبطة بها.

ثلاثة من المفاعلات ستستخدم لتنمية البلورات في المحاليل، خاصة المواد غير المتبلورة. هذه المفاعلات ستحتوي على غرفة مركزية حاجزة تحوي مذيبًا وخزانين يحويان محاليل ترسيب. الخزانان يرتبطان بالغرفة الحاجزة بواسطة صمام يسمح للمحلولين بالانتشار في المذيب ومن ثم تبلوره.

أما المفاعل الأخير فيحتوي على ٢٠ أنبوبة تحوي عينات من خليط عضوي ومذيب الكتروليتي مائي، وهذه التجربة مخصصة لحساب معامل سورت Soret coefficient.

٣ـ PCF (تسهيل تبلور البروتين): وهو تجربة تنمية البلورات من محلول هذه التجربة ذات الاستخدامات المتعددة لتبلور البروتين في الفضاء. إن الغرض من هذه التجربة تنمية بلورة بروتين واحدة خالية من العيوب، ولدرجة عالية من النقاء، وبحجم كافٍ لتحديد التشكيل الجزيئي لها بواسطة الحيود النيوتروني أو حيود أشعة إكس، وهذا يتطلب عمليًا بلورة بحجم عدة أعشار من الملمتر.

وهذه التجربة تحتوي على ١٢ إناء تفاعل، واحد لكل تجربة، كل منها له بيئة متحكَّم بدرجة حرارتها، وكل منها له ٤ حجرات، إحداها تحوي البروتين والثانية المحلول الحاجز، واثنتان مملوءتان بمحلول ملحي.

وعند وصول الحيز إلى درجة الحرارة المطلوبة تنفتح حجرة البروتين والمحلول الحاجز والمحلول الملحي فتنتشر جزيئات الملح في المحلول الحاجز مما يجعل البروتين يتبلور، وفي نهاية التجربة يتم فتح المحلول الملحي الثاني لجعل تركيز الملح أكبر.

٤ ـ MFA (مجمع الأفران المتعددة): وهي تجربة متعددة الاستخدامات معدَّة لتجارب علم المواد، وهي عبارة عن عدة مُعدات متشابهة مترابطة تكون ١٢ فرنا من ثلاثة أنواع مختلفة تعطي درجة حرارة تصل إلى ١٤٠٠ درجة مئوية. بعض الأفران جهزت من قبل أصحاب التجارب حسب مواصفات ESA، والباقيات أفران استخدمت في رحلات سابقة، منها ما استخدم في صواريخ السبر، وهذه يتم استخدامها في يوريكا بعد التحويرات الضرورية والتعديلات الإضافية، والتجارب تتم بحيث يعمل فرن واحد فقط في وقت واحد، وهي مركزة على تجارب نمو بلورات أشباه موصلات.

٥ ـ ERA (الأحياء في الفضاء ومجمع الإشعاع): وهي تجارب متعددة الاستخدام في علم الحياة لدراسة التأثيرات الحياتية للإشعاع الفضائي، وتأثير الكثافة الأيونية على الأنسجة، والسكون والتأثير التحولي نتيجة الإشعاع الشمسي، وتأثير الأشعة فوق البنفسجية في الترتيب الجزئي والتحطم وتركيب الإشعاع الكوني في بيئة Eureca.

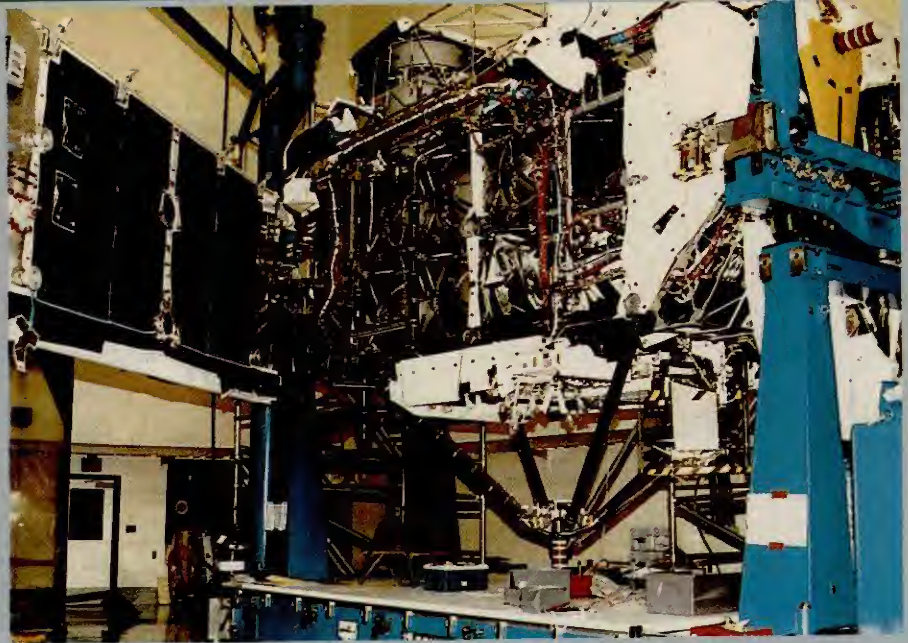
إن معلوماتنا عن تأثير جسيمات الإشعاع الكوني في الطبيعة الحياتية من ناحية الفراغ الفضائي والأشعة فوق البنفسجية الشمسية وفعالية الطيف الشمسية فوق البنفسجية يجب أن تتحسن نتيجة لهذه التجربة.

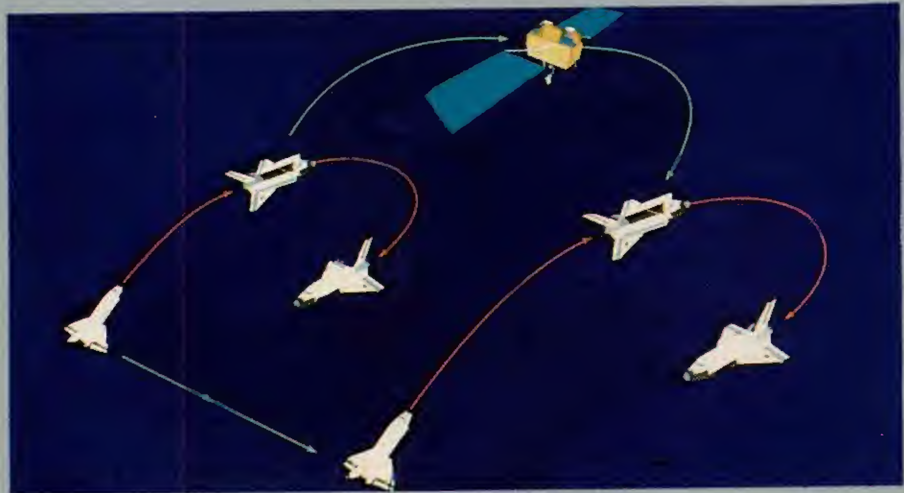
وجهاز هذه التجربة يتألف من سطحين: سطح مطوي وآخر ثابت، وعدد من الأسطوانات تسمى المداخن الأحيائية، يحتوي على أجسام حية متنوعة مثل الأبواغ Spores والبذور والبيض. ومع الإشعاع وتحسس التتبع (تغيّر الموقع مع الشمس) تقوم معدات إلكترونية بتتبع هذا ويسلط على كل عينة مركبة معينة من الإشعاع الفضائي لفترة محددة. ويتم التحكم بها بواسطة حواجز ومرشحات ضوئية لأطوال موجية معينة.

٦ ـ HPT (المنظم الحراري الدقيق): الظاهرة الفيزيائية الأساسية حول النقطة الحرجة لمائع لم يتم فهمها تمامًا حتى الآن. القياسات في بيئة الجاذبية الدقيقة التي تمت في المهمة الألمانية D1 كانت لم تف بالنتائج المرجوة، لذلك فهناك ضرورة لمزيد من الدراسات للظاهرة الحرجة وتحت ظروف الجاذبية الدقيقة وبدرجة عالية من الدقة العلمية.

ومنظّم الحرارة العالي الدقة هو الجهاز المصمم للتجارب ذات الوقت الطويل التي تتطلب درجة عالية من التنظيم الحراري. وظروف الجاذبية الدقيقة والتجربة العملية هي الدرجة الحرجة الحرارية أو تحول الطور مثل تجربة الامتزاز (absorption) في مهمة يوريكا ١، وهذه التجربة دراسة امتزاز (تكثيف جزيئات غاز ويلصقها بسطحه الصلب) سادس فلوريد الكبريت في درجة قريبة لدرجته الحرجة ٤٥,٥٥ Tc: درجة مئوية و Pc: ٠,٧٣٧ جرام/ سم³ على الكرافيت. وهناك تقنية جديدة لقياس معامل الامتزاز بدرجات حرارة مختلفة تبدأ من ٦٠ درجة مئوية.

٧ـ SFA (جهاز قوى الشدّ السطحي): صمم لدراسة اعتماد قوة الشد السطحي وطاقة الترابط على ثوابت فيزيائية وفيزيائية كيماوية مثل شكل السطح وخطوط السطح المستقيمة ودرجة الحرارة وخواص التشويه للأجسام المتماسة، لذلك فهذه التجربة ترمي لتجديد فهمنا الحالي للخواص المرتبطة بالتشوه مثل الكسر والاحتكاك وتقنية اللحام البارد في ظروف الجاذبية الدقيقة.


صورة أخرى لـ Eureca تظهر فيها خزانات الوقود الدافع (من MBB)


صورة توضح إطلاق المركبة Eureca وعودتها (صورة من ESA)

فالتجارب والقياسات في درجة عالية من الفراغ يجب إجراؤها في ظروف الجاذبية الدقيقة لأن من الصعوبة إجراءها في الأرض من خلال ثوابت فيزيائية مسيطر عليها.

٨ ـ SOSP (جهاز الطيف الشمسي): صمم لدراسة فيزياء الشمس وأشعة الشمس على الأرض وتأثيرها في الجو والمناخ، فهو يقيس الإشعاع الشمسي المطلق وتغيره في الطيف الترددي بين ١٧٠ و ٣٢٠٠ nm بدقة متوقعة لا يزيد خطؤها عن ١٪ في المدى المرئي وتحت الأحمر، و٥٪ في المدى فوق البنفسجي. والتغير في السطوع الشمسي يتعلق أساسًا بالمدة القصيرة في التغيرات الشمسية التي أوضحتها المركبة Solar Maximum (SMM). والتغيّرات تتعلق بالدورة الشمسية التي مدتها ٢٧ يومًا، والتغيرات ذات المدى الطويل التي تستغرق ١١ سنة. وبينما سيتم قياس الدورة القصيرة في رحلة يوريكا الأولى هذه، فإن رحلة ثانية وثالثة . . . تحتاج إليها لتضمن التغيرات في الدورة ذات المدى الطويل.

٩ ـ SOVA (جهاز قياس الثابت الشمسي وتغيراته): مصمم لدراسة الثابت الشمسي وتوزيعه الطيفي ويقيس:

أ ـ التموج في الإشعاع الشمسي كليًا وطيفيًا ضمن فترة دقائق حتى مدة ساعات بدقة، وتحديد الضغط والجاذبية الناتجة عن التذبذب الشمسي الذي يحمل معلومات عن تشكيل الشمس.

ب ـ التغير على المدى القصير للإشعاع الشمسي كليًا وطيفيًا لمدة عدة ساعات وتمتد إلى عدة شهور لدراسة توزيع الطاقة في نطاق الحمل الحراري الشمسي، وهذه التغيرات تربطه بالفعالية الشمسية.

جـ ـ التغيرات على المدى الطويل لأشعة الشمس المضيئة نسبة إلى الزمن مدة سنة، وقياس الإشعاع الشمسي المطلق ومقارنته بما تم قياسه في مختبر الفضاء أو المركبات الفضائية الأخرى، وهذا مهم لفهم الدورة الشمسية ومرجع أساسي لبحوث المناخ.

١٠ ـ RITA (مجمع الدفع التأيني بواسطة التردد الراديوي): صمم لتحقيق استخدام الدفع الكهربائي في الفضاء وكسب خبرة تشغيلية قبل المصادقة على استخدامه في تقنية المركبات الفضائية المتطورة.

المهمات الفضائية التي يخطط لها حاليًا (والتي هي أكثر تعقيدًا وعمرًا) تدعو إلى زيادة حجم الوقود والدافع الذي يؤدي إلى زيادة الكتلة الكلية للمركبة وضرر للحمولة المفيدة أو العلمية، وهناك اقتصاد مهم في الكتلة عند استخدام هذه التقنية الحديثة، حيث يتم تأمين الغاز الدافع ثم تعجيله من خلال مجال كهربائي، ولتجنب شحن المركبة فإن الحزمة الأيونية تحيد بواسطة أداة لانبعاث الإلكترونات ومحيّد، والسرعة الدافعة أكبر من تلك التي تعطى من نظام الدفع الكيماوي.

١١ ـ WATCH (المنظار ذو الزاوية الواسعة): مصمم لتحسس مصادر أشعة جاما وأشعة إكس ذات الطاقة الفوتونية بين ٥ و٢٠٠ كيلو إلكترون فولت وتحديد موقع المصدر. إن الغرض الأساسي لـ WATCH تحسس وتحديد موقع مصادر أشعة جاما النبضية وأشعة إكس الشديدة ومصادر أشعة إكس الرئيسة يمكن مراقبتها أيضًا. نبضات أشعة جاما أحد الأمثلة الأكثر تقريبًا لتغير ظهور أشعة إكس في السماء، فالزيادة والهبوط ضمن ثوان، ولكن ضمن حياتها فهي تشع مجالاً مشتركًا من جميع مصادر أشعة إكس وأشعة جاما الكونية بمعامل قد يصل إلى الآلاف.

١٢ ـ TICCE (تجربة الإمساك بالفترة الزمنية): وهي مصممة لدراسة كثافة الجسيمات الدقيقة في الفضاء القريب من الأرض مثل الحطام الأرضي والأحجار النيزكية الصغيرة والغبار الكوني. وهذه التجربة مخصصة لاقتناص تلك الجسيمات التي تزيد سرعتها على ٣كم في الثانية وتحتفظ بهذه الجسيمات حتى عودة المركبة، ويتوقع أن يتم اقتناص نحو ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دقيقة.

١٣ ـ ASGA (مجموعة الخلايا الشمسية

المتقدمة): وهي مصنوعة من مادة الغاليوم Gallium - الزرنيخ، وستوفر معلومات حول أداء هذه الخلايا وتأثير بيئة المدار المنخفض فيها أو مكوناتها. هذه الخلايا استخدمت لتوفير الطاقة في المحطة المدارية للدول المستقلة (مير)، ويتوقع أن تشكل العمود الفقري للجيل الجديد من مولدات الطاقة للأقمار الأوربية لمزاياها العالية في نسبة الطاقة/ الوزن.

أكثر المخاطر غير المحسوبة لهذه البيئة قادم من قذف البروتونات في شذوذ جنوب الأطلسي، والدورة الحرارية السريعة التكرار التي تتعب الربط الداخلي للخلية الشمسية، وأخيرًا اكتشف الأوكسجين الذري والذي يسبب تآكل الخلية الشمسية. وهناك مقدار أكيد من المعلومات سيتم كسبها، لذلك فإن استخدام هذه الخلايا سينتظر هذه التجربة.

١٤ - IOC (الاتصالات داخل المدار): وهو عبارة عن تجربة تقنية مصممة لتوفِّر تشغيلا ابتدائيا في فحص فضائي وتحشد الوظائف الرئيسة والأجهزة المثالية لمتطلبات نظام إعادة بث المعلومات من المركبة يوريكا عبر القمر الصناعي الأوربي ذي المدار المتزامن أوليمبوس.

ومن المعروف أن الاتصال بين المركبة والمحطة الأرضية يزداد صعوبة كلما انخفض المدار، وتكون أفضل ما يمكن عند المدار المرتفع (المتزامن)، وهذا بسبب أن تغطية المحطة الأرضية تزداد بزيادة ارتفاع المركبة، ونتيجة لذلك تحتاج المركبة ذات المدار المنخفض إلى أكثر من محطة أرضية لغرض متابعة المركبة والتحكم بها، ومحطات أرضية أكثر كلفة متحركة لمتابعة المركبة.

والحل المفضل هو استخدام قمر صناعي متزامن كمحطة إعادة بث للمركبة ذات المدار المنخفض، والشبكة المكونة من ثلاثة أقمار إلى أربعة لإعادة البث ستكون كافية لضمان استمرار ربط الاتصالات بين المركبة ومحطة أرضية واحدة للتحكم.

إن هذه التجربة مخصصة كما يلي:

أ - إرسال معلومات باتجاهين بين يوريكا والمحطة عبر قمر إعادة البث بتردد ٢٠/ ٣٠ GHz.



مكوك الفضاء يطلق Eureca

معلومات عن « يوريكا »

الإطلاق: مكوك الفضاء
(١) آب/ أغسطس ١٩٩٢م
(٢) ١٩٩٤م
(٣) ١٩٩٦م
العمر: عشر سنوات أو خمس رحلات.
أبعاد الجسم المركزي: الطول ٤,٥م
العرض ٢,٣م
الارتفاع ٢,٧م
اتساع الخلايا الشمسية: ٢٠ مترًا.
الاتصالات: عاملة حيز S الترددي
تجريبي حيز Ka الترددي
الوزن: الكلي ٤٤٩١ كجم
الأجهزة الـ ١٠٠٠ كجم
الطاقة: المولدة من الخلايا الشمسية ٥ كيلووات
المستهلكة من الأجهزة كيلووات واحد.
المدار: نوعه مدار أرضي منخفض
ارتفاعه ٥٢٥ كم
زاوية الانحراف ٢٨,٥°.

ب - متابعة قمر إعادة البث.

جـ - متابعة يوريكا Eureca.

د - خدمة إيجاد البعد لتحديد مدار المركبة Eureca من خلال قمر إعادة البث أوليمبوس.

١٥ - ORA (مقياس كثافة طاقة الاحتجاب):
ويقوم هذا الجهاز بقياس نسب الغازات عن طريق توهين مكونات الإشعاع الشمسي. عندما تمر عبر جو الأرض تمكن من معرفة نسب غازات الأوزون، ثاني أكسيد الكربون، ثاني أكسيد النتروجين، بخار الماء، الغازات الناتجة عن البراكين، فمن طريق دراسة شدة الإشعاع الشمسي في عشر حزم موجية من فوق البنفسجي إلى ما تحت الحمراء خلال شروق الشمس وغروبها في كل مدار يمكن معرفة نسب هذه الغازات في طبقة الميزوسفير والستراتوسفير (٢٠ - ١٠٠كم ارتفاعًا).

خاتمة

أخيرًا وبعد مرور أربعة أشهر على رحلة يوريكا، عقد اجتماع للمجموعة المشرفة على برنامج يوريكا لبحث النتائج التي تم تحقيقها خلال هذه المدة. وكما تم الإشارة إليه في هذا الاجتماع فإن ٦٠٪ من برنامج المركبة قد تم تحقيقه.

وينتظر العلماء عودة المركبة لفحص النماذج المحمولة عليها بعد إشارة التقرير إلى أن معدات تجارب الجاذبية الدقيقة تعمل بصورة طبيعية، وكذلك بالنسبة للمنظار ذي الزاوية الواسعة الذي تم من خلاله تحديد ثلاثة مصادر جديدة لأشعة إكس في الفضاء وتم إجراء تجربتي الاتصال داخل المدار والدفع بالغاز المتأين بنجاح كبير.

وقد تم في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٩٣م إطلاق المكوك الفضائي «أنديفور»، وكان من بين مهماته استعادة « يوريكا».

المراجع

(١) مجموعة نشرات عن تجارب « يوريكا» باللغة الفرنسية صادرة عن وكالة الفضاء الأوربية بتاريخ أيار(مايو) ١٩٩١م.
(٢) نشرة بعنوان esa EURECA صادرة عن وكالة الفضاء الأوربية بتاريخ تموز (يوليو) ١٩٩٢م.
(٣) نشرة بعنوان EURECA صادرة عن Deutsche Aerospoce بتاريخ آذار (مارس) ١٩٩٢م.
(٤) كتاب European Epacecraft بقلم مارك وليامسن صادر بتاريخ ١٩٩١م.
(٥) صحيفة Arabnews الصادرة بتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٩٢ م.

الوحدة العضوية في القصيدة العربية القديمة

د. علي عبدالله إبراهيم

يأتي موضوع وحدة القصيدة العربية القديمة في مقدمة القضايا النقدية التي لم تزل محل الأخذ والرد في النقد العربي الحديث، وذلك يرجع إلى تشعبه من جهة، وإلى اختلاف وجهات النظر فيه من جهة أخرى. فمن صور هذا التشعب والتعقيد كثرة التعريفات التي تدور في معنى (الوحدة)، حيث أثبت لها المُحدِثون تعريفات شتى منها:

الوحدة الموضوعية إذا نظم الشاعر قصيدته كلها في موضوع واحد، ومنها الوحدة المنطقية التي يُعْنَى فيها بترتيب الأجزاء ترتيبا تسلسليا منطقيا. ومنها الوحدة الخارجية، وتكون هذه في القصيدة ذات المواضيع المتعددة التي لا يربطها إلا خيال الشاعر وحالته النفسية. ذلك كله إلى جانب أكثر التسميات ذيوعا وانتشارا وهي ما يُعرف بالوحدة العضوية (organic unity).

ومعلوم أن **الوحدة العضوية** جاءت واحدةً من بنات أفكار الفيلسوف الإغريقي **أرسطو** [١] حين شبه الملحمة أو المسرحية بالكائن الحيّ المنتظم الأجزاء الذي يدركه العقل في وحدته. وقد أخذ الرومانسيون الأوربيون الذين عاشوا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين، أخذوا هذه الفكرة وطبقوها على الشعر. فأصبحت القصيدة في نظرهم تجربة عاطفية واحدة تصبغ أجزاءها كلها بصبغة نفسية واحدة. وتبعهم في ذلك أنصار المذاهب الأدبية التي أعقبت العصر الرومانتيكي، ومن ثَمَّ انتقلت الفكرة إلى النقد العربي الحديث في مطلع هذا القرن بعامل التأثير والتأثر.

والناظر في كتب النقد العربي الحديث يلحظ خلافًا يدور حول سؤالين مهمين هما: هل **عرف النقاد العرب - فيما أُثِرَ عنهم - فكرة الوحدة العضوية كما يفهمها النقد الحديث؟** وهل توجد في القصيدة العربية القديمة وبخاصة الجاهلية وحدة عضوية؟ مما لا شك فيه أن في النقد القديم إشارات تخص موضوع الوحدة هذه مهد لها علماء القرن الثالث الهجري، ثم اتخذت بعدًا جديدًا في القرن الرابع، عند ابن **طَبَاطَبَا** (ت ٣٢٢هـ) **والحاتمي** (ت ٣٨٨هـ)، وعند من عاش بعد هذين الناقدين من أمثال ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) **وعبد القاهر الجرجاني** (ت ٤٧١هـ) **وحازم القرطاجني** (ت ٦٠٨هـ). كل هؤلاء تكلموا في وحدة القصيدة. **لكن يبقى السؤال التالي: أي وحدة كانوا يعنون؟ هل هي الوحدة العضوية أم شيء آخر؟ هذا ما اختلف فيه النقاد.**

فمن مظاهر هذا الاختلاف أن بعض المُحدَثين يرى أن ما أُثِرَ عن النقاد العرب القدماء لا يخلو من شيئين. فهو إما أن يكون فهمًا خاطئًا لفكرة أرسطو، أو هو شرح لمعنى الوحدة من زاوية أخرى. ويرى آخرون أن من بين هؤلاء النقاد من أدرك فكرة الوحدة العضوية الأرسطالية، إلا أنهم اختلفوا في تحديد أول ناقد عربي أفصح عن هذه الفكرة: منهم [٢] من زعم أنه الحاتمي، ومنهم [٣] من قال بل هو حازم القرطاجني.

وهكذا الحال فيما يخصُّ السؤال الثاني. فقد انقسم النقاد الذين حاولوا الإجابة عنه إلى فريقين: فريق يقطع بأن القصيدة العربية القديمة خالية من الوحدة العضوية خلوًّا تامًّا. ويرى الفريق الثاني أن في مثل هذا الحكم تعميمًا مُخِلاً لا ينسحب على كل الشعر العربي القديم، وضربوا على ذلك الشاهد والمثل. وقد استفحل أمر هذا الخلاف حتى ظهر بين المُحدَثين من يدعو إلى هدم فكرة الوحدة العضوية من أساسها [٤].

موقف نقاد القرن الثالث

ولعله من المناسب أن نقف وقفة قد لا تطول لنتعرف من خلالها موقفَ نقاد القرن الثالث الهجري من قضية الوحدة هذه. ذلك الموقف الذي يتضح من خلال دراسة بعض النصوص المسندة إلى كل من **الجاحظ وابن قتيبة والمبرد**، والتي تلامس جانبًا من موضوع (الوحدة). **فقد انتهى هؤلاء النقاد إلى القول بأن الشعر الجيد الرصين هو الذي يأتي متماسك الأجزاء، غير مُشَتّت ولا مُفكك.** قال **الجاحظ** [٥]: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري فرس الرهان». وما عناه الجاحظ هنا لا يعني بأية حال ما يعرف الآن بالوحدة العضوية لعدة أسباب، أهمُّها: أن ترجمة **كتاب أرسطو (فن الشعر)** إلى اللغة العربية كانت بعد وفاة **الجاحظ**، حيث تُرجم الكتاب على يد **أبي بشر متّى بن يونس** (ت ٣٢٨هـ). مُضافا إلى ذلك أن (سهولة المخرج) التي أشار إليها الجاحظ لا تتفق مع فكرة الوحدة العضوية، فهي تعني حسن الانتقال من معنى إلى معنى، ومن غرض إلى غرض حتى يصبح الشعر وحدةً

من كُتّاب العدد

● **د. علي عبد الله إبراهيم**

— بكالوريوس في اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م.

— ماجستير في اللغة العربية من الجامعة نفسها — ١٩٨٧م — وكان موضوع الرسالة: «دور ابن قتيبة في تطور النقد العربي خلال القرن الثالث الهجري».

- دكتوراه في اللغة العربية من جامعة ليدز بإنجلترا — ١٩٩١م — وكان موضوع الرسالة: «دراسة تحليلية لغيث الأدب للصفدي حول لامية الطغرائي».



— عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

- له دراسة نقدية منشورة حول قصة د. بابكر ديومة: «الخرطوم وداعا»، ١٩٨٥م.

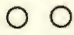
الوحدة العضوية في القصيدة العربية القديمة

صفوان بعيدًا عن الهدف مما دفع بالفحل للإقدام على حماية فرج أتانه والدفاع عن الموضع الذي يخاف عليها منه. وخلاصة الأمر أن هذين الحيوانين قد فشلا في الوصول إلى هذا الماء على الرغم من الجهد الذي بذلاه في سبيل تحقيق ذلك، تمامًا كما فشل شاعرنا في الوصول إلى صاحبته ونيل ما كان يريده منها.

وإذن، فالناقة التي تُشبه هذا النوع من الحُمرِ الوحشية هي بلا ريب ناقة من نوع خاص وهذا ما قصد إليه شاعرنا. وعلى الرغم من خصوصيّة هذه الناقة فالشاعر لا يجد بُدًّا من أن يدعها جانبًا ليتكلم عن فرسه بدلاً عنها. وكأنه لم يجد ضالته فيها فأخذ يفتش عليها في هذا الفرس. وفي ذلك دليل آخر على ارتباك الرجل واضطرابه. وصف فرسه فأجاد وصفه ونعته (٩). فهو فرس نَهْدٌ تامُّ الخلق، فرسٌ ممتلئ قوةً ونشاطًا، وهو فرس سريع يأتي دائمًا وأبدًا في مقدمة الخيول المتسابقة لأنه يعدو كما يعدو الرئم الذي جاءته كلاب من ههنا وههنا. ذلك لأنه فرس أحسن صاحبُه القيامَ عليه، فهو يؤثره باللبن الخالص ويغذّيه في البيت ولا يدعه يرود ويرعي مع سائر الحيوانات.

ولكن، فيما يبدو، لم تستطع الناقة المجدّة، ولا الجأبُ المتترّع ولا المِسَحُ الجُرْشُع، لم يستطع أيٌّ من هذه المخلوقات أن يملأ الفراغ الذي أحدثه فقدان الشاعر لصاحبته. فلا يزال الرجل يبحث عمّا يسليه ويبعد الهمّ والغمّ عنه حتى مال إلى بنت الكروم المعتّقة والمرقّقة بالماء لجودتها وقوة تأثيرها، ظن صاحبنا أن ضالته تكمن في معاقرة هذا النوع من المدام والعكوف عليها، فانهمك فيها وانصرف إليها. ولكن مأساته، فيما يظهر، كانت أكبر وأقسى من تلك التي يمكن أن تعالج بمثل هذه الأشياء. وعندما تثبّت الرجل من هذه الحقيقة وتأكد أخذ فيما يشبه الانهيار التام. أصابه إحباط قاتل مدمّر دفعه إلى القول بأن كل شيء قد انتهى وولى وليس أمامه بعد الآن سوى هذه النهاية الحتمية، النهاية المحزنة والمتمثلة في الموت. فالضعف النفسي الذي كان يعيشه ويعاني منه استحال إلى ضعف عُضْوِي. لم يَعُدْ قادرًا على الحركة. لم تعد قدماه قادرتين على حمل هذا الجسد المتهالك. عندئذ شطح به خياله وصور له أنه سوف يُصرع بعد قليل، سوف يموت، وليته كان موتا عاديًّا. ذهب به الخيال إلى أنه سوف يسقط على الأرض ميتا ثم يأتي بعد ذلك ضبع لتمزق جلده وتأكل ثم تُطْعِم جراءها من لحمه وشحمه، يتكلم عن ذلك في حرقةٍ وألم شديدين أن تكون نهايته هكذا. يتأسف على العُزلة والوحدة التي وجد نفسه فيها حيث لا أحد من حوله يأخذ بيده في هذا الظرف الصعب والقاسي. ولعله في حقيقة الأمر يتأسف على ذهاب وضياع صاحبته زينب، وذهاب أيام قوته وعنفوان شبابه، عندما كان يُعْمِلُ سيفَه في أعدائه فَيُسْقِط أيديهم كأنهن الخِرْوَع. ولعله يتأسف أيضا على الأيام التي عاشها مع صاحبته، تلك التي كان فيها حبل المودة موصولا بينهما. وصل به الانهيار والتدهور النفسيان إلى درجة جعلته يفكر في قطع يده، ولعله كان يفكر في الانتحار إذ لم يبقَ عنده سبب مقنع للتمسك بالحياة. ومن ثم جرّه هذا الشعور إلى الحديث عن الموت والفناء صراحة. خرج من ذلك الكابوس الذي رأى فيه ضَبُعًا تنهش لحمه إلى الكلام عن الموت باعتباره أمرا لا بد من وقوعه، ثم شبهه بالغُول التي تغتال الناس وتذهب بهم ثم لا يرجعون أبدًا. وهذه الغُول قد ساقت من قبل آباءه وأجداده، وهي التي بطشت وفتكت بقبائل وحضارات كثيرة. وفي آخر بيتين من هذه القصيدة يؤمِّنُ شاعرنا على الحقيقة الثانية والتي لا شُبْهَةَ فيها، وهي أن كل إنسان لا بدّ أن يموت يومًا ما، وأن الموت سوف يدركه سواء كان في بلده أو كان في أي مكان آخر.

نخلص مما تقدّم إلى أن متمّمًا قد استخدم في قصيدته هذه عددًا غير قليل من الأدوات الشعرية. تكلم عن صاحبته زينب، ووصف ناقته والحمار الوحشي، ونعت فرسه وأشار إلى ما كان من أمر هذه الضبع... إلخ. ونخلص أيضا إلى أن الشاعر لم يَعْمَدْ إلى إقحام أيٍّ من هذه الأدوات إقحامًا؛ لأننا قد لاحظنا وجود هذا العصب الداخلي الذي يربط بين أجزاء القصيدة كلها، ممّا جعلها تخرج في نهاية الأمر قصيدةً متماسكةً مترابطة الأجزاء على النحو الذي بيّناه. **ولعلنا لا نذهب بعيدا إن قلنا في نهاية هذه الدراسة: إن الاتهام الذي ظلّ يردده عدد من النقاد المحدثين من أن القصيدة العربية القديمة تقوم على أجزاء عديدة لا يجمعها جامع ولا يربط بينها رابط إنما هو اتهام باطل لا يقوم على أساس ولا تسنده حجّة، ذلك لأن الجو النفسي الذي كان يعيش فيه الشاعر القديم قبل عملية النظم وأثناءها كان كثيرًا ما يلقي بظلاله على جوّ القصيدة العام ويكون له أثره الواضح في شكلها ومحتواها.**



الهوامش

١) يرى الدكتور يوسف حسين بكار أن أفلاطون كان قد سبق تلميذه أرسطو إلى هذه الفكرة. انظر (بناء القصيدة في النقد العربي القديم)، دار الأندلس، ص ٢٧٧.

٢) المرجع السابق، ص٢٩٨.

٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٥.

٤) من هؤلاء جميل صدقي الزهاوي، ومحمد نايل، انظر: د. أبو الخشب في محيط النقد الأدبي، ١٩٨٥م، ص ٥٥-٧٧.

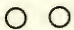
٥) ابن رشيق، العمدة، ١٩٢٥م، ج١، ص١٧١.

٦) المرزباني، الموشح، ص١٢١.

٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، ١٩٦٤م، ج١، ص٢٠.

٨) قام الدكتور طه حسين بتحليل معلقة لبيد بن ربيعة تحليلاً يؤكد وحدتها وتماسك أجزائها. انظر. حديث الأربعاء، ١/ ٣٢-٣٩.

٩) انظر النص الكامل للقصيدة في كتاب «المفضليات»، شرح ابن الأنباري، تحقيق كارلوس يعقوب لايل، بيروت، ١٩٢٠م، ص٦٣.





طفل ما قبل سن المدرسة: حقه على المجتمع

تعجز كثير من الأسر العربية عن توفير المتطلبات الأساسية للطفل، مما يلقي مسؤولية جسيمة على عاتق المجتمع؛ لتدارك النقص وتوفير الرعاية اللائقة للطفولة.

وأول ما يستوجب على المجتمع أن يوفره للطفل، هو تمكينه من أن يحيا في مسكن لائق مجهز بالمرافق الصحية الأساسية، من خلال إقامة مشروعات سكنية للأسر غير المحظوظة من فئات الدخل المحدود.

ولا يقتصر الأمر على توفير سكن لائق، بل لا بد أن يخطط المجتمع لتوفير المتنزهات والحدائق الكافية المزودة بوسائل اللعب والتسلية؛ لتغطية احتياجات الطفولة في مختلف الأحياء، فالطفل بحاجة للعب كحاجته للغذاء.

وعلى المستوى الصحي، من حق الطفل على المجتمع تأمين الرعاية الصحية له أينما كان، من خلال شبكة واسعة من المؤسسات الصحية، ومراكز رعاية الأمومة والطفولة، وإيلاء الأولوية والأهمية للخدمات الصحية الأساسية، وللعمل الوقائي (التطعيم خاصة). وحتى تصل تلك الخدمات لأطفال المجتمع كافة، عليه أن يوفرها بالمجّان، أو بمقابل رمزي.

كذلك من حق الطفولة على المجتمع تعميم التربية قبل المدرسية وخاصة في سن ٣ ـ ٦ سنوات، وإعطاؤها الأهمية نفسها، المعطاة للتعليم الابتدائي، وجعلها في متناول جميع أطفال المجتمع، انطلاقًا من أن التربية أداة لتنمية قدرات الطفل وطاقاته، وتمهيد نفسي وجسمي وعقلي واجتماعي للتعليم.

ولا بد ـ أيضًا ـ من التأكيد على ضرورة توفير الوسائل التثقيفية والترفيهية الملائمة لأطفال تلك المرحلة، وتشمل الكتب والمجلات وشرائط التسجيل، المسموع منها والمرئي، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والأفلام السينمائية والمسرحيات... إلخ، تلك الوسائل التي تمثل غذاء ثقافيًا وفكريًا، له أكبر الأثر في تكوين الأساس المعرفي والقيمي والديني، لطفل اليوم، وراشد الغد. ونظرًا لأهمية تلك الوسائل وخطورتها، فإنه تقع على عاتق المجتمع مسؤولية الاهتمام بالإنتاج الموجه لأطفال ما قبل سن المدرسة، ومراقبته من حيث المضمون والشكل.

فمن حيث المضمون، المطلوب أن يستجيب الإنتاج الثقافي والترفيهي لجملة من الأهداف النفسية والاجتماعية والدينية والتربوية، الرامية إلى تلبية عدد من حاجات الطفل، وتنمية قدراته وطاقاته وميوله ومهاراته وإلى تعريفه بمحيطه الطبيعي والبشري والروحي والصحي. التي من شأنها ـ جميعًا ـ أن تزوده بأنماط سلوكية وأخلاقية تسهم في عملية تنشئته الاجتماعية، وفي تكييفه مع المحيط الذي يعيش فيه آنيًا ومستقبليًا، كما يهيئه لتعرف مبادئ القراءة والكتابة والحساب والرسم، ويدربه على المهارات التي من شأنها أن تساعده على النمو الحركي والحسي. لذا من المستحسن أن تتضافر جهود عالم النفس والتربية والاجتماع، وعالم الدين والأدب لإنتاج تلك الوسائل، حتى تخرج متنوعة الأساليب والمحتويات، مراعية خصائص الطفولة النفسية ومستواها العقلي واللغوي.

وأما من ناحية الشكل، فالأفضل أن تخرج تلك الوسائل مراعية رغبات الطفل وميوله وحاجاته، وأن تركز على الصورة المشوقة والمعبرة مُنَوَّعَةً أشكال التقديم، ولا بد من التأكيد على إضفاء طابَعِ الجودة على الإنتاج حتى يجذب الطفل.

كلمة أخيرة نقولها، إننا ـ جميعًا ـ وفي مختلف الأقطار العربية إن لم نقل في بلدان العالم أجمع؛ نتطلع للنهوض بتربية الطفولة وإسعادها؛ لأنها أمل الغد ومستقبله المشرق، لذا لا بد لنا جميعًا ـ نحن الراشدين ـ من أن نتعرف الطفولة ونعي احتياجاتها تمامًا، فذلك هو المنطلق الأساس للعناية بها ورعايتها.



د. تماضر حسون

الشاعرية والموضوعية في ديوان «في موكب الفجر»

للشاعر السعودي عبدالرحمن العُبيّد

بقلم: د. محمد الصادق عفيفي


عبد الرحمن العبيد

لمست في مناقشاتي العابرة مع الأديب الشاعر عبد الرحمن العُبيّد[١] أنه يُعنى بالحديث عن ديوانه الثاني (يا أمة الحق)، أما ديوانه الأول (في موكب الفجر) فهو لا يأبه له كثيرًا، وعندما تصفّحت هذا الديوان دهشت لمقولته في صدر مقدمته لهذا الديوان الأول:

«هذه مجموعتي الشعرية الأولى أقدمها بين يدي القارئ رغم شعوري بأنها ليست في المستوى الذي يرضيني، وبالتالي فهي ليست جديرة بالطباعة.. لأن أغلبها من شعر الشباب...»[٢].

ولكنها ــ والحق أقول ـ أكثر شاعرية وانطلاقا من المجموعة الثانية، لسبب يسير يسجله الشاعر نفسه في مقدمته لهذا الديوان بقوله: «اتجهت في الآونة الأخيرة[٣]، إلى الكتابة عن القضايا المرتبطة بالثقافة الإسلامية...»[٤]. وإذا كانت هذه المجموعة الأولى تعبر عن أحاسيس نحو العصر الذي عشت فيه، فإن مسيرتي مع الشعر لم تنته، ولكن أرجو أن أتمكن من إخضاعه وتطويعه لخدمة الإسلام وقضاياه»[٥].

ونلحظ أن هنا تحولا جذريا في شاعرية الشاعر تذكرنا بشاعر الإسلام الأول حسان بن ثابت، فبعد أن كان يترك نفسه على سجيتها ليعبر عن خلجات فؤاده، وقضايا عصره، وأحداث وقته، إذا به يريد أن يسيطر على هذا الانطلاق، وهذه الشاعرية الدافقة وأن يخضعها لاتجاه معين.

ولذلك سأعنى بتيار (البساطة والموضوعية) في هذا الديوان الأول، أما الديوان الثاني فنرجئه إلى حديث آخر، وأقصد بكلمة (البساطة) هذا التدفق الشعري الصادق الذي يولد مع أحاسيس الشاعر، ويكون رِفْد وجدانه الثائر، وتعبير فؤاده المتوهج، وتصوير خلجاته المضطرمة بين جوانحه، أما أن (يخضعه) على حد تعبيره لأنماط من القضايا المعقدة ــ وألوان من الاتجاهات الصارمة، ويخفي بريقه تحت أكداس من العقلانية وأسبابها، والالتزام الحاد وبواعثه، فهذا ليس من العدل للشاعرية والموهبة، نعم يمكن أن يكون الشاعر ـ أيا كان ــ ملتزمًا ولكن ليس الالتزام الذي يأسر شاعريته، ويحدّ من آفاقه وحيويته، ويقيد موهبته[٦] على طريقه.

إن هذه الانطلاقة الأولى من شعر العُبيّد قد نعتها أحد الدارسين وهو **الدكتور عبد المنعم خفاجي** بقوله: «من وحي الشعر، وألق الفكر، وأرج العطر، وشذا الورد، يخرج هذا الديوان، وهو يحمل أسمى المشاعر، وأنبل ما يجيش به فكر، وأرقّ ما يحلم به وجدان وخيال، إنه يستمد منابعه من أشواق قلب حالم بالنور، ثري بالعاطفة والشعور، يستمد منابعه من الطبيعة الحالمة الجميلة الملهمة للشعر والشعراء. وهنا نُصت لنغم من الخلد، وكأنه نغم من مزامير داود، للصورة فيه والكلمة والفكرة والشكل والعاطفة والخيال والمضمون نصيب كبير من احتفاء الشاعر، ومن يقظة الفنان...»[٧]

ثم يقفي هذا الدارس فيستشهد لتقريظه هذا ببعض أبيات من قصيدة للشاعر في وصف الطبيعة:

هات ألحاني، وهات الشَّجنا   نسكب النَّغم، يُثير الفِتَنَا[٨]

ويعقب عليها بقوله: «وهنا نرى جمال تصوير الشاعر، وجلال إحساسه الفني، وروعة تعبيره... كأنه وشي الحرير، ونسج البحتري»[٩].

ثم يؤكد هذا الرأي كرة ثانية في موطن آخر بقوله: «ونحن هنا إذن مع شعر جديد من موسيقى البحتري، ولغة الشاعر **الشابي**..»[١٠].

من كتاب العدد

● **د. محمد الصادق عفيفي**

ــ دكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٦٨م.

ــ عمل أستاذا للأدب العربي والدراسات الإسلامية في عدة جامعات عربية، ويدرّس حاليا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

ـ عمل ملحقا ثقافيا، ومديرا للمركز الثقافي في كل من المغرب وموريتانيا.

ــ من مؤلفاته: «المجتمع الإسلامي» ـ في عشرة كتب، و«التراث العلمي عند المسلمين» ـ في عشرة كتب، و«الدراسات الأدبية» ــ في خمسة عشر كتابا بعضها بالاشتراك.

ــ عضو في أكثر من جماعة أدبية وإسلامية.



ولا أظن أن هذا الدارس قد كال هذا التقريظ عفوا، ولكنه أصدر فيه عن رأي مدروس، مؤيد بالشواهد، لأنه لحظ ملكة شعرية أصيلة، وعطاءً غزيرًا، وتصويرًا قويًّا للعاطفة، وإخاله قد عني بقوله: «وشي الحرير ونسج البحتري» أنه على الرغم من أن هذا الديوان أول خطوات الشاعر على طريق الشعر، إلاّ أنه ذكّره بعذوبة اللفظ عند البحتري، وأن شاعرنا العبيدي ممن كانوا يُعنون بالتجربة الفنية ـ مثله مثل البحتري ـ لتخرج هذه التجربة في عبارة حارة يقظة، تعبق بروائح الجزالة، والصياغة الجميلة الخصبة، والسلاسة المطبوعة كأنها نسج الحرير ووشي البحتري.

ومن ثم فقد غدا هذا النسج ميزانا يوزن به حسن التعبير، وجمال الصياغة، وبدلا من أن نعيب على الشاعر السرعة، أصبح التجويد والتروّي أداة حسن ومدح؛ لأن واجب الشاعر أن يوازن بين الكلمات ليختار أجملها وأسلسها على اللسان، وعلى حد تعبير الزيات «شريطة أن لا يعجله الحافز المُلحّ عن تعهد كلامه بالتنقيح، وإعادة النظرة تلو النظرة»(١١) أجل، إننا نلحظ في جملة قصائد هذا الديوان أن طبع الشاعر فيه سماحة، وملكاته التعبيرية فيها سهولة، وأن شعره شعر السليقة والموهبة، وكثرة القراءة، وسعة الاطلاع على القديم والحديث.

وقد عالج **العبيدي** قرض الشعر وهو ابن الرابعة عشرة(١٢)، ومعنى هذا أنه خلق شاعرا، ومن ثَمَّ فقد أفادته هذه الموهبة منذ الحداثة، ثم كان تلقّحه بالقراءة مما أعلى كعبه، وصقل موهبته.


د. عبد المنعم خفاجي


أبو القاسم الشابي

ومعنى أن لغته (**لغة الشابي**) أي إنه اغترف كجرير من بحر، ولم ينحت من صخر، وأنه تفاعل مع اللغة ذات الشفافية، والكلمة الراقصة المشرقة، وأن قوام لغته طائفة من الأفكار الجميلة، والصور المناسبة التي يهتدي إليها الشاعر بطبعه وفنه فتهتز لها العواطف، وتتجاوب معها المشاعر.

ومن هنا كان سبيله العمل على أن تطوي لغته جناحيها على صياغة بديعة، وأسلوب واضح، يتخذ أداته المصورة من الألفاظ القريبة، والكلمات المشعة التي يستعين بها على اجتذاب الآذان، بإبداع الملكة، وإلهام الروح، وتشويق الخيال.

موقع الديوان

وهذا الديوان الذي يمثل الطور الأول من حياة الشاعر الشعرية، ظن العبيدي نفسه أنه ما يزال يحتاج إلى الكمال من الناحية العملية والعقلية والفنية، ولكنه ـ في رأينا ـ كان من الناحية الشعرية قوة عليا، وموهبة تمور بالصدق الفني، وتُصدر عن ينبوعها الداخلي، وطاقتها الفياضة.

توهم الشاعر أن هذا الرصيد من الشعر الذي وقفنا عليه في هذا الديوان هو نتاج شاب مقرزم دون العشرين أو الثلاثين أو الأربعين، لا يبالي في اندفاعه الحماسي، ودفقه العاطفي، أن تضطرب عنده الصورة الشعرية، ولكنها لم تضطرب، أو تتناقض أجزاؤها ولكنها لم تتناقض أو تهبط عواطفه الحارة ولكنها لم تهبط، أو أن تعابيره قد تخونه فلا تسع أفكاره، ولكنها لم تخنه، أو أن الشعر قد يختلط لديه بالنثر، ولكنه لم يختلط.

ولكن وَهْمَ الشاعر ليس في محله، لأنه هذا الديوان له موقع مهم لمن يريد دراسة شعر العبيدي، واستكناه بذور موهبته، التي نراها في قوة شاعريته، وينبوع ألحانه، وخفق عواطفه، وجمال صوره، وهي في أجلى تكاملها، ونراها مع أبي هلال العسكري: «في جودة لفظه وصفائه، وكثرة طلاوته ومائه، وصحة سبكه وتركيبه، وخلوه من أَوَدِ النظم والتأليف..». إن العبيِّد وهو في طريق نضجه الشعري من العشرين إلى ما فوق الخمسين كان يحسّ بخفق عواطفه، وعميق أشواقه التي تنطلق فتأسر النغم والصورة، وتلهب جوانب الوجدان:

أشواق قلبٍ على أشواق تفكير	**تجري فتأسر أنغامي وتصويري**
ومُهجةٌ تُلهب الأحلام عارمة	**لتنقذ النفس من أنّات مأسور (١٣)**

ولا شك أن الشاعر الموهوب، الشاعر المبدع ينضج سريعا في أثناء حياته، وهو يمر بأطوار بنائه، فكل طور يدخله ويمر به، بل كل يوم يعيشه، وكل لحظة تمر به تضيف إلى شخصيته جديدا، وتكسبه خبرة وعمقا في أحاسيسه وتجاربه وثقافته، وكل هذا ينعكس أثره في شعره، فإذا هو عميق بَعْدَ السطحية، ومتناغم بعد الاضطراب، «وإذا هو يعتد بالعقل في إدراك الحق، وبالشعور في إدراك الخير، وبالذوق في إدراك الجمال»(١٤)، ويقود عربة الشعر بمهارة، فلا يجمح جواد العاطفة، ولا ينكص جواد العقل، ولا تخمد أشعة الفكر:

وكم من بنات الفكر جفَّ معينها	**وضاعتْ رؤاها في مسارب وجداني**
وما خمد الفكر الحبيس. وما خَبَتْ	**أشعته إلاّ لتأتي ببرهان (١٥)**

الهوامش

(١) انظر: ترجمة مفصلة له في كتابنا «أعلام الفكر والأدب السعودي».

(٢) في موكب الفجر: ١٤.

(٣) لعله يعني ما بعد سنّ الخامسة والخمسين.

(٤) في موكب الفجر: ١٤.

(٥) المرجع السابق: ١٥.

(٦) انظر: في الأدب والنقد لمحمد مندور: ٢٥.

(٧) في موكب الفجر: ٧ـ٨.

(٨) المرجع السابق: ٩.

(٩) تصدير الديوان: ١٠.

(١٠) نفسه: ١٣.

(١١) دفاع عن البلاغة للزيات: ١٤.

(١٢) انظر: مقدمته للديوان: ١٥.

(١٣) نفسه: ١٩.

(١٤) دفاع عن البلاغة: ٢٤.

(١٥) في موكب الفجر: ٢٧.

الولادة في التراث الشعبي الأردني

صالح خريسات



تلد المرأة إما الذكر أو الأنثى، والرجل الأردني بطبعه يفضل أن يكون مولوده ذكرًا، والمرأة (الأردنية) كذلك، فهي تبتهل إلى الله دائمًا أن يرزقها صبيًّا، فإذا أنجبت الإناث دون الذكور، أصبحت في نظر الجميع مئناثًا، وربما عزف الناس عن الزواج من أخواتها أو بناتها خشية أن يكون في المسألة وراثة. وعلى العكس من ذلك، إذا أنجبت الذكور دون الإناث، أو كان عدد الذكور أكبر من عدد الإناث، عظمت مكانتها في نظر زوجها وفي محيطها الاجتماعي وقدروا لها هذا الصنيع.

وليس عجيبًا أن يفضل الرجل الأردني الذكر على الأنثى، فالمسألة بالنسبة له، اقتصادية واجتماعية ومستقبلية، فهو بحاجة لمن يساعده في حقله، ويرثه ويحمل اسمه من بعده، إضافة إلى نظرة المجتمع له، فقد كانوا حتى وقت قريب ينادون الرجل الذي لم يولد له ذكور (بأبي الولايا)[1] ويقصدون من ذلك إثارة مشاعر العطف والشفقة عليه، كذلك المرأة، فهي تصلي ليل نهار ليهب لها الله مولودًا ذكرًا يسر به زوجها، ويناديه الناس (يا أبا فلان). والملاحظ أن المرأة في المجتمع الأردني، تشعر بالأسى الشديد إذا لم تنجب ذكورًا، وتحزن لها النساء ممن يعرفنها، ويشاركنها الدعوات إلى الله أن يرزقها الصبي، وربما اضطرت هذه المرأة في لحظات الضعف وغياب الوازع الديني، إلى زيارة مقامات الأنبياء والصحابة، فتؤدي الصلاة وتذرف الدموع وتسألهم - معاذ الله - المساعدة في الشفاعة لها عند الله أن يكرمها بصبي.

وفي العادة، فإن هذه المرأة لا تذهب وحدها، وإنما تدعو معها صديقاتها وجاراتها، فيذهبن معها ويتباركن من هذه المقامات، وقد كنا - حتى وقت قريب - نشاهد أفواج النساء - في بعض المدن والقرى الأردنية — وهن يذهبن في جماعات ويعدن «بشبرات» خضر يعلقنها على صدورهن أو صدور أولادهن تبركًا بهذه الزيارة.

وتخشى المرأة الأردنية التي لم تنجب ذكورًا، أن يتزوج عليها زوجها من امرأة ثانية بحجة أنه يريد أولادًا يحملون اسمه بعده، وفي هذه الحالة يعطيه المجتمع كل الحق ويناصره الرجال على ذلك، كما تقف أمه إلى صفه تشجعه وتحرضه على الزواج مرة ثانية، وربما خطبت له زوجة جديدة دون علمه، ثم تخبره بعد موافقة هذه المرأة على ذلك، فتدب الخلافات بينه وبين زوجته، وقد يصل الأمر إلى الطريق المسدود الذي ينتهي عادة بالطلاق.

الزوجة الثانية

وتلجأ المرأة أحيانًا إلى صنع البخور في ساعات المساء لتمنع الشياطين من الدخول إلى البيت فتوسوس لزوجها بالزواج مرة ثانية، وقد تستخدم في سبيل ذلك التعاويذ وأحاديث الشعوذة، أو تذهب إلى المنحرفين وصناع الحجب وغيرهم من ذوي الخرافات والمعتقدات الشعبية.

ومع ذلك تظل الشائعات تهدد حياة هذه المرأة، وتظهر ذليلة وكأنها عاقر لكثرة ما يدور حولها من حكايات، ويظل زوجها ينتظر بفارغ الصبر أن يرزقه الله الصبي، لذلك فهو لا يمانع زوجته في القيام بمثل هذه المحاولات، وإن كانت تبدو له خرافية وغير مقنعة.

أما إذا حدث وتزوج الرجل مرة ثانية، فإن زوجته الأولى تترك البيت وتعود إلى بيت أهلها لفترة من الزمن، فإذا كانت عاقرًا وتبين لها أن الزوجة الثانية قد حملت، أدركت أنها السبب في عدم الإنجاب، فتعود إلى بيت زوجها طائعة له، وإذا لم تحمل الزوجة الثانية، فإنها (الزوجة الأولى) تتمسك بقرارها وترفض العودة إلى بيت زوجها لأنه أخطأ في حقها، وقد تتجرأ وتطلب الطلاق، أو تفرض عليه أن يطلق زوجته الجديدة، وفي هذه الحالة يتدخل الشيوخ

من كتاب العدد



● صالح خريسات
- يعمل في مجمع اللغة العربية الأردني بعمان.
- من مؤلفاته: تهذيب تاريخ الأمم والملوك، وتقاليد الزواج في الأردن، والتعازي والمراثي في الأردن.

ووجهاء البلدة لإصلاح ذات البين، فيذهبون في (جاهة) كبيرة إلى بيت والد هذه الزوجة، ويرفضون شرب قهوته إلا إذا وافق على إعادة ابنته إلى بيت زوجها، فيتم الاتفاق على جملة من الشروط يوافق عليها الزوج بإذعان. وفي حالة ما تكون المرأة قد أنجبت أطفالاً، وتزوج عليها زوجها، فإنها في غالب الأمر، تمكث في بيتها لتربي أطفالها خوفًا عليهم من ضرتها.

ولد أم بنت ؟!

لذلك كله، ترى الرجل في لحظات ولادة زوجته، يقف خلف الباب، يدخن سيجارة الهيشي[٢] بشيء من الاضطراب والقلق، ينتظر امرأة تخبره بما وهب له الله، فإذا كان المولود أنثى، فإنها تخبره وكأنها تعزيه، فتقول له مثلاً :

(لا تهتم ولا تغتم اللي بتجيب البنت بتجيب الولد وكله طعمة من الله) وإذا كانت هذه المرأة هي أمه، فإنها تبدو عصبية وتخرج وهي تقلب يديها وتقول : (بنت بنت ! . .) فيفهم الرجل ويرد عليها بنبرات تنم عن الحرقة والألم، فيقول :

(كله من الله يا حجة ! واللي من الله حَيّاه الله).

وعلى الرغم من اقتناع الرجل وأمه، بأن الله وحده هو القادر على التحكم بجنس المولود، إلا أنهما غالبًا ما يلقيان بالمسؤولية على الزوجة، فيمتعض الرجل في قرارة نفسه، ويبدو غير راض عن فعل زوجته، أما الأم فإنها لا تخفي مشاعر السخط من مثل هذه الولادة، فتراها تثور لأتفه الأسباب، وتشغل وقتها بالصراخ في وجه الأطفال الذين يتجمعون في مثل هذه المناسبات، ويلعبون في فناء الدار.



أما إذا كان المولود ذكرًا، فإن المرأة تفتح الباب على مصراعيه وهي تهلل من الفرح، فتقول له مثلاً : (أبشر ! أبشر ! أجاك ولد) وإذا كانت المخبرة هي أمه أو أخته، فإنها لا تتردد في أن تطلق زغرودة مدوية، فتعم الفرحة جميع أنحاء البيت، وينتشر الخبر بسرعة مذهلة في جميع أنحاء الحي، وتبدأ أفواج النساء من الخلائل والأقارب بالحضور والتهنئة بمجيء الصبي، وقد تطلق العيارات النارية تعبيرًا عن هذه الفرحة.

وفي مثل هذه المناسبات، تحمل بعض النساء أنواعًا من الهدايا البسيطة، كرطل من الأرز أو السكر، أو بيض الدجاج البلدي، وقد تعمد بعضهن إلى طبخ أنواع الطعام، مثل العدس، والرشوف[٣]، والمجدرة [٤]، ومقليّ البيض، والبحت[٥] (الرز بالحليب) فتحمله جاهزًا إلى المرأة النفساء.

أما الرجل، فإنه يرتدي كبره [٦]الجديد، ويضع الدامر [٧] والعباءة المطرزة، ويميل عقاله فوق (حطته)، ويمشي مرفوع الرأس، وكلما صادفه رجل أخذه بوابل من القبلات الحارة، وكذلك النساء، فإنهن يستوقفنه في الطريق مهنئات له بالمولود الجديد.

ويذهب الرجل إلى السوق فيشتري كميات كبيرة من «الملبّس» ليتم توزيعها على النساء المهنئات، وإذا كان موسرًا، فإنه يشتري أكياسًا من الفستق والقضامة[٨] والبزر [٩] والتوفي، يخلط بعضها مع بعض فتسمى «نقرشة»، ويتم توزيعها على النساء حفنة حفنة، وتعرف هذه الطريقة (بالحجاجي) [١٠] نسبة إلى الحجية الحجازية التي يتم التوزيع بها، وهي تشبه الزبدية أو الصحن الصغير العميق نسبيًا، ولكنها حديدية مزخرفة ينقش عليها أحيانًا بعض الرسوم أو الآيات القرآنية وتميل في لونها إلى الاصفرار.

تعريفات

(١) أبو الولايا : يطلق على الرجل الذي لم يولد له ذكور بعد، ويقصدون من هذا اللقب إثارة مشاعر العطف والشفقة عليه، لأن زوجته وبناته لا غنى لهن عنه، وبالتالي فإنه يظل شارد الذهن مشغول البال في سبيل تأمين حاجاتهن ومستقبلهن، والمثل العامي يقول : «همُّ البنات للممات».

(٢) الدخان الهيشي : الدخان البلدي الذي يقطف من المزرعة ويعرض للشمس فترة طويلة حتى يجف تمامًا، ثم يفرك على غربال كبير مرات عديدة، حتى يصبح دقيقًا قابلاً للف بورق السجائر الشفاف، ثم ينقى من الشوائب ويعرض للشمس مرة ثانية وبعدها يحفظه صاحبه في أوعية خاصة ويأخذ منه حاجته كلما أراد ذلك، وقد اعتاد الأردنيون أن يضعوا الدخان الهيشي في علب صغيرة مصنوعة من المعدن تكون مزخرفة برسوم مختلفة.

(٣) الرشوف : أكلة شعبية تتكون من الماء والعدس أو الجريشن والبصل والسمن واللبن إضافة إلى الملح، إذ يترك الماء حتى يسخن، ثم تضاف إليه هذه المواد حتى تنضج، وبعد ذلك يضاف اللبن ويترك لفترة قليلة من الوقت تكون كافية للحصول على المذاق المطلوب.

(٤) المجدرة : أكلة شعبية تتكون من العدس والبرغل، إضافة إلى البصل والزيت، إذ يوضع العدس مع الماء على النار، ويترك حتى ينضج وبعد ذلك يقلى البصل بالزيت، ويوضع على الماء، ثم يضاف إليه البرغل أو العدس.

(٥) البحت : أكلة شعبية تتكون من الأرز والسكر والحليب، ويصنع بأن يغلى الحليب على النار، ثم يضاف إليه مقدار من السكر وكمية من الأرز، ويترك على النار حتى ينضج الأرز جيدًا، ثم يفرغ في وعاء حتى يبرد ويؤكل باردًا.

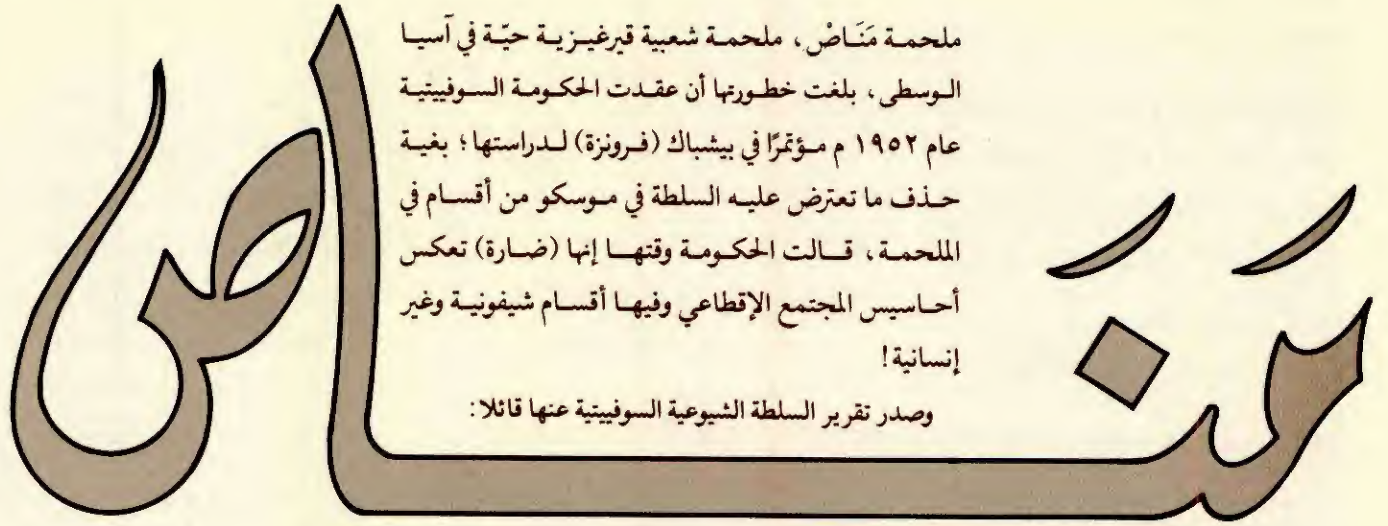
(٦) الكبر : اللباس الشعبي للرجل الأردني وهو يشبه الدشداش أو الجلابية.

(٧) الدامر : «الجاكيت» الذي يرتديه الرجل الشعبي فوق الكبر.

(٨) القضامة : حبات الحمص المقلية بالملح والتي لا تستخدم للطبخ وإنما تؤكل خالصة في الحفلات أو جلسات السمر.

(٩) البزر : هو الحب المصنّع للتسلية، ومعروف منه (البزر الأحمر) وهو حب البطيخ أو بذره، والأبيض بذر القرع، ويوجد أيضًا بذر الشمام وعين الشمس وغيرها.

(١٠) الحجاجي : مصطلح شعبي يطلق على الحفنة المخلوطة من الفستق والقضامة والبزر والملبس، وسميت بالحجاجي نسبة إلى الحجية الحجازية التي يتم التوزيع بها، إذ تملأ الحجية من المواد المخلوطة، وتعطى المرأة في المناسبات السعيدة، كالولادة أو النجاح في المدارس وغيرها.



ملحمة مَنَاص، ملحمة شعبية قيرغيزية حيّة في آسيا الوسطى، بلغت خطورتها أن عقدت الحكومة السوفييتية عام ١٩٥٢ م مؤتمرًا في بيشباك (فرونزة) لدراستها؛ بغية حذف ما تعترض عليه السلطة في موسكو من أقسام في الملحمة، قالت الحكومة وقتها إنها (ضارة) تعكس أحاسيس المجتمع الإقطاعي وفيها أقسام شيفونية وغير إنسانية!

وصدر تقرير السلطة الشيوعية السوفييتية عنها قائلا:

ملحمة شعبية قيرغيزية

حرَّم الرُّوس تداولها بين المسلمين

بقلم: د. محمد حرب

«ملحمة مناص، من شأنها - إذا لم يُقض عليها - أن تبعث الروح الوطنية بين أهل البلاد. وتؤدي هذه الملحمة بشكلها الحالي إلى وحدة الشعوب التركية المسلمة في آسيا الوسطى. وستكون مانعًا ضاراً معرقلاً، يقف بقوة أمام سيادة الفكر الماركسي بين الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفييتي، خاصة وأنها تزخر بتأثيرات الديانة الإسلامية القاتلة الخانقة»!

فما ملحمة مناص، صاحبة كل هذه الضجة؟ !

إنها أول نتاج أدبي قدمه الأتراك القيرغيز أحد أقدم الشعوب التركية، عقب إسلامهم. إنها ملحمة رائعة منظومة في ٥٠٠,٠٠٠ مصراع شعري ما زال حتى اليوم يستمتع بسماعها ــ عن طريق الرواة ــ شعوب آسيا الوسطى عامة وشعب قيرغيزستان خاصة. إنها أكبر ملحمة في العالم، بل هي الملحمة الوحيدة في العالم، التي ما زالت تحيا بين الناس حتى يومنا هذا.

ملحمة مناص القيرغيزية تصور حياة البداوة التي كان القيرغيزيون يحيونها قبل تأسيسهم دولهم، وكما تصور صراع القيرغيزيين ــ وهم حديثو العهد بالإسلام - ضد أعدائهم «الكفار» القالموق (المغول) البوذيين والصينيين، وبعض القبائل في آسيا الوسطى. وهي تترنم بحب الحرية وحب الوطن وحب الناس وحب الشعب. وبها مادة خصبة: لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية عن العادات والأعراف بين القبائل القيرغيزية. وبعبارة أخرى تعتبر ملحمة مناص القيرغيزية «موسوعة» تعكس كل جوانب حياة القيرغيز الرحّل، وهؤلاء لم يكن لهم أدب مكتوب إلى وقت قريب.

وتتوافق المعلومات الواردة في الملحمة مع الحقائق الجغرافية والتاريخية من حيث المناطق الجغرافية التي دارت فيها الحروب والأقوام الذين حاربهم القيرغيز.

وأسلوب الملحمة أسلوب واقعي إلى درجة مدهشة. والملحمة تعبر في قوة تأثير وبشكل يطابق مفهوم الرواية في العصر الحديث عن الأحاسيس الروحانية (النفسية) لدى أبطال الملحمة، من أمل وخوف وحماسة بجانب هذا التصوير الجميل للوحات الطبيعة والأشياء والحيوانات والأسماء. كما أنها تنتقد بشدة العادات الاجتماعية والظلم والأخلاق الرديئة والناس الأشرار.

أقسام الملحمة

وملحمة مناص تتكون من ثلاثة أقسام: القسم الأول يحمل اسم (مناص) ويصور مولد هذا البطل القيرغيزي وتحوله مع السن إلى بطل مغوار حباه الله قوةً خارقة، وذيوع صيته بين القيرغيز وشدة قتاله وانتصاراته على القالموق وتوحيده



القيرغيز تحت راية واحدة وتحرير بلاده من العدو. وأكثر مشاهد هذا القسم من الملحمة مراسم الحداد وجرح مناص وموته. ثم ازدياد الصراعات الداخلية بين القيرغيز عقب مقتل مناص، وبدء الصراع حول السلطة، وضعف عناصر الحرب من أجل الحرية ضد المحتلين.

والقسم الثاني بعنوان (ساماتاي) وفيه تأخذ «قاني كاي» زوجة مناص، وأمه «تشي ــ يبرضي»، تأخذان ساماتاي الصغير، ابن مناص وترحلان به إلى بخارى. وعندما يصل «ساماتاي» إلى سن الرابعة عشرة من عمره ينفذ وصية والده فيتجه إلى طلاس ليستولي على السلطة من أعمامه، لكن الصراع بين القيرغيز لا ينتهي، وأخيرًا يقوم «إلياس خان» وهو من أقارب «ساماتاي» فيقتل «ساماتاي» ويتزوج امرأته «آي تشوريك».

والقسم الثالث عبارة عن حياة حفيد مناص وهو «ساي تك» ابن «ساماتاي»، وعندما يصل ساي تك إلى سن الشباب ينتقم لمقتل أبيه ويصبح السيد المطاع في قومه وينقذ قاني كاي من الأسر.

موجز مختصر للملحمة

القيرغيز والقازاق واقعان تحت نير الاحتلال الصيني، وظلم أسان خان الإمبراطور. أثناء ذلك يولد مناص من أب هو يعقوب خان، وأم هي تشي يبرضى خاتون.

مناص وهو في مهده، يتكلم، وعندما يبلغ العاشرة من عمره يصبح ماهرًا في ركوب الخيل ويبرز في الفروسية، وعندما يصل إلى سن الرابعة عشرة يصبح بطلاً لا يُهزم.

يقوم بحملات على القالموق والصينيين الكفار. هدفه الرئيس نشر الإسلام وتحرير وطنه من الكفار، وجعل قومه القيرغيز أغنياء أحرارًا وأصحاب سيادة.

ويقوم في هذا السبيل بعديد من الحروب. ويصبح البطل الرئيس عند الأتراك، العدو الرئيس للصينيين والقالموق.

ثم يحدث أن يعتلي آلمامبات ابن خان القالمون، العرش بعد وفاة والده، وعند ذلك يحضرون أمامه بعض الرجال وينهضون لتقديمهم قربانا أمامه. ويشمئز هذا الملك الجديد من العيش بين قوم هذه هي عاداتهم القبيحة، فيهرب ويلجأ إلى خان القبجاق، وهناك يسلم. وعقب إسلامه يذهب إلى مناص مسمومًا ويدفن في قبر يسمى آق سراي (القصر الأبيض). وتعيش من بعده زوجته وأمه وأبوه حياة فقيرة، وبعد أن كانوا رحالين يعيشون على تربية الحيوانات أصبحوا في حالة يرثى لها، فقد أخذوا يزرعون، بل وصل بهم الأمر إلى التسول، لكن الله رق لحال زوجة مناص المخلصة له ولحالة حيواناته، كما أن الله أراد للإسلام أن ينتشر وتعلو رايته على يد القيرغيز، فأحيا مناص مرة أخرى ومنحه النصر العظيم.

وبعد حروب عديدة جديدة مع القالموق يكبر سن مناص وحصانه آق قولا، ثم يموت مناص في الحرب ويُدفن مناص في حفل حداد عظيم.

وأثناء مقتله كانت قاني كاي زوجته حاملا بابنه سماتاي. وعلى هذا تريد القبيلة أن تزوج قاني كاي بأخي مناص لكنها ترفض. ثم تأخذ ابنها وحماتها ويتحملون الكثير إلى أن يصلوا إلى قصر أبيها في بخارى. ويصبح سماتاي بمرور الزمن بطلا قويا مثل أبيه ويعود إلى وطنه ويحكم خانية أبيه. ويواصل حروبه. ويتزوج آي تشوريك وهي ابنة آقين خان. لا يبالي برؤية رأتها له، فيخرج في حملة ويقتل نتيجة خيانة.

وَلَدت آي تشوريك هذه، من سماتاي ابنه ساي تك. ويصبح هذا بدوره مثل أبيه وجدّه بطلاً ظافرًا. ويقود القيرغيز من نصر إلى نصر، وإلى الرفاهية والثورة ويصبح خاقانًا للأتراك في المنطقة الواقعة من طلاس إلى طشقند.

رُواة ملحمة مَنَاصْ

هناك رواة للملحمة مَنَاصْ. رواة شعبيون ورواة مثقفون، وهؤلاء الرواة في قيرغيزستان وقازاقستان، فالملحمة تروج كثيراً أيضا في قازاقستان.

يطلق على الواحد من هؤلاء اسم «راوي مناص»، وهذا هو الشخص الذي يروي ملحمة مناص وهو يروي الملحمة بآلة القوبوز القيرغيزية الوترية، ولا يكتفي بحكيها بل يمثل أحداثها باليد والذراع وحركات الجسم، ويروي وقائعها بأصوات مختلفة النبرات حسب ظروف الواقعة وملابساتها وجوّها، كما يقلد أصوات أبطال الملحمة.



> "مادتها لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية عن عادات القبائل القيرغيزية وأعرافها"



صور من الطبعة القيرغيزية لملحمة مناص

مناص: ملحمة شعبية قيرغيزية

هذا الراوي يشترط فيه مميزات الراوي والممثل والمنشد، وينبغي أن يكون على درجة كبيرة من النجاح والتقليد.

ورواة ملحمة مناص على قسمين:

القسم الأول: رواة يحفظون بعض أجزاء الملحمة ويروونها بهذا القدر، ويسمى الواحد منهم «شالا مناصجي» ويعني «نصف راو» لملحمة مناص.



والقسم الثاني: رواة يحفظون الملحمة كلها بأقسامها الثلاثة، ويرويها الواحد منهم ويمثلها بنجاح بالغ ويسمى «ناقيز مناصجي» بمعنى «راو حقيقي» لملحمة مناص.

والراوي الحقيقي يستغرق في روايته لملحمة مناص بأقسامها الثلاثة ستة أشهر إذا رواها بتواصل. أما في الأحوال العادية فتستغرق روايتها عدة أشهر.

والتاريخ يسجل أشهر رواة مناص المعروفين، غير هؤلاء المجهولين القدماء. ففي قيرغيزستان يأتي «كلدي بك» (ولد عام ١٧٥٠ م) وكذلك بك مراد المشهور باسم باليق (مات عام ١٨٦٨ م). أما الذين اشتهروا برواية مناص في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في قيرغيزستان: صاغيم باي أوراق باق أوغلو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٠ م) وصاياق باي قارالاي أوغلو (ولد عام ١٨٩٤ م).

أما أشهر رواة مناص في قازاقستان، فهم: جامبيل جاباي أوغلو (١٨٤٦ ـ ١٩٤٥ م) وماي كوت، وقولمام بت، و«سوييم باي» و«مُورسكوف».

لقد كانت ملحمة مناص، على قيمتها الأدبية العالية، من العوامل التي حفظت روح شعوب آسيا الوسطى في التطلع إلى الإسلام والحرية.

نموذجان من ملحمة مناص

الميلاد

أنجب يعقوب خان طفلاً ذكرًا من زوجته تشي يبرضي.

نظر يعقوب خان إلى وجه طفله الوليد.

فوجد جلده مثل القطن الأبيض الناصع البياض.

كانت عظامه كأنها النحاس، فذبح له فرسًا أرقش.

وأمر يعقوب خان أربعة من الصالحين كبار السن.

بأن يسموا المولود فسموه مناصًا.

وضعت «تشي يبرضي» زوجة الأمير.

ابنها مناصا في مهد يزدان بالزينة.

وذات يوم حدثت مفاجأة: تكلم المولود في المهد!

قال: يا أبي، يا أيها الأمير يعقوب خان الأبيض اللحية

قدّر الله لي أني سأفتح الطريق لانتشار الإسلام

وسأنتصر على الكفار، وأوزع الغنائم على المؤمنين

سأطرد الكفار كلهم من هذه الأرض.

الموت والدفن

يقولون إن روح مناص الشبيهة بالذبابة، قد خرجت.

عادت إلى بيتها الحقيقي.

يقولون إنهم بنوا قصرًا أبيض ووضعوه فيه.

يقولون إنهم جعلوه ينتظر تسعة أيام.

وذبحوا تسعين فرسا.

يقولون إنهم مزقوا ملابسه المحلاة بالذهب وقسموها إلى تسعة أقسام وفرقوها على الشعب.

وصنعوا تابوتا سميكا من شجرة الصفصاف.

يقولون إنهم بطّنوا التابوت بالفضة.

وغطوا خارجه بطبقة من الذهب.

وضعوا مناصًا في تابوت بهذا الوصف.

يقولون حتى لا يتسرب الندى من تحته.

وحتى لا تخترق حرارة الشمس تابوته.

ثم وضعوا التابوت داخل القصر.

من المراجع

١ ـ أحمد قاباقلي، الأدب التركي، الجزء الثاني، إستانبول.

٢ ـ دائرة معارف اللغة التركية وآدابها، الجزء السادس، مادة مناص، إستانبول.

مسرحية

حين يموت البطل

من الأعمال التي تنشر لأول مرة

بقلم: علي أحمد باكثير

خيمة المثنى بن حارثة في ذي قار
المثنى على سرير مرضه وعنده زوجته سلمى
(يدخل بشير بن الخصاصية عجلا)

المثنى: مرحبا بك يا بشير، كيف حال أهلك؟

بشير: ما زالت في الطلق . . من فجر اليوم في الطلق.

المثنى: ويح المسكينة. ألم يفرج عنها بعد؟

بشير: أرسلت في طلبي يا مثنى؟

المثنى: نعم إذا أنا مِتُّ يا بشير فأنت على الناس حتى يجيء قائد أمير المؤمنين وجيش أمير المؤمنين.

بشير: قائد أمير المؤمنين ستلقاه أنت بنفسك يا مثنى إن شاء الله.

المثنى: **(يبتسم في أسى)** إني قد أشهدت على ذلك خاصة رجالي، فارجع الآن إلى أهلك يرحمك الله.

بشير: (مترددا) ألا أبقى قليلا عندك؟

المثنى: بل اذهب فلا ينبغي أن تتركها وهي في الطلق.

بشير: لديها شيرين وبعض النسوة.

المثنى: وأبو الغلام يجب أن يكون هناك، وإلا فمن يبشرنه بالغلام؟

سلمى: معذرة يا بشير، لولا المثنى لكنت هناك معهن.

بشير: لا تثريب عليك يا سلمى.

سلمى: حيِّها عني.

المثنى: أستودعك الله يا بشير.

(يتوقف بشير قليلا ثم يخرج)

المثنى: (يتمتم) طارق جديد وراحل مودع.

سلمى: ما تقول يا مثنى؟

المثنى: تلك هي الحياة، أما من نبأ عن المعنّى أخي؟ لقد قال في كتابه لن يتأخر عن اليوم.

سلمى: لا تشغلنّ بالك. لعله في طريقه إلينا الساعة.

المثنى: الساعة يا سلمى؟

سلمى: الساعة.

المثنى: أخشى يا حبيبتي أن يتأخر قليلا فينتظرني إلى الأبد.

سلمى: قلبي يحدثني أنه قادم عما قريب.

المثنى: قد حدثني قلبي بقدومه منذ أمس ولكنه لم يقدم. آه يا سلمى لقد كنا يفترق بعضنا عن بعض أياما كثيرة بل شهورا ذوات عدد ولا يحس أحدنا بألم الانتظار كما أحسه الآن. لكأنما هو يجري جاهدا إليّ وأنا أفر جاهدا منه.

(يسمع صهيل فرس)

سلمى: كذبتك أوهامك. هذا صهيل فرسه.

المثنى: حمدا لله. كتب لنا لقاء بعد.

(يدخل المعنى فينهض المثنى إليه متحاملا على نفسه)

المعنى: مكانك يا أخي. لا تجهد نفسك.

المثنى: الحمد لله إذ لقيتك. كيف أنت أيها الأخ الحبيب؟

المعنى: **(متأثرا)** تسألني أنت يا مثنى كيف أنا؟

المثنى: (مبتسما) قبل أن يحال بيني وبين السؤال عنك.

(تدخل شيرين)

شيرين: معنى.

المعنى: شيرين.

شيرين: الحمد لله على سلامتك **(يتعانقان)**

المعنى: أين كنت؟ هلا بقيت هنا عند أخيك وأختك؟

سلمى: لا تلمها يا معنّى. كانت عند جهدمة تساعدها في الوضع.

المعنى: ماذا وضعت؟ غلاما أم جارية؟

شيرين: لا غلاما ولا جارية. إنها في الطلق بعد.

المثنى: في الطلق بعد. أعانها الله.

شيرين: أرسلوا في طلب قابلة عجوز من بني النمر ابن قاسط يقولون إنها ماهرة.

المعنى: عودي إليها يا شيرين فما ينبغي أن تتركيها وحدها.

شيرين: ليست وحدها. عندها بعض النسوة.

المثنى: بشرني يا أخي. متى يجيء جيش أمير المؤمنين؟

المعنى: قد وصل إلى زرود.

المثنى: في كم؟

المعنى: في عشرين ألفا من نخبة أبطال الجزيرة وفرسانها وذوي الشجاعة والرأي فيها.

شيرين: عشرون ألفا لا تكفي لمواجهة الجيوش التي حشدها يزدجرد.

المثنى: يغفر الله لك يا شيرين. ليت الشموس تقلني. إذ والله لأفتحن بهم المدائن.

المعنى: وسيواليها أمير المؤمنين بالمَدَد تلو المدد.

المثنى: الحمد لله. الآن يطيب لي الموت. لا بل تطيب لي الحياة لو كان إليها سبيل. آه من لي بنزوة على متن الشّموس تخطر بي بين الصفوف. وتحت ظلال السيوف. يوما واحدا يا رب أقاتل في سبيلك.

المعنى: ستفعل يا أخي لا يوما واحدا بل أياما كثيرة محجلة حين يزول عنك ما بك.

مسرحية

حين يموت البطل

المثنى: (**مبتسما**) هيهات يا أخي لم يبق من أخيك إلا ما به فإذا زال ما به زال .

سلمى: (**متجلدة**) يا حبيبي إن الله قادر على أن يزيل ما بك في طرفة عين .

المثنى: (**في ابتسامته التي لا تفارقه**) صدقت أيتها الحبيبة . . الله قادر سبحانه لو شاء . . (**يغالب الألم**) .

المعنى: هل تشعر يا أخي بوجع في جرحك؟

المثنى: لا يا معنى قد صار كل جسدي جرحا .

المعنى: لعل ذلك الطبيب الفارسي قد دس لك شيئا فيه (**ينظر إلى شيرين**)

شيرين: ماذا تقول؟ بختيشوع لا يمكن أن يخون الأمانة .

المثنى: ما خطبك يا أخي؟ لقد اندمل الجرح بعد ما عالجني بختيشوع .

المعنى: اندمل حينًا ثم نغر.

المثنى: كما عاش حارثة أبوك حينا ثم مات . (**يتجلد**)والآن حدثني يا معنى عن قائد هذا الجيش . أي رجل هو؟

المعنى: سعد بن أبي وقاص من السابقين الأولين ومن العشرة المبشرين بالجنة .

المثنى: أعلم ذلك ولكن أي رجل هو في الحرب؟

المعنى: قد علمت أنك سائلي عنه فاستقرأت آراء الناس فيه فوجدتهم مجمعين على أنه أصلح الناس لإمرة هذا الجيش وأنه يجمع بين الشجاعة والرأي وأنه الليث في براثنه .

المثنى: انعته لي .

المعنى: قصير دحداح بعيد ما بين المنكبين ذو هامة ، جعد الشعر أشعر الجسد شنن الأصابع .

المثنى: كهيئة السبع؟

المعنى: أجل كهيئة السبع .

المثنى: بوركت يا أخي . الآن أثلجتَ صدري .

المعنى: ومع ذلك فقد خطر لأمير المؤمنين في أول الأمر أن يسند القيادة إليك .

المثنى: (**فرحا**) أحقا يا أخي خطر لأمير المؤمنين أن يسندها إليّ؟

المعنى: نعم وأثنى عليك بما أنت أهله .

المثنى: أثنى عليَّ عمر بن الخطاب؟

المعنى: وعليّ بن أبي طالب وغيرهما .

المثنى: الحمد لله .

المعنى: وقد أوشك أمير المؤمنين أن يوليك إمرة الجيش لو لم أعترض أنا على ذلك من أجل ما بك .

المثنى: أحسنت يا أخي صنعا . لكأنما قد ولاني أمير المؤمنين .

المعنى: والله إن كنت لها لأهلا .

المثنى: فات الأوان يا معنى فات الأوان . ألا ترى أن أحدنا يرغب في الأمر لا يبلغه حتى إذا بلغه زهد فيه أو حيل بينه وبينه .

المعنى: **لا تبتئس يا أخي لقد أراد الله لك ما هو أفضل .**

المثنى: إن كنت تعني الشهادة فأين أنا من الشهادة ولم أمت في ساحة القتال .

المعنى: جُرحٌ جُرِحْتَهُ في سبيل الله فإن متَّ منه فأنت شهيد .

المثنى: سمع الله منك يا معنى .

المعنى: وللشهيد الجنة فهنيئا لك .

المثنى: ليت شعري هل يجاهد أهل الجنة في سبيل الله؟

المعنى: لو كان بشير هنا لأفتاك .

شيرين: مبلغ عملي أن الآخرة دار جزاء لا دار عمل ، والجهاد من العمل .

المثنى: ويحك يا شيرين لقد زدتني الآن حبا للحياة وكراهية للموت . أي لذة للعيش دون كَرّ وفرّ ودون تبييت وتصبيح؟

شيرين: ولو كان في جنة تجري من تحتها الأنهار؟

المثنى: ولو كان في جنة تجري من تحتها الأنهار. لكن اسمعيني يا شيرين ، أليس في الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ؟

الزوجة: بلى .

المثنى: إذن فالجهاد فيها موجود .

شيرين: كيف؟

المثنى: والله إن دخلتها لأشتهين الجهاد فأجاهدن .

سلمى: ما أحب يا مثنى إلا أن الحور العِينَ سيشغلنك عنه .

المثنى: كلا يا سلمى ما عندي شيء أحب إليّ من القتال في سبيل الله ولو شغلني عنه شيء لكنت شغلتني أنت عنه .

سلمى: وأين أنا من الحور الحين؟

المثنى: أنت يا سلمى أحلى عندي منهن .

صوت: (**ينادي من الخارج**) يا مثنى بن حارثة .

المثنى: هذا صوت قرط بن جماح العبدي ، قل له يدخل .

(**يخرج المعنى ثم يعود ومعه قرط**)

المثنى: ما وراءك يا أخا عبد القيس؟

قرط: قابوس بن قابوس المنذر قدم من المدائن ، وأخذ يطوف بأحياء بكر بن وائل يوزع فيها الذهب ويدعوها لقتال المسلمين في صف الفرس .

المثنى: (**مخاطبا**) بئس ما خَلَف آباءه من بني المنذر بن ماء السماء . والله لو حملتني فرسي لطلبته الساعة حتى أقتله . بكر بن وائل تكون مع العجم على المسلمين؟ تلك إذن سبة الأبد .

المعنى: لا تثورنَّ يا أخي فإن هذا يهيضك .

المثنى: إن كنت تحبني يا معنى فانطلق الساعة مع رجالك لتأتيني برأس هذا اللخمي الزنيم وتؤلب بكر بن وائل عليه .

المعنى: الساعة يا أخي؟

المثنى: أجل ، ما جرؤ هذا الزنيم على ذلك إلا لما سمع أنني مريض دنف ، فَلَيَعْلَمَنَّ وشيكا أن وراء المثنى أخاه المعنى .

المعنى : أقسم لك يا أخي لا يقر لي قرار حتى أظفر بهذا الخائن ، ولكن أمهلني إلى الغد .

المثنى : بل الساعة يا أخي قبل أن يشتري قلوب قومنا بذهب يزدجرد .

المعنى : ألا أبقى عندك الليلة لعلك تحتاج إلي؟

المثنى : قد فهمت ما تعني يا معنى . كلا لستَ بنافعي شيئا عند الموت ، ولكنك ستنفع هناك إذا منعت تلك اليد القذرة عن العبث . انطلق وتوكل على الله .

المعنى : حبا وكرامة . **(يهم بالخروج)**

المثنى : أستودعك الله أخي . أستودعك الله يا قرط ابن جماح .

المعنى : (ينظر إليه لحظة دون أن يتكلم)

المثنى : (كالمواسي) انطلق . . يا ليتني كنت معك .

(يخرج المعنى ويخرج معه قرط بن جماح العبدي)

المثنى : (يرى شيرين مكتئبة) لعلك ساءكِ يا شيرين أن أرسلتُ زوجك المعنى في هذه السرية قبل أن يستريح من عناء سفره .

شيرين : لا والله يا مثنى ، ما ساءني إلا أنه كان يود البقاء معك فلم يتح له ذلك .

المثنى : هكذا نحن بني حارثة مذ كنا . لا نجزع ولا نبكي ولا نتأوه ، وعلى نسائنا أن يكنَّ مثلنا . **(يلتفت إلى زوجته)** سلمى يا بنت أبي خصفة ، هل لك أن تحضري لي الشموس؟

سلمى : (في إشفاق) لتركبها ؟

المثنى : يا ليت . بل لأراها فحسب فإني في شوق إلى رؤيتها .

سلمى : حبا وكرامة . **(تخرج)** .

(تجهش شيرين بالبكاء)

المثنى : ما خطبك يا أختاه . ماذا يبكيك؟ عهدي بك جلدة صبورًا فماذا دهاك؟ أمن أجل المعنّى؟ إن سفره هذا لسفر قريب .

شيرين : بل من أجلك أنت يا مثنى .

المثنى : من أجل أني سأموت؟ هذا مورد كلنا وارده .

شيرين : بصدد بختيشوع الطبيب .

المثنى : بختيشوع ما شأننا به بعد؟

شيرين : والله يا مثنى ما غشك بختيشوع ولا دس لك شيئا في جرحك ولقد عالجك بكل نصح وأمانة .

المثنى : أعلم ذلك يا شيرين وأعلم أنّ يزد جرد كان قد أوعز إليه بأن يقتلني فأبى .

شيرين : من أين علمت ذلك؟

المثنى : من بعض عيوني .

شيرين : وماذا تعلم أيضا غير ذلك ؟

المثنى : (ينظر إليها مليًّا) لا أعلم شيئا ، فهل تعلمين أنت؟

شيرين : نعم . ما كان ليمتنع عن إيذائك لولا ما كان بينه وبين والدي من قديم الصداقة ومتين الود .

المثنى : وكيف عرفت ذلك يا شيرين؟

شيرين : إني ارتبت في أمره لما حضر ، فما زلت به حتى اعترف لي بدسيسة يزد جرد .

المثنى : وكتمت عنا ذلك يا شيرين؟

شيرين : لم أجد من الخير أن أخبركم بأمره لئلا ترتابوا به فيحول ذلك دون علاجك ، وقد كنت حريصة على أن يعالجك فيبرئك من جرحك .

المثنى : جزاك الله عني خيرا يا شيرين . لو لم يكن عالجني بختيشوع لربما قضيت نحبي قبل أن أسمع هذه البشرى بقدوم جيش أمير المؤمنين وقائد أمير المؤمنين . امسحي هذا الدمع عنك فما ينبغي لنساء بني حارثة أن يبكين .

شيرين : (تمسح دمعها) الحمد لله الآن اطمأن قلبي .

المثنى : ترى ماذا فعلت امرأة بشير لطف الله بها؟

شيرين : لو أنها وضعت لأرسل إليك من يبشرك .

المثنى : هلا ذهبت إليها فرأيت ماذا فعلوا؟

شيرين : لا أتركك وحدك . حتى تعود زوجتك .

المثنى : ها هي ذي قد عادت ومعها الفرس .

(تخرج شيرين)

(تدخل سلمى وهي تقود الفرس وإذ ترى سيدها تدنو منه وتتشممه وهو يمسح عرقها بيده)

المثنى : لا يحزنك الله يا شموس . ترى كيف حالك من بعدي؟

سلمى : اطمئن يا ابن حارثة فلن يعوزها بعدك غير وجهك ، وإن ذلك لكثير عليها وعلى سائر أحبابك .

المثنى : من تمام إكرامها أن يحوزها فارس كريم ، فلِمَنْ أوصِي بها فيما ترين؟

سلمى : لأخيك المعنى فهو بها أحق .

المثنى : كلا يا سلمى ، بل لمن هو خير مني ومنه .

سلمى : خير منك يا مثنى لم تلده أمه .

المثنى : ويحك ! إني أعني خيرًا مني في الإسلام وصحبة رسول الله ﷺ .

سلمى : من؟

المثنى : سعد بن أبي وقاص أمير جيش المسلمين . فأوصيك يا سلمى أن تسلميها إليه .

سلمى : (تنظر إلى الفرس) انظر يا مثنى إلى الفرس . إن عينيها لتغرورقان بالدمع كأنما فهمت حديثك .

المثنى : بل أُلهمت ساعة الوداع .

سلمى : (تنظر إليه متجلدة) تغالب شَجَنًا يوشك أن ينفجر) ؟

المثنى : (في رقة) سلمى يا توأم النفس ويا نوط القلب ، لطالما تجلّدتِ وتجمّلتِ وقد آنَ لك الساعةَ أن ترسلي دموعك فإني مودّع .

سلمى : (تجهش بالبكاء ثم تنفجر الدموع من عينيها دون نحيب) نفسي فداؤك يا مثنى يا خير البعولة يا سيد الرجال . يا ليت يومي قبل يومك .

المثنى : (يجيل يده حول عنقها) فيضي . . فيضي . . تنفّسي عن كربك وتفثئي من لوعتك .

سلمى : هيهات . . هيهات .

حين يموت البطل

المثنى : فيضي . . يا سلمى . . فيضي يا حبيبة المثنى يا زين النساء .

سلمى : يا زين الشباب وا حسرتاه على شبابك .

المثنى : يا بنت أبي خصفة ، أليس خيرا لي أن ألقى الله شابا لم يشمط لي شعر ولم يتغضن لي وجه ولم ترتعش لي يد؟ لقد كنت أكره المشيب والكبر والعجز، فهأنذا قد سبقت المشيب والكبر والعجز فاللهم لك الحمد . هأنتِ ذي قد سكن لاعجك فامسحي دمعك يا سلمى وابتسمي لي فإني اشتاق أن أرى ثناياك تنور كزهر الربيع .

سلمى : يا زوجي الحبيب . . **(تمسح دمعها ثم تبتسم في أسى)**

المثنى : قبليني الساعة . .

(تقبله سلمى فيضمها إلى صدره فتتراخى يداه وتتسارع أنفاسه)

سلمى : **(جزعة)** ما خطبك يا مثنى؟

المثنى : **(بصوت متقطع)** لا خطب يا سلمى بعد اليوم .

صوت : **(من الخارج)** يا آل المثنى . . هل لي أن أدخل؟

سلمى :ادخل .

(يدخل بشير بن الخصاصية)

المثنى : بشير . . كيف أهلك؟

بشير: الحمد لله يا مثنى ، قد جاءتني بغلام .

المثنى : سمه باسمي يا بشير .

بشير: حبا وكرامة .

المثنى : أنت على الناس يا بشير حتى يحضر سعد . الحمد لله إذ لم أمت حتى جاء جيش أمير المؤمنين وقائد أمير المؤمنين .

(يموت)

«ستار»

كان المساءُ

شعر: د. يوسف نوفل

كان المساءُ وكنتِ فيه نجمةً تتخايلين

واخترتِ مقعدك الوثير فراشةً تتهامسين

نورًا على تاجِ المساءِ وباقةً من ياسمين

وشربت عطرك دون خوفٍ من عيون الناظرين

طارت فراشة حبِّنا واستمطرت عشق السنين

وقرأت في تاريخنا أني سليل العاشقين

أني رأيتك في دمي أني لمستك في الجبين

إني احتضنت رؤاك وسط مرافئ الماضي الدفين

إني وجدتُ محارة فاقت حكايا الغائصين

فاقت أساطير التدلّه في ليالي المدنفين

برقت لآلي الثغر فانبهرت حواسي لا أبين

أتعجل الشِّعرَ العصيْ أستمطر المطر الضنين

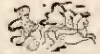


المواقف الأخلاقية

نافذة على ثقافة الغرب

ROGER MEHL

LES ATTITUDES MORALES



PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE

تأليف:
روجيه ميل
عرض:
د. بهاء لطفي قتابيل

المواقف الأخلاقية في نظر «روجيه ميل» مراكز رجوع، يستطيع بها الإنسان التعرف على ذاته في أفعاله، وهو يشعر بضيق أخلاقي إذا لم يبلغ ذلك، ولا بد أن تكون أفعال الفرد كلها منقوشة على خط حضوره في العالم حتى لا تبدو غريبة عنه، أو سيئة الاتصال بحريته واختياره، وقد اتخذ المؤلف موقفًا انتقاديًّا من كل هذا، إيمانًا منه بأن شجاعة الوجود تتجلى في تجربتنا الأخلاقية، أكثر مما تتجلى في شجاعة أن يكون المرء ذاته، على الرغم من الضغوط الخارجية كلها، وهذه الانتقادات تنتهي إلى دراسة واسعة شاملة في علم النفس الحديث.

من الأفعال إلى المواقف

المواقف الأخلاقية - بالطبع - غير الأفعال التي يمكن إدراكها، والمواقف هي مما يتعذر تسويغه، وفي الوقت نفسه تفيد في تسويغ أفعالنا، وليس غريبًا أن نجد لبعض المواقف الأخلاقية دلالة سلبيّة، فهي وقائع مبهمة أخلاقيًّا في أساسها، فمن جهة أولى تمنح الفرد وحضوره في العالم أسلوبًا، وتجنبه الالتصاق بالابتذال والتفاهة، وتجعل منه كائنًا لا يتأرجح في مهب أية ريح مذهبية. وهي من جهة أخرى قد تعرض الفرد لخطر الانغلاق، وربما على الخطأ، فلا يستمع أبدًا لغير نداء نفسه، فهي توقع في وهمه أنه شخص معين، في حين أنه شخص آخر تماما.

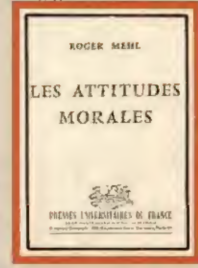
ثم هناك سؤال مهم: ألا ينجم عن أن المواقف الأخلاقية هي قبول الاصطناع الذي ينطوي عليه الفرد، ولا سيما سجيته؟ أليس الشك، وهو موقف الإنسان الذي قرر ألا يستسلم للضلال، قرر ألا يخلط الظاهر بالحقيقة، أليس هو الذي يمهد السبيل أمام هذه النزعة الخلقية الرامية إلى سوء الظن وإلى الافتراء؟ إننا سنرى أن بعض المواقف الأخلاقية تجنح إلى ترجيح جانب السهولة والفساد. ولذا فسوف ننتقدها بشدة.

سلامة الطوية وخبثها

يشهد هذا الزوج من المواقف الأساسية على رؤية الإنسانية رؤية مزدوجة، فهناك أناس من هذا النوع، وآخرون من ذاك، والحقيقة أنه، وإن كانت هذه المواقف تؤلف عوامل سائدة حقًّا، فهي ليست دائما بالعوامل الحصرية التي تنفي مواقف مغايرة، ولأنه من ناحية ثانية من العسير أن نرسم حدًّا فاصلاً بين الطوية الصالحة والخبيثة، فالصلة القائمة بين الطوية بنوعيها وبين الكلام صلة ذات دلالة، فسليم النية يُصدق كلامه عكس الخبيث، أي إن سليم النية إنسان يتجلّى في كلامه بوضوح ولا يجنح إلى أي إبهام، بل يكشف أمره، ولكن هل يوجد مثل هذا الكلام في الحياة؟

إن الموظف في محطة السكك الحديدية عندما يخبرني عن مواعيد القطارات ينطق بكلام لا إبهام فيه، وأنا أعتبره صادقًا، لكن لا أعتبره سليم النية.

لماذا؟ لأن علاقتنا الفرديةعلاقة ثانوية، وعمقها



المواقف الأخلاقية

الضئيل جدا يمكننا من ضبطها بمرونة مهنية . لكن ما إن يصبح الكلام شيئا آخر غير عجلةٍ ينتقل وسط الجماعة الاجتماعية فهو يفقد بساطته ودلالته الوحيدة. فالطوية السليمة تتجلى في استقامة الكلام، لا في علاقته بالواقع ؛ لأن المرء قد يضل بصدد هذا الواقع مع اتّسامه بسلامة النية ، ولكنها تتجلى في وحدة دلالة الكلمة ، في الكلام الذي يؤوّل على معانٍ شتى . فسلامة الطوية موقف ذاتي ، أمّا جوهر الكذب فينطوي على أن الكاذب عالم بالحقيقة التي يموهها ، وإلا فلا يعتبر كاذبًا ما دام ينقل ما يجهل أو ما خُدع فيه .

أما الطوية الخبيثة فهي ترمي إلى غرض آخر تمامًا ، وهو أن خبيث الطوية يكون تجاه نفسه قبل الآخرين ، وخبث الطوية يولّد دومًا ، حينما يحدث صدعًا في ذات الإنسان ، الذي يمنح نفسه بفضل هذا الصدع كيانا مختلفا عن كيانه ، واتسام خبث الطوية بسمةٍ يتعذر معها زواله يوضح السبب الذي يحمل هذا الخبث على اتخاذ تدابير وقائية شتى ؛ كيما يتجنب الاعتراف لذاته بحقيقته . فنحن نعترف بيسر أعظم أننا كذبنا ولا نعترف بخبث طويتنا ؛ لأن الكذب فعل يمكن أن يكون عارضًا ، ويحظى عبر تعقد الأوضاع بنوع من انتحال المعذرة ، بينما يكون خبث الطوية موقفًا دائمًا .

الجِدُّ

الجد لا يعارض التهكم من حيث الأصل ، وإنما يعارض الطيش . الجد يقدر كل حادث حق قدره ، وكل شيء يمكن أن يصبح كارثة وما من شيء يتسم باللامبالاة ، فقد يصاب شخص بجرح طفيف فيقول : هذا لا شيء ، أما الانسان الجديّ فقد يقول : إنه قد يفسد ويلتهب وينتج عنه الموات Gangrene أو الكزاز Tetanos لكن هذا الجد بعيد عن الوسواس أو التشاؤم مثلا ، والإنسان الجدّي يدرك خطر الوجود ، ولا يمنح العالم والتاريخ سوى ثقة محدودة ، وما هو بجاد إلا لاتسامه بذلك ، وعلى وجه الدقة إنه أشبه بربان الطائرة الذي يؤمن بأن أدنى قصور في الانتباه ، وأدنى ثرثرة أو استرخاء قد تعرضنا للهلاك . وكل مشروع ينطلق من استقصاء دقيق للوسائل الجاهزة ويحدّد بدقة وواقعية مراحل تحقيقه ، هو مشروع جدي . وينجم عن واقعية الإنسان الجدي الأساسية أنه يجد من الشاقِّ عليه أن يتكيف مع مقولة المثل الأعلى أو القيمة ، ولذا يصف كل مشروع لا يدرك كيف يمكن تحقيقه بأنه خيالي ، ولكن ليس معنى هذا أنه لا ينظر إلى المستقبل ، بل إن نظرته خطيرة ، فهو يعتبره تعاقبا دقيقا في اللحظات ، ولا يجاوز هذا التعاقب . إنه إصلاحي أكثر منه ثوريًّا . وكذلك حال المرء الذي يفصح عن أفكاره بوقار خطير ، وهو يعطي كل كلمة أهمية تجعلها تسمو على أية مناقشة ، فهو ينظر بجد إلى نفسه ، ويقيم رباطا لا تنفصم عراه عَنْ واقعه . ولا أحد يصطنع أن يحمل نفسه محمل الجد لأجل نفسه وبسلامة طوية تامة ، بل يفعل ذلك من أجل أن ينظر إليه الآخرون كذلك أيضا ، فالموقف الأخلاقي - غالبا - قناع يرتديه .

> «بعض المواقف الأخلاقية تجنح إلى ترجيح الفساد»

التهكّم

أما التهكم فهو ضرب من التساؤل الخبيث حول جدية الجد ، فالسخرية قد تكفي لرفع القناع عن الإنسان الذي يريد أن يصطنع الجد دون أن يتصف به ، والتهكم ضروري في حال من يحمل نفسه محمل الجد بكل صدق وسذاجة . وتهكم الفرد على نفسه يأخذ غالبا صورة سوداوية كقولي : «عما قريب سأفسح المجال ، وسيريح موتى الناس جميعا» . والتهكم يتناول أيضا الجد نفسه ، وعندئذ يتجلى بدلالة ميتافيزيقية ولكن يجب ألا نخلط بينه وبين الطيش ، فهو لا يجادل في أهمية الوجود وخطره ، ولكنه ينقل نقطة ارتكاز الجد إلى مكان خفي آخر ، والتهكم يقول بضرورة وجود الجد كالقول : «أقبل أن يمزح الناس في كل شيء ، ولكن لا أرضى بالمزاح في الدين» . والحقيقة أنه هنا يحط من قيم المواضيع التي يوليها الناس أعظم جد ، فنحن نقول عن رسام كاريكاتير: إن رسوماته تحفل بالتهكم . رغم أنها تتحدث عن الكرامة والصفاء والشهامة . والحقيقة أنه يرمي إلى إعلامنا بأن هذه الصفات غير موجودة بيننا . ومن الجلي أننا نتعرض في تجاربنا الأخلاقية - أكثر ما نتعرض - إلى خلط القيم . فللتهكم دلالة أخلاقية ؛ لأنه يسخر من القيم التي تزعم أنها تأسرنا ، ومن النافع أن يتناول التهكم كل الأخلاق التي تجمد في حلة منظومة قانونية ، ذلك أنه ليس للقوانين ولا للنواهي إلا قيمة تربوية نسبية ، ولكن التهكم لن يبلغ ذلك إلا إذا خضع هو ذاته لدافع الإيمان بالحرية .

الوسواس

يقف فريدًا بين المواقف ، فهو لا يرتبط بعلاقة جدلية مع آخر يضادّه ، ذلك أنه يتحلى بطبيعة جدلية ، إنه يحمل الإبهام في ذاته بذاته ، والوسواس موقف أخلاقي يدفعنا إلى العزوف عن العمل ، بل وعن التفكير في غير الإقناع بالاستقامة المطلقة . وعندما يتناول هذا الوسواس الماضي يسمى وخز الضمير . بيد أن تمييز الوسواس عن وخز الضمير وتأنيبه أمر عسير؛ لأن الإنسان هو الكائن الذي لا يبرح ماضيه حاضرا في ذاته ، وهو يلون اللحظة التي يعيشها ويهيئ المستقبل إلى حد بعيد . ومن المتعذر أن يوجد وسواس لا ينطوي على وخز الضمير ولا يستسلم لسيطرته ، ومن الجائز كذلك أن نعتبر الوسواس ضربا من ضروب الجد المتنوعة ، فهو يرفض النظر إلى الحياة نظرة طيش ويرى وزن الأمور . . . إلخ . وموقف الوسواس ينطوي على نوع

من التناقص، فالمصاب به يشعر ـ مسبقًا ـ بالوجود الشامل للشعور بالإثم في كل جانب، بل وبأنه يريد في الوقت نفسه الإفلات منه، وهو يألم لعجزه عن ذلك. فالموسوس يحيا في مستويين يمثلان مستوي الوجود الأخلاقي: إنه أولا: وسواس يتصل بمراعاتنا القانون الأخلاقي، ثم إنه ثانيا: وسواس تجاه صحة علاقاتنا بالآخرين وتنقيتها. ينتج من ذلك أن الوسواس يتعلق باحترام القانون. وما لا يستطيع الموسوس فعله هو أن يضطلع في لحظة ما بالمجازفة، لأنه يعرف بإسراف اختلاط الطوية السلمية بخبث الطوية في ذاته، اختلاطا لا تنحل عقده. وهو يجده دوما في عدم الحزم أو التمييز بين الأمور. إن ما يفتقد الموسوس بعض التهكم حيال ذاته. وحرصه على الصدق الكامل يحمله على الخوف من الحياة. وكل كلمة ينطق بها وكل فعل من أفعاله وحركاته يؤلف شيئا يدرسه هو دراسة مستفيضة في جو الخشية من اقتراف الخطيئة،

ويحسب كل موسوس ـ بنتيجة حمله نفسه محمل الجد أن السرمدية منطوية في كل لحظة من لحظات وجوده. والحق أن من الواجب الرجوع باللائمة هنا على فكرة بذاتها، وهي فكرة الإفلات من الخطيئة والتحلي بوجدان نقي واجتناب تلطيخ اليدين. ولا ريب في أن الحياة الأخلاقية تستند إلى ما يدعمها من إرادة تجنب اجتراح الخطيئة، بيد أن الإنسان ليس ملاكًا خالصًا أو حيوانا خالصًا. فالتهكم يعوز الموسوس، بمعنى أنه يسرف في اعتماده على جدية وسواسه، كما لو أن هذا الانتباه الموسوس كان قادرا على وقايته من كل خطيئة، وكما لو أن في وسعه بهذه التقنية أن يستثير ولادته الخاصة الجديدة، وامتلاكه ذاته امتلاكا يجعله يعيد صنع نفسه بنفسه. إلا أن منح الإنسان كيانه نفسه بنفسه يؤلف وبدون التهكم مشروع الإنسان الموسوس.

الارتياب

موقف الارتياب هو التحفظ تجاه أفعال شخص ما، والارتياب مسعى يبحث خلف الأفعال والأقوال عن دلالات وتسويغات لا يُعترف بها، أي مكوّنة غير علنية، وشرعية الارتياب قوامها أن الناس ـ على الرغم من جميع جهودهم ـ لا يتوصلون إلى سلامة النية تمامًا، وأن خبث النية يتناول أول ما يتناول أفعالهم وأقوالهم، فإذا لاحظنا أن الارتياب يصحب معظم العلاقات البشرية، وجدنا ما يسوغه في عدم التطابق بين حياة الإنسان الخاصة والعامة. فنحن لا نتوقع من رجل سياسي أن يشرح لنا حالاته النفسية، بل أن يخبرنا عن أفعاله واختياره بأسباب موضوعية يمكن أن يفهمها الجميع، وعندما يستجيب لداعي إعلامنا عن أحواله النفسية فإننا نرتاب على الفور بأنه يصطفي بعض هذه الأحوال، ويطلعنا على أفضلها حتى يحقق غرضه. وكلما قل صقل الإنسان وتهذيبه، وقل التصاق كيانه بالأدوار التي يقوم بها أصبح موضع الاتهام في أقواله وفي أفعاله، وكلما زاد إرهاف وجدانه وتعقده زاد إمكان اتهامه بخبث الطوية، وهذا ما يفسر لنا سبب نجاح الارتياب في المثول في ضمائرنا بيسر كبير، إنه يغتذي بجملة كبيرة من القرائن التي تتحلى دومًا بظاهر الحق لصالحها، والارتياب يبدي آثاره الضارة في العلاقة بين الأشخاص، وفي وسعنا القول إنه يقتل الحوار بمعنى أنني أرفض الإصغاء وأستعيض بأفكار مبيتة أسقطها عليه، والسبيل إلى الخلاص من هذا الدرب المسدود هو الاعتراف بالشك الذي ينتابني، وهذا وحده القادر على إعادة الحوار.

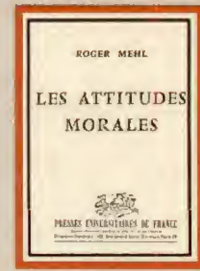
الافتراء

هو الارتياب بالآخر دون الاعتراف له بذلك، وإنما بنشره بين الآخرين، وهذا النشر ليس علنيًا ولا صريحًا، وإنما يظهر في صورة نجوى؛ لأن الشخص المصطفى لتلقي هذا السر سيعتقد بأهميته، والافتراء عمل غير صريح؛ لأن المفتري يسبغ صفة اليقين على ما ليس في ذاته، سوى ارتياب حقيقي بل جائز، وعلى الرغم من أن المفتري ـ أحيانا ـ لا يحقق غرضه الكامل إلا أنه ولّد الشك في فكر الآخر، فالمبتلى لن يخلص من هذا الشك، فإذا دافع عن نفسه رأى الآخرون في شدة دفاعه دليلاً على أن الطعنة أصابته، وإذا لم يدافع فسروه بأنه عجز أو إقرار، وتزداد صعوبة الدفاع كلما احتل المرء منزلة رفيعة؛ لأن الآخرين سيتهمونه باستخدام الوسائل التي يتصرف بها للدفاع عن نفسه، وإذا لجأ للعدالة سيقولون: لا دخان بدون نار. فافتراء الإعلام مثلا يعرف أن القارئ سينسى الكل ولن يحتفظ إلا بالمظلمة نفسها. والدراسات أثبتت أن العنصر الفاضح يبقى في عقل القارئ، لكن لماذا يلجأ المفتري إلى الكذب؟ إنه يفعل ذلك أحيانا ولكنه يفضل السبل الطويلة؛ لأن ذلك يجنبه مجابهة خصمه ويمكنه من الاحتماء ضده بالناس الذين يدعمونه. فالافتراء شكل فريد من الكذب، ومن ينطق به يقتصر على نصف الحقيقة فقط. ولكن هل يعوز الذكاء المفتري؟ ليس بالضرورة، ولكن يعوزه حتما هذا الكلام الذي به نقبل الآخر لا على أنه جملة تحديدات جامدة، بل باعتباره كائنا ذا مستقبل، وليس بكائن يقتصر وجوده على مجرد تكرار لحظات حياته الماضية. وكثير من المفترين فاشلون موتورون، يودون الثأر من القدر الذي نال منهم، وبما أنهم عاجزون عن السيطرة عليه فهم ينشدون تعويضا بأن يجرّوا معهم آخرين إلى الإخفاق نفسه، وعلى هذا فالأشخاص ذوو المناصب الرفيعة مثلا أكثرعرضة للافتراء من سواهم.

الصبر ونفاد الصبر

الإنسان ــ برغم فوارقه الخلقية ـ يكافح ضد الاستمرار، ويسعى إلى تقصير المدة التي تفصل الرغبة عن تحقيقها، والمتسرع يعرف أن للاستمرار سرعات متباينة، والصبور ينظر إليه نظرته إلى الزمن الموضوعي الذي لا نستطيع اقتضابه. والصبر

> كثيرًا ما نتعرّض في تجاربنا الأخلاقية إلى خلط القِيَم


ROGER MEHL

LES ATTITUDES MORALES

PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE

المواقف الأخلاقية

عنصر جلد قد ينتهي إلى التواكل القدري، ولا ريب في أن ثمة صبراً أحمق هو القائل «دعوا الزمان يغير ذلك». فالزمان لا يكون مبدعًا إلا بالأفعال التي نرصعها فيه، وهذه الأفعال وحدها هي التي تمنحه سعيه الجادّ نحو المستقبل، ولذا صح الكلام على «صبر من جمر». والصبر يتحرك بدافع الأمل، أي بالوثوق بأن مستقبلا جديدًا حقا يجدد نفسه ولا يجدده الماضي، وإذا كان الصبر والأمل سببا ونتيجة فنفاد الصبر ينجم عن الحنق في أغلب الأحيان، والحنق ليس سوى الوجه الخلفي للأمل؛ فأنا أحنق لأنني كنت آمل ولو تحقق أملي ما حنقت. ومن الخطأ إرجاع الصبر ونفاده إلى نَمَطَي سلوك خلقي؛ ذلك أنها بوصفهما موقفين أخلاقيين يجب أن يتيحا - بحسب التاريخ والإنسان - وجوب أن يعرف المرء كيف يكون صابرًا أو لا ؟ ومن الجائز أن نعزو المخالفة إلى الصبر ونفاده، فالمخالف إنسان نفد صبره، وهو يحنق من الحدود التي تحول دون تحقيق مشروعه، والعائق الذي يتخطاه المخالف بالدرجة الأولى عائق المحظورات والمحرمات والقوانين، فالتعليلات مختلفة ولكن أكثرها جدية هو رفض النظام والوضع، وما تتم المخالفة إلا باسم الحرية أو الحقيقة؛ فالمخالف لا يرجو بالضرورة أن يغير الدنيا، وقد يرمي إلى التذكير بكرامة الفرد وقدرته على عدم الرضوخ للمطالب، فالمخالف يخالف دومًا في نقطة معينة وإذا وسع مشروعه بإسراف انزلق دون أن يدري نحو الفوضوية.

الحزم

يعزم المرء على صنع ما لم يكن يريده؛ لأنه يدرك أنه لا بد مما ليس منه بد. وعلى العكس، فالحزم يدل على أن شيئًا لا يحملني على التراجع عن قرار قطعت فيه بحرية، لأنني أعتقد أن هذا الفعل صالح عادل. والحزم من الناحية السلبية يعني أنني وضعت حدا للتردد والشكوك التي تصدر عن أصل مزدوج، فأنا لم أكن أقدر أن أرى الوضع بوضوح، أو أنني كنت أتردد حول ما يجب صنعه. والرهان الأساسي لدى الفرد الحازم هو في جميع الأحوال رهان على أن اتساق العمل أمر مجدٍ دومًا وأن في كل مشروع متسق يوجد على الأقل دعوى بلوغ حقيقية وأن القرار الحازم يتألف من عدم إفساح المجال أمام القوى الانتقادية لتضعف هذا الاتساق. الحزم يقتضي فكرا منهجيًا يحتاج إليه. وتلكم هي عظمته ونقطة ضعفه، فقوة القرار الحازم تضفي على من اضطلع به وأعلنه على الملأ سلطة، بل سلطة أعظم من تلك التي يُمْنَحها بصورة آلية - إن صح القول - من جراء الوظيفة الاجتماعية التي يشغلها. وقد يتفق في مجلس من المجالس أن ليس من يشغل الوظيفة الأكثر أهمية هو الذي يتمتع بالسلطة الكبرى، وإنما ذاك الذي يؤكد في اقتراحاته العزيمة الأعظم.

التساهل

وموقف التساهل هو إذن موقف المرء الذي يرضى في مرحلة معينة من مراحل المناقشة أن يتنازل عن بعض مقتضيات قراره، حتى يفسح المجال أمام بعض مقتضيات قرار الآخرين، وعلى هذا، فإن الإبهام الأخلاقي يمثل في ذهن المتساهل. فمن جهة يدل على الانتباه إلى الآخرين وعلى تواضع حقيقي، ومن ناحية أخرى يثير تحفظات كثيرة، فهو قد يثير الشك في عدم صحة قرار لا يهدد بإثبات ذاته إلا لقياس مدى مقاومة الخصم، وقد يميط اللثام لأنه مفيد لمن يرضون به نتيجة فكر جبان ولغياب الإقناع. فروح التساهل تجعلنا نتأرجح بين الجبن والنذالة والمذلة. فكيف نقدر في مثل هذه الظروف أن نحكم عليها؟ هناك أوقات أزمات يقرر فيها مصير القيم الأساسية، كالاختيار بين العدل والرفاهية، والحقيقة والكذب، والحرية والعبودية، وهذه هي أوقات الحزم والتساهل، ولذا فنحن نجد أحيانا ازدواجية، دلالتها وجود مرحلتين إن لم نقل نوعين من الأخلاق، يستلزمان تارة هذه الأخلاق وتارة تلك.

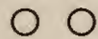
الكرم والأريحيّة

الكرم سمة النفوس النبيلة، وهو ينمّ عن طيب المحتد، والكريم هو الذي لا يشح ببذل دمه، ومن هنا يتضح أن فكرة العطاء فكرة أساسية في الكرم، ولكن الكرم في هذه الحالة لا يتحقق لصالح الآخرين بل لصالح المرء ذاته - فأنا أنقذ شرفي حين أهب دمي بكرم وسخاء. والكرم يصدر عن تقدير المرء ذاته، ولكن هذا التقدير لايكون شرعيا إلا إذا ارتبط بكمال حقيقي، وهو لايمثل إلا في حرية الاختيار أو الإرادة، فالكرماء لا يحسبون أنهم أدنى من أولئك الذين يتمتعون بثروة أكبر أو إجلال أعظم، وفي الوقت نفسه لا يحطون من قدر أنفسهم، وقرابة الكرم من الأريحية بديهية، فكلاهما يثق بالآخر وهو وثوق الطوية السليمة وفقدان الخبث، والكرم بالضرورة اصطفاء، وهو يرجح جانب الأكرمين، ويفترض أن ثمة بينهم وبيني علاقة صميمية إيجابية أو سلبية، أما الأريحية فهي أكثر شمولاً، فأنا قد قررت تجاه الذين أعرفهم جميعا والذين سيتدخلون في حياتي، أن أحجم عن كل موقف ارتياب وأن أقدم لهم أكثر ما أستطيع، وأن أقبل - إلى أن يحدث برهان مخالف - أن تكون نواياهم طيبة نحوي. فالأريحية هي الجهد الذي أسعى به لوضع نفسي موضع الآخرين حتى أقبلهم في عالمي من دون أن ألحقهم بمشاريعي الخاصة. ومن هنا تنشأ الصعاب الأريحية؛ لأنك قد لا تقابَلُ بمثل ما فعلت، والإنسان الأريحي عرضة للاتهام بالحمق أيضا، فهو قريب من التسامح الذي ينتحل أعذارا لجميع حالات السلوك، ويرفض أن يرى الدوافع الحقيقية وراء عمل من الأعمال، والحقيقة أن الاعتقاد في عدم وجود الشر يعتمد على نوع من اللاواقعية.

شجاعة الوجود

هل يتيح لنا تنوع المواقف الأخلاقية تنوعًا آخر يسمح أن نميز خلفها موقفا أساسيا يمكن اعتباره سندها جميعا، ويكون في وسعها أن تتجلى من

خلالـه تارة إيجابيا، وتـارة سلبيًّا؟ نجيب بـالرفض والنفي؛ لأن الإنســان الحازم شجــاع، والمفتري جبان، فهل تحول هذه البـداهة في الحس الأخلاقي دون السعي للقيـام بمحاولـة توحيـدية؟ لا نعتقـد ذلك؛ لأن كل موقف أخلاقي ينطوي على مجازفة، ولابد من الشجاعة لقبول المجازفة، ونحن نتحدث عن شجاعـة من يعرض حيـاته لإنقـاذ حياة غيره، وعن تلك التي يمتلكهـا أعتى اللصـوص، ولـذا فنحن نعثـر في أصل مواقف أخـلاقية متمايـزة على موقف غير متميز. إن شجاعـة الوجود تلك المماثلة في مجابهة الحياة باعتبارها صراعًا يتناول تأكيد الذات بـانتصـارهـا على جميع قـوى التهـافت والتفكك والانحراف، إنها تفترض الوعي بأن الوجود ـ دومـا ـ رسـالة ينبغي إنجـازها، وليس مجرد معطى، ولـذا فـالشجاعـة تتجلى في تجاربنـا الأخـلاقية أكثـر مـا تتجلى شجـاعة أن يكـون الإنسان ذاتـه، ومقاومـة الضغوط الخارجيـة والتواكل. إنها تأكيـد على تفرد المصير الشخصي تفـردا يـرفض كل حســد وكل محاكـاة، وعلى هذا النحـو نتجـه نحو فكـرة وضع محدد نهائي سعيد، أعني وضعًا محددًا لن نصطدم به اصطدامنا بفضيحة لا تطـاق، إن شجاعة الفرد هي شجاعة الوضـع المحدد النهائي، ومهما كانت ضربا من التقدم، ومهما قدمت لنا التقنيات، فإننا سنحيا في وضعنـا المحدّد النهـائي، ولكننا سنحيـا أيضا بفضـل هذا الوضـع، لأنه بحق هـو ما تشير إليه الإنجازات الدقيقة التي نستطيع التصدي لها، وضروب الجرأة التي يمكننا أن نسمـح بها لأنفسنا. إن الـوضع النهائي المحـدد لا يعني انغـلاقًا، إنـه درب ضيق تارة، وأوسع تـارة أخرى، وهـو الدرب الذي يمكّننا من الإسهام في الوجود وعلى هذا المنوال تلحق شجــاعـة أن يكـون المرء ذاتــه، أن يكـون أصيـلا. فنحن نسهم في الـوجـود على نحـو محدد دومـا، وليس بنافع في شيء أن نتسلق السمـوات، وحين حسب الإنسان أنـه سيصل لأسرار الكون لم ينجح؛ لأنه لم يستطع أن يكون أصيلا.



خواطر

هموم مدرس

إلياس ديب

الأسبوع الأول من الشهر.

زعمت أنني أستــريح لــو وقفت على النافـذة أرمي بنظري إلى الخارج، لـم أتأخر زحفت إلى أول شبـاك يطل على الطبيعـة علنّي أستـريح بمنظـر مـا. لم أتمـالك، لم تفدني صنـاعة اللامبالاة التي أجـدتها كثيرا، صرخـت بأعلى صوتي، وسـرعان مـا شعرت أنني مخنوق، لا عنيت أن الصـوت قد اختنق في فمي، وأنني على النـافذة غير المغلقـة ما بين المرضى والنوافذ المفتوحة عداء! نزلات الصدر ودوار الرأس لا يلحق بـالذين يتجنّبون الطاقات المفتوحة.

تعالى الصياح من حولي، استدرت إليه، وكـان عليّ أن أنظر بعـد أن اقتلعتني غـريـزة المسؤولية من تغاضيّ المستمر. وبدون سبب مفهوم تـولّتني رغبة في الضحك نشـرت عليّ نعمة التمـاسك في موقفي ذاك، رغبت في أن أستـوثق النعمـة تلك ممـا إذا كنت سأتـابع، سأبقى قـويـا، لبثت واقفًـا، بعض الـوقت، مبهورا لا ألـوي على شيء سوى بقيـة أنفاس تتقطع وتتحشرج، أحسست بقلبـي يتوقف ثم رفّ سؤال في نفسي: «. . . كيف للجاني أن يكفّـر عن جـريمتـه؟ . . .» الحقّ على علم الحســاب، كم حسبتهــا ولم أفلح؟ النـاس ينظمــون الشــاردة والــواردة ويفــوزون بمقاصدهم، أمـا أنا فظللت أتطفّل على هذه اللعبة، وفي كل الأحـوال تزوجت، ولا تخفى على عين امرئ سـابقة مـدرس يتزوج ويسعى ليلقم أفـواه صغاره الفـاغـرة كل يوم من عـرق جبينـه؟! تـرشفت الخيبـة المـرّة. أحسست بأنهـا تهـاجم أحشــائي دون هـوادة ــ «ومن عجب الشـدائد على المرء، أنهـا لا تصرعـه على الفـور، تستمهلـه ــ أحيــانـا ــ ليتمـرغ بأوجاعها ثم يقضي لا محالة».

ودون أن أسأل نفسي، عـدت ثـانيـة إلى النافـذة، كأنما أفـزع إلى التفلّت والفكاك من جـديـد، عبثـا كنت أفعـل وتفـرست في وجوههم، كـانت زوجتي وأطفالي يصـرخون بصمت، يجيـــدون خنق صيــاحهـم هم الآخـرون، ازدادت رغبتي في التدخين، كـان هذا تحديا؛ لأنني تركته من قبل، لـم أفلح، أكملت حكـاية فشلي في الـرهان والحسـاب والتـدقيـق وأمسكت بسيجـارة ومججتهـــا طـويـــلا، ولأن قنـاعتي بـالفشل ازدادت وأن ستخذلني ثقتي بالمرتب حتى آخر الشهر لمع في ذهني تسـاؤل عن سبب إبقـاء الصـرّة في الخزانة؟ تحركت بأمـل فكّها، كانت نقودي قليلـة غيـر أني اشتـريت بهـا من السـوق بـلا تردد.

الأسبوع الثاني.

سأعوذ بالله مما أسمع وأنتظر.

ودون أن ألتفت إليـه عرفت طـرقاتـه، ثم جاء في صـوته إنه (عبـدو الجابي) يقف وراء الباب، بينما راحت دقاته تَعْنُفُ ولا تستريح، هل أكتم الأنفـاس وألازم التخفي؟ الصمت وحـده ينجيني من هـــذه الـورطـة، عــامل الكهـرباء هـذا لا يمهلني، لا يلبث أن يلفظ بالإهـانة ويتأفف زارعًـا القلق، ثم يهدّد بقطع التيــار، مـاذا أفعل؟ غــدًا تصلني فـاتــورة الهاتف، وبعد غـد الماء، والإيجـار و . . . و . . .

التفتُّ إلى الصرة التي أفرغت كنزي فيها، رأيتهـا تـترامى منكسة مستـرخيـة على مسنـد الكـرسي، فقفـزت إلى ذاكــرتي خِـرَقُ مسح الألـواح وطبـاشير الصف، وفيمـا كنت أدبـر حلاً في رأسي، حنـوت على أطفالي، خفت عليهم بعد أن تـراءت في خيالي صورة قـائمة أوجعتني وهي تردد: «كيـف لك أن تنقذهـم ـ هــذه المـرة ــ ليس من الفضيحــة وعــامل الكهــربــاء بـل من غــوائل وأشـداة الخـرق المنكسة في المـدارس، وما تـرسمه طبـاشير الصف على اللوح الأسود؟!

العاقل والمجانين

عبد الرحمن أحمد شادي

اشتهر اسم «قيس» في الأدب العربي بقيس بن الملوح ، مجنون ليلى العامرية ، وكلاهما من بني عامر، فهي ابنة عمه ، عاشا في بادية الحجاز على عهد معاوية بن أبي سفيان ، وبعد زمن طويل زاد على ألف عام ألّف أمير الشعراء أحمد شوقي مسرحية مجنون ليلى شعرا .

ويلي مجنون ليلى في الشهرة سَمِيُّه قيس بن ذريح ، حبيب لبنى بنت الحباب الكعبية ، عاشا في المدينة المنوّرة على عهد معاوية بن أبي سفيان أيضا . وبعد ألف عام أو تزيد ألَّف الأستاذ عبد المجيد الدسوقي عنهما قصة نثرية ، وتلاه بعد فترة الشاعر عزيز أباظة فألف عنهما مسرحية شعرية وهو مقلد لشوقي في الموضوع وإن اختلف الأشخاص .

أشاد الشعراء والكتاب بمجانين الحب ، وأحببتُ أن أشيد بسميّهما العاقل : قيس بن سعد ابن عبادة ، زعيم الأنصار في المدينة قبل الإسلام وبعده ، فأول ما دفعني لتتبع أخباره وذكر مآثره أنه كان جوادا ، ورثَ هذه الصفة عن أبيه :

بأبه اقتدى عَدِيّ في الكرمْ ومَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فما ظلمْ

كان لسعد بن عبادة [والد قيس] جفنة تدور مع النبي ﷺ حيث دار من بيوت أزواجه بلحم وثريد أو لبن وخبز . . . أو خبز بسمن أو بخل وزيت .

وكان ينادي عند كل أكمة كل ليلة على من أراد القِرَى . وقدر له أن يموت في إحدى مدن الشام بعد فتحها في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه(١).

إن الجود والإيثار صفتان ممدوحتان عند العرب في الجاهلية ، لم ينقص قدرهما ولم يغفل شأنهما الإسلام ، وقد جاءت الآيات الكثيرة تمدح الكرم ، وتشيد بالإيثار ، من قوله تعالى :

﴿والذين تَبوّءوا الدار والإيمان مِنْ قبلهم يُحِبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتُوا ويُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم الفلحون﴾ الحشر ٩ ، ﴿ويُطعِمُونَ الطعامَ على حُبِّه مِسكِينًا ويتيمًا وأسيرًا إنّما نُطعِمُكم لِوجه الله لا نريد مِنكم جزاءً ولا شكورا﴾ الإنسان ٨-٩ . فهي صفة في الدنيا للأبرار الذين يدخلون الجنة يوم القيامة . أما البخل فهو صفة ذميمة ، وقد توعد الله من يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ولا يحضون على طعام المسكين ، خصوصا إذا وصل الأمر إلى حد منع حق السائل والمحروم . وحجب مال الله عمّن يحتاجون إليه .

وقد حارب أبو بكر الخليفة الراشد الأول لرسول الله ﷺ المرتدين حين جحدوا وجوب الزكاة ، فاستخرجها منهم بقوة السيف كرها ، بعد أن منعوها طوعا . أما الاحاديث فهي كثيرة جدا ، جاءت بمختلف الأساليب ، منها ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : «كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أَجْوَدَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل»(٢)، وعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(٣)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أيّ الإسلام خير؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٤)، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٥).

ونعرض بعض أخبار قيس العاقل ابن سعد بن عبادة الكريم ابن الكريم عن كتب السيرة :

في رجب من السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح قائدا لسرية عددها ثلاثمائة رجل ؛ لغزو قبيلة جهينة التي تسكن على شاطئ البحر الأحمر . وكان زادُ السرية جراباً من تمر، فلما وصلوا إلى الساحل أقاموا نصف شهر ينتظرون العدو حتى فني زادهم وأكلوا ورق السَّمُر ، يبلونه بالماء حتى تقرحت أشداقهم ، وكان في القوم الكريمُ ابن الكريم قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ فنحر لهم ثلاث جُزُر (جمال) في كل يوم جزورا ، وفي اليوم الرابع نهاه قائد السرية أبو عبيدة ؛ لأن قيسا أخذ تلك الجزر دَيْنا في مال أبيه ، فخاف ألا يفي له أبوه بها استدان ، فقال قيس «أترى سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي دينا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله» .

ورزقهم الله بعد ذلك حوتا ضخما جنحت به العواصف نحو الشاطئ ، فكان نعم الزاد حتى سمنوا . ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا إلى المدينة ، فقال قيس لأبيه : كنت في الجيش فجاعوا ، قال : انحر، قال : نحرت ، قال ثم جاعوا ، قال : انحر، قال : نحرت . قال : ثم جاعوا ، قال : انحر، قال نحرت ، قال : ثم جاعوا ، قال : انحر قال : نهيت»(٦).

حياك الله يا قيس لم يكن كرمك إسرافًا في مالك ولا مال أبيك ، ولم يثنك الكرم والإحساس بالألم لرفاق السلاح المجاهدين في سبيل الله ، حين تعرضوا للجوع أنك لا تجد إلا الدَّيْن وسيلة إلى فك الأزمة وتنفيس الكرب وتيسير العسير والعون على نوائب الدهر .

وهذا بعض أخبار عقلك ؛ ليكون الأمر من تقابل الأضداد بين عقلك ومجانين الحب :

كنتَ لرسول الله ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة

من الأمير، وحملت راية الأنصار في بعض الغزوات، وكنت أحد دهاة العرب من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب.

ولاك علي بن أبي طالب في خلافته القصيرة فكنت كفءًا في الدهاء لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، واستقام لك الأمر في مصر بسبب السيرة الحسنة والضبط والربط والحزم والعزم والسايسة والكياسة حتى يئسوا منك. فكادوا لك عند الخليفة حتى عزلك، وولى محمد بن أبي بكر، فكان هذا العزل سببا في خروج مصر من طاعة علي، ودخولها في طاعة معاوية ونائبه عليها عمرو ابن العاص.

ولم يدخل الحقدُ على عَليٍّ قلبَك؛ لأنه عزلك عن ولاية مصر، وظللت معه في حروبه حتى قتل، ومع ابنه الحسن حتى تنازل عن الخلافة لمعاوية.

ثم أراد الله أن يُسدَل الستار وتنطوي الصفحة وتنتهي الحياة سنة تسع وخمسين بعد الهجرة(٧).

فقد طالعنا في هذه الصفحات أخبار كرمك وعقلك وعفوك وسلامة قلبك من الأحقاد، فأنت أولى من مجانين الحب بعلو القدر ونباهة الذكر وجزيل الأجر.

جعل الله لك لسان صدق في الآخرين.

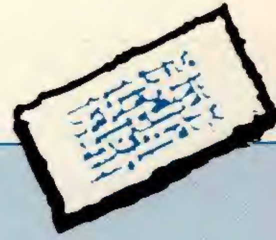
الهوامش

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٤٦.
(٢) الحديث ١٢٢٢ في رياض الصالحين للنووي.
(٣) الحديث ٤٠٥، ٥٤٦ مصدر سابق.
(٤) الحديث ٥٥٠.
(٥) الحديث ٢٢٢ مصدر سابق.
(٦) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص ٢٢٤، وحديث ٥١٨ في رياض الصالحين للنووي.
(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٦٠١.

فارس الضحى

شعر: د. صالح الزهراني

أنــا مــا عشقت الهَمَّ، الهَمُّ مُعجَبُ ... متى كان طعم الجرح يحلو وَيعذُبُ ؟!
ركبت المنافي، كلُّها قلب شاعرٍ ... دمٌ أحمديٌّ في منافيه يُسكبُ
تغربت عن جرحي، وجرحي قضيتي ... وهذا ابتدائي. والنهايات أغربُ
تلوم حروفي حين تأتي كئيبةً ... ومن جُرحنا . . يا ميّت القلب، تشربُ
أفق . . أدلج السماء يا فارس الضحى ... تشابتَ . . والآفاق نابٌ ومخلبُ
حروفي التي أنكرتها، نصف حزنها ... على مثل هذا الوجه، من أين تطرب ؟
نكايتها من ألف وجهٍ مقنع ... إلى أمة الإسلام يُدعى ويُنسبُ
هَوًى « يعربيٌّ » بين عينيه فاقعٌ ... وما بين جنبيه « فؤاد مُعَرَّبُ »
أمانيه في الدنيا قصورٌ منيفةٌ ... وشيكٌ، وكرسيٌّ وثير، ومنصبُ
أنا متعبٌ . . من أين جاءت متاعبي ؟ ... أتت من فؤادٍ بَينَ جنبيك يلعبُ
غضبت؛ لأن الجهل أصبح راية ... وأهل الرَّدى أقوى بيانًا وأصلبُ
كتبت، وإن لم أجعل الشعر صرخةً ... لديني، فمن أي التعاليم أكتب ؟!
غضبت، وإن لم أجعل الحق غضبة ... فقل لي: على أي المروءات أغضب ؟!
وحُمِّلت هذا الهَمَّ تاجًا ورفعة ... وليس لنا ممّا قضى الله مهربُ
تصير المنايا حين نسمو أمانيًا ... ويسهل في العين الذي كان يصعب
وها هِيْ حروفي مسرجات ظهورها ... لأمّتها، لكنَّ من أين تركبُ ؟
أعاتب وجهًا، ضيّع الدرب عامدًا ... ولست على كل المضيعين أعتبُ



إعداد: مأمون حربا

أدباء مهجريون

أ

أحمد زكي أبو شادي:

ينتمي الدكتور أحمد زكي أبو شادي إلى أسرة مصرية وجيهة، جلّ أفرادها مثقفون وشعراء، والده محمد أبو شادي نقيب المحامين في مصر. ولد في مصر عام ١٨٩٢م، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بالقاهرة. كتب منذ عام ١٩٠٥م في مجلتي (الظاهر والأمام) ونشر عام ١٩٠٨م أول كتاب ألفه بعنوان: (قطرة من يراع). ونشر ديوانه الأول عام ١٩١٠م بعنوان (أنداء الفجر). وفي عام ١٩١٢م سافر إلى إنجلترا، فدرس الطب فيها وتخرج عام ١٩١٧م، ثم تخصص في علم الجراثيم (البكتريولجيا)، ودراسة النحل، وعاد إلى مصر بعد أن أسس في لندن مع المستشرق مرجليوث: جمعية الآداب العربية.

وتوج أعماله الأدبية بإنشاء **جماعة أبوللو** ومجلتها عام ١٩٣٢م، حتى عام ١٩٤٦م، وخلالها أصدر ١٤ ديوانًا، أهمها: مصريات - زينب - أنين ورنين - الشفق الباكي - الشعلة - أشعة وظلال - أغان - أطياف الربيع - الينبوع فوق العباب - شعر الريف - عودة الراعي.

وفي عام ١٩٤٦م سافر إلى نيويورك، وعمل مستشارًا لبعض الوفود العربية في الأمم المتحدة، ومذيعًا في محطة صوت أمريكا، وأستاذا في معهد آسيا، وأسس رابطة منيرفا، وتزوج من أمريكية وأصدر عام ١٩٥٠م ديوانه (من السماء) في نيويورك، ثم أربعة دواوين أخرى، هي: النيروز - من أناشيد الحياة - إيزيس - الإنسان الجديد. ومن مؤلفاته أيضًا كتاب: عظمة الإسلام والإسلام الحي - من نافذة التاريخ - شعراء العرب المعاصرون - قضايا الشعر المعاصر - قصة الأدب المهجري - على مائدة منيرفا. وقد كان عالما رياضيا وناقدا ومجاهدا وطنيا وصحافيا عريقا وحامل لواء التجديد، فهو موسوعة من العلوم والآداب.

يقول عنه جورج صيدح عام ١٩٥٦م: جاء الدكتور أبو شادي إلى المهجر بأدب ناضج، ترعرع في الكنانة، وأنتج فيها أروع الآثار، وأصرح بأن أبا شادي - على جلال قدره وحفول سيرته - يُعدّ أديبا مهجريًا في المرحلة الأخيرة من حياته. هذا ليس انتحالاً للأدب المهجري، بل حدثًا وقع، وكسبًا أتاحته الأقدار لمجد الأدب المهجري.

توفي أبو شادي في واشنطن عام ١٩٥٥م.

إلياس طعمة:

هو أبو الفضل الوليد إلياس بن عبد الله بن طعمة، من مواليد قرنة الحمراء في لبنان عام ١٨٨٩م، إذ تعلم بمدرسة القرية، ثم في عينطورة، وفي الحكمة البيروتية، وقد أتقن العربية والفرنسية.

هاجر إلى البرازيل وأنشأ فيها جريدة «الحمراء» لمدة أربع سنوات، فكانت راية للفكر القومي مع الدفاع عن حرية العرب، ومناهضة الظلم والطغيان اللذين نزلا بهم، ثم عاد إلى الوطن عام ١٩٢٢م، وزار العديد من البلدان العربية والأجنبية.

وتوفي أبو الفضل عام ١٩٤١م، ودفن في مسقط رأسه بعد أن اعتنق الدين الإسلامي في عام ١٩١٦م في حفل مشهور.

كتب في الصحف والمجلات، وشارك في المؤتمرات، ومن مؤلفاته:

ديوان: **«الأنفاس الملهبة»** و**«نفخات الصور»** و**«أغاريد في عواصف»** و**«السباعيات»** و**«رياحين الأرواح»** و**«غافر ولبانة»**، وله في النثر كتاب: **«التسريح والتصريح»** - و«القضيتين» و«المآلك» و**«أحاديث المجد والوجد»** وله روايات تمثيلية منها: «أسرار بغداد»، «نكبة البرامكة»، «أحمد وولادة» وترجم قصيدة «البحيرة» للامارتين، وقسمًا من الكوميديا لدانتي، وثلاث قصص لموسيه، وغيرها كثير.

لقد كرّس حياته لقومه العرب، فتغنى بتاريخهم وأمجادهم وحضارتهم، ودعا إلى تحرّرهم ووحدتهم، وأشاد بما يجمعهم من آمال وآلام وتاريخ ولغة. وهذا كله نجده في كل ما كتب من نثر ونظم من شعر.

ب

بترو طرابلسي :

أديب عربي مهجري ولد في نيويورك عام ١٩٠٥م من أبوين حمصيين، ثم أرسل إلى حمص في سوريا طفلاً، فشب فيها، ثم هاجر منها إلى نيويورك عام ١٩٢٦م، فأقام فيها ينثر وينظم ويلحّن، إلى أن أدركته الوفاة هناك عام ١٩٤٠م، ومن أشهر آثاره كتاب: «أعلام الأدب والفن».

ت

توفيق قربان :

من مواليد الشوير في لبنان لعام ١٨٩١م، وقد نال إجازةً في العلوم عام ١٩١٠م، ثم هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٢م، واستقر في سان باولو، وشغل في جامعتها الكرسي العربي، ثم عمل في التجارة طويلاً.

تعلم ثماني لغات أجنبية وكتب في الصحف والمجلات، وألف ستة كتب منها كتاب «منابت الصهيونية». وقد ساعدته تلك اللغات على كشف ما أغلق على سواه من أسرار لغة الضاد، فأسدى إليها خدمات عجزت عنها المجامع العلمية القائمة، كما جمع خمسين بحثًا لغويًّا في كتاب، وجمع في كتاب آخر مقالاته بالإنجليزية عن الأصول السامية للعربية واتصالها باليونانية، وفي كتاب ثالث مقالات وتراجم عن السوريين واللبنانيين في البرازيل، وحاضر مرة أربع ساعات عن الكوميديا الإلهية لدانتي بالبرتغالية، فذكر سبعة وأربعين مشهدًا من القرآن وردت عند دانتي، وقد أثبت في دراسته أن الشاعر الإيطالي قد سرقها من حديث المعراج النبوي ورسالة الغفران للمعري وتفاسير محيي الدين بن عربي لآيات القرآن، ومن اللغات التي تعلمها الإنجليزية والبرتغالية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والتركية واليونانية والعبرية، لذا فهو كنز من العلوم في المهجر.

ج

جبران خليل جبران :

ولد سنة ١٨٨٣م في بلدة بْشَرِي في لبنان، وهاجر إلى بوسطن مع أخيه وأمه عام ١٨٩٥م. وكان كتاب الموسيقى باكورة إنتاجه الأدبي عام ١٩٠٥م، وله محاولات شعرية أيضًا في كتابه الشعري الوحيد (المواكب)، وفيه رسوم تمثل الذروة في فنه روعة وجمالاً. ثم سافر إلى باريس ١٩٠٨م لثلاث سنوات، اتصل فيها بمعاهد الرسم والتصوير، وقد نشر أولى مقالاته عام ١٩١٨م في مجلة «الفنون السبعة» بالإنجليزية وألف عام ١٩٢٠م مع رفاقه (الرابطة القلمية) وكانت وفاته سنة ١٩٣١م.

من أشهر مؤلفاته بالعربية: دمعة وابتسامة ـ الأرواح المتمردة ـ الأجنحة المتكسرة ـ العواصف ـ عرائس المروج. وله بالإنجليزية: المجنون ـ النبي ـ رمل وزبد ـ السابق ـ يسوع ابن الإنسان.

لقد أوتي جبران خيالاً عجيبًا، فكان في تعبيره مصورًا أكثر منه كاتبًا، وأكثر صوره مستجدة من الفجر والظلام والنور.

ولقد حاكى أدب جبران أدب الغرب في ابتكار الصور، ولكنه لم يقلده ولم يفقد لونه الجبراني الخاص الذي كان مصباحًا فكريا يشع من ذرا لبنان.

ح

حبيب إبراهيم كاتبة :

ولد في مدينة يبرود السورية، وأنهى دراسته بالجامعة الأمريكية في بيروت، وهاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة هارفرد متخصصًا في التصوف الإسلامي وفلسفة الدين، وفي عام ١٩٢٤م عمل بجريدة (بروكلن إيكل) كاتبًا مختصًا بشؤون الشرق، وكتب أكثر من مائتي مقالة عن الشرق العربي من خلال زيارته للشرق في صيف ١٩٢٩م، وعقب عودته ألف كتاب «المهاجرون العرب في أمريكا الشمالية» بالإنجليزية وتوفي في ريعان شبابه عام ١٩٥١م.

يُعدّ الأديب حبيب كاتبة من أبرز وجوه الأدب المهجري، وأنشط العاملين في حقل القومية العربية، إذ قام بإدارة مكتب الجامعة العربية في نيويورك، ومكتب الشؤون العربية الأمريكية، وكان حلقة الاتصال بين الوفود العربية، وله أثر كبير في الحركة الفكرية والنهضة الأدبية بالمهجر، أدبه عصري الطابع، غني بمادته العلمية والفلسفية، حافل بالكنوز القديمة يبرزها في حلة جديدة شيقة.

خ

خلدون نويهض :

ولد في القدس سنة ١٩٢٩م وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة ألمانية، ثم أكمل التحصيل في **كلية الأمة**، وكان رئيسها المربي المشهور خليل السكاكيني، فتخرج فيها سنة ١٩٤٦م، ثم انتقل إلى العراق وباكستان، حيث عمل في الإذاعة الباكستانية حتى سنة ١٩٥١م، هاجر بعدها إلى فنزويلا، فعمل بالتجارة بضع سنين، ثم رغب عنها وتحول بكل قواه إلى

العمل القومي، أصدر عام ١٩٥٩م كتابًا في ٤٠٠ صفحة عن تاريخ النهضة العربية في آسيا وأفريقيا، وكتاب «عشر سنوات من الازدهار» عام ١٩٦٣م، وقد أجمل فيه التطورات في العالم العربي في شتى مجالاتها.

ترأس (معهد كونكورديا) للتربية الحديثة، ومجلة «الأندلس الجديدة» باللغة الإسبانية في مدينة **ماراكايبو**، وقد أتقن اللغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية.

ويعد أديبًا وخطيبًا ومؤلفًا وكاتبًا وصحفيًا، وله عدة رحلات استطلاع ودراسات عربية، وقد أثرت فيه قضية فلسطين، حيث رأى المشاهد المروعة فيها عن كثب عام ١٩٤٨م، مما كان له أثره في نتاجه الأدبي والفكري.

د

داود شكور:

أحد أدباء الجالية الحمصية في سان باولو. وكانت ولادته سنة ١٨٩٣م. وقد تعلم في الكلية الأرثوذكسية بحمص. وهاجر منها عام ١٩٠٨م، وسرعان ما عرف بذكائه ونشاطه الاجتماعي في النادي الحمصي الذي ترأسه مرتين، وبنتاجه الأدبي من خلال خطب ألقاها، وترجمات نشرها عن البرتغالية.

فهو كاتب رصين الأسلوب، قوي البيان، وخطيب فصيح اللسان، وقد تبعثرت آثاره الأدبية، فلم يطبع منها إلا رواية «الأوانس والعوانس» والتي مثلت على المسارح، وكان لوفاته عام ١٩٦٣م أثر بالغ الأسى لدى المغتربين.

ر

رشيد عطية:

شيخ الصحافة ومعلم اللغة العربية في البرازيل. ولد في سوق الغرب في لبنان عام ١٨٨١م وتعلم فيها، كما عمل في بيروت محررًا لإحدى الصحف، ولصحيفة المقطم المصرية، ثم نزح إلى البرازيل، وأنشأ في عاصمتها مجلة الروايات العصرية، وجريدة الأخبار، وأنشأ جريدة «فتى لبنان» من عام ١٩١٤م إلى عام ١٩٤٠م، وعادت إلى الظهور عام ١٩٤٦م باسم «برازيل لبنان»، وترك الشيخ رشيد آثارًا مطبوعة، أهمها: «الإعراب عن قواعد الأعراب» في ستة أجزاء - «معجم عطية في العامي والدخيل» أمضى اثني عشر عامًا في تأليفه، وله رواية تمثيلية شعرية بعنوان «جزاء المكر»، ومن مؤلفاته أيضًا «مقدمة ابن خلدون» و«ديوان البحتري» و«ديوان عنترة» «أقرب الوسائل في إنشاء الرسائل» وله في نظم الشعر نفس طويل. وتوفي عام ١٩٥٦م.

لقد كان أديبا راسخًا في العلم، غيورًا على الفصحى، أمينًا على شرف الصحافة، ولم تؤثر في أدبه الهجرة الطويلة، فظل على أسلوبه القديم حيث المحافظة والتقليد.

س

سيف الدين الرحال:

كاتب وشاعر وعالم مصري عملاق بروحه وجده، جبار في صبره على الجهد الطويل: تأليفًا أو ترجمة أو تحقيقًا أو جدالاً.

ولد في بولاق القاهرة في ٢٩ أيار (مايو) ١٩٦٣م وتلقى علوم العربية على الشيخ محمد العدوي، والدينية على الشيخ محمدعبده، وتخصص في علوم الكيمياء والكهرباء والجراحة الجمالية، ولم يمارسها في مصر؛ لأنه انصرف إلى التحرير في الصحف، مثل «اللواء» و«الدستور» و«المؤيد»، ثم رحل عام ١٩١٠م إلى عاصمة الأرجنتين، فملأ المحيط بنتاجه الغزير، فأنشأ جريدة «العلم العثماني» ١٩١٥م، ومجلة «**الفكاهة**» ١٩١٧م، و«**الشرق ١٩١٨م**»، و«**الفطرة**» ١٩٢٠م، وأسهم في تحرير أربع صحف إسبانية. كما ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإسبانية ترجمة أمينة على المعاني، حريصة على جمال المباني، يريدها أن تجذب شعوب أمريكا اللاتينية إلى التراث الإسلامي، وتضفي على المغتربين كرامة المنبت الأول. وقد عاش أكثر من مائة سنة.

ش

شكر الله الجر:

هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٩م وفي جعبته زادٌ وافر من العلوم العربية، والآداب الغربية، ولما وصل إليها أنشأ جريدتي: «الأندلس الجديدة» و«الزنابق»، وأصدر كتابًا عن جبران خليل جبران بعنوان «نبيّ أورفليس»، وألف كتابه الرائع في النقد «المنقار الأحمر» وديواني شعر هما: «**الروافد**» و«**زنابق الفجر**». وكان أول من سعى إلى تأسيس الرابطة الأدبية المعروفة بالعصبة الأندلسية. ثم عمل في التجارة، وكان في الأدب من دعاة التجديد الموضوعي، مع التمسك باللغة وفصاحة الأسلوب. ويتميز شعره بموسيقى الألفاظ، ونثره بحرارة التعابير، وتشع في مؤلفاته الثقافة الواسعة، والثقة بالنفس حتى ليشعر المرء أنه يخاطبه من برج عالٍ.

وفي عام ١٩٦٢م عاد إلى لبنان، وأصدر ديوانًا جديدًا من شعره عنوانه: «أغاني الليل»، وقد ظهر تأثره بالآداب الفرنسية، واهتم بشعراء الغرب، مما جعل نتاجه الأدبي متميزا.

ص

صفية أبو شادي :

الآنسة صفية ابنة الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وهي سر أبيها في العلم والأدب، وفي الخلق الكريم. ولدت في القاهرة ودرست في معاهدها، والتحقت بكلية الآداب بالإسكندرية، إلى أن هاجرت مع والدها عام ١٩٤٦م إلى أمريكا، فأتمت دراستها في جامعة جورج تاون بواشنطن، فنالت إجازة في الآداب وعلم النفس. وأخذت تصارع الحياة بعد وفاة والدها عام ١٩٥٥م، فأصبحت وحيدة في دار الغربة، تشرف على تربية أخويها، فواجهت مصاعب العيش عالية الجبين، عزيزة الجانب، سلاحها العمل الشريف، وذخيرتها الثقافة الواسعة والهمة الناهضة. عملت في جريدة «الهدى» النيويوركية، وفي السفارة السعودية، ومحطة الإذاعة، وقدمت خدماتها للوفود العربية بالأمم المتحدة، فأصبحت بمعارفها الموسوعية مرجعًا للاستشارات في مسائل الشرق والغرب. وأصدرت عام ١٩٥٤م مجموعتها الشعرية بعنوان «الأغنية الخالدة». وعملت على طبع المخطوطات التي تركها والدها في المهجر، وقد قال فيها الأستاذ مصطفى السحرتي :

«إن صفية استطاعت أن تقدم الدليل المبصر على قدرة الشعر المنثور على استيعاب المعاني الدقيقة، والإعراب عن مشاعر القلب في نسيج لفظي طبيعي وتصوير بديع»

هذه هي فتاة النيل التي لمعت على ضفاف الهدسن والمسيسبي، وحرست راية العروبة التي رفعها هناك والدها أبو شادي.

ع

عبد المسيح حداد :

ولد عام ١٨٩٠م وهاجر إلى نيويورك عام ١٩٠٧م، وأسس جريدة «السائح» عام ١٩١٢م، وجعل من مكتبها ندوة لأهل الفكر والعلم. ومنه انطلقت النهضة الأدبية، وفيه تأسست **الرابطة القلمية**، وعليه اعتمدت في نشر آثارها.

ومن أعلام هذه الرابطة : جبران ونعيمة وأبو ماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب وفيليب حتي وأمين مشرق وأنطونيوس بشير ووليم كاتسفليس وأمثالهم.

ومن مؤلفات الأديب عبد المسيح حداد كتاب «حكايات المهجر» وخمسة وأربعين مجلدًا من جريدة **السائح** تمثل هرما أدبيًا بناه بجده وفنه. وفيها أصدق تاريخ لأدب المهجر. وفي عام ١٩٥٧م باع الجريدة إلى الأستاذ راجي ضاهر صاحب جريدة «البيان»، وزار سورية عام ١٩٦٠ ثم لبنان ومصر، وعاد إلى نيويورك وكتب كتابًا بعنوان «انطباعات مغترب» كما جمع كتابات أعلام الرابطة القلمية. وقد قال عنه صديقه نظير زيتون : «يندر أن تلقى بين الأدباء نظير عبد المسيح حداد وفاء وتسامحًا وتحررًا، هو صوفيّ النزعة، إنساني الشرعة، يبذل للآخرين ما لا يبذله لنفسه». توفي عام ١٩٦٣م في المهجر.

ف

فارس الدبغي :

ولد في بلدة **حاصبيا** بلبنان عام ١٨٩٢م، ويعتبر محور الحركة الأدبية والاجتماعية في سان باولو، وقد هاجر إليها عام ١٩٠٩م. وتجلت فيها موهبته في الكتابة والخطابة، وأسس منتدى «**حرمون**» وترأس مركز الإغاثة السوري إبان الحرب العالمية، الأولى، ودعا لإنشاء النادي الرياضي السوري الذي أصبح من مفاخر المؤسسات العربية بالمهجر، وهو أمين سر لجنة نصرةفلسطين.

أنشأ لنفسه جريدة **الأمازون** عام ١٩١١م، وكانت فلسطين شغله الشاغل، يعالجه في الصحف والمجالس والمنابر، فأمسى خطيبا شعبيًا مثيرًا، وكاتبًا غزير المادة، وزعيمًا قوميًا، وله جولات موفقة في ميدان الإنشاء الفني والإصلاح الاجتماعي.

ق

قيصر وحيد :

من شيوخ الأدب في المهجر، ولد في لبنان عام ١٨٧٥م في قرية غرزوز، وعلّم في مدرستها، ثم انتقل إلى مدرسة أنفه، حيث كان الشاعر القروي بين تلاميذه. وفي عام ١٩١٠م هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فعمل بالصحافة عشر سنوات، ثم تركها والتفت إلى التجارة متجولاً في البلاد، ثم استقر في مدينة (تولاري) في كاليفورنيا ومات فيها عام ١٩٥٨م.

والأديب قيصر كاتب ذو أسلوب جميل مرح، وشاعر فياض القريحة، جاوز الثمانين ولم ينضب عطاؤه. وكانت آخر قصائده تلك التي نظمها في رثاء إيليا أبي ماضي.

م

ميخائيل نعيمة :

ولد في قرية (بسكنتا) لبنان في ١٧/ ١٠/ ١٨٨٩م، وتعلم في مدرسة القرية، ثم التحق بمدرسة المعلمين بالناصرة بفلسطين عام ١٩٠٢م، ثم سافر إلى أوكرانيا فدرس اللاهوت خمس سنوات من عام ١٩٠٦م، ثم هاجر إلى أمريكا مع أخيه عام ١٩١١م، والتحق بجامعة واشنطن، فدرس فيها الحقوق والآداب أربع سنوات فأجيز بهما.

بدأ بنشر مقالاته القصصية والنقدية في مجلة «الفنون»، لصاحبها الشاعر نسيب عريضة. وفي عام ١٩١٨م خدم بالجيش الأمريكي لسنتين، وتوطدت علاقته مع أعضاء الرابطة القلمية في نيويورك، ثم عاد إلى لبنان عام ١٩٣٢م وظل فيها إلى حين وفاته في ٢٨ شباط / فبراير ١٩٨٨م.

سبعون عامًا قضاها في محراب الكلمة، وقد أقيم له حفل تكريم عام ١٩٧٨م. ولقد قضى في المهجر ٢١ عامًا، أنتج خلالها كتابين فقط، وهما: كتاب «الآباء والأبناء» طبع بنيويورك ١٩١٨م، عالج فيها مشكلة المسرح، وكتابه الثاني «الغربال»، طبع في مصر عام ١٩٢٣م فأحدث ثورة أدبية، وكتب مقدمته عباس محمود العقاد. ومن مؤلفاته بعد ذلك الكتب التالية:

كان ما كان - دروب - جبران - زاد المعاد - البيادر - همس الجفون - الأوثان لقاء صوت العالم - كرم على درب - مذكرات الأرقش - النور والديجور - أكابر أبعد من موسكو - هوامش - سبعون - رسائل - نجوى الغروب - من وحي المسيح - أحاديث مع الصحافة - مقالات متفرقة. وقد أذاع مذكراته بصوته بالإذاعة اللبنانية من يوم ٢٤/ ١١/ ١٩٨١م، ونظم قصائد بالإنجليزية، وترجم العديد من الكتب أيضًا.

ومما قيل عنه: ميخائيل نعيمة من أشد الكتاب والنقاد الأدبيين؛ تمتاز مؤلفاته بالواقعية الصارمة والشاعرية الرفيعة وعمق التفكير والدعابة الشعبية الأصيلة، وهو كاتب إنساني بارز من كتاب عصرنا.

ن

نقولا حداد :

أديب وعالم وشاعر وقاصّ وسياسي ومؤرخ وصحفي لبناني الأصل، قضى معظم حياته في مصر، وعمل في صحافتها خمسين عامًا، وألف أربعين كتابًا وترجم نظرية النسبية، فسموه أينشتين مصر، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل هذا القرن. وفي نيويورك أصدر جريدة يومية، ولكنه تخلى عنها؛ لكثرة تكاليفها ثم عاد إلى مصر وأصدر مجلة «السيدات والرجال»

و

وليم كاتسفليس :

من أدباء الرعيل الأول البارزين، ومن أعضاء الرابطة القلمية المؤسسين. ولد في طرابلس لبنان عام ١٨٧٩م من أسرة عريقة نسبًا وأدبًا، وتعلم في مدرسة عينطورة، وكلية الآباء اليسوعيين في بيروت، ثم غادر طرابلس عام ١٩٠٢م متجهًا إلى نيويورك، مزودًا بالعلم والثقافة والخبرة التجارية، فلاقى نجاحا مرموقا في ميدان الأعمال، بعدما مر في أدوار مختلفة من العسر واليسر، وأسندت إليه رئاسة بنك لبنان الوطني، وكان مبرزًا في الخطابة، مبدعًا في الكتابة، يجيد العربية والإنجليزية والفرنسية، ويشترك بماله وقلمه في كل حركة أدبية أو وطنية أو اجتماعية، وله مقالات في مجموعة الرابطة القلمية، ووضع مقدمة لديوان ندرة حداد «أوراق الخريف»، وله كتاب بالإنجليزية بعنوان «حضارة العرب»، وله آثار مخطوطة لدى أبنائه، أهمها مقال «تأملات» ومقال «من ميت حي إلى أحياء أموات». توفي عام ١٩٥٠م، واحتفلت الجالية العربية بيوم ميلاده للسنة السبعين عام ١٩٤٩م في مهرجان أدبي كبير.

ي

يوسف الغريب :

أديب سوري من مدينة طرطوس، يجيد العربية وينظم الشعر، واتخذ من تضلعه من اللغات الأجنبية وسيلة لتعريف العالم الإسباني بحضارة العرب وحكمتهم وأدبهم، فقدم لهذا العالم ترجمات لابن المقفع وابن حيان والرّيحاني وجبران ونعيمة. وبذلك قدم خدمة لأمته لا تقدر بثمن. وعمل أستاذ الكرسي العربي في جامعة قرطبة، ورئيس جمعية الكتاب والمؤلفين فيها، والمترجم المجاز لدى المحاكم. ورغم اندماجه في الأوساط الأرجنتينية الراقية فإنه ظل على اتصال وثيق بالجاليات العربية، يكتب في صحفها، ويخطب في حفلاتها، ويقضي لها ما تلتمسه من حاجات. وكان أول المتحمسين لإنشاء الرابطة الأدبية، وأول المنضمين إليها. ومن أشهر مؤلفاته كتابه الرائع «حكمة العرب»، الذي أحدث دويًّا في أرجاء أمريكا، وأعيد طبعه مرارًا. ومما قاله الشاعر جورج صيدح فيه.

الشرق أهدى للمغارب كوكبا ... يوم الأديب (اليوسفي) تغربا
إن الكتاب وما به من حكمة ... عربية سفرٌ يشرف يعربا

وتتمة لهذا الكتاب أصدر عام ١٩٥٤م تحفة جديدة هي «رسالة الأحلام».

المراجع

(١) تاريخ الأدب العربي لمؤلفه حنا الفاخوري.
(٢) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية تأليف جورج صيدح، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة لعام ١٩٦٤م.
(٣) كتاب: أبو الفضل الوليد تأليف: وليد مشوح، دمشق ١٩٨٥م، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر.
(٤) ملحق البعث الثقافي في سورية العدد رقم ٥٧٧٣ بتاريخ / ١/ ١/ ١٩٨٢م، بعنوان: ميخائيل نعيمة.
(٥) جريدة الأسبوع الأدبي السورية، العدد ١١٣، ٢١/ ٤/ ١٩٨٨ مقال الأستاذ فريد جحا.

الأدب مصدرًا للتاريخ



بقلم:
عبد الملك
عبد الرحيم

هل يعدّ الأدب مصدرًا للتاريخ؟

سؤال طرحته أخيرا على ثلاثة من المتخصصين: مؤرخ وناقد وأديب، واتفق ثلاثتهم ــ بدرجات متفاوتة ــ على أن ثمة علاقة وثيقة بين الأدب والتاريخ، إلا أنهم أجمعوا، على أن النص الأدبي، لا يرقى إلى مستوى الوثيقة التاريخية.

وقادتني تداعيات هذه المناقشة، إلى البحث عن إجابة شافية عن هذا السؤال، فأشرقت من فورها في ذاكرتي، صورة كتاب سبق أن قرأته منذ سنوات، يحتل مكانة متميزة في المكتبة السعودية بخاصة، وفي المكتبة الخليجية والعربية بعامة، لأنه كتاب رائد، فهو أول كتاب علمي شامل متكامل في موضوعه، تضمه المكتبة، ألا وهو كتاب: «عليّ بن المقرّب العيوني: حياته وشعره» من تأليف الأديب الناقد د. علي بن عبد العزيز الخضيري.

ويلاحظ في هذا الصدد، أنه مع أن الدولة العيونية قامت على أنقاض دولة القرامطة، في شرقي الجزيرة العربية، وظلت مسيطرة على بلاد البحرين، التي كانت تشمل الأحساء والقطيف وما جاورها، وجزيرة أوال (البحرين) كلها، وذلك منذ سنة ٤٦٦هـ إلى سنة ٦٣٦هـ؛ فإن كثيرا من الناس اليوم ـ كما يقرر الباحث ـ لا يعرف شيئا عن الأسرة العيونية وتاريخها في البحرين، مع أن هذا التاريخ يمثل زمنا ليس بالقصير من تاريخ الجزيرة العربية، في عصور نسيها فيها المؤرخون، وبخاصة عندما توالت الأحداث العظيمة، على حاضرة الخلافة الإسلامية في بغداد، وغيرها من الأقطار الإسلامية، إبان الغزو المغولي للمشرق الإسلامي.

وإذا كان التاريخ السياسي لهذه البلاد ـ في تلك الفترة ـ غامضا أو شبه مجهول، فإن تاريخ الحركة الأدبية فيها ليس بأحسن من تاريخها السياسي، الذي يوليه المؤرخون عادة عنايتهم الأولى، بل إن الحركة الأدبية في نجد والجزيرة العربية كادت أن تكون نسيا منسيا، طوال ألف عام على وجه التقريب، لولا ظهور شاعر ينتمي إلى الأسرة العيونية هو علي بن المقرب العيوني (٥٧٢ ـ ٦٣٠هـ) الذي كان له الفضل في تدوين تاريخها، وتسجيل أحداثها في شعره الغزير، الذي يعد مرجعا مهما في التاريخ السياسي لهذه البلاد، ويعطي صورة واضحة مميزة عن الشعر العربي في قلب الجزيرة العربية آنذاك.

وتكشف الدراسة العلمية الرصينة التي بين أيدينا عن أن الباحث صادفته عقبة كبرى، تتمثل في شح المصادر التاريخية التي تعين على رسم صورة واضحة شاملة للحياة في عصر هذا الأمير الشاعر، كما كانت هذه المصادر شحيحة في الكشف عن تاريخ الأسرة العيونية التي ينتسب إليها الشاعر، وتفاصيل الأحداث والوقائع خلال حكمها للبحرين، بل إن الكتب التاريخية المعروفة، لم تشر إلى الدولة العيونية من قريب ولا من بعيد، ولهذا اعتمد المؤلف اعتمادًا كبيرا على النصوص الشعرية التي أبدعها ابن المقرب، وما حواه ديوانه من شروح ومقدمات لبعض القصائد، مما يكشف كثيرا من التفاصيل عن تاريخ الدولة العيونية؛ فديوان الشاعر يعد أهم مصدر لتاريخ العيونيين، وفي هذا الصدد يؤكد المؤلف، ومعه نخبة من الباحثين الجادين، مثل د. شوقي ضيف، أن دولة العيونيين التي حكمت إقليم الأحساء والقطيف وهجر والبحرين، نحو مائة وسبعين عاما، لم تسجل أحداثها وشؤونها التاريخية عند ابن الأثير، ولا عند غيره من المؤرخين القدماء، ولولا أن شاعرًا سجل كثيرا من هذه الشؤون والأحداث، في أشعاره، لضاع منا تاريخ هذه الدولة إلا قليلا.

صحيح أن د. علي الخضيري يشير إلى أنه اعتمد كذلك على مصدرين آخرين، في استقاء تاريخ الدولة العيونية، إلا أنهما يبدوان مصدرين ثانويين بالقياس إلى شعر ابن المقرّب، الذي يظل هو المصدر الأساسي، للتأريخ للأسرة العيونية.

على أن تفاصيل حياة الشاعر لم تكن بأوضح من تفاصيل التاريخ العيوني، حيث لم يجد المؤلف منها في المصادر الأدبية وكتب التراجم إلا لمحات موجزة، أوردها بعض معاصريه، كابن الشعار الموصلي، وياقوت الحموي، بالإضافة إلى ترجمة مبتورة ومختصرة وردت في مقدمة ديوانه لكاتب غير معروف، مما حمله على أن يعتمد على شعر ابن المقرّب، في نسج خيوط حياته، واستظهار ملامح شخصيته.

إذن نستطيع أن نقرر في ثقة واطمئنان، من خلال هذا العرض المركز، أن الأدب يعد مصدرًا أساسيا من مصادر التاريخ، وهو ما تكشف عنه هذه الدراسة العلمية الجادة الرائدة، التي تقع في ٤٦٠ صفحة من القطع الكبير، والتي تبين كذلك أن صاحبها د. علي بن عبد العزيز الخضري قد توافرت له من خلالها ملامح عدة، تتمثل ـ أساسا ـ في إنصاف المؤرخ ودقته، وعمق الأديب ورقته، وإحاطة الناقد وموضوعيته، وتمكن اللغوي وبراعته.

لقد سارعت الإذاعات الخليجية، عند ظهور هذا الكتاب، إلى تقديم ابن المقرّب، من خلال إحدى المسلسلات الناجحة، وكم يكون جميلا أن تسارع الآن محطات التلفزيون الخليجية إلى أن تقدم عبر مسلسلاتها سيرة هذا الأمير الشاعر، الذي توافرت لشخصيته وحياته كل مقومات النجاح الدرامي، وخاصة أننا نسير حثيثا إلى دائرة ثورة البث التلفزيوني المباشر، مما يتطلب المواجهة، باستلهام تاريخنا الزاخر بالكنوز الثمينة.

ردود خاصة

● **الإخوة والأخوات: سرور ولعروسي بوكحيل وعيساوي عبدالقادر ـ الجلفة، محمد نخة وبالطرش زواد ـ ورقلة، محمد بن شهرة وبوكاري خليل ـ المسيلة، جودي أبو بكر الصديق ودربالي وفاق ـ بسكرة، عبد النور حميطوش ـ سكيكدة، غمري عبد الحميد ـ ميلة، صليحة بودفة ـ تيبازة، الباهي فارح ـ تبسة ـ الجزائر:**

أرسلنا لكم بالبريد إيضاحات حول كيفية الاشتراك في المجلة، نأمل أن تكون قد وصلتكم. وأهلا بالجميع.

● **الأخ يعقوب زكريا ـ كوماسي ـ غانا:**

المجلات التي طلبتها في طريقها إليك.

● **الأخت عيدة جعرون ـ الجلفة ـ الجزائر:**

باب «طبيبك» أوقفناه منذ فترة طويلة، ولهذا نعتذر عن عدم الرد على سؤالك الطبي. أما كيفية الاشتراك في المجلة فقد أرسلنا لك ـ بريديا ـ معلومات حول ذلك.

● **الأخ عيسى محمد ـ القدارة ـ الجزائر:**

نرجو منك مراجعة الملحق الثقافي أو التعليمي في السفارة السعودية في بلدك؛ للمساعدة بشأن ما كتبت إلينا. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ حسن علي خلف ـ الأرطاوية:**

نعتذر عن عدم نشر الموضوع الذي أرسلته؛ لكونه لا يتناسب مع اهتمامات المجلة. نرحب بإسهاماتك المناسبة للنشر في «الفيصل».

● **الأخ «ابن مجلة الفيصل» ـ تونس:**

كيف تكون «ابن المجلة» ولا نعرف اسمك؟! عموما المرجع الذي طلبته غير متوافر لدينا في المجلة مع الأسف.

● **الأخ دغوس يحيى ـ وجدة ـ المغرب:**

رسالتك وصلت، غير أنك لم ترفق معها قسيمة المسابقة، ومن ثم لم تكن من المشاركين فيها. نرجو أن تتاح لك الفرصة للمشاركة في المسابقات اللاحقة.

● **الأخ عبد الرحمن نور محمد ـ رفحاء:**

العدد الأول من مجلة الفيصل صدر في شهر رجب ١٣٩٧ هـ الموافق يونيو (حزيران) ١٩٧٧م. وكانت صورة الغلاف الرئيسة لبيت الله الحرام، مع صور من عدة بلدان عربية تتوسطها عبارة «في ديار العرب والمسلمين» أي مجلة «الفيصل» في ديار العرب والمسلمين. وقد صدر العدد الأول في ١٦٢ صفحة بالحجم الحالي نفسه.

● **الإخوة والأخوات: محمد إبراهيم حوباني ـ جيزان، «بنت صنعاء» ـ اليمن، شلواح عبدالكريم ورقدي حمزة بن يحيى ـ الجزائر، عبد القادر شعيب ومعتصم مصطفى أحمد ـ السودان، فجاج محمد ـ المغرب:**

يؤسفنا الاعتذار عن عدم تلبية رغباتكم؛ لأن ذلك خارج نطاق إمكاناتنا. مع الشكر على حسن ظنكم بالمجلة.

● **الإخوة والأخوات: فيصل غازي الحسني ـ رفحاء، علي إمام وعمر يدواكي ـ نيجيريا، شعيب إسماعيل غنو ـ غانا، صادق الوراق ـ باكستان، محمد أخلص ـ أندونيسيا، بوزملال محمد وربوح خالد وشاذلي بلقاسم وجنيدي محمد ـ الجلفة، لوعيل ثامر وكباش الطيب ـ المسيلة، بوشهال سليم وعثمان الدريميني ـ الوادي، عبد الله مرزان ـ عين الدفلى، حمّوم محمد ـ تلمسان، صالح حقاص ومعروف مراد ـ قائس، خنوسي سليمان ـ معسكر، مسعودة دربيات ـ أدرار، سايح محمد ـ البليدة، عباز سمير ـ باتنة، عبد الله ابن لعفيد ـ أولاد خضير، خير الدين موسى ـ عين النعجة، علي أحمد بن الساسي ـ غارداية، فاطمة الزهراء ـ الأغواط الجزائر:**

أرسلنا لكم أعدادا سابقة من المجلة تلبية لرغباتكم. وشكرا لكم.

● **الأخت حنان سالم الغامدي ـ بني كبير ـ الباحة:**

العدد المطلوب أرسل إليك. نرجو دوام المتابعة وشكرا.

● **الإخوة: حسان يوسف محمد ـ حمص، حسين محيميد وسعد الدين ختام ـ حلب ـ سورية:**

مجلة «الفيصل» عادت إلى قرائها الأعزاء في سورية الشقيقة منذ أربعة أشهر، وسوف نزيد الكمية المخصصة للأسواق السورية قريبا إن شاء الله. ونحن نرحب بإسهامات الإخوة السوريين كتّابًا وقراء، فأهلا بهم.

● **الأخ محمد أحمد تيلولوت ـ المرس ـ المغرب:**

بحثنا تأخر وصول المجلة إلى الأسواق المغربية مع شركة التوزيع، ونأمل ألا تتكرر الشكوى مستقبلا. ملاحظتك حول باب «من قضايا المسرح العالمي» في محلها، وبالنسبة للصفحات المخصصة للقراء فسوف يتم زيادتها في المرحلة المقبلة إن شاء الله.

● **الأخ محمد مخلص حميدان ـ حائل:**

الاقتراح الذي كتبته حول الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية معمول به، وشكرا على اهتمامك.

● **الأخ محمد علي الكاشف ـ قنا ـ مصر:**

أسئلتك أحيلت إلى الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، ونأمل أن تجد إجاباته عنها في أحد الأعداد اللاحقة، وشكرا.

● **الأخ عصام عبد الرحيم الصاوي ـ المنيا ـ مصر:**

توجد في السعودية كليات مناظرة لكلية التجارة، وبإمكانك توجيه استفسارك إلى الملحقية التعليمية السعودية في القاهرة؛ لمعرفة التفاصيل. وشكرا.

● **الأخت نادیا محمد إسماعيل ـ دمشق ـ سورية:**

أرسلنا إليك العدد المطلوب، ولعلك علمت بعودة المجلة إلى الأسواق السورية.

● **الأخ بوشليق هشام ـ قسنطينة ـ الجزائر:**

المؤسسة التعليمية التي تستفسر عنها لا تقبل سوى السعوديين. للإحاطة وشكرا.

● **الأخ د. إبراهيم السعيد ـ هيوستن ـ الولايات المتحدة:**

نرجو أن يكون العدد المطلوب قد وصلك. كما نرجو دوام المواصلة وشكرا.

* * *

السلطان عبد الحميد الثاني وصورة واضحة لسياسته





يلماز أوزتونا

قرأت حوار المؤرخ التركي «**يلماز أوزتونا**» في مجلة «الفيصل» **العدد ١٩٦**، حيث تحدث إلى محاوره د. عبد اللطيف بن محمد الحميد عن بلاده - أي تركيا - من حيث اعتبارها جسرًا ثقافيا بين العالم الإسلامي والغرب، وأعجبت بسعة اطلاعه، خاصة فيما يتعلق بدراسة تاريخ الدولة العثمانية، وصار الحوار كيفما أراد المحاور. بيد أنه استوقفتني إجابة المؤرخ المختصرة والمضمرة فيما يتعلق بسياسة السلطان عبد الحميد، مما أثار في نفسي كتابة هذا التعقيب.

بداية لا يزال العرب في حاجة إلى وقفة أمام تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني الذي شغل الناس في أوربا، وما نسب إليه عن حق وعن حقد وعن جهل، مما جعل بعضهم يتحاملون عليه، ويتسابقون في رسم صور له، منها الحسن ومنها القبيح.

وُلِدَ السلطان عبد الحميد الثاني الأربعاء ٢١ من سبتمبر ١٨٤٢م، وتوج للخلافة في ٣١ من أغسطس ١٨٧٦م، وكان عمره آنذاك أربع وثلاثين سنة.

الموقف السياسي والنهضة التعليمية

وبعد اعتلائه العرش قامت الحرب بين الروس والإمبراطورية العثمانية، وقد حاول السلطان عبد الحميد تفادي وقوعها، ولكن مجلس الوزراء اتخذ قرارًا أدى إلى اندلاعها، وهزمت الدولة العثمانية واضطرت إلى قبول شروط قاسية ودفع تعويضات مالية كبيرة. وفي الحرب اليونانية التي وقعت ١٨٧٩م اضطر السلطان عبد الحميد إلى دفع أكثر مصاريفها من خزينته الخاصة. وكان ينفق - دومًا - من ماله الكثير على الفقراء والمحتاجين. ولكنه بعد انتهاء هذه الحروب استعد لمجابهة الموقف وإيفاء الديون حتى رد اعتبار الدولة العثمانية خاصة تجاه الدول الأوربية.

والسلطان عبد الحميد يعد أعظم خليفة في العصور المتأخرة من الإمبراطورية العثمانية، وكان التعليم أول ما شغل باله. فأسس التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي، فأنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في الولايات كافة، وافتتح في إستنبول - فقط - ست مدارس ثانوية، وكذلك افتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى. وأوجد التوازن بين التعليم العسكري والتعليم المدني، وتوج نشاطه الواسع في مجال التعليم بإنشاء جامعة إستنبول، ضمت هذه الجامعة أربع كليات، في مقدمتها كلية للعلوم الدينية العالية من فقه وتفسير وحديث وأصول دين.

هكذا رأى السلطان عبد الحميد أن التعليم هو السبيل إلى القوة والنظام واستنباط موارد جديدة للدولة، وحسن استغلال مواردها القديمة.

السلطان عبد الحميد وقضية فلسطين

ذكر إسرائيل كوهينى في كتابه «الحركة الصهيونية» ص ٧٧ أنه «**بتاريخ ١٨ من مارس ١٩٠١م تقدم يهودي مجري اسمه أورمينوس، وتبرع بمبلغ ضخم من المال إلى السلطان عبد الحميد يريد شراء فلسطين لليهود، فما كان من عبد الحميد إلا أن طرده من القصر فورًا**».

ومن منفاه يكتب السلطان عبد الحميد إلى الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطرق الصوفية - الذي كان بمنزلة صديق له - خطابا يقول فيه:

«كأمانة في ذمة التاريخ ما تخليت عن الخلافة الإسلامية لسبب غير مضايقات رؤساء جمعية الاتحاد والترقي، المعروفة باسم «جون تورك»، وتهديداتهم، فقد طلب إليّ أولئك الاتحاديون بإصرار وألحوا في الطلب أن أوافق على إنشاء وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة «فلسطين» لكنني برغم إلحاحهم رفضت رفضا قاطعا ما راودوني عليه، وقد وعدوا أخيرا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية، فأبيت كل الإباء، وأجبتهم: لو جئتموني بملء الأرض ذهبا، لا بمائة وخمسين مليون ليرة ما قبلت منكم قط. إني خدمت عقيدة الإسلام والأمة المحمدية أكثر من ثلاثين عاما دون أن ألوث صحائف آبائي وأجدادي المسلمين، ولن أقبل أبدا ما يريدون. عندئذ توعدوني بالمصير الذي أعدوه: الخلع والنفي».

وختم رسالته لصحابه بقوله:

«وحمدت الله، وأحمده تعالى أنني أبيت إلصاق العار الأبدي بالدولة العثمانية وبالعالم الإسلامي؛ فرفضت إقامة دولة يهودية في فلسطين المقدسة، وأكرر عليه سبحانه الحمد والثناء».

ومن الطريف الذي يجب أن يسجل لعهد السلطان عبد الحميد، الذي يرميه المؤرخون الغربيون بالتعصب الشديد، وكراهية أبناء الأديان الأخرى والجاليات غير المسلمة، أنه فتح أبواب المدارس العسكرية للمواطنين العثمانيين غير المسلمين، فكان من هؤلاء الخريجين يهود ويونانيون وأرمن.

هكذا كان السلطان عبد الحميد، وهذه كانت صورة من سياسته للإصلاح.

صلاح عبد الستار الشهاوي

طنطا - دمشيت - مصر

وقفات مع حديث المؤرخ التركي أوزتونا



استمتعت بقراءة **العدد ١٩٦** من مجلتكم الجميلة والمفيدة، إلاّ أنه استوقفني الحوار الذي جاء فيه مع المؤرخ التركي **يلماز أوزتونا**، وذلك على الصفحات ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣. وللحقيقة أحببت أن أعقب على بعض النقاط التي أثارها الحوار.

١ ـ لدى سؤال المؤرخ عن حقيقة قتل بعض السلاطين العثمانيين لإخوتهم الصغار خوفا من منازعتهم مستقبلا، لا ينفي المؤرخ ذلك ويبرره بدعوى الحفاظ على السلطة والدولة التي يجب التضحية في سبيلها بكل شيء. وأريد أن أسأل هنا سؤالين:

أ ـ هل حافظت الدولة العثمانية على نفسها في النهاية. ألم تسقط وتنهر، وكل ذلك الألم والظلم لم يمنعاها من الانهيار؟

ب ـ كيف يبرر مؤرخ مسلم قتل سلطان مسلم إخوته الصغار؛ لمجرّد أنهم إخوته، وأنهم قد ينازعونه مستقبلا، والقرآن الكريم دستورنا الأعظم يقول: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق﴾ الانعام ١٥١، فأي حق يراه السيد المؤرخ أوزتونا هنا ليبرر ما كان يمارسه ومارسه السلاطين فعلا وذلك بعد ثورة أو تمرّد الأمير «جم» على أخيه السلطان؟

٢ ـ وفي رده على سؤال حول التخلّف العثماني حضاريا وخاصة في العلم والثقافة، يرد المؤرخ قائلا: «إلاّ أنه ليس صحيحا أنهم (العثمانيين) أهملوا العلم والفن والثقافة، إن هذه الادعاءات تأتي على لسان المؤرخين الذين لا يعرفون جيدا الثقافة العثمانية».

حبذا لو أفرحنا المؤرخ وذكر لنا أدلة تدعم أقواله وتفنّد ادعاءات المؤرخين الذين لا يعرفون الثقافة العثمانية ـ كما قال ـ وكان يكفي مثال واحد عن كل إنجاز حضاري في كل مجال من المجالات المذكورة.

٣ ـ وفي جوابه عن سؤال آخر عن تخلّف الدولة العثمانية عن ركب الحضارة المدنية الحديثة في جانبها التكنولوجي، يجيب المؤرخ: «وقد حققت (الدولة العثمانية) تقدما كبيرا في مجال الطب خلال القرن التاسع عشر، كما أنها كانت على المستوى نفسه في مجال الصناعات الحربية والبحرية أيضا».

وهنا أيضا لا نجد إلاّ كلاما إنشائيا جميلا، وهذه ليست عادة المؤرخين الموضوعيين الذين لا يضعون أمام أعينهم إلاّ الحقائق. وكنا نتمنى أن يحددها لنا المؤرخ الكريم.

ويضيف: «وفي الوقت الذي كان العثمانيون يمتلكون آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية وشبكات البرق لم يكن هناك سكك حديدية ولا شبكات البرق في الصين واليابان إلى أن انتهى العهد العثماني في عام ١٩١٩ م». وهنا نجد قلبا لحقيقتين معروفتين جيدا:

الأولى: أن شبكات البرق والخطوط الحديدية التي يتباهى بها المؤرخ لم تكن من عمل أيدي المهندسين العثمانيين، بل بأيدي مهندسين أوربيين، وخاصة الألمان الذين استقدمتهم الدولة العثمانية لافتقارها إليهم.

والثانية: مقارنة الوضع العلمي العثماني باليابان فيها ظلم فادح لليابان التي بدأت فيها النهضة العلمية قبل نهاية الدولة العثمانية بزمن طويل ومنذ عهد «ميجي» بُعَيْدَ منتصف القرن الماضي. وهذا أمر يعرفه المؤرخون جيدا.

٤ ـ وفي جوابه عن الدور الذي قام به العرب في الإدارة العثمانية، يعترف المؤرخ بأن العرب كانوا يأتون في المرتبة الثانية بالنسبة لإدارة الإمبراطورية، إلاّ أنه يجعل العرب هم السبب في ذلك، فهم لا يهتمون بالشؤون العسكرية، ولم ينضموا إلى الجيش العثماني؛ لأن نظامه كان شديدا ولا يرغبون في ترك بلادهم والذهاب إلى أوربا التي كانت مسرحا لتكوين سياسة الدولة. وأريد أن أسأل: هل هذه الادعاءات حقيقية؟ وهل صحيح أن العرب لم يهتموا بالشؤون العسكرية والانضمام للجيش والسفر إلى أوربا، أم أن الصحيح هو النظرة الفوقية التي كان يمارسها الترك الحاكمون والتي كانوا ينظرون بها إلى العرب؟! ولا أظنني بحاجة إلى نَكْءِ الجروح المندملة، وذكر الأمثال التي كان الترك يرددونها، والتي كانت تصف العرب بالدونية وتسخر منهم.

٥ ـ وجوابا عن سؤال أخير عن أسباب سقوط الدولة العثمانية يجيب أوزتونا بأن السبب هو تهورها في اتخاذ قرار حربي البلقان ١٩١٢ ــ ١٩١٣ والعالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨. والرأي الأرجح هو ما ذكره المؤرخ العثماني مدحت باشا الذي يقول: إن الدولة العثمانية عاشت مائتي عام أكثر من عمرها، والسبب برأيه هو عدم حدوث حروب خارجية تطيح بذلك الجسد العليل.

والشيء الآخر المؤكد أن محمد علي باشا كان سيقضي عليها حينما أصبح الطريق أمام قوات ابنه إبراهيم باشا مفتوحا بعدما اجتاز قونية عام ١٨٣٣ ـ وذلك قبل نحو تسعين عاما من التاريخ الذي يحدده أوزتونا لسقوط الدولة العثمانية وانهيارها ـ لولا تدخل الدولة الأوربية لإنقاذ «الرجل المريض» لأسباب يعرفها السيد أوزتونا جيدا.

أرجو أن لا أكون قد جانبت الصواب في تعقيبي، وأرجو أن يتسع صدر المؤرخ والقارئ لما ذكرت، فغايتي هي الحقيقة التي يجب أن تكون الأغلى والأكثر احتراما، مهما كانت مرّة. فالحضارات لا تُبنى على أضاليل، وستنهار حتما، وإن عاشت ردحا من الزمن بحكم السيف وحده!.

عبدو محمد
حلب ـ سورية

تذكرة حول جمالية الأدب الإسلامي



طالعت بشوق العدد **١٩٥** لشهر رمضان المبارك من مجلة «**الفيصل**» وهو عدد ممتاز بحق، فيه من عبق الذكرى الكثير. وتنقلت بين موضوعاته معجبا بهذا الجهد الطيب، الذي تبذله أسرة التحرير بها؛ ليصل إلى ذلك المستوى الجيد، والتوازن بين الشكل والمضمون. وجذبني موضوع «**جمالية الأدب الإسلامي**» للأستاذ **كمال سعد خليفة**، لجودة عرضه، ووضوح رسالته، وحاجتنا إلى تلك الضوابط في ثقافتنا عامة. وفي كلمته يبرز الكاتب دور الأدب الإسلامي في الإمتاع والترويح، بعيدا عن الإخلال بقيم الدين الحنيف، أو سلام المجتمع المسلم. وقد استدل الكاتب بأحاديث نبوية على إباحة الترويح الهادف، وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، فالإسلام يتعامل مع الإنسان كما هو، روح وجسد، عقل وعاطفة، فلا بد من توازن بينهما وإمداد كل منهما بما يرتقي به نحو الأصلح؛ لتتحقق الغاية من وجود الإنسان على الأرض، ويعمرها باسم الله كما أراد الله سبحانه.

وهنا كلمة نقولها للكاتب، هي مجرد تذكرة.

أولاً : لاحظ القارئ التفرقة بين السنّة وغيرها من المصادر التي استفاد منها الكاتب، فبينما أغفل مصادر الحديث الشريف نراه أثبت غيرها من المصادر دون سبب واضح، مع أن المسألة ليست بسيطة فهي «دين»، والتساهل فيه يؤدي إلى نتائج لا تحمد في الدنيا ولا في الآخرة. وكلنا يعرف مغبة التقوّل على رسول الله ﷺ. ولا أعتقد أن الأستاذ خليفة اعتمد على ذاكرته أو التقط هذه الأحاديث من هنا أو من هناك، ولكن المفترض أنه رجع إلى مصادر نقل عنها هذه النصوص، وهذا شأن أي بحث علمي.

ثانيا : حين يتجاوز كاتب أو متحدث هذه الجزئية ـ على أهميتها ـ فيورد الأحاديث بلا مصادر؛ قد ينبئ ذلك عن ثقة زائدة ـ من المتحدث ـ من قوة الأحاديث وسلامة طرقها من الطعن. ولكننا هنا رأينا الأمر على عكس ذلك، فلا المصادر موجودة ولا سلمت الأحاديث.

وسنقف مع أول الأحاديث الثلاثة التي ذكرها. قال: يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إن كلت عميت». وقد أورده الكاتب بصيغة الجزم «يقول»، مما يفيد ثقته من نسبته إلى رسول الله ﷺ، إذ لو كان لديه شك في صحته أو قبوله لآثر صيغة أخرى من صيغ التمريض، مثل: روي عنه، أو فيما جاء عنه، أو ما شابه ذلك من ألفاظ أخرى.

وما كان مني إلا أن أستوثق من الحديث، فالأصل أنه محق حتى يثبت العكس. فوجدت الآتي:

أ ـ الحديث ذكره **السيوطي** في الجامع الصغير، وعزاه **لأبي داود** «مرسلا» **وابن شهاب** «مرسلا» **وأبي بكر المقري** في فوائده **والقضاعي** عن **أنس**.

ب ـ وذكره **السخاوي** في المقاصد الحسنة (ص ٢٣٠) وعزاه **للديلمي** من جهة **أبي نعيم** ثم من حديث **أبي الطاهر الموقري** عن **أنس** رفعه، وكذا قال **العجلوني** في كشف الخفا جـ١ ص ٥٢٤.

ج ـ وذكره **الشيخ يوسف القرضاوي** في كتابه «**الحلال والحرام**» ص ٢٣٨ وقال: قال **علي بن أبي طالب**: «روّحوا عن القلوب ساعة . . .».

د ـ كما ذكره الأستاذ **عبد المتعال الجبري** في كتابه «**المشتهر من الحديث الضعيف والموضوع**» ص ٦٨ وقال: جاء في نهاية الأرب: هو من أقوال علي وليس حديثا مرفوعا، ويقال إنه ضعيف.

وبذا يتأكد أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ، ويبقى للكاتب رأيه. وحين يثبت الكاتب مصادره يطمئن الطرفان: الكاتب والقارئ. فالكاتب ـ أي كاتب ـ يدرك قيمة الكلمة وعظم مسؤوليته ومكانة المطبوعة التي يطل من خلالها على قارئه، والقارئ يثق بالمطبوعة وكتّابها فيتقبل ما فيها، وقد ينقله بدوره؛ لعلمه أن لدى أية مطبوعة لجنة تراجع كل شيء ينشر فيها. فالتثقيف الصحيح هو غايتها، ولابد أن يقوم على حقائق، حتى يؤدي دوره في خدمة المجتمع.

فإذا ما اتصل الأمر بالحديث الشريف لزم أن نستوثق من مكان الحديث ومكانته أيضا ببيان درجته، فإن كان صحيحا أو حسنا أخذه الكاتب ونقله مطمئنا، وإن كان ضعيفا توقف عنه إلا في حدود ضيقة، حددها بعض أئمة الحديث، ورفض بعضهم الأخذ به كلية. أما إذا كان الحديث مختلقا موضوعا حرم إثباته إلا لبيان حاله. وأعلى الأحاديث رتبة ما اتفق عليه الشيخان، ثم ما جاء بأحد الصحيحين. والإمام الترمذي في سننه يتبع الحديث بحكم عليه: صحيح، حسن، غريب، منكر . . . إلى غير ذلك من أحكام تفيد الباحث أكبر فائدة. وكتب السنن والمسانيد تجمع مع الصحيح غيره من الضعيف والموضوع وعليها استدراكات، وهي كالبحر تحتاج لقواعد قبل الغوص فيها.

ولقد رأى العلامة **السخاوي** شيوع كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة إلى جانب غيرها من الأحاديث المقبولة، واختلط الأمر على كثير من الناس، فألّف كتابه: «**المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**» قال في مقدمته كلاما مفيدا ننقله هنا. قال: «وأهم حاثّ لعزمي فيما تقر به العين كثرة التنازع لنقل ما لا يعلم في ديوان مما لا يسلم من كذب وبهتان، ونسبتهم إياه إلى الرسول مع خبرتهم بالمنقول جازمين بإيراده عازمين على إعادته وترداده. وقد كان علي بن أبي طالب لا يقبل الحديث إلا ممن حلف له؛ لأن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره من الخلق والأمم».

عفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا.

عاطف شحاتة زهران
المنوفية ـ ميت برة ـ مصر

حكمة

قال أبقراط: دواء كل امرئ مريض بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها، وتميل إلى غذائها.

وصية

أوصى عبد الله بن شداد ابنه فقال: يا بني، إني ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية. وذقت المرارات كلها فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس. ونقلت الحديد والصخر فلم أجد أثقل من الدين.

الولادة بأسنان

يندر أن يولد الطفل وفي فمه أسنان، إلا أن هناك حالات شذت عن هذه القاعدة، بينها بعض المشهورين الذين وُلدوا وفي فم كل منهم أسنان، مثل الملك ريتشارد الثالث، ومازارين، وميرابو، وبروكا، والملك لويس الرابع عشر، الذي اضطروا إلى أن يبدلوا له سبع مرضعات؛ لأنه كان ينهشهن فلا يتمكنَّ من إرضاعه!

تعددت الأسماء والمَلِكُ واحد

الملك ويليام الثالث الهولندي (١٦٥٠ ـ ١٧٠٢م) كان يحمل في الوقت نفسه الأسماء التالية: ويليام الأول الأيرلندي، ويليام الثاني الأسكتلندي، ويليام الثالث الإنجليزي، ويليام الرابع النورماندي!

العلم .. والهمّ

لا يدرك الحكمة مَنْ عمرَه ... يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى ... خالٍ من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي ... سارت به الركبان بالفضل
بُلي بفقر وعيال لما ... فرّق بين التبن والبقل

الإمام الشافعي

بين معاوية وعمرو

دخل عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهم، وبين يديه ابنته عائشة فقال معاوية: هذه تفاحة القلب، فقال عمرو: انبذها عنك يا أمير المؤمنين، فوالله إنهن ليلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن البغضاء. قال: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهن، وربَّ ابن أخت قد نفع خاله.

الحاجة أُمُّ الاختراع!

ابتكرت الإيطالية كارمين سيشيللو جهازاً ينبه النائم ليوقف شخيره، الجهاز عبارة عن قلادة تعمل بالبلطارية، بداخلها جهاز حساس، تعلق حول رقبة النائم، فإذا انطلق شخيره تطلق البطارية شحنة كهربائية خفيفة كافية لإيقاظه وبالتالي يتوقف شخيره.

بقي أن نذكر أن شخير زوجها هو الذي اضطر كارمين إلى هذا الاختراع!

أول تقويم

بدأ التقويم المصري في عام ٤٢٤١ قبل الميلاد، وتلاه التقويم الصيني الذي بدأ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

حقوق الآخرين

قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حق الله؟

قال: التعظيم له والشكر لنعمته.

قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة.

قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة واجتناب الذنوب.

قال: فما يجب عليه في حق العامة؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة.

قال: فما يجب عليه في حق الخليط؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعرفة.



سوق المقيبرة غربي مدينة الرياض القديمة، وتبدو في الخلف بعض مساكن حي المرقب ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م.

ويأتيك بأمثال

أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرِ

قالوا إن دوسر إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب. وكانت له خمس كتائب : الرهائن، الصنائع، الوضائع، الأشاهب، ودوسر. أما الرهائن فكانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب، يقيمون على باب الملك سنة، ثم يجيء بدلا منهم خمسمائة آخرون، وينصرف أولئك إلى أحيائهم، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره.

أما الصنائع فبنو قيس، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه. أما الوضائع فكانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الحيرة نجدة لملك العرب، وكانوا أيضا يقيمون سنة، ثم يأتي بدلا منهم ألف رجل وينصرف أولئك. وأما الأشاهب فكانوا إخوة ملك العرب وبني عمه ومَنْ يتبعهم من أعدائهم، وسموا الأشاهب لبياض وجوههم.

أما دوسر فكانت أخشن كتائب الملك وأشدها بطشًا ونكاية، وكانوا من كل قبائل العرب، وأكثرهم من ربيعة، وسُميت دَوْسَر اشتقاقًا من الدسر وهو الطعن بالثقال، لثقل وطأتها، قال الشاعر :

ضربت دوسر فيهم ضربة ... أثبتت أوتاد ملك فاستقر

حيوانات تغيّر لونها

تغيّر حيوانات المنطقة المتجمدة الشمالية كالثعلب والأرنب البري وبعض الطيور لونها مع تغيُّر الفصول، فيصبح في الشتاء أبيض حتى يستحيل تمييزها من الثلج، وتكتسب في الصيف ألوانًا رمادية وبنّية كلون النباتات الجافة والمبعثرة في المنطقة نفسها.

أكبر جائزة

نال خواو دو باروس (١٤٩٦ - ١٥٧٠م) جائزة من ملك البرتغال خواو الثالث عن مخطوطة حول تاريخ آسيا البرتغالية.

المكافأة كانت ولاية مارانهاو البرازيلية التي تبلغ مساحتها ٢١٣ ألف كيلومترًا مربعا، فكانت أكبر جائزة نالها كاتب.

الوارثون عشرة

الوارثون في الرجال عشرة ... أسماؤهم معروفة مشتهرة
الابن وابن الابن مهما نزلا ... والأب والجد له وإن علا
والأخ من أي الجهات كانا ... قد أنزل الله به القرآنا
وابن الأخ المدلي إليه بالأب ... فاسمع مقالي ليس بالمكذب
والعم وابن العم من أبيه ... فاشكر لذي الإيجاز والتنبيه
والزوج والمعتق ذو الولاء ... فعدة الذكور هؤلاء

مثل "الرز"



نحن نحتاج إلى دراسة السؤال، وغيرنا قد اجتاز المراحل الدراسية كلها، حتى إن الأجوبة التي يقدمونها لنا تزيدنا جهلاً وذهولاً وتشتتا.

لقد اجتاز الغربيون مرحلة السؤال وأصبحوا الآن، في المراحل العليا من الجواب، وكذلك فعلت أمم متقدمة أخرى. تقدمت دراسة وفكرًا وثقافةً. بينما بقينا نحن ضعفاء في المنهج، وكلما تقدموا هم كلما احتلوا مساحة أكبر من مربعات الشطرنج العربي. نحن الآن نحاول الدفاع عن الجبهة الداخلية، والجبهة الثقافية، والجبهة التعليمية، والجبهة الإعلامية. وأصبحنا أيضا ضحايا انتصار جيوش الأسئلة على فلول الأجوبة. لقد تكاثرت وتناسلت أسئلتنا، بينما بقينا في درجات دنيا من الأجوبة.

صحفيًا نحن لا نتقن الأسئلة. تكاثرت الظباء على خراش، فلا وقت لديه، ولا نظر عنده لكي يميز السمين من الغث من بين ظبائه، ولكن يميز بين الأسئلة المهمة والأسئلة الفرعية. أما هم فقد أتقنوا ذلك من زمان وانتقلوا من مربع السؤال إلى إتقان الجواب. فلئن سألت مثلاً : من فاز هذا العام بجائزة البوليزر ؟ قالوا : روي قتمان. لماذا ؟ لأنه كشف مراكز الاعتقال في البوسنة. وتنشر وكالات الأنباء خبر فوزه. ويعرف الرأي العام أن الصحفي هذا قد فاز. لكن الخبر - الجواب - لم يذكر فإن القارئ قد يظن أن البشناق والمسلمين هم الذين أقاموها، أو على الأقل أنهم مشتركون في إقامتها. ونفذ الضّرب من الاتهام، ومن الشبهة. على حين يحدث العكس عندما يكون هناك مسلم واحد مزعومًا أنه متهم بكذا، فإذا بالإعلام الغربي الذي أتقن السؤال والجواب، وأتقن التلميح والتلويح والتصريح والتفضيح، والإشارة والعبارة، والتدليس والحذف والتمويه والتمريض والإغراق، لا يدع فرصة يفضح فيها مسلمًا بأية هشاشة شبهة إلا انتهزها، ولا تقع واقعة كبرى كمثل الشمس في وضح النهار تتعلق باليهود إلا سترها، وغمغم، وتلعثم، وأعرض، واعتذر، وصاح بأعلى ما في حنجرته

- لا تعليق

ويأتي الإعلام الثالث (في العالم الثالث) فينقل بأمانة بديعة بالحرف والصورة، واللماحية والإشراق ما سطرته أنامل الصحفيين الغربيين.

هناك أدلة مثل الرز على هذا الكلام. ما معنى مثل الرز ؟

ذات مرة سأل حانوتي عن معنى الإشعاع النووي ؟ فقال له ابنه : من نتائج هذا الإشعاع أن يموت الناس بالمئات في الشوارع والبيوت.

فقال الحانوتي الذي يدفن الموتى :

(يا سلام .. دا الشغل حيكون مثل الرز !)

محمد علي الجفري

مسابقة مجلة الفيصل

• أجوبة مسابقة العدد (١٩٧) •

ج ١ : الدليل على أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول المسجد الحرام، قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليمٌ حكيمٌ﴾ التوبة ٢٨ . وكان نزول هذه الآية في سنة تسع من الهجرة، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليًا بصحبة أبي بكر وأمره أن ينادي في الناس أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأتم الله ذلك وحكم به شرعًا.

□□□

ج ٢ : الحدود جمع حد، وهو الشيء الحاجز بين شيئين، وهو في اللغة بمعنى المنع. وسُمّيت عقوبات المعاصي حدودًا؛ لأنها ـ في الغالب ـ تمنع العاصي من العودة إلى المعصية التي حُدَّ لأجلها. والحد في الشرع عقوبة مقررة لأجل حق الله عز وجل؛ أي إنها مقررة لصالح الجماعة وحماية النظام العام، وعليه فهي لا تقبل الإسقاط؛ لا من الأفراد ولا من الجماعة.

وقد قرر الكتاب والسُّنَّة عقوبات محددة لجرائم معينة تسمى «جرائم الحدود»، وهذه الجرائم هي : الزنا، والقذف، والسرقة، والسُكر، والمحاربة، والردة، والبغي.

أما التعزير فيأتي بمعان متعددة، والمقصود به شرعًا : التأديب على ذنب لا حدّ فيه ولا كفارة، وقد شرعه الإسلام لتأديب العصاة والخارجين عن النظام، فالحكمة فيه هي الحكمة من مشروعية الحدود؛ إلا أنه يختلف عن الحدود في عدة مواضع :

١ ـ أن الحدّ مقدر شرعًا، والتعزيز غير مقدر شرعًا، بل يترك لتقدير ولي الأمر أو القاضي.

٢ ـ أن الحدود يتساوى فيها الناس جميعًا؛ بينما التعزيز يختلف باختلافهم؛ فلو زلّ رجل كريم فإنه يجوز العفو عن زلته، وإذا عوقب عليها فإنه ينبغي أن تكون عقوبته أخف من عقوبة من ارتكب مثل زلته، ممن هو دونه في الشرف والمنزلة.

٣ ـ الحدود لا تجوز فيها الشفاعة بعد رفعها إلى الحاكم؛ بينما التعازير يجوز فيها الشفاعة.

٤ ـ الحدود لا يجوز فيها العفو ولا الإسقاط؛ بينما التعازير يجوز فيها ذلك.

٥ ـ أن من مات بالتعزير، فإن فيه الضمان؛ فقد أرهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة، فأخمصت بطنها، فألقت جنينها ميتا، فحمل دية جنينها. وقال أبو حنيفة ومالك : لا ضمان ولا شيء، لأن التعزيز والحد في ذلك سواء.

٦ ـ أن إقامة الحد من حق ولي الأمر وحده أو من ينوبه، أما التعازير فيتولاها أيضًا الأب على ولده الصغير، والسيّد على رقيقه، والزوج على زوجته، والمعلم على تلامذته.

□□□

ج ٣ : الشلاّل، هبوط فجائي في مجرى نهر، يحدث عندما تلتقي في مجراه تكوينات صلبة قاومت النحت بأخرى لينة أقل مقاومة مما يوجد حالة عدم تعادل في المجرى. وتزداد في مكان الهبوط سرعة تيار النهر وقدرته على النحت، ويأخذ في تفتيت التكوينات الصلبة ذاتها وخفض مستوى المجرى الأعلى بالتالي، وعندئذ يتحول الشلال إلى سلسلة من المسارع ثم يتلاشى أخيرًا. من أشهر الشلالات شلالات نياجرا، في مجرى نهر لورانس، وسلسلة شلالات لفنجستون، في مجرى نهر الكونغو.

□□□

ج ٤ : الجلطة التاجية، تخثر الدم أو تجلطه في أحد فروع الشريان التاجي المغذي للقلب مسببًا انسداده، ومحدثًا بذلك أعراضًا قلبية تختلف في شدتها وخطورتها تبعًا لفرع الشريان المصاب. وتتلخص هذه الأعراض في آلام صدرية تشبه آلام الذبحة الصدرية، وبعض أعراض أخرى يصحبها ارتفاع في الضغط الشرياني، وأعراض صدمة (أو صعقة). وقد تقترن بحمّى في الأيام الأولى من المرض. وإذا حدثت الإصابة في فرع دقيق من فروع الشريان انفسح مجال الأمل في الشفاء. أما إذا حدثت في فرع مهم من فروع الشريان أو في جذعه فالأمر خطير وقد يعقبه الموت. والعلاج في أثناء النوبة يتلخص في إعطاء المريض المسكنات كالمورفين ومقويات القلب مع استنشاق الأكسجين. ومن أهم مقتضيات العلاج التزام الراحة التامة في الفراش، وسرعة العرض على الطبيب وتفويض أمر العلاج إليه.

□□□

ج ٥ : البيت الأبيض، المقر الرسمي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالعاصمة واشنطن، يقع أمام ساحة لافاييت بشارع بنسلفانيا. وقد أقيم البناء في موقع اختاره الرئيس جورج واشنطن، ومهندسه هو جيمس هوبان. يعد أقدم بناء رسمي في واشنطن؛ إذ أرسيت أسسه في ١٧٩٢م. كان جون آدامز أول رئيس أمريكي أقام فيه (١٨٠٠م). وفي ١٨١٤م أحرقه الجنود الإنجليز خلال غارة قاموا بها على العاصمة، ثم أعيد ترميمه بعد ذلك، وطليت جدرانه التي سودتها النيران باللون الأبيض، ودرج الناس منذ ذلك الحين على تسميته بالبيت الأبيض لهذا السبب. ثم اكتسب هذا الاسم الصفة الرسمية عندما اختاره الرئيس تيودور روزفلت (١٩٠١ ـ ١٩٠٩م)، وأمر بطبعه على أوراق الرئاسة، ودرجت عليه دوائر الدولة الأخرى.

---

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.



نتائج مسابقة العدد (١٩٧)

أ ـ **فازت بالجائزة المالية الأولى**، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **لطيفة بنت أحمد الساحلي**، سوسة ـ تونس

وفاز بالجائزة الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، **حمزة بن خضر عامر آل محرز**، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **صهيب أحمد حسين**، عمّان ـ الأردن.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ هويدا حمدان محمود أبو زيد، أسوان ـ مصر.

٢ ـ عبد الكريم عبد الرزاق صالح العجم، دمشق ـ سورية.

٣ ـ عثمان بن خلف بن معوض المطيري، القصيم ـ المملكة العربية السعودية.

٤ ـ نزهة بنت عبد الهادي بناني، فاس ـ المغرب.

٥ ـ عادل بابكر عمر الحاج، الخرطوم ـ السودان.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ أمل علي محمد، عمّان ـ الأردن.

٢ ـ فتحية جمعة عبد الله، بلاد القديم ـ البحرين.

٣ ـ سعيدة يونس يونس مرعي، كفر الشيخ ـ مصر.

٤ ـ عقاري مينة بنت عبد القادر، فريبكة ـ المغرب.

٥ ـ صالح حبيب الله الصيني، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٦ ـ أحمد عبد الله الحاج محمد، الخرطوم ـ السودان.

٧ ـ مبروكة بنت أحمد خرشوفي، مدنين ـ تونس.

٨ ـ كاملة أحمد فرجاني، الدوحة ـ قطر.

٩ ـ جنياح محمد، الدار البيضاء ـ المغرب.

١٠ ـ آمال رشاد الدسوقي مرزوق، الغربية ـ مصر.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ فواز بن فرح العبدلي، القصيم ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ أحمد محمد إبراهيم مبارك، الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة.

٣ ـ محمد إبراهيم حافظ، السند ـ الباكستان.

٤ ـ التيجاني خليل علي، أم درمان ـ السودان.

٥ ـ أحمد محمد علي إسماعيل، دمشق ـ سورية.

أسئلة مسابقة العدد (٢٠٠)

● **السؤال الأول:**

قال الله تعالى: **﴿وإن من أهل الكتاب إلاّ لَيُؤمِنَنَّ بـه قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾**؛ وذلك عن عيسى عليه السلام. اذكر حديثين شريفين في نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء في آخر الزمان.

□ □ □

● **السؤال الثاني:**

المعدة، جزء من الجهاز الهضمي في الإنسان. وهي تقوم بهضم أصعب أنواع الأطعمة عن طريق العصارات المعدية، وبالمشاركة مع بقية أجزاء الجهاز الهضمي. ولكن، لماذا لا تهضم المعدة نفسها؟

□ □ □

● **السؤال الثالث:**

الظاهرة الصوتية هي إحدى أهم الظواهر في الحياة وأكثرها شيوعًا بالنسبة للإنسان والحيوان على السواء. كيف ينتقل الصوت في الفراغ؟

□ □ □

● **السؤال الرابع:**

في أعقاب الحروب تلجأ الدول المتحاربة إلى عقد معاهدات صلح بينها. ومن هذه المعاهدات ما عرف باسم «صلح البرانس». ما الدول التي عقدته، ومتى؟

□ □ □

● **السؤال الخامس:**

تدور الأرض حول الشمس بسرعة فائقة، وفي الوقت نفسه تدور حول نفسها؛ إلا أننا لا نشعر بهذا الدوران السريع. لماذا؟

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم: نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



- وفاة أحمد جمال ومهدي المخزومي وصلاح إبراهيم.
- الإيطاليون يدرسون الشعر السعودي.
- مجمع في القدس للبحوث الإسلامية.
- معرض للكتاب الإسلامي والعربي في أمريكا.
- صدور «أطلس شعوب الشرق» في باريس.

السعودية

الفائزون بجائزة أبها للنشاط الجامعي



الأمير خالد الفيصل

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس جائزة أبها للنشاط الجامعي ـ مؤخرا ـ حفل الجائزة، وافتتاح معرض المسابقات الفنية.

وشملت مجالات الجائزة التي تبلغ قيمتها مائتي ألف ريال: مسابقة القرآن الكريم، الحديث الشريف، السيرة النبوية، الشعر بنوعيه: القصائد والمساجلات، الخطابة بنوعيها: الموجهة والفورية، القصة القصيرة، المسابقات الثقافية العامة، المسرح، المسابقات الرياضية، والمسابقات الفنية.

فاز في مسابقة القرآن الكريم، الفرع الأول (حفظ القرآن كاملاً) كل من عمر عبد الله العبود، محمد ذي القرنين مولوي، وعثمان محمد غروي، وفي الفرع الثاني (حفظ خمسة عشر جزءًا) حسن محمد غروي، عقبة إبراهيم الحاج علي، وحجب المركز الثالث، وفي الفرع الثالث (حفظ عشرة أجزاء) جاء في المركز الأول علي عبد الله آل عاطف، تلاه محمد يحيى محمد أبو ملحة، ثم عبد المنعم محمد الجرود، وفي الفرع الرابع (حفظ ستة أجزاء) عبد الله جبران عيسى، أحمد محمد محجب، ومحمد أبو علاقة الشهري، وفي الفرع الخامس (حفظ ثلاثة أجزاء) علي بن حمد ناصر علامي، حسن بن علي الصلبي، وسعد بن محمد علي آل سويد.

وفي مسابقة الحديث النبوي الشريف فاز في الفرع الأول (حفظ مائة وعشرين حديثًا من كتاب بلوغ المرام): أحمد علي القحطاني، وعائض سعيد القحطاني، وحجب المركز الثالث، ولم يتقدم أحد في الفرع الثاني (حفظ ثمانين حديثا من كتاب شرح السنة)، وفي الفرع الثالث (حفظ خمسين حديثًا من كتاب جامع العلوم والحكم) خالد سعيد آل مسبل، أحمد سعيد الأسمري وأحمد حامد القرني.

وفاز فريق كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بمسابقة السيرة النبوية، وتكوّن الفريق من الطلاب: هادي أحمد الحربي، أحمد صالح رضا، وعطية بن حسن النجمي، وجاءت كلية التربية في المركز الثاني، ومثّلها: محمد حسين عبد الله، غازي علي عقيلي، وعلي عيد عصمي، ثم كلية المعلمين، ومثّلها صالح بن معيض حصوصة، عبد الله بن عبد الرحمن الشهري، وظافر عبد الله الشهري.

وفاز بمسابقة الشعر، القسم الأول القصائد الشعرية يحيى علي القاضي، وتقاسم المركز الثاني علي عبد الله آل مرزوق وهادي أفندي حكمي، فيما حجب المركز الثالث، وفي القسم الثاني (المساجلات الشعرية) جاءت كلية الطب في المركز الأول، ومثّلها خالد علي غلفان وعبد العزيز أحمد الشيخ، ثم كلية التربية، ومثّلها موسى أحمد هادي وعلي طار حسن موسى، وحجب المركز الثالث.

أما الخطابة ففاز في القسم الأول (الخطابة الموجهة) خالد علي غلفان، يحيى أحمد آل جابر، وعلي عثمان الغامدي، وفي القسم الثاني (الخطابة الفورية) محمد جمعان الغامدي، عادل يحيى وهاس، وموسى عبد الله منبه.

وفاز خالد يحيى عطيف بمسابقة القصة القصيرة، تلاه محمد علي البدوي، فمحمد موسى حكمي.

وتحصلت كلية التربية على المركز الأول في المسابقات الثقافية العامة بفريق مكون من: موسى أحمد هادي، محسن عبد الله السحاري، وراجح أحمد الحربي، وجاءت كلية الطب في المركز الثاني، ومثّلها: خالد علي غلفان، مانع عسيري، ومحمد الحداد، ثم كلية العلوم الصحية، ومثّلها: علي محمد النجار، عبد الحكيم تركي بخاري، وإسماعيل خشوري.

واحتلت كلية المعلمين المركز الأول في مسابقة المسرح، تلاها فرع جامعة الملك سعود، ثم فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفي المسابقات الفنية فاز بمسابقة الرسم: علي الأحمري، عبد الرحمن عرشان، وعبد الناصر عبد الله حربش، وتحصل على المراكز الثلاثة الأولى في مسابقة الخط العربي: إبراهيم يحيى الألمعي، مسفر محمد آل عدينان، محمد بيه عاطف، وفي مسابقة الكاريكاتير: محمد علي العساف، عبد الله محمد الوليدي، وأحمد سعيد آل سارع، وفي مسابقة التصوير الضوئي: إبراهيم يحيى الألمعي، يحيى حسن خبراني، وعبد الله الوليدي.

في افتتاحه مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية السعودية :

فيصل بن بندر: عظمة الثقافة الاسلامية في احتوائها غيرها من الثقافات

أكـد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم خلال افتتاحه المؤتمر التاسع لرؤساء الأندية الأدبية السعودية الذي استضافته مدينة بريدة في الأسبوع الأخير من شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣ هـ على دور الأدباء والمفكرين والكتّاب في حماية الناشئة من التغريب، مشيرًا إلى أنه لا يدعو إلى العزلة عن نتاج الحضارات الأخرى، وانما إلى تأصيل الهوية.



سمو أمير القصيم في افتتاح المؤتمر

المتابعة الدؤوبة لما يحقق طموحات الشباب وفقًا لما يتطلع إليه رائد العلم والثقافة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

هذا وقد أصدر المؤتمرون عدة توصيات تضمنت الاستمرار في الاهتمام بالتراث ونشره، ومواصلة العناية بأدب الطفل والاهتمام بثقافته، والتماس الكتابة من قبل سمو الرئيس العام لرعاية الشباب إلى معالي وزير الإعلام، حول أهمية متابعة نشاطات الأندية الأدبية ونقلها وتغطيتها، في مختلف وسائل الإعلام، لجدوى ذلك في نشر الثقافة والفكر.

وأشار سموه في كلمة ألقاها إلى الرسالة السامية التي تضطلع الأندية الأدبية بتنفيذها باعتبار أن الأدب من أهم الموروثات الحضارية لأية أمة، وقد كان لأمتنا العربية قصب السبق منذ الأزل، كما كان لها دور الريادة دائما، فلم يقف علماؤها موقف المتفرج من الثقافات المجاورة آنذاك من رومانية وفارسية ويونانية وهندية، بل نشطوا في ترجمتها، فكان من عظمة الثقافة الإسلامية تمكنها من احتواء تلك الثقافات وتهذيبها لتدخلها في نطاقها دون أن يفتقد إنسانها الهوية الإسلامية.

ودعا سموه المؤتمرين إلى رسم استراتيجية مدروسة لحماية ثقافتنا الأصيلة، ذلك أن إنسان هذه الأرض الذي قاد العالم، حرى به اليوم إلا يقف متفرجًا على الحضارات الأخرى، بل يسخرها ويهتدي بها.

ونقل سمو أمير القصيم تحيات صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، مؤكدًا حرص سموه على

وكلف المجتمعون الأديب علي عمر العسيري بتقديم تصور متكامل لإعداد برامج ثقافية تلفازية وتسجيلها، من إنتاج الأندية الأدبية، كما فوضوا نادي القصيم الأدبي بإعداد برنامج حاسب آلي موحد لجميع الأندية الأدبية، ومواصلة استكمال التطور المطلوب حول موسوعة الأدباء السعوديين.

كذلك أوصى المؤتمرون بدعم التواصل الثقافي مع مثقفي دول مجلس التعاون الخليجي، والتعاون بين الأندية في توزيع مطبوعات غيرها من الأندية، وقبول دعوة نادي جازان الأدبي، لاستضافة المؤتمر العاشر في العام المقبل. وتوصيات أخرى.

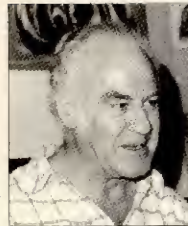
الفن الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة

استضافت صالة رضوي للفنون في جدة في مطلع شهر محرم الماضي ١٤١٤هـ معرض **الفن الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة**.

شارك في المعرض مجموعة من الفنانين التشكيليين العرب والمسلمين منهم: **د. عبد الحليم رضوي وعبد الله حماس وعبد الله الشيخ وعبد الله إدريس وشادية عالم وغادة التميمي،**



عبد الحليم رضوي



صلاح طاهر

وإلهام بامحرز وفاطمة وارس (من السعودية)، **وصلاح طاهر، وأحمد نوار وحسين الجبالي وحسن غنيم** (من مصر)، **وربيع الأخرس ووليد سرميني** (من سورية)، **ووجيه نحلة** (من لبنان)، **وأحمد شبرين وعثمان وقيع الله** (من السودان)، **وهادي التركي** (من تونس)، **ومحمد زكريا** (من الولايات المتحدة الأمريكية).

وتخلل المعرض **حوار فني** أقيم بالتنسيق مع فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في جدة، لتحليل الرموز الفنية الغامضة، كما احتوى المعرض على جناح خاص لأعمال شباب الفن التشكيلي السعودي تحت عنوان **«الفن السعودي بين الأصالة والمعاصرة»**.

الحركة الثقافية

معرض للتراث الشعبي

نظم المركز الاجتماعي للأمم المتحدة في الرياض **معرضا للتراث الشعبي في المنطقة العربية**.

تضمن برنامج افتتاح المعرض التعريف بالمناطق والأقاليم المختلفة للدول المشاركة مع توضيح طبيعتها ومناخها وصناعاتها اليدوية وفنونها الشعبية.

شارك في المعرض كل من: **مصر والإمارات وقطر واليمن وعمان ولبنان وفلسطين والجزائر، وأريتريا**، واحتوى على نماذج أصلية من الصناعات اليدوية والملابس والحلي.

قوافل

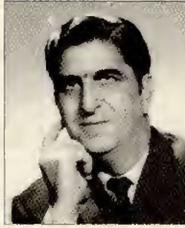
صدر عن نادي الرياض الأدبي العدد الأول من مجلة «قوافل» الفصلية التي تعنى بالإبداع والدراسات النقدية.

«قوافل» جاءت على شكل كتاب دوري يصدر بإشراف هيئة مكونة من الأساتذة: عبد الله بن إدريس ود. منصور الحازمي وعبد الله الشهيل، ويتولى الإشراف على التحرير كل من الأساتذة: د. سعد البازعي ود. معجب الزهراني وعبد الله المعيقل وسليمان الحماد، وصالح الصالح.

وتميز العدد الأول بمجموعة من الدراسات النقدية والأبحاث والإبداعات الشعرية والقصصية والمراجعات، وكان محوره الرئيس «مسارات الرؤية في الشعر السعودي المعاصر».

الفائزون في مسابقة نادي الطائف الأدبي

أعلنت – مؤخرًا – أسماء الفائزين في **المسابقة السنوية السادسة عشرة لنادي الطائف الأدبي** في مجالات: الشعر والقصة والبحث والمقال.


زكي قنصل

فاز **بجائزة الشعر الشاعر السوري زكي قنصل عن قصيدته** «الغجرية الحسناء»، تلاه الشاعر المصري **يس الفيل** بقصيدته **«بقايا الأمس»**، ثم الشاعر المصري **بخيت الربيعي** عن قصيدته **«آمال مبعثرة»**.


يس الفيل

وتحصل القاص السوري **نبيل محمد بلوكياش** على **جائزة القصة القصيرة** عن قصته «سراب الحياة»، وجاءت الجزائرية **ياسمين صالح** في المركز الثاني عن قصتها **«خيوط الضوء والظلام»**، تلاها السوري **محسن محمد يوسف** عن قصته **«بائع الأوسمة»**.

وفازت الكاتبة السعودية **صالحة حسين السروجي بجائزة البحث والمقال** عن موضوعها **«شيخ الصحافة السعودية أحمد السباعي»**، تلاها **ربيع محمد عبد العزيز بقراءة نقدية في مجموعة «أنات الساقية»**، ثم **أحمد عبد الحميد فراج ببحثه عن إطلاق الدلالة في كتاب «قصائد من الصحراء»**.

وفاة د. سيد زين العابدين

نعت رابطة العالم الإسلامي الدكتور **سيد زين العابدين مدير معهد الأقليات المسلمة في لندن، والمستشار بالرابطة** الذي وافاه الأجل بمدينة جدة بعد صراع مع المرض عن عمر يناهز ٦٥ عامًا.

وُلد الفقيد في شمال الهند، وتلقى تعليمه الجامعي في قسم اللغة الإنجليزية **بجامعة عليكرة الإسلامية** في الهند، ونال درجة الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية. وسبق له التدريس في جامعات أمريكية، وفي جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وكان قد بدأ مشواره في خدمة الدعوة الإسلامية في السبعينيات الميلادية في المملكة العربية السعودية، ونظم العديد من الندوات والمؤتمرات المختصة بمشكلات الأقليات المسلمة في العالم، والتي يعد - يرحمه الله - أحد أبرز المتخصصين في شؤونها.

وللفقيد مؤلفات عدة، وتعدّ مجلة **«الأقليات المسلمة»** التي تصدر في لندن باللغة الإنجليزية من أبرز إنجازاته الفكرية والدعوية.

كتب جديدة

● **القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع**، تأليف **أبي الحسن علي ابن محمد بن محمد بن الحسن التازي**، تحقيق **التلميدي محمد محمود**، صدر عن دار الفنون في جدة.

● **تأملات حول تحريرات العلماء للقراءات المتواترة**، تأليف **عبد الرازق بن علي بن إبراهيم موسى**، صدر عن مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

● **رحلة العمر**، المرحلة الأولى، تأليف **عبد الحميد مرداد**.


د. عبد الله باقازي

● **حول الحكمة في الشعر العربي**، تأليف **د. عبد الله باقازي**.

● **من معالم التنمية العمرانية**، محاضرة **د. خالد بن محمد العنقري**.

● **محاضرات النادي**، جـ ٢، مجموعة من المؤلفين.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن نادي مكة الأدبي.

البحرين: توصيات مؤتمر المسح الأثري

نظمت وزارة الإعلام البحرينية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مؤخرًا - في المنامة **المؤتمر الثاني عشر للآثار (المسح الأثري)**.

شارك في المؤتمر عدد من الدول العربية الأعضاء في المنظمة، حيث تمت مناقشة ما يزيد

وفاة أحمد محمد جمال

فقدت الحركة الثقافية العربية والإسلامية واحدًا من أقطابها، بوفاة الكاتب والداعية والمفكر السعودي الأستاذ **أحمد محمد جمال**، الذي وافته المنية يوم وقفة عرفات في مدينة القاهرة، **ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة على متن طائرةخاصة أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز**، حيث تمت الصلاة على الفقيد في المسجد الحرام ودفن في العاصمة المقدسة.



أحمد محمد جمال

ولد الفقيد في مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ ودرس في مدرسة العزيزية الابتدائية ثم السنة الأولى بالمعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٩هـ. كما تلقى الدرس في حلقات الحرم المكي الشريف، بعدها عمل في دوائر القضاء بمكة، وفي حقل التعليم ووزارة الداخلية، حتى شغل منصب مدير إدارة الجنسية والجوازات، وعين عام ١٣٧٥هـ عضوًا في مجلس الشورى، واختير عام ١٣٨١هـ عضوًا في لجنة وضع النظام الأساسي للحكم، كما اختير عام ١٣٨٧هـ أستاذًا للثقافة الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ثم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

كما كان عضوًا في اللجنة الثقافية لرابطة العالم الإسلامي، ومجلس الأوقاف، والمجلس البلدي بمكة المكرمة، ومجمع الفقه الإسلامي، وشارك بمحاضراته وأبحاثه في العديد من المعسكرات والمؤتمرات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

مارس الفقيد الكتابة والبحث والعمل الصحافي وكتابة الشعر والقصة حيث وضع قرابة **ثلاثين مؤلفًا**، وتولى سكرتارية تحرير جريدة «**البلاد**» وإدارة تحرير جريدة «**حراء**» التي صار اسمها فيما بعد «**الندوة**»، وأشرف على إصدار مجلة «**التضامن الإسلامي**» التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف، وسلسلة «**دعوة الحق**» الشهرية التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

ومن مؤلفاته: «ماذا في الحجاز؟»، «سعد قال لي» «على مائدة القرآن: ما وراء الآيات»، «على مائدة القرآن: دين ودولة»، «على مائدة القرآن: مع المفسرين والكتّاب»، «الطلائع»، «استعمار وكفاح»، «على مائدة القرآن: مبادئ ومُثُل»، «نحو سياسة عربية صريحة»، «الإسلام أولاً»، «مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون»، «مكانك تحمدي»، «رفقًا بالقوارير»، «من كشمير إلى فلسطين وخطر الصهيونية والصليبية على الإسلام»، «مسؤولية العلماء في الإسلام»، «تاريخنا لم يقرأ بعد!»، «محاضرات في الثقافة الإسلامية»، «مفتريات على الإسلام»، «من أجل الشباب»، «كرائم النساء»، «الشباب: دراسات ولقاءات» «نساؤنا ونساؤهم: تكريم الإسلام للمرأة»، «نحو تربية إسلامية»، «عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد»، «إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام»، «الأمة الواحدة»، «مأدبة الله في الأرض»، «قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي»، «القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته»، «تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل»، «الصحافة في نصف عمود». (طالع عرضا لأحد مؤلفاته في باب «من المكتبة السعودية» في هذا العدد).

على **عشرين ورقة عمل**، وصدرت في ختام المناقشات توصيات مهمة، من أبرزها توصية بتكوين بنك للمعلومات الآثارية والمتحفية وأعمال الترميم يزود الدول الأعضاء بالمعلومات، وإنشاء اتحاد للآثاريين والمتحفيين العرب، وإعداد أطلس للمواقع والمعالم الأثرية في الدول العربية وإصداره.

وتضمنت التوصيات إعطاء أهمية خاصة للحفاظ على المباني التاريخية في مجال الآثار والترسيم والصيانة وتدريس النقائش في الدراسات العليا، ومساعدة الدول العربية التي يتوافر لها رصيد من المخطوطات العربية والإسلامية والبرديات؛ من أجل تحقيقها ونشرها وصيانتها وعمل الفهارس الشاملة لها، وتسهيل تداولها عن طريق التصوير لذوي الخبرة من العلماء والمختصين العرب.

كما دعا المؤتمرون الدول العربية إلى الاهتمام بتوعية المواطن العربي بآثار بلاده، وبالآثار والتراث والمتاحف الوطنية والعالمية من خلال المناهج التعليمية في مختلف المراحل الدراسية.

الكويت

جوائز سعاد الصباح

وزعت في شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣هـ **جوائز دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع** على الفائزين بها في مجالات: الشعر والقصة والرسالة والشعر الشعبي، التي نظمت إحياءً لذكرى شهداء الكويت، ودعمًا لقضية تحرير الأسرى.

فاز **بجائزة الشعر الفصيح خالد الشايجي** عن قصيدته «**إلى ولدي الأسير**»، تلاه **أحمد غراب وأكرم محمد الحلبي**.

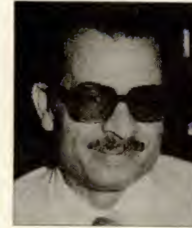
وفي مجال **كتابة الرسالة** «**رسالة إلى شهيد**» جاءت في المركز الأول **مريم الحجي**، تلتها **سوزان محمد فاروق خواتمي**، فيما حجبت الجائزتان الأولى والثانية عن «**رسالة إلى أسير**» ومنح ثلاثة متسابقين **جوائز تقديرية هم: علي باقر وعبد الله أحمد فاضل وإيمان سالم بهنساوي**.

أما جائزة **الشعر الشعبي** ففاز بها **جيار مقعد**

الحركة الثقافية

السبيعي، تلاه صالح عايد الظفيري، ثم حمدان فايز العتيبي.

مصر
تكريم نجيب الكيلاني


د. نجيب الكيلاني

قررت **رابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة تكريم الكاتب د. نجيب الكيلاني**؛ تقديرًا لإسهامه البارز في الأدب الإسلامي ودوره في تأصيل نظرية الأدب الإسلامي وتوضيح معالمه والدفاع عنه.

وتقرر أن يتزامن التكريم مع حفل توزيع جوائز القصة القصيرة والرواية التي أعلنت نتائجها مؤخرًا، حيث فاز **بالجائزة الأولى في مجال الرواية** الأديب الأردني **جهاد الرجي** عن روايته **«لن أموت سدى»**، تلاه الأديب المغربي **سلام أحمد أدريسو** عن روايته **«العائدة»**، وجاء في المركز الثالث الأديب السوري **عبد السلام الراغب** عن روايته **«ثقوب في جدار الصمت»**.

ونال **جائزة القصة القصيرة** القاص المصري **أحمد محمود مبارك** عن قصته **«الزلزال»**، تلاه الأردني **خالد الحروب** عن قصته **«وداعًا أجل الأمهات»**، ثم المصري **فاروق حسان السيد** عن قصته **«رجل من الزمن الجميل»**.

ومنحت أيضا **جوائز تشجيعية**، حصل عليها **في مجال الرواية** الأديبان المصريان: **أحمد محمد أحمد** عن روايته **«خلف شمس البوابة الشرقية»** و**رشاد فؤاد السيد** عن روايته **«بلا جذور»**.

وفاز **بالجائزة التشجيعية في مجال القصة القصيرة** الأديب السعودي **حسن حجاب الحازمي** عن قصته **«الشيطان شاطر»** ومعه الأدباء: **محمود مفلح وعماد علي حسن ولمياء حسن حجازي، ونعمة أحمد الحجي ودرويش الزفتاوي وإبراهيم حسن مصطفى**.

عادل كامل يعود للكتابة


عادل كامل

بعد توقف دام نصف قرن عاد الروائي **عادل كامل** أحد أقطاب **«جماعة الحرافيش»** إلى نشر أعماله الأدبية.

وكان عادل كامل قد نشر قبل هجره الأدب وتفرغه للمحاماة ثلاث روايات، هي: **«مليم الأكبر»** و**«ديك عنتر»** و**«ملك من شعاع»**، وحظيت رواياته - خاصة **«مليم الأكبر»** - باهتمام بالغ من النقاد، إلا أنه فجأة في منتصف الأربعينيات قرر هجر الكتابة، بعد أن تشكك في دور الأديب، ووصف الأدب بأنه عملية غير مجدية.

عادل كامل دفع - مؤخرًا - إلى **دار الهلال** ثلاث مسرحيات وروايتين ومجموعة من القصص القصيرة لنشرها، ويقال إنها من أعماله القديمة التي لم يسبق نشرها.

ويذكر أن **جماعة الحرافيش** ضمت إلى جانب **نجيب محفوظ وعادل كامل** كلا من الروائي **ثروت أباظة**، والكاتب **محمد عفيفي**، والفنان **أحمد مظهر**، وأستاذ اللغة الإنجليزية **أحمد زكي مخلوف** وآخرين.

العبرية لغة دين عبادة فقط

أكدت دراسات أعدها قسم اللغة العبرية بكلية الآداب في جامعة عين شمس أن **اللغة العبرية تأثرت كثيرًا باللغة العربية**، ذلك أن اليهود تأثروا بالعرب منذ اختلاطهم بهم في الأندلس، وكانوا يحضرون المجالس الأدبية التي اعتادها الأدباء العرب منذ القدم، مما ساعد على اقتباسهم فكرة عروض الشعر العربي بأوزانها وبحورها.

وأوضحت الدراسات أن اللغة العبرية لم تكن سوى لغة دين وطقوس وعبادة، واستوعبت كلمات كثيرة من مختلف اللغات السامية القديمة مثل الآشورية والآرامية والآكادية، وكذلك لغات مختلف الحضارات التي حكمت المناطق المقيم بها اليهود في الشرق كاليونانية والفارسية والرومانية.

وانتهت الدراسات إلى نتيجة ملخصها أن اللغة العبرية من أكثر اللغات اختراقًا من مختلف اللغات، بدليل أن المجتمع الصهيوني مكوّن من شتات تنتمي إلى أكثر من سبعين دولة مما أدخل في العبرية ألفاظًا وتعبيرات كثيرة مقتبسة من لغات تلك الدول.

رؤساء تحرير جدد

اعتمد مجلس الشوري المصري - مؤخرًا - تعيينات جديدة في مناصب **رؤساء تحرير بعض الصحف والمجلات**.

شمل ذلك تعيين **جلال عيسى** رئيسًا لتحرير مجلة **«آخر ساعة»**، و**جمال الغيطاني** رئيسًا لتحرير صحيفة **«أخبار الأدب»**، و**فاروق الطويل** رئيسًا لتحرير صحيفة **«أخبار السيارات»**، و**نبيل أباظة** رئيسًا لتحرير سلسلة **«كتاب اليوم»**، و**رفعت جرجس** رئيسًا لتحرير سلسلة **«كتاب اليوم الطبي»**.

وفي مؤسسة «الأهرام» عُيّن **عزت السعدني** رئيسًا لتحرير مجلة **«علاء الدين»**، وفي دار التحرير للطباعة والنشر عُين **السيد عبد الرؤوف** رئيسًا لتحرير جريدة **«عقيدتي»**، و**فاروق فهمي** رئيسًا لتحرير سلسلة **«كتاب الجمهورية»**، وعينت **إقبال بركة** رئيسة لتحرير مجلة **«حواء»** في دار الهلال.

وفاة صحافي


أحمد عادل

توفي في نهاية شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣هـ في القاهرة الصحافي **أحمد عادل** رئيس تحرير جريدة **«المساء»** السابق والكاتب بصحيفة الأهرام عن عمر يناهز ٦٤ عامًا إثر أزمة قلبية.

بدأ أحمد عادل عمله الصحافي - عقب تخرجه

في الجامعة الأمريكية - في صحيفة «**الجمهورية**» في بداية الخمسينيات الميلادية، ومنها انتقل إلى صحيفة «**الأهرام**» رئيسًا للقسم الخارجي بها، بعدها تولى لمدة أربع سنوات رئاسة تحرير جريدة «**المساء**» ثم عاد مرة أخرى إلى «**الأهرام**».

الفائزون بجوائز الدولة التقديرية

أعلنت مؤخرًا أسماء الفائزين بجائزتي الدولة، التقديرية والتشجيعية لعام ١٩٩٣ م.

فاز بجائزة الدولة التقديرية في مجال العلوم الاجتماعية والاقتصادية كل مَنْ: د. عاطف صدقي (رئيس الوزراء الحالي)، ود. **أحمد فتحي سرور** (رئيس مجلس الشعب الحالي)، ود. **علي لطفي** (رئيس الوزراء السابق)، ود. **إبراهيم زرقانة** أستاذ الجغرافيا بجامعة القاهرة، وقد فاز هؤلاء الأربعة من بين أحد عشر مرشحًا.

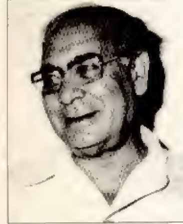
وتحصل على الجائزة التشجيعية في مجال الآداب كل من: د. الطاهر مكي، ود. محمد السعدي فرهود، والكاتب المسرحي **ألفريد فرج**. **وفي مجال الفنون**: السيناريست **ممدوح الليثي**، والفنان التشكيلي **عبد السلام الشريف**، ود. **حسن الباشا**.

وتقرر حجب ١٦ جائزة من جوائز الدولة التشجيعية ـ وعددها ٢٤ جائزة ومنح ثماني جوائز فقط هذا العام، حيث حجبت جائزة الآداب في فرعين وفاز بها **فؤاد حجازي** عن فرع «ثقافة الطفل»، **ويحيى مختار** في فرع «القصة القصيرة» **ومحمد مهران** في «الشعر» **وبهيج قاسم** في «التأليف المسرحي».

وحجبت الجائزة في مجال العلوم الاقتصادية في أربعة فروع، وفاز بها د. **سامي عفيفي** في فرع «الاقتصاد»، ود. **عكاشة محمد عبد العال** في فرع «القانون الدولي الخاص».

ويذكر أن الجلسة شهدت لغطًا كبيرًا حيث انسحب من اجتماعها د. **إسماعيل صبري عبد الله**؛ لاعتراضه على ترشيح كبار السياسيين لها، كما عمد بعض الأعضاء اليساريين بالمجلس الأعلى للثقافة ـ الذي يمنح الجائزة ويضم ٤٨ عضوًا ـ إلى إبطال ترشيح فضيلة **الشيخ محمد متولي الشعراوي** لجائزة الدولة في العلوم الاجتماعية، ود. **مصطفى محمود** لجائزة الدولة في الآداب. حيث لم يحصل أي منهما على النسبة المقررة ـ وهي ثلثا أعضاء المجلس ـ في عملية اقتراع سرية.

كتب جديدة


يوسف جوهر

● **عناق الموت والحياة**، مجموعة قصصية جديدة **ليوسف جوهر**، صدرت ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم.

● **الجديد والقديم في جراحة العظام والتقويم**، تأليف د. **السيد محمد وهب**، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف في القاهرة.

● **رؤية لتغيير أمريكا**، تأليف الرئيس الأمريكي **بيل كلينتون** ونائبه آل جور، ترجمه إلى اللغة العربية فريق من المترجمين، وصدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر في القاهرة.

● **جائزة نوبل: أضواء وأسرار**، تأليف **محمود قاسم**، صدر ضمن سلسلة كتاب أكتوبر.


محمود قاسم

● **نجوم وحكايات**، إعداد عبد القادر حميدة، صدر ضمن سلسلة «كتاب التعاون».


عبد القادر حميدة

● **عن الديموقراطية الليبرالية: قضايا ومشاكل**، تأليف د. **حازم الببلاوي**، صدر عن دار الشروق في القاهرة وبيروت.

● **إنها تومئ لي**، ديوان للشاعر **رفعت سلام**، صدر ضمن سلسلة «**أصوات أدبية**».

● **أيام في حضن الليل**، ديوان شعر عامي للشاعرة **حورية البدري**، صدر ضمن سلسلة «**إشراقات أدبية**».

● صدر الكتابان السابقان عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العراق

وفاة العلامة اللغوي د. مهدي المخزومي

توفي - مؤخرًا - اللغوي العراقي د. **مهدي المخزومي**، أحد أبرز النحاة العرب المحدثين عن عمر يناهز ٧٦ عامًا.

وُلد **المخزومي** في مدينة النجف عام ١٩١٧م، وهو لغوي ومحقق له العديد من الكتب والأبحاث، وعمل أستاذًا في كلية الآداب بجامعة بغداد، وتميز بأفكاره الحرة، مما حدا بالقائمين على انقلاب شباط (فبراير) ١٩٦٣م إلى تشريده ومحاربته وفصله من الجامعة.

من أبرز كتبه: «**مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**»، و«**الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه**»، و«**في النحو العربي: نقد وتوجيه**».

وقد شارك الفقيد د. **إبراهيم السامرائي** في تحقيق كتاب «**العين**» **للخليل بن أحمد الفراهيدي**، الذي يعد من أهم المعاجم في اللغة العربية، واشترك مع **السامرائي** ود. **علي جواد الطاهر**، **ورشيد بكتاش** في تحقيق «**ديوان الجواهري**».

ندوة عن الخط العربي

نظمت على هامش المهرجان العالمي الثاني للخطوط والزخرفة الإسلامية ندوة في بغداد **بمناسبة الذكرى الألفية للخطاط ابن البواب تحت عنوان «الخط العربي في خدمة الحضارة الإنسانية»**.

شارك في الندوة فنانون وباحثون وخطاطون من عدة دول عربية وتركزت مناقشاتهم في أربعة محاور: **تاريخ الكتابة، الخط العربي والزخرفة الإسلامية، الخط العربي واللغة العربية، وابن البواب**.

لبنان

نـاس

صدر مؤخرا العدد الأول من مجلة جامعة تحمل هذا الاسم.



يرأس تحرير «ناس» الصحافي **محمد صفي الدين**؛ ووضح من عددها الأول ميلها إلى معالجة القضايا الأسرية والاجتماعية والنقدية.

كتب جديدة

● **الأصول العملية في قواعد اللغة**، تأليف كمال اليازجي.

● **موسوعة الثقافة الإسلامية (الألف والباء)** تأليف د. **عون الشريف قاسم**.


د. عون الشريف قاسم

● **أروع ما قيل من الموشحات**، إعداد أميل نصيف.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الجيل في بيروت.

●**نواب ٩٢**، تأليف **نصري ميشال**، صدر عن دار المؤلف في بيروت.

● رفض الهزيمة، تأليف د. **يزيد صايغ**.

● الغضب والأمل، تأليف **يلنسيا لانجر**.

صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

● **في وطني أبحث: المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية**، تأليف **مجموعة من الباحثات**، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

سورية

كتب جديدة

● **الدرر والجواهر الغوالي من علوم الأسانيد العوالي**، تأليف المعتز بالله **صفي الدين أبي محمد علاء الدين أحمد بن محمد سردار الحلبي**، صدر عن دار القلم العربي في حلب.

● **الإخلاص والنية**: تأليف **الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي** المعروف **بابن أبي الدنيا**، حققه وعلق عليه **إياد خالد الطباع**، وصدر عن دار البشائر في دمشق.

فلسطين

مجمع للبحوث الإسلامية

تعد مجموعة من المفكرين والباحثين العلماء الفلسطينيين في الأراضي المحتلة لتأسيس «**مجمع للبحوث الإسلامية**» في القدس بغية حماية التراث الإسلامي ونشر البحوث والدراسات.

تبنت فكرة تأسيس المجمع ودعمه رابطة علماء فلسطين في القدس، وتقرر تعيين د. **عبد الفتاح العديسي** أمينًا عامًّا له.

الجزائر

مناهج البحث في اللغة والأدب

نظم معهد اللغة والأدب العربي في جامعة تلمسان - مؤخرًا - الملتقى السنوي الدولي الثالث تحت شعار «**مناهج البحث في اللغة والأدب**».

شارك في الملتقى باحثون من جامعات الجزائر والمغرب، حيث ناقشوا قضايا المقارنة بين مناهج البحث القديمة والحديثة وإشكالية الترجمة والنقل

محاضرات وندوات

● «**شواهد التحريف في النصرانية**» عنوان محاضرة ألقاها الداعية **أحمد ديدات** في قاعة المحاضرات التابعة **لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض**.

● «**منهجية البحث والمرجعية الفكرية**» عنوان محاضرة ألقاها د. **نايف عكاشة**.

● «**مناهج التأليف لدى اللغويين الجزائريين خلال القرن الثالث عشر الميلادي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **بوعناني مختار**.

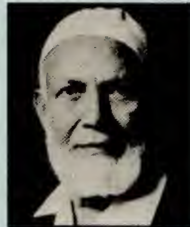
● «**الفضاء الروائي في الجزائر**» عنوان محاضرة ألقاها د. **عبد الجليل مرتاض**.

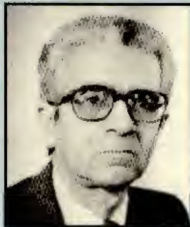
● «**الإبداع المنهجي للنسق الفني في الشعر العربي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **رضوان النجار**.

● «**العلاقة بين اللفظ والمعنى في المفهوم المعجمي والاستعمال**» عنوان محاضرة ألقاها د. **بوحجال عبد الله**.

ألقيت المحاضرات الخمس السابقة في جامعة تلمسان بالجزائر.

● «**دراسات على أداء وثبات بعض سلالات القمح المختارة في**


أحمد ديدات


د. حسن فتح الباب


عبد الرحمن سوار الذهب

المنطقة الوسطى» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود في الرياض بندر محمد عبد الواحد العتيبي.

● «**العلاقات العمانية الزنجبارية**» موضوع محاضرة ألقاها في النادي الثقافي العماني في مسقط **محمد شريف حسين**.

● «**أسماء البحرين القديمة**» موضوع محاضرة ألقاها في جمعية تاريخ وآثار البحرين د. **أحمد باقر**.

● «**التلوث الكيميائي في الأنفاق وأماكن الازدحام**» عنوان محاضرة جماعية نظمتها المديرية العامة للدفاع المدني في مكة المكرمة، شارك فيها الدكاترة: **عبد اللطيف رشاد العجيمي ومحمد إسماعيل بدوي، وعبد الرؤوف الديب، وسامي برهمين**.

● كتاب د. إبراهيم الهواري المعنون بـ«إسماعيل أدهم ناقدًا» كان

من المعارف الأجنبية ودور الإسلام في إنعاش المنهجية المعرفية .

السودان

معرض الكتاب العربي والإسلامي

نظمت منظمة البر الدولية بالتعاون مع مؤسسة علوم القرآن الكريم في دبي والاتحاد العام لطلاب الجامعات السودانية ـ مؤخرا ـ **معرضا للكتاب العربي والإسلامي** .

شارك في المعرض **اثنتا عشرة دار نشر عربية** ، قدمت **أربعة آلاف عنوان** ضمت قرابة **مليون كتاب** في مختلف مناحي المعرفة مع التركيز على الكتب الإسلامية .

تونس

ندوة مرجعيات الفكر العربي

نظم اتحاد الكتّاب التونسيين بمشاركة مفكرين وباحثين من مختلف البلدان العربية ندوة دولية بعنوان «**مرجعيات الفكر العربي المعاصر**» .

وبحثت الندوة بعض الإشكالات الأساسية الراهنة في الفكر العربي المعاصر، والمتعلقة بروافده ومرجعياته التكوينية، وتضمنت ثلاثة محاور: **تشكيل العقل العربي، والمرجعيات التاريخية للفكر العربي، والمقدسات في الفكر العربي** .

مهرجان للأدباء الشباب

نظمت مجلة «مرآة الوسط» التونسية الدورة الثامنة للمهرجان الأدبي السنوي الذي يحمل اسمها ويرمي إلى تشجيع الكتّاب الشباب من مختلف أنحاء تونس .

أقيم **المهرجان** هذا العام تحت شعار «**المثابرة والإصرار**» وشارك فيه **خمسة وأربعون** كاتبًا ناشئًا في مجالات : القصة والشعر والمقال النقدي، حيث فازت بجائزة المجموعة القصصية القاصّة **جنان إسماعيل**، وجائزة القصة الواحدة القاص **علي السعيدي**، وتقاسم جائزة المجموعة الشعرية كل من : **إسماعيل بن محمود، وسمير العبدلي**، وتحصل على جائزة القصيدة الواحدة **عمر العبيدي** .

يدير المهرجان منذ تأسيسه الصحافي **محمود الحرشاني** رئيس تحرير مجلة «مرآة الوسط» .

المغرب

التنسيق بين مراكز المخطوطات

أفادت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) في النصف الثاني من شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣هـ ندوة في الرباط للتنسيق بين مراكز المخطوطات في العالم الإسلامي .

عنيت الندوة التي استمرت ثلاثة أيام بإحياء تراث الأمة الإسلامية وإعادة تسجيل تراثها، واقتراح السبل الرامية إلى تحسين مستوى مراكز المخطوطات الإسلامية والنهوض بها وتعرف مشكلاتها، ووضع خطة لاستجلاب المخطوطات العربية بعد تسجيلها على أشرطة .

الثقافة المغربية واللامركزية

نظمت وزارة الثقافة المغربية ملتقى فكريًّا اختارت له شعار «**الثقافة واللامركزية**» .

استمر الملتقى يومين، وشارك في مناقشاته أكثر من **ثلاثمائة مفكر ومثقف وأديب** ممن يولون اهتمامًا بقضايا التنمية الثقافية في المغرب .

موضوع ندوة أقيمت في الجمعية المصرية للنقد الأدبي، شارك فيها عدد من الأكاديميين والمتخصصين .

● «**الشعر الجزائري الحديث**» موضوع ندوة أقيمت في دار الأوبرا في القاهرة، شارك فيها الدكتوران **إبراهيم رماني وحسن فتح الباب** .

● «**بعثة الحفريات الكويتية في البهنسة بمصر**» عنوان محاضرة نظمها المركز الثقافي الفرنسي في الكويت، وألقاها د. **جيزا فهد فاري**، وشاركت في المحاضرة حصة الصباح .

● «**دور الشباب المسلم في المجتمع**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الدراسات التجارية في الكويت الشيخ **ناظم سلطان المسباح** .

● «**فلسفة الجمال بين التراث والحداثة**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي للبحث والتوثيق في صيدا بلبنان **جوزف أبو رزق** .

● «**واقع الإسلام في أفريقيا**» عنوان ندوة نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، شارك فيها كل من المشير **عبد الرحمن سوار الذهب، ومبارك قسم الله زايد والدكتور الأمين محمد عثمان** .

● «**السدالعالي**» موضوع محاضرة ألقاها د. **رشدي سعيد** في بيت ثقافات العالم في مدينة برلين بدعوة من منتدى الحوار بين الشرق والغرب .

● «**نهاية التاريخ بين فوكوياما ومالك بن نبي**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي المصري في الجزائر **فضيل بومالة** .

● «**تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**» عنوان محاضرة ألقاها فيم عهد البيولوجيا بوهران **عدي هراري** .

● «**الحركة الإسلامية والعلمانية في شمال أفريقيا**» موضوع ندوة نظمت في جامعة جورج تاون بواشنطن، شارك فيها عدد من الأدباء والمؤرخين والسياسيين .

● «**رسول الرحمة**» عنوان محاضرة ألقاها الشيخ **سيد سابق** في مسجده بالعزيزية بمكة المكرمة .

● «**الاستشراق في الفن الأوربي**» موضوع محاضرة ألقتها في منتدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية في لبنان د. **زينات بيطار** .

● «**الإسلام والقضايا المعاصرة**» موضوع محاضرة ألقاها في مقر جمعية التعارف الإسلامية بحي المهندسين في الجيزة بمصر د. **مصطفى غلوش** .

● «**جمال حمدان : التفاعل بين عبقرية الإنسان والمكان**» موضوع ندوة نظمها مركز البحوث السياسية في جامعة القاهرة، وشارك فيها عدد من المفكرين والأكاديميين .



ملتقى القصة القصيرة

نظم اتحاد كتَّاب المغرب وجمعية الشعلة الثقافية بالتعاون مع المجلس البلدي في مدينة القنطرة - مؤخرًا - **الملتقى الثالث للقصة القصيرة**.

تضمن الملتقى جلسات نقدية وقراءات قصصية، وأقيم على هامشه معرض فني لجمعية الفنانين التشكيليين بالقنطرة وعرض مسرحي، كما تم تكريم القاص محمد إبراهيم بوعلي.

الولايات المتحدة

معرض دولي للكتاب الإسلامي والعربي

يقام في ولاية فلادلفيا الأمريكية خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٣م **معرض دولي للكتاب الإسلامي والعربي**.

تشارك في المعرض **خمس عشرة دولة عربية وإسلامية**، ويتوقع أن يضم إصدارات ألفي دار للنشر من داخل أمريكا وخارجها، وترافقه نشاطات ثقافية متنوعة من محاضرات وندوات وأمسيات يشارك فيها نخبة من الأساتذة العرب بالجامعات الأمريكية.

تنظم المعرض جمعية رجال الأعمال الأمريكيين المنحدرين من أصل عربي، ويرمي إلى تعريف الشعب الأمريكي الحضارة الإسلامية والعربية بما يسهم في التقليل من موجات التمييز العنصري ضد المسلمين والعرب المقيمين هناك.

هاملتون تفوز بجائزة الأطفال

فازت الكاتبة الزنجية الأمريكية فرجينيا **هاملتون بجائزة أندرسون العالمية لأدب الأطفال** التي تعد أكبر جائزة من نوعها من حيث قيمتها الأدبية.

وتعد فرجينيا المولودة عام ١٩٣٦م من أبرز كاتبات أدب الأطفال المعاصرين، حيث لها ٢٧ **كتابًا للطفل**، منها ١٥ عملاً روائيًا، وثلاثة كتب في السير، وثلاث مجموعات في الأدب الشعبي، وقد سبق أن فازت روايتها «**هيجنز العظيم**» بثلاث جوائز هي **جائزة الدولة عام ١٩٧٥م، وجائزة نيوبري، وجائزة هورن بوك**.

معرض للآثار المصرية

يقام في واشنطن مع مطلع العام الميلادي المقبل **معرض للآثار المصرية القديمة يضم ٧٢ قطعة** أثرية من عصور مختلفة.

ومن المقرر أن ينتقل المعرض بعد ذلك في جولة بولايات تكساس وكاليفورنيا ونيوجرسي وكلورادو.

فرنسا

نشاطات معهد العالم العربي

اقترح **إدجار بيزاني** رئيس معهد العالم العربي في باريس **إنشاء شبكة مراكز توثيقية في مختلف الدول العربية وتبادل التوثيق بين المعهد ومراكز التوثيق العربية**.

وقال بيزاني في مؤتمر صحافي عقده مؤخرًا، إن المعهد يقترح أيضًا أن ينفتح على جميع المدن الفرنسية والعواصم الأوروبية من خلال استيراد المعارض ذات القيمة وتصديرها.

وحول نشاطات المعهد وبرامجه لعامي ١٩٩٣ - ١٩٩٤ قال إن **معرضًا حول سورية** سوف يقام خلال الفترة بين ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣م إلى ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٩٤م تحت عنوان «**ذاكرة الشرق.. ذاكرة الغرب**» مشيرًا إلى أن المعهد نظم عام ١٩٨٩م معرضًا عن مصر، وهناك معارض أخرى ستقام بعدة دول عربية تعرّف حضاراتها.

وأشار بيزاني إلى حدثين آخرين هما: **المهرجان الثاني لبينالي السينما العربية** المقرر إقامته خلال الفترة من ١٧ إلى ٢٧ حزيران يونية ١٩٩٤م **والمهرجان الثالث لمعرض الكتاب الأوروبي - العربي المقرر أن يقام في أيار (مايو) ١٩٩٤م**.

أطلس شعوب الشرق

صدر في باريس - مؤخرًا - «**أطلس شعوب الشرق**» الذي يعرض - للمرة الأولى - الشرق كيانًا جغرافيًا وتاريخيًا وثقافيًا وعرقيًا في مواجهة العالم الأوربي والأفريقي والآسيوي عبر نحو مائتي صفحة.

أعد الأطلس عالم الجغرافيا **جان سللييه** والمؤرخ والدبلوماسي السابق **أندريه سللييه**، اللذان سبق لهما إصدار «**أطلس شعوب أوروبا الوسطى**».

وسعى الكاتبان من خلال أطلسهما الجديد إلى تسليط الأضواء على النزاعات التي يعانيها الشرق مثل النزاع العربي الصهيوني، والنزاعات الأخيرة في جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة، فضلاً عن تقديم دراسات للديانات واللغات ومصادر الثروة كالنفط وما إلى ذلك.

ترجمة فرنسية لموسوعة إسلامية

ترجم - مؤخرًا - إلى اللغة الفرنسية القاموس الموسوعي عن الإسلام الذي صدر عام ١٩٨٩م على أجزاء باللغة الإنجليزية.

قام بترجمة الموسوعة **أيف تورافال** رئيس القسم العربي الإسلامي في المكتبة الوطنية الفرنسية.

ويذكر أن الموسوعة فضلاً عما تحويه من معلومات عن الإسلام تلقي الضوء على انتشاره في بلاد المغرب العربي والهند وأفريقيا.

وفاة صلاح إبراهيم


صلاح أحمد إبراهيم

توفي - مؤخرًا - في أحد مستشفيات باريس الشاعر والكاتب والدبلوماسي السوداني **صلاح أحمد إبراهيم**، أحد أبرز شعراء السودان المعاصرين

وُلد الفقيد في أم درمان عام ١٩٣٣م في أسرة ذات علم ودين، وقرأ القرآن الكريم على يد والده وحفظ أجزاء منه، والتحق عام ١٩٥٤م بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الخرطوم، حيث تأثر

بالدكاترة **عبد المجيد عابدين ومحمد النويهي وإحسان عباس وعبد الله الطيب** وغيرهم من أساتذة الأدب العربي، كما تأثر بالشعراء الرومانسيين البريطانيين.

وعمل بالسلك الدبلوماسي إلى جانب كتابته الشعر والنقد، حتى وصل إلى درجة **سفير السودان في الجزائر**، إلى أن استقال عام ١٩٧٤م واستقر في باريس.

وقد شارك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات الأدبية بدءًا من **مهرجان الشعر العربي في بيروت عام ١٩٧٠م** وانتهاء **بالمهرجان الذي نظمه معهد العالم العربي في باريس عام ١٩٩١م**.

وأصدر الشاعر الراحل بالاشتراك مع صديقه الأديب السوداني الراحل علي **الملك** في أوائل الستينيات **مجموعة قصصية مشتركة** بعنوان **«البرجوازية الصغيرة... وقصص أخرى»**، كما أن له مجموعة شعرية عنوانها **«غابة الأبنوس»** وقصيدة طويلة في كتيب بعنوان **«الحاكم والسلطان الجائر»** وآخر مجموعاته الشعرية ديوانه **«غضبة الهبباي»**، وكان يعتزم قبل وفاته إصدار قصائده غير المنشورة في ديوان جديد لم يمهله أجله لإنجازه.

«الشهر»

صدرت بهذا الاسم في باريس أحدث مجلة شهرية عربية سياسية اقتصادية جامعة عن دار المازن للصحافة والإعلان.

«الشهر» وإن كانت تصدر في المهجر إلا أن المعني بها هم قراء الوطن العربي.

يرأس تحرير المجلة الجديدة الصحافي السوري **ياسر عبد ربه**.

الفائزون بجوائز «أهل الأدب»

أعلنت جمعية أهل الأدب في باريس أسماء الفائزين بجوائزها للعام الحالي.

فازت بجائزة **الشعر** الشاعرة اللبنانية **فينوس خوري**، وتحصل على جائزة **الأدب** الكاتب الفرنسي **جاك بوديل**، وجائزة **الرواية برونو بتمبيلي** عن روايته «شجرة المسافر»، وجائزة **القصة القصيرة جان جاك سالغون** لمجموعته «٧. وقصص أخرى».

وكانت جائزة **التاريخ** من نصيب **أندريه دوجان** عن كتابه «تاريخ المسرح المصور»، وفاز **فرنسيس لاكاسين** بجائزة **الأبحاث** عن كتابه «ركاب غير شرعيين»، ومنحت **الجائزة الخاصة** للباحث **آلان راي**، **وجائزة جيرار دو ترفال للترجمة** للكاتب **جان بول بارب** لترجمته كتاب سارة كيرش المعنون بـ«حرارة الثلج».

منح جائزة نيميه

مُنح الكاتب الشاب **دومنيك موللر** جائزةروجيه نيميه في دورتها الحادية والثلاثين، عن روايته **«إنها الجنة»**.

تبلغ قيمة الجائزة عشرين ألف فرنك، وقد بدأ منحها للمرة الأولى عام ١٩٦٢م لأحد الكتَّاب الشباب ممن يسيرون على خط نيميه الذي توفي عام ١٩٦٢م إثر حادث سيارة.

عدد تذكاري من «الإكسبريس»

أصدرت مجلة الإكسبريس الأسبوعية الفرنسية **عددًا تذكاريًّا** بمناسبة مرور أربعين عامًا على صدورها.

تكوّن العدد من ٢١٢ صفحة، وتشمل إعادة طبع النسخة الأولى التي أصدرتها المجلة في مايو ١٩٥٣م مضافًا إليها موضوعات، لأحداث معاصرة و١٢٦ بورتريه للمواطن الفرنسي الحديث.

حقق العدد التذكاري زيادة في المبيعات تبلغ مائتي ألف نسخة عن المبيعات المعتادة للمجلة.

بريطانيا ◄ إنقاذ مكتبة الكومنولث

عبر جملة تبرعات واسعة شملت خمسين دولة من دول الكومنولث، تمكنت جمعية الكومنولث الملكية من إنقاذ مكتبتها في لندن والتي كانت معروضة للبيع لتغطية ديون مستحقة على الجمعية.

تحتوي المكتبة على قرابة **ربع مليون كتاب وخريطة ووثيقة وخطاب، فضلاً عن سبعين ألف صورة**، وقد تأسست عام ١٨٦٨م، وتضم في عضويتها نحو عشرين ألف عضو من أنحاء العالم كافة، وتعد أكبر مكتبة متخصصة في تاريخ الإمبراطورية البريطانية في العالم.

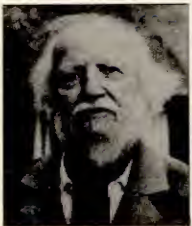
تكريم إنجرامز

كرمت الجمعية الآسيوية الملكية المستشرقة دوري إنجرامز (٨٠ عاما) بمنحها وسام برتن التذكاري السنوي تقديرًا لإسهامها في مجالات الرحلات والأسفار والدراسات المتعلقة بجزيرة العرب.

وكانت السيدة دورين قد صاحبت زوجها هارولد إنجرامز في مهماته الرسمية في الجنوب العربي، خلال حقبتي الثلاثينيات والأربعينيات الميلادية. **وكانت من أوائل النساء الأوربيات اللواتي اختلطن بالأسر اليمنية ودخلن المجتمع النسائي اليمني**.

وقد عملت بعد عودتها إلى بريطانيا في القسم العربي بالإذاعة البريطانية، ثم تقاعدت وتفرغت للتأليف والبحث، وتعد حاليًّا بمساعدة ابنتها ليلي إنجرامز مجموعة من الوثائق البريطانية المتعلقة بالجنوب العربي للنشر، ومن أعمالها المنشورة كتاب **«زمن في بلاد العرب»**.

وفاة صاحب «سيد الذباب»


ويليام جولدنج

إثر أزمة قلبية عارضة توفي في مقاطعة كورنويل بجنوب بريطانيا الروائي المعروف، **ويليام جولدنج** الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٣م عن عمر يناهز ٨٢ عامًا.

وُلد **ويليام جيرالد جولدنج** في قرية سانت كولمب مايز بمقاطعة كورنويل عام ١٩١١م، وتخرج في قسم العلوم بجامعة أكسفورد عام ١٩٣٥م، ولم يبرز كاتبًا إلا بعد انتقاله إلى لندن،



رغم نشره عام ١٩٣٥م مجلدًا بعنوان «**أشعار**»، وكان قيام الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في حياته، حيث أدرك ماذا بوسع الإنسان أن يفعله؟ فصارت صورة الإنسان في رواياته حيوانًا قاسيًا متبلد المشاعر غليظ القلب، كما جعلها تعكس الجانب المظلم من حياة البشر.

ورغم أن روايته «**طقوس العبور**» ١٩٨٠م فازت **بجائزة «بوكر» البريطانية التي تمنح لأكثر الكتب مبيعًا ونجاحًا، إلا أن روايته** «سيد الذباب» التي ظهرت عام ١٩٥٤م كانت أشهر رواياته، وأكثرها استقطابًا لكتابات النقاد، حيث ترجمت إلى ٢٦ لغة وبيع منها إلى أواسط الثمانينيات ما مقداره سبعة ملايين نسخة.

وقد أنعمت ملكة بريطانيا على جولدنج قبل خمس سنوات بلقب «**سير**» (فارس) تقديرًا لمكانته في الأدب الإنجلو ـ ساكسوني، ومن أبرز مؤلفاته الأخرى روايته «**الورثة**».

صحيفة عربية جديدة

انضمت إلى ركب الصحافة العربية في المهجر **صحيفة جديدة** صدرت ـ مؤخرًا ـ في لندن تحت مسمى «**الجامعة العربية**».

أصدر الصحيفة **محمد الشهاوي** رئيس مجلس إدارة جريدة «الرأي العام».

جائزة ويتبريد لتورنجين

حصل على **جائزة ويتبريد** للكتاب لعام ١٩٩٣م الروائي البريطاني **جيف تورنجين** عن روايته «المطرقة».

وتورنجين إسكتلندي تربى في جلاسجو، وعانى الفقر والمرض وترك الدراسة وهو في الثانية عشرة من عمره، لإصابته بالسل، حيث عاش فترة في الحجر الصحي، ونزل إلى ميدان العمل في سن الرابعة عشرة حيث مارس مهنًا مختلفة.

وتأثر تورنجين في بداية اشتغاله بالأدب بكامو وسارتر وغيرهما من الكتّاب الوجوديين، وأسلوبه بعيد عن الصنعة والتكلف ذو سمات خشنة؛ لأن صاحبه عمد إلى عرض الحقائق بلا رتوش.

إيطاليا: الإيطاليون يدرسون الشعر السعودي

يبدأ طلاب قسم اللغة العربية في المعهد الجامعي الشرقي في نابلي، مع مطلع العام الدراسي الجديد، في دراسة كتاب عن الأدب السعودي عنوانه «**الإنتاج الشعري في المملكة العربية السعودية**» يتضمن إلى جانب نماذج للشعر السعودي سرد معلومات تاريخية.

قام بتأليف الكتاب باللغة الإيطالية د. **فتحي مقبول** مدير المركز الثقافي العربي في روما، وأستاذ الأدب في المعهد الجامعي الشرقي.

بينالي البندقية

شارك أكثر من ٧٠٠ **فنان تشكيلي، يمثلون**

رسائل جامعية

● «**شرح تصريف العربي لعلي بن محمد بن عبد الله الأفزري: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات (الأقسام الأدبية) بالرياض، تقدمت بها **البندري عبد العزيز العجلان**.

● «**تصنيف البث المبكروويفي في المنطقة الجنوبية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، تقدم بها **أسامة محمد عدنان**.

● «**أصول الفقه عند القاضي عبد الوهاب.. جمعًا وتوثيقًا ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة في الرياض، تقدم بها **عبد المحسن بن محمد الريس**.

● «**دراسة بعض الخواص الفيزيائية للبلمرات العضوية شبه الموصلة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات الأقسام العلمية بالرياض تقدمت بها **عائشة يوسف داغستاني**.

● «**النظم القرآني في آيات الجهاد**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية في الرياض، تقدم بها **ناصر بن عبد الرحمن الخنين**.

● «**تعميمات الدوال المتصلة**» عنوان رسالة ماجستير في الرياضيات نوقشت في كلية العلوم بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **بلال محمد الحاج**.

● «**المفاتيح الأكثر استخدامًا في خرائط الدوائر النسبية وفعالية كل منها في عملية التقدير البصري للقيم**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها **محمود مبارك أبو ظهير الشهراني**.

● «**تحديد تأثير الغذاء بالمعدلات العالية من ملح الطعام في غذاء الدواجن على أداء كتاكيت الدجاج اللاحم ومحتواها من دهن الأحشاء**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الإنتاج الحيواني بكلية الزراعة بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **عبد العزيز** ابن علي الدبيبي.

● «**تقويم الأداء الوظيفي لمباني المدارس الثانوية في المنطقة الشرقية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم علوم وتقنية البناء بجامعة الملك فيصل في الدمام، تقدم بها م. **فارس عبد العزيز الفرائضي**.

خمسين بلدًا ، في بينالي البندقية الخامس والأربعين، الذي افتتح في الأسبوع الأخير من شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٣هـ.

وبعد بينالي البندقية أقدم مهرجان ثقافي فني إيطالي، حيث أقيم لأول مرة عام ١٨٩٥م.

إسبانيا

جائزة الصحافيين العرب لمونتابث

سلّم العاهل الإسباني **الملك خوان كارلوس المستشرق بدرو مارتينيث مونتابث جائزة جمعية الصحافيين العرب في إسبانيا.**

وكانت الجمعية قد قررت إعطاء مونتابث جائزتها؛ تقديرًا لجهوده في دعم القضايا العربية عبر مقالاته الصحافية وأحاديثه الإذاعية والتلفازية.

جاء تسليم الجائزة خلال حفل أقامه النادي الدولي للصحافة في مدريد.

معرض تشكيلي

شارك **أربعمائة فنان** من مختلف أنحاء العالم بينهم فنانون عرب في **معرض تشكيلي كبير** أقيم في مدريد تحت عنوان **«الحرب والسلام»**.

نظمت المعرض جمعية إحياء التشكيليين في أوربا واحتوى على نحو ألفي لوحة بينها جداريات ضخمة.

المجر

معرض للكتاب النمساوي

استضافت مدينة بودابست ـ مؤخرًا ـ معرضًا ثقافيًا نمساويًا أقيم بعنوان **«أسبوع الكتاب النمساوي»**.

يعد هذا المعرض أول معرض من نوعه يقام في العاصمة المجرية منذ ثلاثين عامًا، وشاركت فيه أكثر من **سبعين دارًا للنشر**، عرضت **نحو ٨٥٠ عنوانًا** لمشاهير كتّاب النمسا وأدبائها.

بلجيكا

مونتالبان يفوز بجائزة أوربا

حصل الكاتب الإسباني **مانويل فاسكيز مونتالبان على جائزة أوربا** لعام ١٩٩٢م، عن روايته **«غاليندز»**.

وُلد مونتالبان في برشلونة عام ١٩٣٩م، ويعد أحد المجددين الرئيسين في الرواية البوليسية، وله عدة مؤلفات أشهرها **«السيرة الذاتية للجنرال فرانكو»**.

ويذكر أن الجائزة أنشأها عام ١٩٨٩م مجلس وزراء الثقافة في دول المجموعة الأوربية.

السويد

معرض أعمال القراصنة!

افتتح ـ مؤخرًا ـ في المتحف الوطني في ستوكهولم معرض أقيم تحت عنوان **«معرض أعمال قراصنة البحار»**.

يحكي المعرض تاريخ القرصنة البحرية من خلال عدد من الصور واللوحات الصغيرة المعبّرة عن أعمال القرصنة التي كانت تتعرض لها السفن التجارية.

ومن المقرر أن يستمر المعرض حتى نهاية العام الميلادي الحالي.

● **«الأسرة والحياة الأسرية في روايات جين أوستن»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بالدمام، تقدمت بها **حفصة بنت براك العناز.**

● **«جهود عبد القادر البغدادي»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغويات بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، تقدم بها **هشام إبراهيم الدهشوري.**

● **«المرفق العام الاقتصادي»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، تقدم بها **عزت فوزي حنا.**

● **«الترتيب في اللغة لأبي الفتح أحمد بن المطرف الكناني: تحقيق ودراسة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها **عبد الله بن فهيد البقمي.**

● **«أحكام البدل في الفقه الإسلامي»** عنوان دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن محمد الجمعة.**

● **«صورة الطفل المصري في الصحافة القومية والحزبية من خلال دراسة تحليلية مقارنة لجريدتي الوفد والأهرام خلال الفترة من ١٩٨٨ ـ ١٩٩١م»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية النوعية في القاهرة، تقدم بها **ثروت فتحي كامل.**

● **الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه في الفترة من ١٢٥٦ ـ ١٣٠٩هـ الموافقة للفترة ١٨٤١ ـ ١٨٩١م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات بالدمام، تقدمت بها **حصة عبدالرحمن السعدي.**

● **«تقويم محتوى مقرر القرآن الكريم في كلية المعلمين بالرياض في ضوء أهداف إعداد المعلم»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **عبد الملك عبد العزيز الهويمل.**

● **«اتجاهات معلمي العلوم وتدريسها في المرحلة المتوسطة بمدارس بنين الرياض: دراسة كشفية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **سلمان بن ناصر العبيد.**

● **«إبراهيم هاشم فلالي: حياته وأدبه»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية في الرياض، تقدم بها **خالد بن سالم بن جابر الدنياوي.**

● **«معالجة قضية حماية البيئة الريفية في الصحافة المصرية»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات والبحوث البيئية بجامعة عين شمس، تقدم بها **محمود عبد الرحمن.**

المعجم العربي قضية مجمع اللغة هذا العام


حمد الجاسر


عبد الله بن خميس

توصية بإنشاء هيئة علمية لتعريب العلوم

■ **القاهرة ـ من مصطفى عبد الله :**

اتخذت الدورة التاسعة والخمسين لمجمع اللغة العربية في القاهرة في ختام اجتماعاتها مؤخرًا عدة توصيات مهمة في مجال التعريب تأتي في مقدمتها توصية بإنشاء **هيئة علمية لتعريب العلوم، وإصدار معاجم في علوم العصر الحديث.**

وأكد أعضاء المجمع على توصياته السابقة بضرورة تعريب التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي، وإنشاء هيئة تعريب تتبع اتحاد مجامع اللغة العربية مقرها القاهرة.

وأوصى المؤتمرون بتعريب جميع الإدارات والمؤسسات الحكومية العربية، والعناية في مرحلة التعليم الأساسي بحفظ الناشئة الجزءين الأخيرين من القرآن الكريم على الأقل، وزيادة عدد ساعات تدريس اللغة العربية وتيسير النحو للناشئة والعناية بتدريس الخط العربي، وإصدار تنظيمات تقضي بالكتابة باللغة العربية على واجهات المحال التجارية والشركات والفنادق وحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية.

وبحث المجمع على مدى خمسة عشر يومًا موضوعًا رئيسيًا هو **«المعاجم العربية: مصادرها ومناهجها».**

وقد أقر المجمع مجموعة من المصطلحات في العلوم الطبية والجغرافيا وعلم النفس والتربية ومصطلحات القانون والموسيقا والحاسبات والتاريخ والآثار وعلوم الزراعة والأحياء. وعرض على مؤتمر المجمع نموذج من المعجم الكبير.

وكان وزير التعليم المصري **الدكتور حسين كامل بهاء الدين قد افتتح مؤتمر المجمع** بكلمة أثنى فيها على المجمع وجهوده في الحفاظ على لغة القرآن واهتمامه بتقويم مناهج تدريس اللغة العربية من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية. وأعلن الوزير استجابته لدعوة المجمع بإدخال (المعجم الوجيز) إلى برامج الدراسة في المرحلة الثانوية.

وتحدث **إبراهيم الترزي، الأمين العام للمجمع**، في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر عن أهمية اللغة متطرقًا إلى أهداف المجامع اللغوية حيث أكد أنها أوجدت لتعود لغتنا من جديد لغة علم وأدب وحضارة، فكان **مجمع البكري** بالقاهرة في أواخر القرن الماضي ثم كان **نادي دار العلوم** في أوائل هذا القرن دعوة حثيثة انطلقت من ندوة أقامها لإنشاء مجمع لغوي، تلاها إنشاء مجمع دار الكتب المصرية الذي غاب صوته في هدير الثورة المصرية الشعبية عام ١٩١٩م. فتلقفت دمشق الراية من شقيقتها القاهرة وأنشأت في العام نفسه مجمعها العلمي العربي. وظلت تيارات السياسة تزحم الساحة في مصر حتى انطلقت من براثنها فكرة إنشاء المجمع اللغوي المنشود، فصدر في ديسمبر من عام ١٩٣٢م مرسوم ملكي بإنشاء مجمعنا. وقد انفرد بين سائر المجامع بالطابع العالمي في تكوين أعضائه، وعلى الرغم من أن الفوج الأول منهم لم يتجاوز عدته العشرين فقد كانوا ينتمون إلى **مصر وتونس وسورية ولبنان والعراق، وإلى: بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا، كما كان منهم الحاخام ناحوم والأب إنستاس الكرملي.** ثم اطردت زيادة أعضائه مع زيادة أعبائه، حيث بلغ عدد لجانه اللغوية والعلمية والأدبية والفنية خمسًا وعشرين لجنة. وأخذ النشاط المجمعي يدور في سبعة محاور: أولها تيسير العربية: قاعدة ولفظا وأسلوبا وكتابة، وثانيها وضع معجمات لغوية عامة، وثالثها: وضع معجمات متخصصة في العلوم والآداب والفنون وألفاظ الحضارة، ورابعها إصدار دوريات تتمثل في إصدار مجلته ومجموعة مصطلحاته ومحاضر جلساته، وخامسها إحياء نفائس تراثنا اللغوي بتحقيق دقيق وثيق، وسادسها معالجة أهم قضايانا اللغوية والعلمية والأدبية، وسابعها إقامة مسابقات أدبية ولغوية.

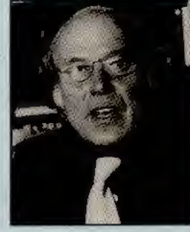
وأوضح الترزي أن حصاد هذا كله على امتداد أعوامه التي تشارف السنين هو ما نجنيه الآن.

المعجم العربي

وعن الأسباب التي دعت لاختيار «المعجم العربي» موضوعًا يبحثه مؤتمر المجمع في هذه الدورة قال الأمين العام: لقد توالت على الصعيد المعجمي العربي معجمات كثيرة زاحم بعضها بعضًا،



د. شوقي ضيف



د. عبد الهادي التازي

وخالف بعضها بعضًا، وفي هذا التزاحم المعجمي تدافع قد يؤدي إلى تصارع، لا يفيد منه سوى الناشرين كما أن في هذا التخالف المعجمي في المصطلحات والتعريفات بلبلة للقارئين والكاتبين. ومصدر هذه الفوضى المعجمية أن كثيرا ممن يتخصصون في علم أو أدب أو فن يظنون بأنفسهم قدرة على التأليف المعجمي فيما تخصصوا فيه، فيشرعون أقلامهم ترجمة عن معجمات أوروبية ويبيحون لأنفسهم أن يصنعوا بالعربية مصطلحات وتعريفات لما يترجمون بألفاظ وعبارات قد يبلغ من ركاكتها وفجاجتها أنها لا تنتمي إلى العربية إلا في أشكال الحروف والكلمات!

إنجازات المجمع

وأعلن الأمين العام للمجمع على الحاضرين إنجازات المجمع في الفترة الأخيرة التي تضمنت تأبين الذين رحلوا عن الدنيا من أعضائه واستقبال تسعة أعضاء جدد في ثلاث جلسات علنية هم: عالم الرياضيات الدكتور **عطية عاشور**، وعالم النفس المعجمي الدكتور **كمال دسوقي**، وعالم الفيزياء الدكتور **سيد رمضان هدارة**، وأستاذ علوم الأحياء الدكتور **عبد الحافظ حلمي**، وشيخ مؤرخي التاريخ القديم والآثار الدكتور **عبد العزيز صالح**، وشيخ نحاة الأزهر **إبراهيم البسيوني**، وشيخ البلاغة والنقد الدكتور **بدوي طبانة**، ومجدد مدرسة الألسن الدكتور **عبد السميع محمد أحمد**، والمحقق **مصطفى حجازي**. ومن إنجازات المجمع الأخرى إصدار **الجزء الثالث من المعجم الكبير**، والجزء **الرابع من غريب الحديث**، **والجزءين الثلاثين والحادي والثلاثين من مجموعة المصطلحات**، **والجزءين السادس والستين والسابع والستين من مجلة المجمع**، **وأخيرًا معجم النفط**.

كما أناب المجمع الدكتور **شوقي ضيف** لحضور الندوة التي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بتونس في موضوع تعليم العلوم الطبية، ورافقه الدكتور **أبو شادي الروبي والدكتور عماد الدين فضلي**.

ومثّل الدكتور **شوقي ضيف** المجمع في الندوة التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفالا بمرور خمسة قرون على وفاة العلامة **جلال الدين السيوطي**، وفي المؤتمر الذي عقدته وزارة التعليم لتطوير مناهج التعليم الابتدائي، كما مثّل الدكتور **كمال دسوقي** المجمع في الاحتفال الذي أقيم بالخرطوم احتفاء بإنشاء مجمع اللغة العربية بالسودان.

وأشاد الأمين العام بالجهود التي قام بها الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله بن خميس، والشاعر حسن عبد الله القرشي الذي ألقى قصيدة الافتتاح كما قدم بحثا عنوانه (الإسلام والعصر) ورحب بمن حضروا من أعضاء المجمع العرب ومنهم، الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية السوداني، والدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، والدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من العراق، وسر الختم خليفة عضو المجمع المراسل من السودان، والدكتور أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع المراسل من فلسطين، والدكتور إبراهيم رفيدة عضو المجمع المراسل من ليبيا، والدكتور أحمد صدقي الدجاني عضو المجمع المراسل من فلسطين، وفدريكو كورينتي عضو المجمع المراسل من أسبانيا.

محاضرات المؤتمر

واستمع أعضاء المجمع إلى عدد من المحاضرات خلال المؤتمر، فتحدث الدكتور عدنان الخطيب في موضوع (واجب الحكومات العربية وإلزام كل منها جامعات قطرها بتعريب التعليم)، وتحدث الدكتور محمد رشاد الطوبي عن (المعاجم العلمية العربية)، وتناول الدكتور عبد الكريم خليفة في بحثه (منهج أبي ذر الخشني في تفسير غريب السيرة)، وحاضر الدكتور إبراهيم السامرائي عن (العربية المعاصرة ومعجمها)، وتعرض الدكتور محمود مختار لـ(مقومات المعجم العربي المتخصص)، في حين تناول الدكتور محمود حافظ إبراهيم (معاجمنا العلمية المتخصصة بين الأصالة والمعاصرة)، وقدم الدكتور أبو شادي الروبي (ملاحظات على حركة الترجمة - تعريب الطب من حنين بن إسحاق إلى كلوت بك إلى وقتنا الحاضر)، وتحدث الدكتور عبد الله الطيب عن (القاموس والشاعر)، وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن (حقيقة الموحدين بين التشيع والاعتزال)، وعرض الدكتور بدوى طبانة لتجربته مع (معجم البلاغة العربية، وتحدث الدكتور أمين علي السيد عن (العامي الفصيح في المعجم الوسيط)، وقدم المستعرب الأسباني فدريكو كورينتي (شواهد أندلسية لعناصر قحطانية في العربية) وتحدث الدكتور محمود علي مكي في موضوع (شاهدان على محنة الأندلس الأخيرة: ابن عاصم، وعبد الكريم القيسي البسطي). أما إبراهيم الترزي فتناول في بحثه المعجم الكبير. وجاء بحث الدكتور عبد الهادي التازي حول (أشعار الموسيقا الأندلسية).

بمشاركة علمية سعودية:

ندوة عن تاريخ مصر والجزيرة العربية

القاهرة ـ مراسل «الفيصل»

أقيمت مؤخرا في القاهرة ندوة «**مصر والجزيرة العربية في التاريخ**» التي نظمتها **كلية الآداب بجامعة القاهرة**، وذلك بمشاركة عدد من أساتذة الجامعات والباحثين السعوديين.

وفي بحثه المعنون بـ «**علاقة الجزيرة العربية بمصر في الفترة التي تلت انسحاب قوات محمد علي منها**» صحح د. **محمد بن عبد الله آل زلفة** وكيل كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض المفهوم الذي ساد بأن علاقة مصر بالجزيرة العربية قد انتهت أو توقفت بانسحاب الحملة التي أرسلها **محمد علي** عام ١٨٤٠م، مؤكدًا أن مصر اضطلعت بدور فاعل ومهم في الفترة التي تلت انسحاب قوات محمد علي.

ووافقه في هذا المعنى د. **شوقي عطا الله الجمل** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة في بحثه عن «**ولاية الحبش العثمانية بين إيالة جدة والإدارة المصرية ودورها في الأمن القومي العربي ١٨١٨ ـ ١٨٨٥م**» حيث أكد أن إيالة الحبش العثمانية قد قامت بدور مهم في تاريخ كل من مصر والجزيرة العربية.

وفي نفس المعنى تحدث د. **محمد عبد الرحمن فرج عن «العلاقات المصرية الحجازية في العصر العثماني»** حيث أكد أن الحجاز مثّل أهمية كبرى لمصر في عصور التاريخ المختلفة، فهي منطقة حيوية لمصر سواء من الناحية الدفاعية أو الهجومية، وفي أغلب مراحل تاريخ العصور الوسطى كان لمصر نوع من السيادة على الحجاز كلفت الدولة المصرية الكثير أكثر مما كلفت الحجاز، ولم تكن نوعًا من السيطرة بل سيادة كان يتشرف بها القائمون على حكم مصر لما في الحجاز من مقدسات إسلامية.

أما د. **أحمد بن عمر الزيلعي** الأستاذ بجامعة الملك سعود في الرياض فقد تناول في بحثه «**علاقة أمير جازان بالسلطان المملوكي قنصوه الغوري ودوره في حملة الأمير حسن الكردي على اليمن ٩٢١ ـ ٩٢٢هـ ١٥١٥ ـ ١٥١٦م**» مبينًا أن جازان كانت تحكمها حكومة محلية مستقلة استقلالاً ذاتيًا عن الخلافة منذ أواخر القرن الرابع عشر الهجري وعلى رأسها أسرة من الأشراف الحسنيين، وظلت هكذا إلى أن تولى **بنو طاهر** منطقة اللحية في اليمن، فتوجس منهم **محمد بن أحمد بن دريب** الملقب بالمهدي **أمير جازان** فبادر إلى مد جسور العلاقات مع سلطان مصر **قنصوه الغوري**، وحسّن له بسط نفوذه على اليمن، ووعده بالمساعدة والدعم والتأييد دون أن يطلب منه شيئًا سوى الاعتراف به أميرًا على جازان. وأوضح الباحث أن الفكرة راقت للغوري الذي قضى على دولة بني طاهر وضمها إلى شمال مصر، وأسند حكمها إلى أحد رجاله، وجعل **عز الدين** أخا أمير جازان نائبًا له في حكم اليمن، في حين احتفظ **محمد المهدي** أمير جازان بإمارته عليها وعلى حرض وما حولهما.

وكان «**دور مصر في أمن الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر**» موضوع البحث الذي قدمه د. **فاروق عثمان أباظة** الأستاذ بجامعة الإسكندرية حيث بيّن الحملات المصرية في الدفاع عن جزيرة العرب منذ العصرين المملوكي والعثماني إلى احتلال النظام العراقي دولة الكويت في أغسطس ١٩٩٠م.

ويرى د. **عبد الله عبد الرازق إبراهيم** الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة في بحثه «**بريطانيا والصراع الاستعماري على مصر والخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر**» أن تاريخ مصر والخليج قد ارتبط بروابط مشتركة جعلته يتشابه في أحداثه ويتقرر مصيره عن طريق قوى خارجة عنه، ويرجع السبب الرئيسي في أهمية المنطقتين إلى كونهما يمثلان شريان الطرق التجارية إلى الهند، وما يعنيه ذلك من أهمية بالنسبة للغرب.

وتحدث د. **عبد المنعم ماجد** الأستاذ بجامعة عين شمس في بحثه المعنون بـ «**مصر وعمان في وحدة سياسية ومذهبية واقتصادية في عهد الخلافة الفاطمية بالاعتماد على السجلات المستنصرية وهي وثائق رسمية**» مبينًا أن تعيين حكام عمان في عهد المستنصر بالله كان يتم باقتراح من الصليحيين اليمنيين ولا يكون نافذًا إلا بموافقة

الخليفة.

وقدم د. **تمام همام تمام** الأستاذ بجامعة البحرين بحثا عنوانه «**من علاقة مصر بشرق الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر**» حين بيّن أن ظهور حركة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** الإصلاحية في نجد وسقوط السيادة العثمانية على الحجاز ترتب عليها سقوط هيبة الخليفة الذي بادر إلى الطلب من والي مصر **محمد علي** تجريد حملة عسكرية لاسترداد الحجاز، وكانت الحملة المعروفة عام ١٨١٨م التي أثرت بنتائجها وفتحت جسورًا بين عرب الجزيرة وعرب مصر. ذلك أن انسحاب المصريين عام ١٨١٩م ترتبت عليه آثار سياسية في منتهى الخطورة إذ حركت انتباه مصر إلى مسؤوليتها الأدبية والتاريخية والحضارية والأخوية تجاه غيرها من بلدان المنطقة.

وتناول د. **رأفت غنيمي الشيخ** الأستاذ بجامعة الزقازيق دور «**مصر والسعودية وإنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٣ - ١٩٤٥م**» موضحًا كيف أفاضت الوثائق الأمريكية في مسألة قيام الجامعة وخاصة موقف السعودية والأسباب التي أخرت تصديقها على بروتوكول الإسكندرية الذي تم بدعوة قومية من مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر آنذاك.

ويعود د. **سيد أحمد الناصري** رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة بجذور العلاقة بين مصر والجزيرة العربية - في بحثه عن «**بشائر وصول الإسلام واللغة العربية في أوراق البردي بعد فتح العرب لمصر**» - إلى بداية عهد الإسلام، حيث أكد أن فتح مصر كان لأسباب استراتيجية هي حماية ظهر الفتوحات الإسلامية في الشام.

وعن العصر ذاته كان بحث د. **محمد محمد زيتون** الأستاذ بجامعة الأزهر «**علاقة مصر بالجزيرة العربية في عهد النبوة والراشدين**» حيث تناول رسالة **الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس كبير القبط**، وما ورد من أحاديث عن **النبي عليه الصلاة والسلام** عن مكانة مصر وأهميتها وشجاعة جندها.

وتمتد البحوث لتناقش رعاية حكام مصر للحرمين الشريفين، فتحت عنوان «**إصلاحات المماليك في الحجاز في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣/ ٧٤١هـ ١٢٩٢ - ١٣٤٠م**» يسلط **الباحث د. عبد العزيز بن راشد العبيدي** الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأضواء على ما قام به السلطان ابن قلاوون من إصلاحات. وإضافات إلى الحرم المكي الشريف والمسجد النبوي.

وتناول د. **عبد الحميد سليمان** الأستاذ بجامعة المنصورة الموضوع نفسه في بحث بعنوان «**مصر والحرمان الشريفان في العصر العثماني**» مؤكدًا على العلاقة التاريخية التي ربطت مصر بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

ويرتبط بهذا الموضوع موضوع آخر هو عناية مصر بتأمين الطرق للحجاج، وهو ما أشار إليه د. **رجب محمد عبد الحليم** في بحث بعنوان «**مصر ورحلات الحج إلى الحجاز في العصور الوسطى**» حيث تناول جهود مصر للنهوض بطرق الحج والتزامها بكسوة الكعبة وتعمير الحرمين الشريفين وما إلى ذلك.

كذلك كانت التجارة تربط بين مصر وجزيرة العرب، وهذا ما أكد عليه د. **عبد العليم علي عبد الوهاب** في بحث قدمه للندوة بعنوان «**التجارة المصرية في نجد خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر في ضوء الوثائق المحلية**».

كما أن هناك عوامل اجتماعية أدت أيضًا إلى تعزيز روابط مصر مع الجزيرة منها ما أشار إليه د. **حسين سيد عبد الله مراد** الأستاذ بجامعة القاهرة في بحثه المعنون بـ «**المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧ - ٦٤٨هـ ١١٧١ - ١٢٥٠م**» مبينًا أن إقامة هؤلاء المجاورين سواء طالت أم قصرت جعلت منهم جزءًا من المجتمع المكي والمدني.

وفي السياق نفسه يشير د. **محمد عفيفي** الأستاذ بجامعة القاهرة في بحث بعنوان «**أسرة حجازية في مصر: دراسة للأشراف العنقاوية في قنا**» إلى أن عملية تتبع لأسرة من أصل حجازي استوطنت قنا قد أثبتت أن فرعي الأسرة في مصر والحجاز تعاونا في النشاط التجاري عبر البحر الأحمر.

وكان خاتمة المطاف بحث قدمه د. **سعد بدير الحلواني** الأستاذ بجامعة الأزهر بعنوان «**العلاقات العلمية والثقافية بين مصر والحجاز في القرن التاسع عشر**» حيث أكد الباحث أن من أهم روافد الثقافة والعلم بين مصر والحجاز الرحلات وتنقل العلماء وطلاب العلم بين القطرين.

○ ○

على موعد



البَحْثُ عَنْ تاريخٍ أدبيٍّ

تأتي مقالة معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي المعنونة «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية وظيفتها الحضارية في نهضتنا» (المنشورة في عدد «الفيصل» ١٩٨ والمعدة أصلا محاضرة ألقيت في نادي أبها الأدبي) مفتاحًا للدخول في معترك الشهادات التي علينا العناية بها؛ حتى نؤرخ للحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. وهي الحركة المهملة في مسارنا التسجيلي من قبل من عاصرها من أبناء الوطن، أو الجهات المعنية مثل الأدباء والمفكرين والجامعات.

بعضهم يؤرخ للحركة الأدبية من عام ١٣٣٣هـ (١٩٣٢م) مع تكوّن الدولة السعودية المعاصرة، ومن خلال أشعار ابن عثيمين وابن بليهد وابن سحمان والغزاوي وبعض الأعيان المتناثرة أسماؤهم في بطون الكتب دون توثيق ولا مراجعة.

وفي نظري أن هذا إجحاف بحق أبناء الجزيرة العربية؛ حيث إن بعض المدوّنات والوثائق تؤكد أنه كان في الجزيرة العربية وبخاصة الحجاز والمنطقة الشرقية مراكز علم وثقافة وتاريخ أدبي كبير، كما أن منطقة عسير ومن خلال الوثائق التي حقق بعضها الدكتور عبد الله أبو داهش كانت تزخر بالشعراء والكتاب والمؤلفين، من خلال ما خرج من مخطوطات. كما أن منطقة جيزان (المخلاف) مركز ثراء علمي، وقد أخرج الأستاذ أحمد محمد العقيلي بعض مخطوطاتها واهتم بوثائقها.

وإذا كانت محاضرة الدكتور التركي تعد نواة لعمل جاد ومركّز، فعلينا أن نتلمس الخطوط العريضة التي طرحتها، ونبدأ جادين لتدوين تاريخنا الأدبي ونوثقه، وفي إمكان إحدى الجامعات بما لديها من وسائل وإمكانات أن تحقق ذلك.

ويمكن تفريع هذا التاريخ الأدبي إلى فترات، يلتزم كل باحث بفترة، خاصة وأن أقاليم الجزيرة العربية كانت كيانات مستقلة ومتناحرة حتى قيّض الله لها الملك عبد العزيز آل سعود فقام بتأسيس هذا الكيان الكبير، وحقق الوحدة التي ينادي بها العرب منذ انفصام عرى الدولة الإسلامية في العراق والشام وتكون الممالك والدول.

ويستطيع القائمون على تحقيق التاريخ الأدبي الاستعانة بما صدر من مؤلفات مثل: «التيارات الأدبية» للأستاذ عبد الله عبد الجبار و«شعراء الحجاز» لعبد السلام الساسي و«شعراء نجد المعاصرون» لعبد الله بن إدريس، وبعض الدراسات الصادرة عن الأدباء.

وكل هذه الأشياء التي توثق لتاريخنا الأدبي، إنما نحن بحاجة إلى إخراجها في كتاب موحد في عدة أجزاء وبتواريخ وأسماء محددة، لا تحمل العموميات التي نفتقد معها هذا التواصل الحضاري الذي نجده في الأقطار العربية والعالم الإسلامي.

وبالإمكان اقتراح عام ١٢٠٠هـ بدايةً للمرحلة الأولى، توزع على أربع مراحل، كل مرحلة تشمل خمسين عامًا، حتى يتم إعداد منهج موحد يتم تطبيقه على كل فترة وإن اختلفت البنى الاجتماعية، ويكون هذا المنهج حياديًّا ملتزمًا بشروط البحث العلمي النزيه الذي يعطي كل حالة حقها من العمل والجهد.

إنني أتمنى أن أجد مثل هذا العمل الهائل والجاد وهو يتحقق ولو على مراحل، وأن يجد الجيل القادم ما يتذكرنا من خلاله بالخير.

محمد المنصور الشقحاء